المجلد الثاني من تفسير أبي السعود

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم خادم الحرمين الشريفين
السلطان بن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا
شرعيا لمن طالع وتلى أكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

سورة الانفال مدنية وهي سبعون وخمس آية

النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله زيادة على ما هو الاصل في الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي
ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان
قد ابلغوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقالوا
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن في العدو
ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام
ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعطي هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت
والاول هو الظاهر لان السؤال استعلام لحكم الانفال المقتضية كلمة عن لا استعطاؤها كما ينطق به الوجه
الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما وسعد بن
ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال
غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله تعالى قل الانفال لله والرسول
اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيف ما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال
استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل
يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم
اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت
الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا
مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من انها كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
ليس لاحد فيها شيء بهذه الاية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى
الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان التحقيق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله
ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله
عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال
المشروطة بآياته من ان ما بيان الاحكام مما ينبئ عنه اظهار الانفال مع موقع الاضمار على ان الجواب عن
سؤال الموعود به لكونه عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن

ل

ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف
فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك
سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التفصيل
يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة
وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام
قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه
عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله
تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من اعطاء المسؤول ما هو بصدد الباب قوله تعالى
فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة
فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه
دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل [illegible]
وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم اي ما بينهم من الحال التي ملابسة تامة لبينهم صاحبة له كما قيل
الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان
في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم فقال اقسموا غنائمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه
وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب
المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب
محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المذكور المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق
المعلق به ففيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين
بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة
اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان
يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال
له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت
عليهم آياته اي آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب
لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة

المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال
يجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل الشدة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين
بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امرهم خاصة يتوكلون
يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المبني عن المدح ذكر اولا من اعمالهم
الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلاة والصدقة اولئك
اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم
اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف
هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر
محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا
لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من
تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم
اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد
تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط
منهم ورزق كريم لا ينقضي امده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف
في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت
مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر
في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك
من بيتك في المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا
منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت
عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه
حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالكم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو
جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال
لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع
العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع

فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير
واما قريشا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من
مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو
جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب
النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا
تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
قالوا حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت
في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون
الانصار لا يرى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من
بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم قال لان الله تعالى وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو
تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك
ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية
اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب
على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون
حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه
المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى بالمؤمنين
مع قلة الحزم وزيادة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا

وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا
من المبالغة في ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ
يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ولاستحضار صورتها وقوله تعالى انها
لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة
بكم تسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم
داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير
رئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم
ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة
النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم
معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعد
الله تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى ان يحق الحق
اي يثبته ويعليه بكلماته اي باياته المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم
وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى
انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين
وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة
الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر
عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين
الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن
كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فان تذكير استمدادهم منه والتجائهم اليه تعالى حين
ضاقت بهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل
من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه
مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل
فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر في زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم
وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون

داخل

داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة اني ممدكم اي باني
فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى
قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي متابعين غيرهم من الملائكة رديفا
لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة
آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه
فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان
فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف لتوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق
بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم
واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستأنف سيق
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا
يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل
مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم
الا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء
الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة
لبني اسرائيل كذلك وكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها
وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب
المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى
على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في لتطمئن متعلقة
بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الا كائنا من عند الله تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي
مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع
على الوجه المذكور من مقتضيات الحكمة البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفي ما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما
في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او
بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو البارئ تعالى وقرئ
يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على العلية
بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او

على أنه مصدر لفعل آخر كذلك أي فتؤمنون أمنا كما في قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين وقيل
منصوب بنفس الفعل المذكور والأمنة بمعنى الأمان وعلى القراءة الأخيرة منصوب على العلية بيغشاكم
باعتبار المعنى فإنه في حكم تغشون أو على أنه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ أمنة كرحمة وينزل عليكم
من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى
المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم
عليكم لما أن بيان كون التنزيل عليهم أهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الإنزال ليطهركم به
أي من الحدث الأصغر والأكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا و
المراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه إياهم من العطش روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس إليهم وقال أنتم
يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على
الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع أعناقكم مشوا إليكم
فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله تعالى المطر فمطروا
ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو
حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك
قوله تعالى وليربط على قلوبكم أي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به
الأقدام أي لا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالأول ويجوز أن يكون للربط فإن القلب إذا قوي وتمكن
فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة
منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف فإن المأمور
به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام
ليس من النعم التي تقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بتذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب
بقوله تعالى ويثبت به الأقدام فلا بد من عود الضمير المجرور في به إلى الربط على القلوب ليكون المعنى و
يثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمره بتثبيتهم إياكم وهو وقت القتال ولا يخفى
أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما انتصابه على أنه بدل ثالث من إذ يعدكم
كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من الوظائف العامة
للكل كسائر أخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف
ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة أني معكم أي بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو
مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه وفي تشريفه بدخول كلمة مع على متبوعية
الملائكة إيماء من حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الأصالة من تلك الحيثية كما في أمثال
قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقال جماعة إنما أمروا
بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم في

القتال

القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد
في مقاسات شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول
إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم و
قال آخرون أمروا بمحاربة أعدائهم وحملوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله
تعالى أني معكم وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي
داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا أنه قال إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع
رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير
بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وأنت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملائمته
لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر
الأولون بأن قوله تعالى سألقي الخ ليس بعضا فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك أثر قوله تعالى فثبتوا الذين
آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا
الخ فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك منه خطاب للمؤمنين بالذات على طريق التلوين
فمبناه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى
فوق الأعناق أي أعاليها التي هي المذابح والهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان
أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان
المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي اضربوهم
في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي والمعنى
فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به أو بمحذوف
وقع حالا مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في
الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على
الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم
ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلا من المتشاقين في شق
خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا المتعادين
والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع
الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه والإشعار بعلية الحكم وقوله تعالى فإن الله
شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل
للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم الله
تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذا لهم
بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل
فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه هو المشوق بالوعيد

بما ذكرنا طوق يكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلك اشارة الى نفس العقاب والى
ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى
فذوقوه والواو في قوله تعالى وان للكافرين الخ بمعنى مع باشروا ذلك العقاب الذي اصابكم فذوقوه
عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به
واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين
الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا
وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه
وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراف الآية الكريمة وجوه آخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب
ما اصابهم عاجلا والله اعلم وقرئ بكسران على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين
بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقايع والحروب جيئ به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه و
مبالغة في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحفا اذا دب
على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف و
ذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس اليه في غاية البطئ وان كانت في نفس
الامر على غاية السرعة قال قايلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه
اما على انه حال من مفعول لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر موكد لفعل مضمر هو الحال منه اى
يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيا باه قوله تعالى فلا تولوهم
الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو
اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم
يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا
عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اى يوم اللقا دبره فضلا عن الفرار
وقرئ بسكون الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هولاء واما بان يخيل
عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده ومع من في الكمين من اصحابه و
هو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اى منحازا الى جماعة من اخرى للمؤمنين لينضم اليهم
ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا
ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين
هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان
متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين
اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اى رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره
ومن في قوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما افاده التنوين من الفخامة

والهول

والهول اي من فخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم اي بدل ما اراده بفراره ان يأوي
اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولي
مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار
من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم
الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان
بقية احكام الوقعة واحوالها وتعريض ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر
من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم
وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون
التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم او فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم
بقتلهم فانتم لم تقتلوهم على احد المتناولين لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا
يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من افعاله
تعالى وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا وهو الذي
ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من
تلك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة
حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي
خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك
اثرت هذا التاثير الخارج عن طريق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه
عليه السلام كون اثرها من فعاله سبحانه وتعالى لا من فعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف
والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء
حسنا اي اعطاء جميلا غير مشوب بمقاسات الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متاخر
فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم
نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله
تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة
تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى
ان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكفار
وابطال حيلهم وقيل اشارة الى القتل والرمي والمبتدا الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله تعالى

انتم

٦٧

وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان
تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد
جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجئ او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس
الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار
اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من
الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقى وللفصل اى لن
تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم الذين تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا اى من الاغناء او من المضار
وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه وان الله مع المؤمنين اى ولان الله معين المؤمنين
كان ذلك والامر ان الله مع المؤمنين ويؤيده قراءة الكسر على الاستئناف وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول
صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شئ لانه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم
بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى عنكم حينئذ كثرتكم اذ لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين
في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اى
لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته
تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذى دل عليه
الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولى مطلقا كما في
قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهى عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته
سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم
في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهى كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء
من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى
قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه
راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهى اثر
تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اى في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون
الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق
به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لان صممهم
متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم
وصفوا بعدم التعقل في قوله تعالى الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له
عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا

النهى عن [illegible]

للعقل

للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه
يفضلون على كثير من خلق الله تعالى فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذى من جملته
صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به
ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله
تعالى ولو اسمعهم لتولوا اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق
ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من
ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلى اى وهم قوم عادتهم
الاعراض وقيل كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مباركا ليشهد لك ونؤمن
فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة
كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به لا نسمعه ولا نجيبه فقاتلهم الله فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن
ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رضى الله عنه انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا تكرير النداء مع وصفهم
بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك
استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم
من العلوم الدينية التى هى مناط الحياة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقى او هى ماء حياة القلب كما ان
الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة روى انه مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك
عن اجابتى قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما يوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا
من خصائصه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك لامر مهم
لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من
العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه
صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا او ما اشبه ذلك من الامور المعترضة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى الله تعالى او الشان اليه تحشرون لا الى
غيره فيجازيكم بحسب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة اى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة
في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب للامر على
معنى ان اصابتكم لا تصيب الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى
النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده واما صفة لفتنة ولا للنهى وفيه شذوذ لان
النون لا تدخل المنفى في غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا
بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلف المعنى وقد جوز ان يكون

نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله
شديد العقاب وكذلك يصيب العذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اى وقت كونكم
قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا عليه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف
وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اى في ارض مكة تحت ايدى
قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت
ايدى الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل ووصف
بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفين والمراد على الاول وهو الاظهر
اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اى واذكروا
وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة اى جعل لكم مأوى
تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من
الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله و
الرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونو هما
بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روى انه عليه السلام
حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا بارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار
الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية من سوارى المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على
فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او
انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم
والعقاب ومحنة من الله تعالى ليبلوكم فيها فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم
لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب
والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضى الايمان من رعايته والتيقظ
عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اى في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب
ذلكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز
المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا
تشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم

اى

اى يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل
المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل
لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا
وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى
صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام
بعد تذكير النعمة العامة للكل اى واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ
ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات او يقتلوك اى بسيوفهم او يخرجوك اى من مكة وذلك انهم لما سمعوا
باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره
عليه الصلوة والسلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان
احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البخترى رأيى ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة
تلقوا اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من
ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس
الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلنا فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا رضى الله عنه في مضجعه وخرج هو مع ابى بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اى يرد مكرهم عليهم
او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى
حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه
سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى
عليهم آياتنا التى حقها ان يخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قائله
النضر ابن الحارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاضيهم الذى يقولون بقوله ويأخذون
برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة
ونهاية العناد كيف ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذى كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر
سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم لم يعارضوا بما سواه من انفتهم وفرط
استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اى ما يسطرونه من القصص
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا
من اباطيل ذلك اللعين روى انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه
كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره
او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك حاشاه وقرئ
الحق بالرفع على ان هو مبتداء لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذى يدعيه

عليه السلام وهو تنزيله لا تحقق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته
امر في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من
نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك لكنه معاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة
العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون
موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية اي
تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم
بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا
يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب
اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم
تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين
من الاحابيش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال
على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول
اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد
ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى
جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او بما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون
في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه

فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث
او هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان
ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب
وقرئ نغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة
الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك و
قاتلوهم عطف على قل والخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت
سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان
الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون
بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وعن اسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد والمخرج لهم الى الاسلام
وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي غنمتموه
من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى
من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول وقصد به الاعتناء بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها
شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان
الاسارى يخير فيه الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فحق
او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى في الايجاب لما فيه
من تكرار الاسناد وكانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر
الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على المعطوفين عليه
بقوله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم
من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم بمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم
وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهم انهما قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة
اسهم له عليه السلام وسهم لذكورهم من ذوي قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده عليه السلام
فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم
على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم
من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا

ولا تركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند ابي حنيفة رحمه الله فيقسم
على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلث وعند مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رآه
اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الآية فقال يقسم ستة اسهم
ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم
ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شأن الخمس واما الاخماس
الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلثة اسهم عندهما قال القرطبي
لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق
بمحذوف دل عليه المذكور ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه
واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المتضمن بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا
عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون فان بعضهم قد انزل اليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب
بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب
بالفرقان والمراد بما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير منتظم الكل
انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث
ان الوحي ناطق بذلك وان الملئكة والفتح لما كان من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة
الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل
بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح
والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو
ياء كالدنيا والعليا من كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة
وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء
بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال
ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا
صنعا من الله عز وجل خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطلق نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقيا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه وتقديرا في الاول وقوله
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر

وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحياة او من حاله في علم الله تعالى الحياة والهلاك وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل
وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول
والاعتقاد واذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم
انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع
ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف
على المضمر السابق والضميران مفعولا اري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا
يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهو من عظائم آيات تلك الواقعة
فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار
عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان
المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع
الامور كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب
بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة
وانما لم يصفها بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم
في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه
في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وتذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا
اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب
ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة
لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب
ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون
للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بعد ما امروا بما امروا به من احاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين
خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا
جحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا احبا ذكر

في أوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنون أن يكونوا أمثالهم مرائين بطرين وأمروا بالتقوى والإخلاص من حيث
إن النهي عن الشيء مستلزم للأمر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين أي واذكر وقت تزيين الشيطان أعمالهم
في معاداة المؤمنين وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أي ألقى
في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون
أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وإلا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله
أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس وإني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال
له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان
وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت
الموعود إذ رأى فيه ما لم يره قبل والأول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب
يجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفا من جهة الله عز وجل إذ يقول المنافقون منصوب بزين أو بنكص أو بشديد
العقاب والذين في قلوبهم مرض أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون
وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ومن يتوكل
على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وإن قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه ألباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه
ولو ترى أي ولو رأيت فإن لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما أن إن ترد الماضي مضارعا والخطاب إما لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار
وكلمة إذ في قوله تعالى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حال
الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز وجل والملائكة مبتدأ
وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول
حال منه أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على ضميريهما وأدبارهم أي وأستاههم أو ما أقبل منهم وما أدبر
من الأعضاء وذوقوا عذاب الحريق على إرادة القول معطوفا على يضربون أو حالا من فاعله أي ويقولون
أو قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب
لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي لرأيت أمرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك إشارة إلى ما ذكر من الضرب

والذين

والعذاب وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت
أيديكم أي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله تعالى وأن الله ليس
بظلام للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك
بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر
تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أنها معطوفة على ما للدلالة
على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما أن إمكان تعذيبه تعالى
لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينين بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه
معه نعم لو كان المدعى أن جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج إلى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا لشيء آخر من جهة غيرهم
بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالإهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على أن ذلك سنة مطردة فيما بين
الأمم المهلكة أي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الأخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة
الأعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم التي فعلوا من المعاصي
ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد وأضرابهم من أهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات
الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ومن قبلهم كما قيل فإن ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى
فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى
بذنوبهم لتأكيد ما أفاده الفاء من السببية مع الإشارة إلى أن لهم مع كفرهم ذنوبا أخر لها دخل في استتباع
العقاب ويجوز أن يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون الباء للملابسة أي فأخذهم متلبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما
إن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالصدق فكذبوه
فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون وجعل العذاب من جهته وأخذهم مع أنه ليس مما يتصور مداومتهم عليه
واعتبارهم إياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب إما لتغليب فعلهم على ما فعل بهم أو لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر
والمعاصي منزلة المداومة عليه لابتنائه على الملابسة التامة وقوله تعالى إن الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله من الأخذ وقوله تعالى ذلك استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب
منوطا بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار إليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل
فإنه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على أن
أن العقل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه تكون شططا نائلا وابتعادا عن الحق بمراحل وتهوين لأمر الكفر
بآيات الله واستعجاله بحق رتبة إيجاب العقاب في حقهم تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك أي ترتب العقاب على أعمالهم السيئة
دون أن يبتدئ ابتداء مع قدرته تعالى ذلك بأن الله أي بسبب أنه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة أنعمها
أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أنعم بها على قوم من الأقوام أي نعمة كانت جلت أو هانت
حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت
أحوالهم السابقة مرضية صالحة أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة

عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوء منها وافحش حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا
عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن
حذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز التعليل
اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب
على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة ح استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى
كداب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى غيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كداب
آل فرعون اي كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه فحسب كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تعالى كذبوا بايات
ربهم تفسير له بتمامه وقوله تعالى فاهلكناهم بذنوبهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط
قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما في نظيره في سورة آل عمران حيث جوز ثمة انتصاب محل الكاف بلن تغني مع توسط
بينهما من قوله تعالى اولئك هم وقود النار اما على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا ضير
في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة ح استيناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الآية
الاولى بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الداب في الجانبين عبارة عما لازم
معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي داب
هؤلاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغيير كداب المذكورين وشانهم حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم
فقوله تعالى كذبوا بايات ربهم تفسير لدابهم الذي فعلوه من تغيير حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لشانهم الذي فعل بهم
من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دابهم وشانهم فسبقا وحقه بحكم التشبيه ... شان النزل حيث اكتفي
في كل من التشبيهين بتغيير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب
والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الباء في قوله تعالى بذنوبهم
كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف
جبريل على الملائكة عليه السلام وكل اي وكل من الفرق المذكورين او وكل من هؤلاء واولئك او وكل من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين الكفر والتكذيب مكان الايمان
والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان
احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا
فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما
نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل
عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز
الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي اعنيهم
ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم
اذ هو المناط لما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان
المباشرة بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة

على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة
او هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح
فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة
الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة بسبق النقض الواقع
بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة
بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم فيكون
المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض
من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون
بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم
اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بايقاع ما ينزل بهم من النكاية والتعذيب
ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ فشرذ
بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي فافعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء
لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض
او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين
له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك منهم من دلائل
الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك
شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض
العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين
ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا
وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت
حالهم ولا تحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول
ثان لتحسبن والمراد باقلاتهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان
معاونة المؤمنين بل الغلبة ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما
الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد والى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول
لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا
ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى
افغير الله تامروني اعبد قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ
ولا تحسبن الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة

وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين من ان يظفر بهم وهذا على قراءة الخطاب لا ازاحة ما يحسبه لحذر من عاقبة البغي لا انه ايقاظ
للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه وآكده
كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا
لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما يلي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او
لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه
بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول
او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط
ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها
للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد
وقرئ تخوفون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا اي
مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار
مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم وتجاوزهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم
عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غير فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء
للاعداد والعتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك
الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته
سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما
في تعبير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى
اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها
اي للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون
وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون
في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود
وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم
بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق
الاستئناف فان تأييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من المعتاد من دلائل تأييده
تعالى فيما سيأتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة
مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك
من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس
واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتأليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم اسبابا

استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلوب وصعوبة المأخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق
في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب
للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته البالغة
انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس
والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل
جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحد وصاروا انصارا يا ايها النبي
شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره او في الامور الواقعة بينه وبين الكفرة
كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها
وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك
وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك
الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك سيف مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي
كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة
بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت
ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر
والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المأمور به
حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده
تعالى بالنصر وحكاية ثوابه تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال
الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم
حرضا بان يقال لهم ان تارك في هذا الامر حرض اي مرض فيه لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو
واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة
امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه
مما قبله لكون كل منهما عدة برأسها الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمينان على انه قد جرى
بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى
من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره ههنا تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد
الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة
بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو
المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان فلا يستحقون
الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست
الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال الا اذا لم يجد بدا والخطب جسيم فيقل فيه ثباته فيعجز
فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا
ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام

الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لإيجاب مقاومة الواحد العشرة
وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج أنه كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم كثروا فنزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن

البدن

وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفي الاهتداء إلى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضُعفا بضم الضاد
وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء
جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الأزل
وقوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن بهما وفيما سبق بالتاء
الفوقانية وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله أي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة
المائة والألف وغلبة العشرين المائتين كما أن قيد الصبر معتبر هاهنا وإنما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله
مع الصابرين فإنه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية النصر والتأييد ولم يتعرض هاهنا لحال الكفرة
من الخذلان كما تعرض هناك لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في الصورتين مجموع الأمرين أعني نصر المؤمنين وخذلان
الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لأصالتهم من حيث إنهم
المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والأول أبلغ لما فيه من بيان أن ما يذكر سنة مطردة
فيما بين الأنبياء عليهم السلام أي ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام أن يكون له أسرى وقرئ بتأنيث
الفعل وأسارى أيضا حتى يثخن في الأرض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي
أهله من أثخنه المرض والجرح إذا أثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح وأصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب أي تريدون حطامها بأخذكم الفداء وقرئ يريدون
بالياء والله يريد الآخرة أي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها أو يريد سبب نيل الآخرة من إعزاز
دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كما في قوله أكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا
والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ونهى عن أخذ الفداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء لما تحولت الحال وصارت
الغلبة للمؤمنين روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار
فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم
فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب
أعناقهم فقال عليه السلام إن الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال
حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت
فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه عليه السلام
لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو أيضا ممن أشار بالإثخان لولا كتاب من الله سبق

أي لولا حكم منه تعالى سبق إثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب
أهل بدر أو قوما لم يصرح لهم بالنهي وأما أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم فلا يصلح أن يعد من موانع مساس
العذاب فإن الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما أن الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الإباحة
السابقة على أنه قادح في تهويل ما نعي عليهم من أخذ الفداء لمسكم أي لأصابكم فيما أخذتم أي لأجل ما أخذتم
من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي أنهم أمسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب
لا بعدها على سبب محذوف أي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم فالأظهر أنها للعطف على مقدر يقتضيه المقام
أي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فإنها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا
حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وفائدته الترغيب في أكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة
لتأكيد الترغيب واتقوا الله أي في مخالفة أمره ونهيه إن الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة
الفداء قبل ورود الإذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم إذا اتقيتموه يا أيها النبي قل لمن في أيديكم أي في ملكتكم
كأن أيديكم قابضة عليهم من الأسرى وقرئ من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص إيمان
وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء وقرئ أخذ على البناء للفاعل روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف
قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك
فقال أخبرني به ربي فقال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا
قال العباس بعد حين فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني
زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي يتأول ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله
غفور رحيم فإنه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وإن يريدوا خيانتك أي نكث ما
بايعوك عليه من الإسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد
لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم أي فأقدرك عليهم
حسبما رأيت يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فاعلم أنه سيمكنك منهم أيضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء
وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته
البالغة إن الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا
بأموالهم بأن صرفوها إلى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج وأنفسهم بمباشرة القتال واقتحام
المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الأموال على الأنفس لما أن
المجاهدة بالأموال أكثر وقوعا وأتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا المجاهدة بالمال والذين آووا
ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وبذلوا إليهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة ونصروهم على أعدائهم أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه
من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم إما بدل منه

قوله تعالى اولياء بعض خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض
في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام
الآية او في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا
وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم
عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي
في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة
وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير
في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين
آمنوا من بعد وهاجروا اي بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم
ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم
بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب
في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم
ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء
من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم

[illegible] سورة التوبة [illegible]

ولها اسماء أخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة
ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص
الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأباه
مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابي حنيفة رحمه الله الاشتباه في طرفي
وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رواية لما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف
في ذلك يفرع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل من قدماء الحنفية و

وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح
من المذهب ان التسمية من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع
في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا واذا امتنع ان يتبع في الاستقلال الاشتباه والاختلاف
فهو انما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان
لتحقق دلالة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم
البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب
اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة
تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين واصلة اليهم كما تعلق
بالبراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين الخ وبما في حيز الصلة فانه منبئ عن ابتداء ظاهرا وحذرا
عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم
هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله
حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها وتجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها
الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق
الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان
تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على الاصل في تحريك الساكن بالكسر ولكن الوجه هو
الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا
عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة
وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله
تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة
مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين
لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز
وجل لانه امر كان لا بد ان يكون جاريا على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها ترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء
اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل
في اتمامها او ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا تترتب
عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجه معهود اعتبره الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه
في شأنها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه
فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية
الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا
المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة
على دوامها واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السيح والسياحة الذهاب في الارض

والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا
ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك
لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل الهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها
وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا لما ان في الاعلام بالاحوال حسما
لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار
ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان ذلك
امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول
مترتب على نفسه والثاني على علو الجملة المتعلقة على عنوان كونه من العدو العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا الآية كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعداد
العتاد ومن كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم
متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله ووضع الاسم الجليل موضع
المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مذلكم ومذلكم في الدنيا
بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء
هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم
التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لامنهم فيها او للتغليب في ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل
من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم
صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابابكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها
على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب
ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابوبكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابوبكر رضي
الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان
من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة
على مثلها وانما قيل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله
ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد
بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه

ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء
من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة
الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان
تبتم من الكفر والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية
على الاذان بالبراءة المذكورة او لترتيب الشرطية بتمامها ... فهو اي فالتوب
خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير
معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية
الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل
لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة
الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا تعتبروا في ذلك تحقق الفصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله لانه ليس
باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموا وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول
ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك
وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض
وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا
من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم
عهدهم اي ادوه اليهم كملا الى مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ولا تعاملوهم
معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب
المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي
والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان
وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة
له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه تقول اهللنا شهر كذا
اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه
عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان
محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور
والسنين فاذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك
المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع
المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه الاباحة السابقة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء
بشأنها او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون
المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص

بل من مولانا له وعلى ان في مفهوما من البراءة الا انه يكون الانسلاخ وما ينيط به من القتال حتما قتيلا
لا وقت له واما ما قيل فى ذاتهم ميقات بكل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة
لا يلي عنه النظم الكريم لو انها يستدعى بقاء حرمة القتال فيها وليس فيما نزل بعد ما نسخها على اعتقاد به
لا انها انتسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فان هذه تحريم العتب لا دان ازيد بها فى سورة
الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا الى قوله تعالى قل للذين كفروا اح
ابو سفيان وذاهب به وقد اسلم فى اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى شوال سنة
تسع وان اريد بها ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اى من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان الانعقاد الاجماع على انتساخها كائن
فى الباب من غير حاجة الى كون سند منقولا الينا وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين
من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اى ائسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اى
قيدوهم او امنعوهم من التقلب فى البلاد وقال ابن عباس رضى الله عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا
لهم كل مرصد اى كل ممر ومجاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على الظرفية اى ارصدوهم وارقبوهم
حتى لا يمروا به ومنه دليل على التعقيب اى ومع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك
بالايمان حسبما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم
فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم فيغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم
بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة
من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وصحة ترفع
بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل
المضروب اى سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اى امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر فى الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة
وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما بعده لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدى الى اعمال حتى فى المضمر وذلك
مما لا يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر فى قوله فوالله لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن ابى يزيد الا ان تعلق الاجارة
بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاجارة ايضا بذلك او بما فى معناه من امور الدين وما روى
عن على رضى الله تعالى عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا
الاجل لسماع كلام الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره اى فاجره او باقية من الحاجة على ان الحاجة
المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتى محمدا فان من يأتيه عليه السلام انما يأتيه
للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه ان لم يؤمن مأمنه اى مسكنه الذى يأمن فيه وهو دار
قومه ذلك يعنى الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته
او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع
فى تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثين

لانهم الناكثون لان البراءة انما هى فى شأنهم والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الواقع فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله
الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون
الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو
كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة فى الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة
لعهد او بيكون او بنفس عهد لانه مصدر ويكون كما خبر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار
الذى تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون
او بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب
على التشبيه بالظرف او الحال كما فى صورة الكون التام وهو الاولى لان فى انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة
ما ليس فى انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطى فرع ثبوته العينى فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا
وفى توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان
يكون وجوده على حال او فى اى حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ
عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى
اعتباره اصلا او لا دخل للعهد فى ذلك الامن قطعا وان كان غرضا عند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير
كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفى المفهوم من الكلام استثناء
المستثنى وتقوله لجميع المعاهدين اى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض
لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله
عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف
اى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اى اى زمان استقاموا لكم فاستقيموا
لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اى اى زمان استقاموا لكم فيه وقيل الاستثناء متصل ومحله النصب
على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود واياما كان فحكم الامر بالاستقامة منتهى بانتهاء مدة
العهد لان استقامتهم التى وقتت لوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدة
لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح
به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين
تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر
من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد
ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد من عدم ثباتهم على العهد لانه شأن المستبعد واما عند
الاستنكار والاستبعاد وتاكيدا لهما وتمهيدا للتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال المختلف فى البين بالارتباط والتقريب وحذف
الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا يخرج وكونه معلوما كما فى قوله
وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكليب فانه على معنى فكيف مات اى كيف يكون لهم عهد معتد به
عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اى لم يراعوا
فى شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل فى مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفى

او تعرضه من المبالغة ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا وحقا يعاب اغفاله مع ما
سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاتها حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة
الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على سياق قول من قال علام فقيل منهم ضرية ونحو لا فقعة قبلوا
منى ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى اي عز وجل اي لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وقال الطغائيهم
اذا تحالفوا جاروا او رفعوا اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظهور مما لا اعانة عنده
كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبيّن انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وان
لم يظهروا منه الاهبة لايهامه فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان
والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء
الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم
ما يتفوهون به واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست
لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا كما يتعاطاه بعضهم من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر
احدوثة السوء اشتروا بآيات الله باستبدلوا بالقرآن بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها
ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم
وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا
او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه
والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون
اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة
بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذين يعملونه او عملهم وقوله عز وجل لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو
حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو المخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون
غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم
والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساويهم
مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم
اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة
الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جوابه وجواب الشرطية التي مرت من قبل مع
اتحاد الشرط فيهما لان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت
بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلابد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اي نبينها والمراد بها
اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات
فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث
على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم
يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما

حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما
قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما وضع عليه
النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم
وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم
غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء
فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها
على السنتهم وانما علق النفي بها لا بالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال
لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله
على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون
الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق
الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى
اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم
معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فنفي كونه تعليلا للامر بالقتال
اشكال بل استحالة لانه حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال او للامر كما قبل النكث والطعن وان حمل
على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه
قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينكم
لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم
عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤمنين الا تقاتلون الهمزة
الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها
كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة
قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج
الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم
القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم بالمعاداة
والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة
لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم
اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها
ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه
بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن
سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب الله اياهم
واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم
اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما

هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد
ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب
الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم
البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر
بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغل شوكتهم والانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي
والاختلاف في وجه السببية غير السبك والله اعلم والله اي شأنه اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال
الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة
على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي
بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال
من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم
نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه
لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم
التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين
لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله
اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه
على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان
له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى
ولما يعلم الله او حال من فاعله ومفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها
ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف
الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وبابا انهم
لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود
شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة
صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكونوا
ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما
ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه
المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي
عن المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه
وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا

نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها
من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار
هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام
به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة
نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج
المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا ايضا
قصر تحقيق العمارة في وجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن
بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلوة وآتى الزكوة
على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة
فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم
منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو
ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل
البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه السلام
اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة
العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له
في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس
من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى
اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية
وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء
والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات
اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح
جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة
وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما
بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر
من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما
وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم لبيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان عظم درجتهم عند الله تعالى
على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير النفع لانه ان لم يشعر بعدم
الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار الانكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفهم
المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفهم

سقاية والعمارة
على تقدير المضاف في نسخة

المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل
فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك
على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا
يليق بشأن النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج على تقرير انكار التشبيه وتأكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه
المعدوم بالموجود والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله
او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال
البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس
الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف
كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الاخيرين لانه المدار في التفاوت
بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف
الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي
والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار
المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كأنه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عند الله تعالى
وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول
صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون لوضع
كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين
وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد ولا انه اعتبر بطريق التدارك
او لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة
ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك
اي المنعوتون بتلك النعوت [illegible] وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم
الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني
فهو توبيخ للمؤثرين السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه
بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم
فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل
عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل
مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل
السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او جعلتموهما
كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان

مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار
وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا الاعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا
ولا الظلم عموما والمعني بقوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء
كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة ورضوان كبير وجنات عالية
فيها في تلك الجنات نعيم مقيم نعم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشرية وتربية له خالدين
فيها اي في الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين
بمقتضى مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد بالآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة
طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا
ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص
لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم
احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه
ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق
النهي عن الموالاة بذلك لانها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن
يتولهم اي واحدا منهم كما يشير اليه افراد الضمير في الفعل مراعاة للفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد
منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك
اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل
تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء
والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه
التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف
لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم مأخوذ من العشرة اي الصحبة
وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها
وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح
تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل
تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة
الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل
عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم

من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو
عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظمه في سلك حب الله عز وجل وحب
رسوله صلى الله عليه وسلم تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة
الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا
اي انتظروا حتى ياتي الله بامره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي
القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا
اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه
والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها
ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن
بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى وقوع ما وقع فيه من قلة
الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم
اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف
عليه كثرة ولا اعجاب اوليس من قضية العطف مشاركة المتعاطفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين
واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين
والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب
وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى
المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن
عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت
عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم
من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض
البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وروي انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون
ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه
الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان
ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح
بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك
لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا
كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين
عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان

للاشعار بعلية للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض
على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين
وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد
الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب
المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا
الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء اي يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم
من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل
سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه
اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا
فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا
يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم
او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب
على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس
نجس وضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة
او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو
مذهب ابي حنيفة ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات
العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه
قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر
المساجد عنده وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين
ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه و
يعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارزاق
والمكاسب وهي عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله
بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فجلبوا الى مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض

ان شاء ان يغنيكم من فضله تابعة لحكمته الداعية اليها وقيد ذلك بها لينقطع الآمال الى الله ولان الاغناء ليس مطردا بحسب
الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم
بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين الغائلة
المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه
ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب
ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر
فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه
بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل هو دين الله تعالى من الذين
اوتوا الكتاب من التورية والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي
يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها
عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم
اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم ومن الجزية
اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء
وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية
وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند
ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله
تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع
الكفار واما المجوسي فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي
رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم
لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم وآكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت
والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية و
اربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي تؤخذ في آخر
من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم
ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه
اسم اعجمي كعازر وغير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف
مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس
بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا
القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير عليه السلام وهو

غلام يسيح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه
لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي قتل بختنصر علماءهم جميعا وما كان
عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله ولما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله تعالى
عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون آية بعدما اماته مائة عام يقال اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره
فلما اتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية
في قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير
الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير عليه السلام الى الله تعالى وابتهل اليه
فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت
النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة ان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه
في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن
تحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهؤن اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همزة
قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من
قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله واللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى
التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود
عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى
قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون
من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء
اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان ابو الليث وابن السكيت يقولان
حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد
من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم
ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى
وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه
فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب
الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي
اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص ذلك الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك
بعزير عليه السلام وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام الى امه حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان
بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا

ليعبدوا الا الله الها واحدا عظيم الشان هو الله تعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته
تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم
الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون
مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة
به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو
صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون
ليطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض
من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة
عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة
الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القران العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القران
ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل
والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه واصل تستند اليه
حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم
منبث في الافاق بنفخه ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام
وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه
من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج
في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة
اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة
على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي
على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع
فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد حررناه تحقيقا لهذا اثرا
هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القران الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام
ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما
تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل ولو كره المشركون كما فيما سبق
خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر يا ايها الذين امنوا شروع
في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم
في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك
بالاكل بناء على ان معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للمؤمنين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين
الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال

بالباطل

بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول
عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق
من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين ويؤيده قوله عز وجل ولا ينفقونها
في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز
اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد بهما ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة
صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز
ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او
باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت
النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على ان المقصود فنقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة
الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل
الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا بجانبهم عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول
الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها
وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها
عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون
دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه
وهو صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله تعالى وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار
والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجع امر الاشهر الى ما كانت
عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعدما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعدودة وما في ذلك
من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما
وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة

حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره وقرئ نسئا ونسيا كنسيا ونسيا ومسيا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيحكى عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسئلونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في العام القابل فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتجديد عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يجعل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على

على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل كارهين مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم ووصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيا لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ثمة قالوا من انكر

صحبة ابى بكر رضى الله تعالى عنه فمن انكرها كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها
القلوب عليه على النبى صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج
واما النبى عليه السلام فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة
النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين
لهم وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء
بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اى التوحيد او دعوة الاسلام هى العليا لا يدانيها شىء وتغيير الاسلوب
للدلالة على انها فى نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب
عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم فى حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ
على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اى على اى حال كان
من يسر او عسر حاصلين باى سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة
الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة فى الجملة وما ذكر فى تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا لاحبه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين
المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقى وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلىّ ان انفر قال
عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه
واعواز الاخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله
الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اى ما ذكر من النفير والجهاد وما فى اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشرف خير لكم اى خير عظيم فى نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة
العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اى تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق
فى اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم
من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اى لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اى لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد
بين القريب والبعيد لاتبعوك فى النفير طمعا فى الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدمه عند توسط
السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة الشاطة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون
اى المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اى سيحلفون
بالله معتذرين عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اى لو كان لنا استطاعة من جهة
العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد
مسد جواب القسم والشرط جميعا اما على الثانى فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا فى قوة بالله لو استطعنا لانه بيان
لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما فى قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اى مهلكين انفسهم او من

فاعل لخرجنا جىء به على طريقة الاخبار عنهم كأنه قيل نهلك انفسنا اى لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما فى قولك حلف ليفعلن
مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اى فى مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا
مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح فى انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه
عند استئذان المتخلفين فى التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه لهم اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم كلوا ما عن المزاحم من ترك
الاولى والافضل الذى هو التأنى والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اى لاى سبب
اذنت لهم فى التخلف حين استأذنوك واعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغى ان يكون اموره عليه
السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه فى معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان
كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه واللامان متعلقتان بالاذن لاختلافهما فى المعنى فان الاولى للتعليل
والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد
لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا اى فيما اخبروا به عند الاعتذار
من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين فى ذلك
فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى
اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه ان يكون توجه الاستفهام اليه من تلك الجهة وذلك
بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كأنه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى يتجلى الامر كما هو قضية الحزم قال
قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشىء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى
فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذى صلته فعل دال على الحدوث
وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص
لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم فى الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب
بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلى فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع
احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه فى الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض
لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد
التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم
ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق فى عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالاخرين
مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين
باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما
هذا وفى تصدير الخطاب بشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة
ما لا يخفى على اولى الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء
الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت وهب انه
كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف فى الخطاب والتخفيف فى العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو
مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما
المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن فى خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال

حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الأولى
تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي أثير ويفتضحوا على رؤوس الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ولا يتسنى
لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم غرّوه عليه السلام وأرضوه بالأكاذيب على أنه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين إذ لم يكونوا على أمن
واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على أنه كان ينبغي
أن يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
وأن الخلص منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف
كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليلاً على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى أن يجاهدوا كراهة أن يجاهدوا ثم
قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد وفيه توجيه النفي إلى القيد وبه يتبين المؤمن من المنافق وهو
وإن كان في نفسه أمراً خفياً لا يوقف عليه في بادي الأمر لكن علامة أحوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل أمراً ظاهراً مقرراً
وقيل هو الجهاد أي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة أن يجاهدوا بناء على أن الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته
ولا يخفى أن الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر
من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفي من المؤمنين يجب أن يثبت للمنافقين وظاهر أنهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم
له بل إنما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب
وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بأنهم كذلك وإشعار بأن ما صدر عنهم معلل بالتقوى إنما يستأذنك أي في التخلف
مطلقاً على الأول أو لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بهما في الموضعين للإيذان
بأن الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال إنما هو الإيمان بهما إذ به يتسنى استبدال الحياة الأبدية والنعيم المقيم الخالد بالحياة
الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره
فهم في ريبهم حال كونهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون أي يتحيرون فإن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات
ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه ولو أرادوا الخروج يدل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج
لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيباً لهم لو أرادوه لأعدوا له أي للخروج في وقته
عدة أي أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عدّه بحذف التاء والإضافة إلى ضمير الخروج
كما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا أي عدته وقرئ عدّه بكسر العين وعدّة بالإضافة ولكن كره الله
انبعاثهم أي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم
وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين
طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفياً وإثباتاً في اللفظ كقولك ما أحسن إلى زيد ولكن أساء والأظهر أن يكون استدراكاً
من نفس المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى
كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم أي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو هو
حكاية قول بعضهم لبعض أو هو إذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين إما المعذورون أو غيرهم وأياما كان
فهو ذم لهم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم أي ما
أورثوكم شيئاً من الأشياء إلا خبالاً أي فساداً وشراً فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولا

ولأوضعوا خلالكم أي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وإفساد ذات البين من وضع البعير وضعاً إذا أسرع
وأوضعته أنا أي حملته على الإسراع والمعنى لأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد المبالغة في الإسراع بالنمائم لأن الراكب
أسرع من الماشي وقرئ ولأرقصوا من رقصت الناقة أسرعت وأرقصتها أنا وقرئ ولأوفضوا أي أسرعوا يبغونكم الفتنة
يحاولون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم وإفساد نياتكم والجملة حال من ضمير أوضعوا أو استئناف
وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم أو فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين أي يطيعونهم
والجملة حال من مفعول يبغونكم أو من فاعله لاشتمالها على ضميريهما أو مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد
بحيث يخل مكانهم فيما بينهم من المؤمنين بأمر الجهاد إخلالاً عظيماً ولم يكن فساد خروجهم معادلاً للمنفعة ولذلك
لم يقتض الحكمة عدم خروجهم قطعاً مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين إليهم مستتبعاً لخلل كلي كره
الله انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الإذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم
لنوع من المفاسد أنهم لو قعدوا بغير إذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من أول الأمر ولم يقدروا على مخالطتهم
والسعي فيما بينهم بالأراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش إلى أن يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم بالظالمين
علماً محيطاً بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتون منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالظلم والتشديد في الوعيد والإشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا
الفتنة تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك من قبل أي يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بمن معه وقد
تخلف بمن معه عن تبوك أيضاً بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع وعن ابن
جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلاً من المنافقين ليفتكوا به عليه
السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الأمور تقليب الأمر تصريفه من وجه إلى وجه وترديده لأجل
التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيلة حول قلب أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكائد
ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق أي النصر والتأييد الإلهي وظهر أمر الله غلب
دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال أنهم كارهون لذلك أي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول عليه السلام
والمؤمنين على تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لأجله وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة أعذارهم
تداركاً لما عسى يفوت بالمبادرة إلى الإذن إيذاناً بأن ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهويناً للخطب ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود ولا تفتني أي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والإثم يريد أني متخلف لا محالة أذنت أو لم تأذن فأذن لي
حتى لا أقع في المعصية بالمخالفة أو لا تلقني في الهلكة فإني إن خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل
قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك
بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه بمعنى فتنه ألا في الفتنة أي في عينها ونفسها وأكملها وأعظمها الغنية
عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلاً عن أن يكون مهرباً ومخلصاً عنها
وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالإذن
المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بإفراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم
الظرف إيذان بأنهم وقعوا فيها وهم يحسبون أنهم ناجون من الفتنة زعماً منهم أن الفتنة إنما هي التخلف بغير إذن وفي التعبير
عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى أسفل سافلين

وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه
اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الآن تنزيلا للشيء
سيقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب الشيء موضعه فان مبادي احاطتها اياهم من الكفر والمعاصي محيطة
بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما تردوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال
والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار
بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك
حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك
في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا
من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق
قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج
عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصاب عليه الصلوة والسلام والجملة
حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد
الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض
المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد
لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه
من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية
الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض
الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون
على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي
فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل للتبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة
من قبله تعالى امر للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر فالاظهار ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل
قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر التبليغ واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية
بشان المأمور به والاشعار بما بينه وبين امره الاول من الفرق في السياق والتربص والتمكث مع انتظار مجيء شيء
خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين
اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة
الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصرة والغنيمة ونحن نتربص بكم
احدى السوأيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف
صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا
اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم
ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوؤكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها

مصدران

مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم
والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم
القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب
قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة
عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم
وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم
منهم شيئا من الاشياء الا كفرهم وقرئ نقبل على اسناد الفعل الى ضمير الله تعالى ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون
بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة وهو في معنى التوسيع
الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون
ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم اي لمن جملة المسلمين وما هم
منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان
الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء
اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجؤون اليه من رأس جبل او قلعة
او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع
المنفي الواقع موقع الماضي كما يفيد انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما
يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء
استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا
وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور
اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا
اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا
يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اليه اي لاقبلوا نحوه واقبلوا وقرئ لوالوا
اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه
اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك
بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك بالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها
فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا لامر ديني بل لمحض حرصهم على حطام الدنيا وان لم يعطوا منها ذلك
المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت الآية في ابي الجواظ المنافق حيث
قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير
التميمي اصل الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم

فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول
هو الاظهر ﴿ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ اي ما اعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات طيبي
النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعل الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه ﴿وقالوا
حسبنا الله﴾ اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل ﴿انا
الى الله راغبون﴾ في ان يخولنا فضله فالآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا
لهم ﴿انما الصدقات﴾ شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة
القالة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل عن الاستحقاق اي جنس الصدقات
المشتملة على الانواع المختلفة ﴿للفقراء والمساكين﴾ اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم
كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فالذين لا علاقة لهم بها وبينهم يقولون فيها ما يقولون ما اخرجهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها
والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رحمه الله وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه
يدل عليه ﴿والعاملين عليها﴾ اي الساعين في جمعها وتحصيلها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ هم اصناف فمنهم اشراف من العرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف
قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم
اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله
وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهمهم بالاجماع لان ذلك
كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وعلا وعلت كلمته استغنى عن ذلك ﴿وفي الرقاب﴾ اي وللصرف
في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها
الرقاب فتعتق وايا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان
بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير وللاشعار برسوخهم
في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا ﴿والغارمين﴾ اي
الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم
لاصلاح ذات البين واطفاء الثائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء ﴿وفي سبيل الله﴾ اي فقراء الغزاة
والحجيج المنقطع بهم ﴿وابن السبيل﴾ اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق
او بما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات وللمتصدق ان يدفع صدقته
الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي
ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من تلك الاصناف
﴿فريضة من الله﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه
منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات
كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة ﴿والله عليم﴾ باحوال الناس ومراتب استحقاقهم ﴿حكيم﴾ لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾
نزلت في زمرة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا

بنا فقال الجلاس بن سويد ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل
﴿ويقولون هو اذن﴾ اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له
وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه
على سلامة القلب وقالوا ما قالوا ﴿قل اذن خير لكم﴾ من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح
كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد هو اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك
كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال
فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل ﴿يؤمن بالله﴾ تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله
تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ اي
يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق
كما في قوله تعالى انؤمن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى الآية ﴿ورحمة﴾ عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق
المصدر على الفاعل للمبالغة ﴿للذين آمنوا منكم﴾ اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك
بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته
الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب
على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة ﴿والذين يؤذون رسول الله﴾ بما نقل عنهم من قولهم هو اذن
ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتيب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى
فيما سيأتي فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴿لهم﴾ بما يجترؤن عليه من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول
﴿عذاب اليم﴾ وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد واثبات
العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا
الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب
﴿يحلفون بالله لكم﴾ الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم
ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذاة
النبي صلى الله عليه وسلم اما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ﴿ليرضوكم﴾ بذلك وافراد رضاهم
بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم رضا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قبل عليه السلام ذلك منهم فلم يكذبهم
للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضاه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم
وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا الكل اشير اليه ﴿والله ورسوله احق ان يرضوه﴾ اي احق بالارضاء ولا
يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما
بما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل
والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء
منكم اي يعرضون عن ايمانهم ويحلفون بما لا يغنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه
عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد نوش البهقاء اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التأويل
المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل قيل ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافها
التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما انه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة
خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف او الى الله
على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة
ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون
والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ
اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذار انه اي الشان من يحادد
الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة من الجانب فان كل واحد من مباشري
كل من الافعال المذكورة في حد غير حد صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف
اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي
يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب تاكيد اللفظ المانع للاولى من العمل ودخول الفاء
كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه
وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون
فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه
وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة
الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهور
ولحوق العذاب الخالد بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى
تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع
ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها والمراد بتنبئتها
المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم
قيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الامر لعود المعنى
اليه اي يحذر المنافقون ان ينزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان
اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي
يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزءوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل
او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة او من مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة
لكم على الملأ والتعرض لعنوان التأكيد لانكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن
سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب
من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها
هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا

في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت
الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا اياهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزئون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته
لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم
الكفر بايذاء الرسول عليه الصلوة والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم
واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا
الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء
للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين
قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال
اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال
عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص
وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يأمرون
بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح
عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد
كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة
ان المنافقين هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله
اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب
غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي اهم منه
في خشية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة
الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر
اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل
لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم
بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم
بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب والطلب للذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط النون
او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين
والمشبه بهم لا الى الفريق الآخر فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا

ويؤدي الى خلق تلوين الخطاب عن الغيبة اذ الظاهر ح او لكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب
اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم
باسم الاشارة فانها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت
وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا
فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك
اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه
طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما اخترعوا ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد
اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين نبأ
الذين من قبلهم اي خبرهم الذي شأنه هو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها
سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
استئناف لبيان نبأهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم
فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان
يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على
على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد
الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر
للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا
والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة
الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون
الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله ويقبضون ايديهم ويطيعون
الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين
والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك
المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة
للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه
على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين
متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله فنسيهم والوعيد بهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه
تحقق في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض بذكر ما مر من الامر بالمعروف

ونحوه

وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم من مراتب
الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة
اي وعد بعض الخواص الكل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش كما في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله
لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول طوبى لمن دخلك وعن ابن
عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف
حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنهما هي بطنان الجنة على هذا
علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فانه وصفه اولا
بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنان ذات الانهار الجارية ليميل طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير اكبر ان عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط
نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين
روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما
سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا
من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة
جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
ولنعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا ما كان من حق حر ان يذل لها فكيف
وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود
واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصلح ومأواهم جهنم
الجملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف
يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم
ودخول جهنم روي انه صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا
الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا
لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال
اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار
الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم لرضاهم بقوله صاروا
بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر على ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم
اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا
بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما
انكروا او ما عابوا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا
حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء
مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او ما انكروا
ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك في الدارين
خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد
قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض
عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك
من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد
اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة
ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن
حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي
حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ
غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا
عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلما يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله
عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب
بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم
وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي الى
موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون جزاء عملهم وهو يوم القيمة فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه
قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا
يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذاب به يؤدي الى تخلية

الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسنادها الى الله
عز وجل ولا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل والنفاق والتحقيق انهما لما كانت الفاء الدالة على الترتيب التفريع منبئة
عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض
وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المراد في ذلك والله تعالى
اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا
للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما اسروه
في انفسهم وما تناجوا فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر
على النجوى يستظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا
يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموضعين لالقاء الروعة
وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب
الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني للتقرير وتعليم المؤمنين
بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز
جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين
من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان
لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم
بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا
طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم
عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا
من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد
الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم
وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان
الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء
بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد
حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم

استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها
ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة
وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات
والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم
الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا
يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة
على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا فهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة
الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله
عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع
هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم بما علم في ذلك من الحكمة الخفية
او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد
خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول
الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم او لفرح في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ
خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما
مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه السلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له
عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد
يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وفيما او ثرا عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا
الى الغزو ايذان بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون
قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم
تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف
واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود وقد جمعوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود
وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم
التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون
انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول
المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي وانهم مآلهم اليها لما فعلوا
ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المبني على امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا
من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاقبة امرهم واجله عن الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة
التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء للسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا نفسهما اذ لا يتصور السببية
في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا او زمانا كثيرا واخراجه
في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادة الاول
هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ
لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة
عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء
او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك
الله الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان
ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر
مانع مع الاسلام او لان من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد وبان لم
يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة
اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف
اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر
بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع
الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف
الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأتيه اولى مرة ولا تصل على احد
منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي ولا تقم على
قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور
المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه
فلما دخل عليه السلام قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره
الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل
اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ودعي
ليصلى عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا
وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه الصلوة والسلام ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل
ولا تصل الى آخره فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين
بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كان مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافأة لقميصه الذي كان البسه
العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار
للميت والوقوف على قبره انما يكون للاستصلاح وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم

وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما يتبيء من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم
واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق الفريق الاول وتقديم
الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها لما انها مما لا بد منه لكل واحد من الاباء والامهات والاولاد
في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم
من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع والمال لانها اقدم في الوجود
من الاولاد ولان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف انما يريد الله ان يعذبهم
به من الاموال والاولاد ان يعذبهم في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شانها
وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب
واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال
من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء
كلمته استاذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف
تفسيري لاستاذنك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا
عن الغزو لما بهم من اعذار رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يردوا الاول
صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من
لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع
رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد
باستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو
خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين واولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اي منافع الدارين
النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف
خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة
تنويه بشانهم ورباء لمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الاخرة جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد
الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون
من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر
فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له والمعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها اليه
وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان
قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك
اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر
من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال

تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن لان التاء لا تدغم في العين وادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل
اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب
الذين كفروا منهم اي من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا
وفي الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة
وجهينة وبني عذرة حرج اي اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر
والعلن في السراء والضراء وتوليهما والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل
استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير
للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل
وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم
بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل الاية وقيل
عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم
بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل
هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
في اتوك باضمار قد وما عبارة عما سالوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف
الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسالونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب
اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز
وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادته ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا
نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يحزن حزنا فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض
او لو تولوا او حزنين او يحزنون حزنا فيكون من الجملة حالا من المضمر في تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة
بحزنا او بتفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستاذنوك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليلي
كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضعة والدناءة
وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة
ما رضوا به وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا الحكم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤوا يعتذرون
اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم
من الغزو وقيل اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر
الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم فيما سبق لانه
ايضا لان الجواب وظيفته عليه السلام واما الاعتذار فهم يكونون للكل لشمول الرجوع لهم للكل لا
تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير

وانما التعرض لعنوان كذبها فلانه عمدة قوله تعالى لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف
تعليل للنهي مبني على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم
ابدا فيكون عبثا او لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق
اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم ومنها
للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق
رأسا ببيان ان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق
الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المتصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى
الله عملكم فيما سيأتي أتتوبون اليه تعالى مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة
وتقديم مفعول الرؤية على الفاعل من قوله تعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار
بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم
من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة
واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه
بما كنتم تعملون اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما
موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها
لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا
عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها
والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون
او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة الوصول
والاستيلاء والفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى
لا تعتذروا الخ بل امر مبتدأ لتعرضوا وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى
لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز
وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم انما هو الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واياما
ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها
وقوله عز وجل ومأويهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات
ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما التعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك
جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها
منبئة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له
يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع
الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة الموجب لما حل بهم من سخطه وللايذان بشمول الحكم لمن

لمن شاركهم في ذلك والمراد بهم المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان
الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما ذلك لئلا يتوهم ان رضى المؤمنين مستدعي
رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب
هي صيغة جمع للعرب قال سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن
البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه قيل اعرابي
قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي
ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم
في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان
الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر ان لا يعلموا اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل
الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع
في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب
والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى نوعين وعدم اقتصارهم على النوع المذكور
كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب
على النوع المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين نصدوا الانفاق من اهل النفاق
دون غيرهم من اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الخ
فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعت بعض افراده من يتخذ ما
ينفق من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه
احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار
والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص
بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله
ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض
كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما
كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء
فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله
سميع بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا
بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات
اي ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات
او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول
اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو

للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لكم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي
عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء
والتعرض لوصفهم بالايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين
في شأن اتخاذ ما ينفقونه حالا ما لا وان ذلك اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات معن عن التصريح بذلك
لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما
الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا **الا انها قربة لهم**
شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر
مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها
بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها
وقوله تعالى **سيدخلهم الله في رحمته** وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان في قوله عز وعلا والله سميع
عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله **ان الله غفور رحيم** تعليل
لو عدالحق على نهج الاستيناف قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة
وروى ابو هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشئ من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم
واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان **والسابقون الاولون من المهاجرين** بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة
طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون **والذين اتبعوهم باحسان** اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم
اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين
جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية **رضي الله عنهم** خبر للمبتداء اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم **ورضوا عنه**
بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا **واعد لهم** في الآخرة **جنات تجري تحتها الانهار** وقرئ من تحتها كما في سائر
المواضع **خالدين فيها ابدا** من غير انتهاء **ذلك الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان
بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب **وممن حولكم من الاعراب** شروع في بيان احوال منافقي
اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم **منافقون** وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على ممن حولكم مفرد على مفرد وقوله تعالى **مردوا على النفاق** اما جملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتداء المذكور فصل بينها وبينه
بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتداء خبره من المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة
عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب
به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر والتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق
وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه **لا تعلمهم** بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم
وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى

عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وتعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق
بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث
لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم علمه بنفاقهم يجيء هذا البيان على ان
يعلم ان فيهم منافقين لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر خال عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل **نحن نعلمهم** تقرير لما سبق
من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام
بابطال الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد **مرتين** عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب
الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر والاول هو القتل والثاني عذاب القبر او اخذ الزكوة لانهم يعدونها مغرما والثاني
نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق والنفاق المؤكد
بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى **ثم يردون** يوم
القيمة **الى عذاب عظيم** هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسبما اسند اليها ما قبله من العلم
واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه
وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم **وآخرون** بيان لحال طائفة
من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون
اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا
بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه واراد ابيانه من المنافقين
الذين اعتذروا اجمالا لا خير فيه من المعاذير المذكورة بالايمان الفاجرة حسب وبينهم ابي لبابة وذويه رهط من المتخلفين اوثقوا
انفسهم على سواري المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب
عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا
احلهم حتى او مر فيهم فنزلت **خلطوا عملا صالحا** هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها والحق
من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما
على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى **وآخر سيئا** فان قولك
خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك ذلك للدلالة على جعل كل
منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر
عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى
شاة بدرهم **عسى الله ان يتوب عليهم** ان يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم **ان الله غفور رحيم** يتجاوز
عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين
ايجاب واي ايجاب **خذ من اموالهم صدقة** روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق
بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها
ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم

حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف وان التخلف والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين واموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعلت التاء للخطاب او للصدقة وكذا ان جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلموا اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات ان يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر وترفيع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا ليسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم فنزلت اي الم يعلموا اما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وجل فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبل وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه

وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه وآكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه من ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما لما يؤذن بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شانهم على اصناف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح واني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه عن اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد

قباء مجتمعين فيقل بهم فأرادوا أن يتفرقوا ويختلف كلمتهم وإرصادا إعدادا وانتظارا أو ترقبا لمن حارب الله
ورسوله وهو الراهب الفاسق أي لأجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا
أي اتخذوه من قبل أن ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك أو بحارب أي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد
وليحلفن إن أردنا أي ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى إلا الخصلة الحسنى هي الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المصلين أو الإرادة الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلاة فيه أي في ذلك المسجد
أبدا دعوك إليه لمسجد أسس على التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه
بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وعن أبي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصباء
فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام إما للابتداء أو للقسم المحذوف أي والله لمسجد وعلى التقدير
فمسجد مبتدأ وما بعده صفة وقوله تعالى من أول يوم أي من أيام تأسيسه متعلق بأسس وقوله تعالى أحق
أن تقوم فيه أي للصلاة وذكر تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستأنفة مبينة لأحقيته لقيامه عليه
السلام فيه من جهة الحال بعد بيان أحقيته له من حيث المحل أو صفة أخرى للمبتدأ أو حال من الضمير في فيه وعلى كل حال
ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه أحق نفس كونه حقيقا به لا الاستحقاق في مسجد الضرار
رأسا وإنما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه أو الأفضلية في الاستحقاق المتناول لا يكون باعتبار
ظلم الباقي ومن حيث بحثه في الاعتقاد وهو الأنسب بما سيأتي أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة
الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين أي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه إدناء
المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إنهم لمؤمنون
وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى
عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا
النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات
كلها وكانوا يتبعون الماء أثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن
يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم أفمن أسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول
والرفع وقرئ أسس بنيانه على الإضافة جمع أساس وإساس جمع أس وقرئ أساس بنيانه جمع أيضا وأس بنيانه
وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من أهل مسجد الضرار والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي
أبعد ما علم حالهم من أسس بنيانه دينه على تقوى من الله ورضوان أي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء
مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل وترك وقرئ بالتنوين على أن
الألف للإلحاق دون التأنيث خير أم من أسس بنيانه ترك الإضمار للإيذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما
وصفا وإضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير الجرف ما جرفه السيل أي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا
يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار أو هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز

ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا أي بغير موجب فجرى وجوه الإعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه أمر
دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس
ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى الرضوان ومقتضياته التي أدناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم إليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين
أي لأنفسهم أو الواضعين للأشياء في غير مواضعها أي لا يرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم إرشادا موجبا لها
لا محالة وأما الدلالة على ما يرشدهم إليه إن استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان
مصدر أريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلهم للإيذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على أوهن قاعدة وأوهى
أساس وللإشعار بعلة الحكم أي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم أي سبب ريبة وشك
في الدين كأنه نفس الريبة أما حال بنائه فظاهر لما أن اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون
فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه أمورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم إلى بعض ما سمعوا
من أسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين وأما حال هدمه فلما أنه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر
وتضاعفت آثاره وأحكامه أو سبب ريبة في أمرهم حيث ضعفت قلوبهم وهي اعتقادهم لخفاء أمرهم على المؤمنين
لأنهم أظهروا من أمرهم بعد البناء أكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم
بأنفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي
وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم إلا أن تقطع من التفعل بحذف إحدى التاءين
أي إلا أن تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق أجزاء بحيث لا يبقى لهم قابلية إدراك وإضمار قطعا وهو استثناء
من أعم الأوقات أو أعم الأحوال ومحله النصب على الظرفية أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الأوقات أو كل الأحوال
إلا وقت تقطع قلوبهم أو حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تحقيق
لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ
تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي إلا أن تقطع
أنت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ إن تقطع قلوبهم وإلى أن تقطع قلوبهم
على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على إسناد الفعل مجهولا إلى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وقيل إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله
عليم بجميع الأشياء التي من جملتها ما ذكر من أحوالهم حكيم في جميع أفعاله التي من جملتها أمره الوارد في حقهم
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين
عنه ولو بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها
في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة
والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن
يقال إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلها
من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذانا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل بالجنة بل قيل بأن لهم الجنة

مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح
المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ
لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالته على المعنى
الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها
في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعودة لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استيناف لكن لا لبيان
ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم
بل هو بذل لهما في ذلك لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم
بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل
منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون
القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيل باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين
ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق
القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما
ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة
والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون
القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم
بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون في معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف
حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا
مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر
عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب
وان كان على انكار ان يكون اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به
قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل
كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم والاستبشار
اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار والامر به على ما قبله اي
فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان
الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان
الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم
به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه
ومن عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة

قال

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله عز وجل
قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا
من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة
المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك
كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه والجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا
مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا
على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل
الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد
خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون
لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه
عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد
وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله
اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين
اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك
وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتبار بامرهم من [illegible]
والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا
للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله
عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في ولو كره الكافرون ونظائره روي انه
عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة
قبرها فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فانزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه
السلام والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك
وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان
من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم
لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم
يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام
اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره
والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى

فلما تبين له أي لإبراهيم بأن أوحي إليه أنه مصر على الكفر غير مؤمن أبدا وقيل بأن مات على الكفر والأول هو الأنسب بقوله تعالى
أنه عدو لله فإن وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه أي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب
وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب
حليم صبور على الأذية وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام إلى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه إيذان بأن
إبراهيم عليه السلام كان أواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين بأنه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين
وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد أن يكون غيره أكثر منه اجتنابا وتبرءا وأما أن الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور
لما استثني عن الائتساء به في قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وقد حقق في سورة مريم بإذن الله تعالى وما كان
الله ليضل قوما أي ليس من عادته أن يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم أحكامه بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين
لهم بالوحي صريحا أو دلالة ما يتقون أي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه وأما قبل ذلك فلا يسمى
ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على أن الغافل غير مكلف
بما لا يستبد بمعرفة العقل إن الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق أي أنه تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى بيان
قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا إن الله له ملك السموات والأرض من غير شريك له فيه
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وضمن ذلك التبري عنهم
تبين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة ولا ولاية إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين إلا إياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو العفو عن إذنه
للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والأنصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم أحد ويوم حنين وقيل المراد
فضل التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الأحوال من ترك
الأولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بأمر من أوامره في ساعة العسرة أي في وقتها والتعبير عنه بالساعة
لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة إلى أن قسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة ووصف المهاجرين والأنصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل تلك المراتب من الشدة
للمبالغة في بيان الحاجة إلى التوبة فإن ذلك حيث لم يغنهم عنها فلأن لا يستغني عنها غيرهم أولى وأحرى من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها إلى ما لا غاية وراءها وهو إشراف بعضهم على أن يميلوا إلى التخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم الراجع إليه الضمير في منهم وقرئ بتاء تأنيث الفعل وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه
على أنه يتاب عليهم من أجل ما كادوا من العسرة والمراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم إنه بهم رءوف رحيم استئناف
تعليلي فإن صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الأول عبارة عن إزالة الضرر والثاني
عن إيصال المنفعة وأن يكون أحدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا أي وتاب الله
على الثلاثة الذين أخروا هم على أمر أبي لبابة وأصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل أولئك ولا ردت ولم يقطع في شأنهم بشيء
إلى أن نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وقيل خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا

من المخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والأول هو الأنسب لأن قوله تعالى حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض للتخليف ولا يناسبه إلا المعنى الأول أي خلفوا وأخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها
وسعتها لإعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار
وضاقت عليهم أنفسهم أي إذا رجعوا إلى أنفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الأنس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه أي علموا أن لا ملجأ من سخطه تعالى إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم أي
وفقهم للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى
ليستقيموا على توبتهم إن الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وإن كثرت الجنايات وعظمت الرحيم
المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لأفانين العقاب روي أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن قال بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني
ولا خلفني إلا الضن بك فلا جرم والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده
ولحق به عليه السلام قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي ذر الغفاري
أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما رأى
سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت
عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه
فقال معاذ الله ما أعلم إلا فضلا وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما
مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر
يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم
أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس
في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك
فلن أنساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب
الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه يا أيها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون
اندراجا أوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون
فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر المغازي دخولا أوليا وكونوا مع الصادقين
في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا أو في كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكر وتوبتهم وإيمانهم فيكون

المراد بهم في هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا
مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل
المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن
رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها
عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى
النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عنده المحرمات
من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلو من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد
النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا
من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للتنبيه على استقلال
كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا
يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا ... ولا ينالون من عدو نيلا مصدر
كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة
عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة لحكم الوعد الكريم للثواب الجليل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين
ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مدحهم والشهادة عليهم بالانتظام
في سلك المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق
عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما
بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل
كل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا
كتب لهم ذلك اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون
احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا
لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة اي طائفة
كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم
اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض
المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر قومهم كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم لما افاد
ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة
وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي

41

هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا اليهم للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل
هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة
الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان
فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير
للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا
واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام
المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بالنصب ايكم على تقدير فعل يفسره
المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انهم لا ايمان فيه اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به
قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب
من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم
ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم
السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر
وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى كفرهم بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف
على مقدر اي الا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين
والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب عدد المذكور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وما يذكر
الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون
ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف
عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون اي المعنى اولا يرون افتتانهم
الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء
والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه
لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم
عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزا
بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين
لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المسجد وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة
فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن الصحابة كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة
في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين

اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح اوغير ذلك صرف الله قلوبهم اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اى بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم اولعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اى رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربى قرشى مثلكم وقرى بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم فى ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهى الرافة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبى صلى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اى الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القران على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرى بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرى بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لانها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا وخبره قوله عز وجل آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه فى علم الله عز وجل او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القران فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل عصر الا يرى الى ما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفهمه الناس من القران فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت فى اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصى فى علم الله سبحانه او فى اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو

او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما تضمنها من الاى فانها فى حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغى ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحد منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلما يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان فى بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صح اطلاقه على بعضه ايضا كما لا ريب فيه والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما تتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القران الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجب السامعين منه لكونه فى غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون ان هذا لسحر مبين لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور فى الظروف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان فى الاسم ضرب تفصيل ففى مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرى برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل فى تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اى احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال فى حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذى تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثانى فلان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم فى الاتصاف بما ذكر من النعوت الجليلة والصفات الجميلة والسبق فى احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فى ان صلى الله عليه وسلم فى ذلك الشان فى غاية الغاية القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم فى الرياسة الدنيوية والسبق فى نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له فى ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ان انذر الناس ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما ان فى قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء

في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي
نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف
المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشاء على المصدر ولا مغيرة اذا لايجاب فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة
على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول
وهو النكتة في اظهار الايثار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين آمنوا
بالله وصدقوه ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها
يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والمراد الوصول الى المقام
انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم
فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه
وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار ولكونه استينافا مبنيا على السؤال كانه قيل ما
صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التاكيد ان هذا
يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ
لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما
عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جانب خلاق القوى والقدر ولكنهم سموه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن
المكابر دون المكابر المحجوج وداب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا
عليه من المقالة الباطلة عقيب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي
على بعض ما يدل عليها من شئون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكر لاعترافهم من غير
نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء
والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار
والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الذي خلق السموات والارض وما فيها من اصول الكائنات
في ستة ايام اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق
الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث لهم على التاني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه العليم
علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة
الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور
والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه
وسلطانه بعد بيان عظم شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور
وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض
والعرش وغير ذلك من الجزئيات اي دبره تدبيرا لائقا على اطوار شتى وانحاء مختلفة من المناسبات والمباينات في الاوقات
والعلقات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي من جملته وشعبة من دوحته

ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال
نشا من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد
التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه
فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله
وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني
على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة
الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله
قوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهو بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله فاعبدوه اي وحده من غير ان تشركوا به
شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزل اليكم افلا تذكرون اي
اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه
استقلالا ولا اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى
اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم
وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما
بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدؤ
الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف معلل لوجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة
هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله بدء الخلق
ثم اعادته وكونه مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الى آخره ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطهم ويوفيهم اجورهم
وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز
وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب
كفرهم وتكرير الاسناد وجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم
على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب فان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة
الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو
الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته
باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة
بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين
طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي

خلقهما حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان اى جعلها
ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركية
ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** الكلام فيه كما فى الشمس والضياء اقوى
من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس **وقدره** اى قدر له وهيأ
منازل او قدر مسيره فى منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة
سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهى ثمانية
وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص
الشهر ويكون مقام الشمس فى كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هى مواقع النجوم نسبت اليها العرب
الانواء المستمطرة وهى الشرطان والبطين والثريا والدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن
الحوت **لتعلموا** اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما فى تلك
المنازل **عدد السنين** التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اى حساب الاوقات
على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح
المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر
فى الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها
حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل
من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شئ كذلك
ولما لم يعتبر فى السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامى مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها
العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدود نفعا وحيث
اعتبر فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك
والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذى يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك
بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة
ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
من غير ان يعتبر معها شئ غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس
لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث
انه لم يعتبر فيه تحصيل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذى اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب
ما خلق الله ذلك اى ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال
والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر من الشمس مرعاة فان المراد بجعله

النور

نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم
احوال الفاعل والمفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعيا
فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم **يفصل**
الآيات اى الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات
التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون بذلك
على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم
المنتفعون به **ان فى اختلاف الليل والنهار** تنبيه آخر اجمالى على ما ذكر اى فى تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر
بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص
الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر
من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض
الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا **وما خلق الله فى السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لآيات** عظيمة
او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملتها ما انكروه من
ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما
هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية فى السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمآل امر من كفر بالبعث
واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا
وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث ولقاء الحساب كما فى قوله عز وعلا انى
ظننت انى ملاق حسابيه واما ما كان فيه من لقاء الله تعالى اى غير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم
التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعى عدم اعتقاد وقوع المأمول والمحذور اى لا يتوقعون
الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدى اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول [illegible] عز و
جل **ورضوا بالحيوة الدنيا** فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الآخرة ولا يخافون الآخرة واليه اشير بقوله تعالى **واطمأنوا بها** اى سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين
من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابها وقيل المراد معناه الحقيقى وباللقاء حسن اللقاء اى لا يأملون
لقاءنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها بما فيها من فنون الكرامات السنية الحيوة الدنيا الدنية
الفانية واطمأنوا بها اى سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاتيان بكلمة الباء المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والمؤالفة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ
الادنى واختيار صيغة الماضى فى الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل فى الاولى للايذان
بالاستمرار عدم الرجاء **والذين هم عن آياتنا** المفصلة فى صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة
المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها فى الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المرتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به

واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة
ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاول وصافه للاول واستقلاله باستتباع
العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا وان التغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا
وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد فتأمل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات
السوء مأويهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا
يكسبون من الاعمال القبيحة المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر
لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يجب الايمان به كالآيات التي
غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها
اللائقة بالايمان ما ترك ذكر موصوفها لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا
بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأويهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق
النفس اليها لا سيما على ملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما يؤديهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح
والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية
وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا ارتياب في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم
الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه
اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق
الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك
فلا دلالة لها ولغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله تعالى عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن
حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم
الانهار اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة
مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم
ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان
فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العلمية كما قال
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري
او بيهدي على ان المراد بالمهدي اليه ما ذكر من منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل
فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم
انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها

التحية المكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل بصفات الاكرام اثر نعمته لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب
رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي
ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم
مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله
ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته
للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا
كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة
بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بصفات الاكرام الآخر
الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف
في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين
الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء
الشر اي بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايراده
باسم الجنس لان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم
الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه
دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كما عبر التعجيل في جانب المشبه به واشعارا لسرعة اجابته تعالى لهم حتى
كأن استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم
لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري
على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي
لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء
استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية
ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا
كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر مختص كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
على النار ولو ترى اذ المجرمون ونظائرهما اي لرأيت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر بحو آ بالاستيصال فانه فرد كامل من مطلق المؤاخذة قد عبر عنه
بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في موقع التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء
فليس بمغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزئي منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم
يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة
مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما

وفيه فائدة مصححة لجعله تاليا فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا
كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب نفس المؤاخذة او جزء
من جزئياتها غير ممتازة عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان
ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب القضاء على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر
والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة
الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كأنه قيل لكنا لا نفعل ذلك لا نقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا
في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة
يعمهون يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته
للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة
دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى
يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا عاجزا عن القعود او قاعدا عاجزا عن النهوض او قائما لا يستطيع
الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته كان ديدنها
قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن لم يدعنا اي كأنه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل
مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه
الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة
على زيادة فخامة المشار اليه فما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل
ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لان الله تعالى انما اعطاهم القوى
والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي رأس مالهم
فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة
والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل
منهما املاء الكفرة على طريقة الاستدراج بعد انقاذهم من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا
القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن قوله تعالى من قبلكم متعلق باهلكنا اي اهلكناهم
من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف
للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال
من ضمير ظلموا وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم
في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها
لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون العطف على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما
هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق
الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى
وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتأكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان

45

وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لا انه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار
عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء
المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين
اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب
الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات
الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام
ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين
فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان
منتهى امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها
وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب
على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون
الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي
من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا
اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثارها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب
على انه مفعول به اي اي عمل تعملون خيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم
الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم
بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك والاضافة
لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد
فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان انه للاشعار بعدم الحاجة
لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع
الضمير اشعار بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم
له ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم
يذكر ايذانا بتعينه ائت بقران غير هذا اشاروا بهذا الى القران المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج
الكل من البين اي ائت بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم الهتنا
ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنه وانما قالوه
كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني
اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وتقرير الجواب ببيان امتناع ما
اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك
مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني

يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ﴿ان اتبع﴾ اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر ﴿الا ما يوحى الي﴾ من غير تغيير له في شيء اصلا
على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا
اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد
بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه
عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى
﴿اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي
عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم
بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن
آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يستسهل لي ان ابدله بالاستدعاء من جهة
الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من قبلي للاستدعاء وغيره من قبله لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح
حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكم التشريعية بعضها ببعض
لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بالذكر في التعليل
الا ترى الى ما بعده من الآيتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم
في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان
بطلان ما اقترحوا الاتيان واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق
اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي
وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت
ان ابكي دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط المذكور لان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم انما هو
مشيئته تعالى لا مشيئة لغير القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي
له عليكم لان بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل ان ينزل علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة
ما تلوته عليكم ﴿ولا ادراكم به﴾ اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم
اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء
عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته تعالى وامره وانما
قدرنا الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم
تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي اسناد عدم الادراء اليه تعالى المبني على اسناد الادراء
اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما
على لغة من يقول اعطأت وارضأت في اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم
خصماء تدرؤنني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم بلام الجواب اي ولو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به
على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن
على من يشاء فخصني بهذه الكرامة ﴿فقد لبثت فيكم عمرا﴾ تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل

وامره حسبما بين آنفا لكن بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام فيما سبق بسبب عدم مشيئة الله تعالى اياه بطريق الا
لاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته
عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون
تفاصيل احوالي وتحيطون بها خبرا ﴿من قبله﴾ اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز
ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع ﴿افلا تعقلون﴾ اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون
امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد
عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة
العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في
انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق الانظمة كل منثور
ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكون ناطق باخبار ما قد كان
وما سيكون ﴿مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة﴾ مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة
اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي نعقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بمبنى الجواب فيما سلف
على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على
على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق
البشر ولا لكونهم عاجزين عن الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك
المدة المتطاولة من كمال نزاهته عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ
عنه تعقيبه بتحقيق المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال
ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد
في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال
وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾
استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد
اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل
فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا
من خلوه عليه السلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند
ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه ﴿او كذب بآياته﴾ فكفر بها
وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن
بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى
بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى
كما تفعلونه اظلم من كل ظالم ﴿انه﴾ الضمير للشأن ومدار وضع اسمه لان الجملة بعده من الحكم ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول
الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن هذا اي لا يفلح

المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا
اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى
عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله
سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما ينفصح عنه سياق النظم
الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة
وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع ولان العبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو
مظنة الضر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم
ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل
اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم
ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عبدا لله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون
الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة
على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة
هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله قل تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا
وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه
من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض
حال من عائد الموصول المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله وقرئ تشركون
بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان
الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان
الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا للعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق
على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة
من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب
خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا
بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة
لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل
والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث
الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم
الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما هم فيه يختلفون بتمييز الحق من الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال

لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة
المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه
ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات
النازلة عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم
الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص
العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم
النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال
الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب
القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى
اذا لهم مكر في آياتنا اي الطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها
كانه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا
اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم
وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما
تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن
كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة
ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون
تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من
من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا بعد الملابسة وقبلها
في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل فاذا انتم بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن
فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه
ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالراكبين فيها والالتفات الى الغيبة
للايذان بان ما لهم من سوء الحال موجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح
وقيل ليس فيه الالتفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير
الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة
لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح
الطيبة اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد
للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه تلاقي من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك

دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التحويل في بيان استيلائها على ما ذهبوا به
وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح
قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب
ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم
اي اهلكوا فان ذلك مثل ذلك في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل
من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا
صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا لتخصيص للدعاء به تعالى فقط بل
للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة
القول اي قائلين والله لئن انجيتنا لنكونن الورطة من هذه البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك
التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعائه نفي
الاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه
منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والالتجاء
للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجأوا الفساد فيها وسارعوا اليه متراقين في ذلك متجاوزين
عما كانوا عليه من حدود العيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي ومعناه انه بغير الحق عندهم
ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز
عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي
بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب
الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى
على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا
بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر وقع موقع الحال
اي متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر
عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه
ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحياة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع
الحياة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وحمل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف
لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغي المفسر بالافساد والمفرد اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب
وحمل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اي لاجل متاع الحياة الدنيا والعامل ما ذكر من
من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل
متاع الحياة الدنيا على ان الجملة مستأنفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس ابناء
الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ونحو ذلك فتنبه
اثر من ابتنائه على ما يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب ثم لو حمل بعضه على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحياة

الدنيا

الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه
الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف اي هو متاع الحياة كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ
فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم
ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكى عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام
ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم مما يقدح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته
كما هو المتبادر من النسق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء
على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي او الضمير العائد
اليه من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحياة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر
واما نصب الحياة فعلى انه بدل من متاعا بدل الاشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية المؤكد
لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن
ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما
يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر
عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع
الحياة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم
بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه
نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها النفوس
الدنية وكذا الطاعات مع كونها احسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها
الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث
لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه
على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحياة الدنيا كلام مستأنف
مسوق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبهت حالها العجيبة الشأن
البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها
بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر
اصلا بعدما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث
طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزروع
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها
المختلفة المونقة اخذت زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين ما اقتنت بها

وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينت وازيانت
كابيا قلت وظن اهلها انهم قادرون عليها وفيه تمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا جوآفة اى ضرب
زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وسائر ما عليها حصيدا اى شبيها
بما حصد من اصله كان لم تغن كانه لم تغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى فيما قبل
بزمان قريب فان الامس مثل فى ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات
اى الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون فى تضاعيفها
ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر فى اثناء التمثيل من الكائنات
والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكى ايجادا واعداما فانها آيات علامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال
الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس فى الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة
الدنيوية الفانية اى يدعو الناس جميعا الى دار السلامة من كل مكروه وآفة وهى الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا
بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص اضافته التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى
دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدى من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم
موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر
على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها
الذاتى وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة
الحسنى وزيادة اى ما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا
يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اى اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اى شئ منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم
من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب وتنجيه وان اقتضى الاول الا انه ذكرا واذكارا بما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول
على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة
لوروده فيتمكن وروده عليها فضل تمكن ولان فى الفاعل نوع تفصيل كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وقوله عز وجل وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات
المذكورة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت
الجليلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال ولا خوف انتقال والذين
كسبوا السيئات اى الشرك والمعاصى وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اى جزاء الذين كسبوا
السيئات ان يجازى سيئة واحدة سيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد فى الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال
التنافى والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم والموصول معطوف على الموصول
الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك فى الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة
التفضل وترهقهم ذلة اى ذل كما ينبئ عنه التنوين التفخيمى وفى اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة
بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى
من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفى نفى الوجه من المبالغة فى نفى العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم

قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة
من الليل قال الشاعر افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما
يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اى الموصوفون
بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة فى حق الكفار بشهادة
السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم
الفظيعة وتأخيره فى الذكر مع تقدمه فى الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق
بالاعتبار ولو روعى الترتيب الخارجى لعد الكل شيئا واحدا كما مر فى قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية
بمضمر اى انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله جميعا ومن
افراد الفريق الثانى بالذكر فى قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم وان توبيخهم وتهديدهم على رؤس
الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل فى تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر فى حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه
من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثانى خاصة
فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على انه فى الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته
حركة بناء كما هو رأى الفارسى اى الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشئ عن مكانه ازيله اى ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية
وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو عطف على نقول وايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير
والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اى فرقنا
بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين
كما سيجئ فزالت اطماعهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلى من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين
الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسى اى
فباعدنا بينهم بعد الجمع فى الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما فى قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا فالواو حينئذ فى قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونها عند غيره لا عاطفة كما
فى التفسير الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة الفائتة بالمباعدة وليس فى ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان فى ترتيبه
عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجى فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع
الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما
اشير اليه فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه من المحاورة فرعاية تلك النكتة كافية
فى استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية بهذا التفسير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولى
العلم فحينئذ تأييد رجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا
فى الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية
وقيل الاصنام ينطقها الله الذى انطق كل شئ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة

عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين
كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك
اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس
مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر
واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلوا بنون العظمة ونصب كل
وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل
ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وقرئ تتلوا اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير
او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الى آخره
اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق
الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال وضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها
بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان
بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين
حسبما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا
يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس
المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت
احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء
والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان
كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل
للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته
فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما
من ادنى شيء يصيبهما ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة
من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته مما هو الظاهر بالذكر
فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والجملة خبرية اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره
فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار
الوقوع كما في اأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي تعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما
تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشارك في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي عرفتموه
باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل
منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون لكل اسما

وهذا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة
واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار
الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو متصف بما ذكر من النعوت الجليلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار
ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول
فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب
وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا واذا
انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها اي كيف تصرفون من الحق
الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت
ربوبيته الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق
الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عنه وقوعا بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية
لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمت ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا
اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية
ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب
والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت الاعادة لسطوع البرهان عليها وتحققها الوضوح مكان بمنزلة بدء الخلق فنظمت
في سلكه حيث قيل من يبدؤ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما بحيث يستلزم الاعتراف باحدهما الاعتراف بها وان
صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤ
الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان المقول له مأمور به غير ما
اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب
السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود
من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يبينه حقا له ايذانا
بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فقد بر واعادة الجملة
في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء
وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل
هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم غب الزام واثناء لهم اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله
من يهدي الى الحق اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين
طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فيخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام
فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل

قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق
للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله
عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء
اتباعا للها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة
ما لا يخفى واما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لان نفيها يستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو
عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق
هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم
الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يتبع في بعض المواقع فان ذلك محقق بلا انكار كما في قوله تعالى افمن اتبع
رضوان الله ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي
الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما اذ لا يرى الى قوله تعالى فأي الفريقين احق بالامن اثر تقدير ما يلجئ المشركين الى الجواب
من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة
التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا
يهدي حق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واياما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف
الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال
من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام
وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله
حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه
وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم
الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم به والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان التبكيت
بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم بان حقيقة من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا
حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله تلك فكلهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال
فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ
غير داخل في حيز الامر مسوق من جهته تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع
الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم
في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة
الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم
الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر
ما يشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار
بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا
فيحصل لهم التبكيت ايضا اثر البرهان المذكور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول

لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث العلم والادراك لا من حيث
الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام
فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة
المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم
في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد
بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد
الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان شأن الظن
وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد والله عليم بما يفعلون وعيد لهم
على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا
وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان
ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات
المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما ذكر من الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله
اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز
كونه علة لفعل محذوف والتقدير لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ وتفصيل
الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم
الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب
من رب العالمين خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما
في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة
وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة
اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها
ممد لكم في المهمات والملمات ومداره الذين تلجؤون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا
ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم
من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه في حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة
والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين
اي في ان افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى بيان انه كلام ناشئ عن جهلهم
بشأنه الجليل فالعبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم فانه يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا
الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يلي

ان يكون لنظيره يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم
وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما يأتهم تأويله
عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه
والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساقة اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل
ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة
على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد ذمهم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع
اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان
المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم سماع الذم
او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناش من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه
مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى
ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى كذلك وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب
المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات
التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين ووضع
المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين
في زمرتهم جريا ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم
الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما ذكر في
قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور
حقيته بعدما سعوا في المعارضة وذاقوا فيها ... دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى
الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير
بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به
ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به
اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم
الاحاطة به جهلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه
من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كان في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريد
فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا
وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه
الاول او بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين والباقين على الكفر على الوجه
الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي اصروا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزامهم الحجة بالتحدي فقل
لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيدا لما افاده

لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة
وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم
وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين
بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك
عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس
الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها
الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى
لانها اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا سداد
في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار الاستماع عنهم
فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه
وضع الصم موضع ضميرهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل
جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم
وانما قيل تهدي العمي ترشيحا لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون
اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك
يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب
لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم وتهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها اي
كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت
تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره
مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك
ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما ينيط به
مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة
والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف
ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم
عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يتعلق به من مبادي كمالهم
وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص
مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينه وقوله عز وجل انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل
في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه
عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في
قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها

وان قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وتحاذيه عقولهم لان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لا يتنفيه ظاهرا الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس لا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيد اضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وما في الآية الكريمة لا الزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكن انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي ذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا اي كأنهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بما عماله الا كلوا عن بعض انا ذا لغة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء والمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فاظهار الهلاك والضلال اي قد ضلوا وهلكوا بالتكذيب وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب وتعجله في حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العذة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كأنه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهارها راسم الاعلانه لا دخال الروعة وتربية المهابة نتيجة

وتأكيد التهديد وقرئ ثمة اي هناك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين والتبيين على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاء باهية والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا مدة شئوني رد او ايرادا مع ان ذلك ادب حصولا فكيف املك شئونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرء عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعلها عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الافعال الاختيارية كالضر والنفع المرتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا ناجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة امة من قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم اي حل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد بما امتدوا اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقديم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب

ولو ساعة وذلك بالتأخر واما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك
بيان سنته في تأخير عذابهم مع استحقاقهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فان المراد ذاك
بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم حسبما بينت كيفية جريان سنة الله تعالى عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق وتنبيههم
على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم اي اخبروني
ان اتاكم عذابه اي الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين
لكم من الاجل المقتضي للمشية التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط بحذف
الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق
المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء
تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله
في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة
النهي في قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه
حقه ارأيت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بجعله في سلك التقاضي بعد الاعطاء
بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع امنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه
حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اي بعدما وقع العذاب وحل بكم حقيقة
امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التأخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه
من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارأيتم وجواب الشرط
محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم
اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ثم جي بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد
له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى
الآن استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم
عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن امنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا لتأمل
والتدبر في شانه ولا لشيء الاخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء
وقرئ الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت
حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التقديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل
دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الى آخره تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن للذين ظلموا
اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير
لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم
بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبؤنك اي يستخبرونك
فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار احق هو اي خبر مقدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى
الله او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبؤنك وقرئ الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو

اهو الحق لا الباطل او اهو الذي تسمونه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا بانيا للامر على اساس
الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك
يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكاره وقوته
وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما
معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت
بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي في الدنيا
من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة وما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه
واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة
تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض
لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة
على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا
العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يحتسبوه فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين
منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسروها اسرارا ونساهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم
ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرار الشيء اخلاصه او لان سر الشيء
اذا اظهروه حيث غيل صبرهم وفني تجلدهم وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم
بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد ومن الباطل وعومل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل
وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهو اظلم الظالمين
لا يساعده المقام فان مقتضاه انما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون
فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلا
في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان
لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف ما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم
الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه
وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع
لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات
الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال
المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل
لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم
الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك
مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة اي الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة
والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة كانه قيل
من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين

اى كتاب جامع لجميع الفوائد والمنافع كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب فى الاولى ورادع عن الاخرى ومبين
للمعارف الحقة التى هى شفاء لما فى الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة
وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس وفى تجئيه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به
من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير فى الكل للتفخيم
قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يغتنموا ما فى مجئ القرآن العظيم من الفضل والرحمة
بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما فى مجئ القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا
والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء فى رحمته للايذان باستقلالها فى استيجاب
الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والفاء الاولى جزائية والثانية
للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف
حرف الشرط ومعنى البعد فى اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فبذلك اى فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرأ ابى فافرحوا وعن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اى ذكر من فضل
الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون
قل ارأيتم اى اخبرونى ما انزل الله من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق
ما حل لهم وجعل منزلا لانه مقدر فى السماء محصل بها اسباب ما يتوقف عليه وجوده او بقاؤه باسباب سماوية من المطر والكواكب
فى الانضاج والتلوين فجعلتم منه اى جعلتم بعضه حراما اى حكمتم بانه حرام وحلالا اى وجعلتم بعضه حلالا
اى حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجهل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار
اى اخبرونى آلله اذن لكم فى ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره ام على الله تفترون ام منقطعة والاستفهام للتقرير
والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل
دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة
ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقرير وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه
قيل بل على الله خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه
غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول مع موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد وتسجيل عليهم
بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوه وكونه كذبا فى اعتقادهم ايضا
وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأة وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن
اى اى شئ ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما
يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التى ستقع يوم القيمة تنزيلا له لما فيه من
من الاحوال لكمال وضوح امره فى التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اى اى شئ ظنهم لما سيقع يوم القيمة أيحسبون انهم لا
يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفى اشد العذاب لان

لان معصيتهم اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضى
لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز
بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التى لا تستقل العقول فى ادراكها وارشدهم
الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له
ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون
اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون فى شأن اى فى امر من شأنت شأنه اى قصدت قصده
مصدر بمعنى المفعول وما تتلوا منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشان اذ هى معظم شئونه
عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتى فى قوله تعالى
من قرآن مزيدة لتاكيد النفى او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثانى والثالث ولا تعملون من عمل تعميم
للخطاب اثر تخصيصه بمن هو رأس الكل وقد روعى فى كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا
ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما تلابسون بشئ
منها فى حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اى تخوضون وتندفعون فيه واصل
الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى ايضا اوثرت فى الاستثناء
صيغة الماضى وفى الظرف كلمة اذ التى تفيد المضارع معنى الماضى وما يعزب عن ربك اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل
وفى التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاى من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد
اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة او هباء فى الارض ولا فى السماء اى فى دائرة الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فى احدهما او متعلق بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود
اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك
شئ ما لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين
ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان
على وجه التبشير والوعد لما يثمره الاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون
وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السماء والارض وكون الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال
المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفى التنبيه
والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه وتعالى
كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب
ذلك لا انه يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفى وان دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع

لكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور
الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا
بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق
وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به
نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم
بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح
او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة
التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق
والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور
والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا
ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم
بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب
الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلا كلام ان الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون
المتقون ويقرب منه ما قيل انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه واما ما
قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم وما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي
الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير
ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحابب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة
للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس قد اورد رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه
بالذكر هنالك من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس
ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة
النسب والقرابة وتأكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها
ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل
قال الكواشي هذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل ولي الله الذي يتولاه
بالطاعة ويتولاه بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا لتوليته اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية
غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ
التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا على وجوده ونسبة القيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية

الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة من نتيجة الولاية
فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه النظم الكريم ان الاول
تفسير للاولياء حسبما شرح وان هذا بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما
والجملة مستأنفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول
لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال
المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور والفوز بالمطلوب لاظهار كمال
العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات
العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان
والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال
كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة وفي الآخرة ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر
الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن
هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع
من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا
تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض
وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذا بشارة بما سيقع من البشارات
العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها
مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة
المؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير
كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم
الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر
من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير عما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هي تذييل والسابقة اعتراض
ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول الله عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام
بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن
وهو في الحقيقة نهي له عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر
ما يتفوهون في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر
بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن
بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام
في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي الغلبة والقهر
لله جميعا اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان

كذلك فهي من جملة البشريات العاجلة وذي يخج ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك
ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين
وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته
وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام
وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان
ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور
مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون
ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم
وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاؤهم
معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل
كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون
الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحرزون
ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة
الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته
وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعول ثان لكم او حال كما في الوجه الاول
والمفعول الثاني لتسكنوا فيه وهو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاول
والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم فحذف ما حذف ونظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية حذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك
واسناد الابصار الى النهار مجازي كما في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم
يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها تدبرا واعتبارا فيعلمون بحقيقتها
وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر نوع آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل
شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء
وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم
الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض ومن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف
المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة
له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام

والافحام وتأكيدا لقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل
مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب
اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة
لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يرى
فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح
كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه
ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد
بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل افتراؤهم
ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد
به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك
باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له لوجوه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل من ان المحذوف
هو الخبر اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما ينبئ
عنه قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه
عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح
الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع القوم الذين هم اضراب قومك
في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك
عما هم عليه من الكفر او ينكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان يعرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم
من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله
سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا ما طلبه وتشجيع النبي عليه السلام وحمله على عدم
المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم الا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل الاشتمال واياما كان فالمراد بعض نبأه عليه السلام
لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي
اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم
مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم
ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب
التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه وهو الجواب وما بينهما
جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل هو بحذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال
ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد
فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا
للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم

وقيل منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون
بي من السعي في إهلاكي واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم ثم لا يكن أمركم ذلك عليكم غمة أي مستورا من غمه إذا ستره
بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن
للستر وجه وإنما خاطبهم عليه السلام بذلك إظهارا لعدم المبالاة بهم وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده
من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة وإظهار الأمر في موقع الإضمار لزيادة تقرير لتضمنها مقام الأمر بالإظهار
الذي يستلزم النهي عن الستر والإسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة
لديهم والغمة الغم كالكربة والكروب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بإهلاكي من ثقل مقامي و
تذكيري ولا يخفى أنه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي أدوا إلي أي أحكموا ذلك الأمر الذي
تريدون بي وإلى تعملوا إلي كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل
غريمه فإن توسيط ما يحصل بعد الإهلاك بين الأمر بالعزم على مباديه وبين الأمر بتعقبه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
وقرئ افضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء فإن توليتم الفاء
لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به إما الاستمرار عليه وإما إحداث التولي المخصوص أي إن أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري أو نشأ هو ثم
مني في مثل صحة القول ولا طها انتي من جملتها دعوتي إياكم جميعا إلى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم
وإحجامكم من الإجابة علما منكم بأني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي
وتذكيري من أجر تؤدونه إلي حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لاتهامكم إياي بالطمع والسؤال وإما لثقل دفع المسؤول
عليكم أو حتى يضرني توليكم المؤدي إلى الحرمان فالأول لإظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لإظهار عدم مبالاته
عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الداخلية لسببية الشرط للإعلام بمضمون الجزاء أو لنفسه والمعنى إن
توليتم فاعلموا أن ليس في مصحح له ولا أنا أتضرر منه وقوله عز وجل إن أجري إلا على الله ينتظم المعنيين جميعا فإنه
على الأول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم أي ما ثوابي على العظة والتذكير إلا عليه تعالى يثيبني به آمنتم أو توليتم
وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره أو المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة
الله تعالى فكذبوه فأصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما ألزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق أن توليهم ليس له سبب غير التمرد
والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف
من الهالكين وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الإنجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله
عز وعلا ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة
لإظهار كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللإيذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب
الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول
صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا أي أرسلنا من بعده أي من بعد نوح عليه السلام رسلا
التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا أي رسلا كراما ذوي عدد كثير إلى قومهم أي إلى أقوامهم لكن بأن أرسلنا كل رسول منهم
إلى أقوامهم الكل إلى قوم ما أي قوم كانوا بل كل رسول إلى قومه خاصة مثل هود إلى عاد وصالح إلى ثمود وغير ذلك ممن قص
منهم ومن لم يقص فجاؤوهم أي جاء كل رسول قومه المخصوص به بالبينات أي المعجزات الواضحة الدالة
على صدق ما قالوا والباء إما متعلقة بالفعل المذكور على أنها للتعدية أو بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤوا أي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن

بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي
فيما بين ضميري جاؤوهم كما أشير إليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم كما مر
مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان
ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد وثم إن كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد
بعدم إيمانهم المذكور ههنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين
مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالأول حيث جعل صلة للموصول إيذانا بأنه بين بنفسه
غني عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم
إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع
التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر من حين مجيء
الرسول إلى آخره وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت
عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها آثر ذي أثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل
مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون
بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيء
الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي
بدلالة النص فإنهم لما لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا
بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يؤذن به قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة
متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح
ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن ذلك يؤدي
إلى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليها الضمير وفي إرجاعه إلى الحق
بادعائه كونه مذكورا في الأذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء
على أن الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق و
سلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي أمثال هذا دلالة على أن الأفعال
واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم عطف قصة على قصة
من بعدهم أي من بعد أولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف
باندراج خبرهما فيما أشير إليه إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأوثر في ذلك ضرب تفصيل
إيذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام إلى فرعون وملائه أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر
لأصالتهم في إقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل إليهم في النوازل والملمات بآياتنا أي ملتبسين بها وهي الآيات
المفصلات في الأعراف فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا
من عمرك سنين وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام
فإن الإجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أي الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل

الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا ايضا عنه قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين

فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم

وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد

جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا

وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اخوانه وقرئ لساحر

قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام

الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم

ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده

عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي انقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل

ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره

الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار

مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما

على الثاني فوجه ايراد انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد

عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين

المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا

الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار

ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون

وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد

ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو بمكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي

من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب الناجي عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال

وصاحبها اكدبها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته سحرا بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام

هذا واما تجويز ان يكون الكل منقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم

الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه

عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض

لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته

عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا

فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الى آخره مسوق لبيان انه عليه السلام الزمهم الحجة فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه

عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه

استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى لا حجة اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى

عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه

آباءنا من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه

محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم

اجئتنا وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم

وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار

في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين

فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما

السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند

الى موسى خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال للملأ بامرهم بترتيب مبادي

الزام موسى وهارون عليهما السلام بالفعل بعد الياس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه

وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم لامر فرعون كما هو شان

الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي

عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين وكذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان

من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما

صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه

او هو من جنس السحر توهم ان حاله بين لا يعبأ به كانه قال جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية

اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما

على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهر على يدي من المعجزة

فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على

الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر المتصل للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار

بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته وادامته اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل

يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر

افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين

الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك

والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواضع اخر اي فالقى

عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما

لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما

في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان

استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات الباهرة

الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قوم بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته

طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأة

آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملئهم الضمير لفرعون

والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولانه بمقام بيان علوه في الفساد وعلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله

كما يقال ربيعة ومضر وللذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب
وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر
والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى
لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره
فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان
المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن
اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا
حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما
وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى
واخيه اي هرون ان تبوآ اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة فان موسى
عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم
واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد لان بشارة
الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال
موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا انواعا كثيرة
من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال
ولانهم جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم
اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي
او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك
اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير
المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما
كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات
الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان

اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو
من التجويز المرادف للمجاوزة لا ما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والاول وجوزنا
بني اسرائيل في البحر وخلا النظم الكريم عن الايذان بانفلاقه لهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور
في الفرق بين اذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون و
جنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي و
العدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم
ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم
بالخروج وغشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال آمنت انه اي بانه وقرئ بالكسر وقرئ
انه على الاستيناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء و
باتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا انفسهم
لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول
عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا
لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات
وانى ما هو آت وقوله عز وجل آلآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل آلآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى
منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلته لما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك
وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح
عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس في فيه عند ذلك من حال البحر وسد به فاه تاكيدا للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله
بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه
الرحمة او المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم
يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة
على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة الياس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد
لكمال الغيظ وشدة الحرد والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل
الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه
ولا للتامل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد
فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان
كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده
الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم
ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة
كانه قيل ونتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء ونحيك بالحاء من التحية اي نلقيك

بناحية الى حيث ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك
فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف
بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك
آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم
يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن يأتي بعدك من الامم
اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى
من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد من مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك
فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك
بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمده لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته
وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة
اخرى عائدة اليه لكان لاستهانته به وتفضيحه على رؤوس الاشهاد وزيادة وتفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق
او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية
تقريرا لمضمون الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه
الاجمال واخلالهم بشكرها واواه مبوأ صدق اي اسكناهم واقررناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق
اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما
اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او في امر محمد صلى الله
عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه
وسلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت
في شك اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان
شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن
اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل
فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار
نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ
في العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام وزيادة في تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه
عليه السلام ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسئل وقيل المراد بالموصول من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع
في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم وقرئ فاسئل الذين يقرؤون الكتاب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته من ربك
وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام

من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا
تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث
ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون
بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر
والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر
ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الآية لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض
لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون واضرابه عند
الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادته
تعالى به مفقود ولكن لا لانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى
يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت
عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن
لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة
آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله
الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما آمنوا
اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل
بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه
قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع
ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه
روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب
فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك
آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود
سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين
الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى
فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان
ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا
الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت
اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا
وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة للكلمة ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في الارض
من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاء

لكونه منافيا للحكمة التي عليها يبتني اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى افانت تكره الناس على ما لم
يشأ الله تعالى منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه اربك لا يشاء ذلك
فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون
الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي
الجمهور وايا ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا قائل بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة في انكار الترتيب عليه
او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو
الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان
باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد
بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن
الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصه النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال
كونها ملابسة باذنه تعالى فلابد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه
فلابد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عنها
ويجعل الرجس اي الكفر لمقابلته لما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه
وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية
التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال ومقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب
عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ قل خطابا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات
والارض وما فيهما من عجائب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة
انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قبل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه
الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ
خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل
النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر
عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات
والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية
ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي غناء تغني الخ فالجملة حينئذ اعتراضية فهل
ينتظرون اي مشركو مكة وامثالهم الا مثل ايام الذين خلوا اي لا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأسهم بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا
لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو
عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد
الوعيد كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية

لتهويل

لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ
ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض
بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حق والكاف متعلقة
بقوله تعالى ننج المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس
المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه
على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما
للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه
ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها
مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة
من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام
دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم
قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها
فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على ديني فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي
والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان يكون خاصا بفعل الامر
كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون فان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب
كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس
الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الامور به والانتهاء عن المنهي عنه
او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان
الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا
ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده
من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور
وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بما هو وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله
استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا
او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر
كنى به عنه تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه وتعالى ولو في ضمن الجملة
الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر
تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع عن الاصنام وتصوير لاختصاصه سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من

كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضرر الوارد في حيز النفي اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا انفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها برفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان المراد خير بالذات وان الضر انما يمسهم لا بوجه من الدواعي الى رحمته لا بالقصد الاولي اوارد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وعلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطة وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنافي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة على سيدنا محمد وآله اجمعين

سورة هود مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرودا على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية والمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد وعلى الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يأبى عن المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فيهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك فالفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة لكتاب وصفه لها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فاعليها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على احسن ما يكون ما لا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهته تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية اولا من النهي وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر واتى به بالخطاب اعتناء بكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله كما سيأتي انني لكم من جهته الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمامه على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا ونهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك

واحكام

للذين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيها ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان المجوز هو الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل ينتجز وعند ذلك عن معنى الامر والنهي كتجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة وتستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان عشرة اي قيل في اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به والمراد به ما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من الكدورات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يبلغها وراءها طامح جرى التمتيع اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهو تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعترضهم من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا اكثر مما متع آخر دونه في الفضل ربما يكون المفضول اكثر تمتيعا وقيل ويعط كل من فضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي ان تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبير كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم انما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط الذي اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيقدر على ذلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترهيب والترغيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق ويتحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا المعنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يجعل التولي سببا للاستخفاء في قوله وحيل ليستخفوا منه بل جعله الى معنى الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في قوله معنى انه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين

وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معنى يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يستغشون ثيابهم للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلانيتهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرون اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ المتعلق بما شعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدون عرض الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنون غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة الى الله تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان وارد الصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزهة عما يعطون التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيب عقيب ما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر المتقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا هو او مباديه قبل ذلك مضمر فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث لا ايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها

لا يبعد ان يكون صفة للعذاب والجر للجوار

لا يبعد ان يكون المعنى يثنون صدورهم لجانب الحق لاجل الاستخفاء

عطف على قوله

ولا سعد لمن يكون المراد من المستقر موضع قرار الدواب الكائنة على ظهر الارض ومن المستودع موضع قرار الدواب الكائنة في بطنها

هذا القول الكريم في هذه السورة الكريمة نظير قوله تعالى في سورة الانعام ما فرطنا في الكتاب من شيء

ابتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها ومنشئها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستودعها ومستقرها في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ المبين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدإ فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدإ خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلق السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب تفاوت طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخائل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته وبيناته المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما هو ملاك الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور

الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يكن كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا للاباء عنه في كل موضع وكونه علما عندهم فقدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هذا اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها انما هو من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذلكة من مقدماته وقضية قوية من تتماته لا يصدقون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على انه بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه بطريق الاطماع معهم في الكلام على نهج الملاطفة لئلا يسارعوا الى التجاوز والعناد ويتاح التامل لهم هذا القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما فعلوه فانهم الى الله يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يختص ببعض منهم على انهم لم يكن موعودا او مستعجلا به المجرمون الى امة معدودة اي طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريدون انه لا مانع وانما كانوا يقولون بطريق الاستعجال استهزاء كقوله تعالى بما كانوا به يستهزءون ومرادهم انكار المجيء والتكذيب بالاعتراف به والاستعصار عن اتيانه الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا عنهم على معنى انهم لا يرفعه رافع ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم تحيز ليس منصوبا عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس عليها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز

تقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين بلا قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فيأبى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم

وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذى كانوا يستعجلون به استهزاء فى التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد فى حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضى وارد على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى اعطيناه رحمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اى سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليئوس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عودها وامثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وتعالى وقطع الرجاء عن افاضة امثاله فى المآل لى العاجل وايصال اجره فى الآجل من باب الكفران للنعمة السابقة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجد بعد عدم وفرج بعد شدة وفى التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونهما فى ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثانى ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما يناله ذلك بسوء اختيارهم شيئا يسيرا كما يلاصق البشرة من غير تأثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية الى ذلك وهى كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عنى اى المصائب التى ساءتنى ولن يعترينى بعد امثالها فان الترقب لورودها واستشعارها يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح اى بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام فى لئن فى الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على الآية الى آخره والاستثناء واللام فى الانسان اما للاستغراق الجنسى فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الكريمة بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدى الى سنن الصواب بل يحيد فى كلتا الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين ومن حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم فى اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا لولا انزل

عنه اى لو سلم ان ذلك ايضا كفران الا ان الكفران السابق على اليأس هو الكفران الذى هو سبب النزع فلا يعيد ذلك حيث عمم الكفر على الكفور فتامل

عن تلك البراهين التى لا يكاد يخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا فى العناد وعلى وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قال عبد الله بن امية المخزومى ورئيس قريش عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا ضاق ذرعا بذلك وحالته عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما فى لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شىء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير فى اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد بما يوحى وتهاونهم به وعدم اعتنائهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع فى ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن فى افتراه للنبى صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله فى البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما فى قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة فى الجميع شىء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شىء فى مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة فى الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له فى البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادى ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار فى المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم فى كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهم الذين تلجؤن الى آرائهم فى الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين فى انى افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفتموه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كأن امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريدون وقوعه والجمع فى لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما فى قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام فى الامر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعارضين كما كانوا يفعلونه فى الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ فى الايمان والطمأنينة فى الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اى اعلموا عند ظهور عجزهم عن المعارضة مع تمالئهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة الريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم

لبيس بعلم لكن لا للاشعار بالخطأ فانك لمراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة من جهة
تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا او استمروا على ما كنتم عليه من العلم
انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم والمعنى
والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه
فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون
الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وافراد الامر بالتحدي والضمير في فلم يستجيبوا لمن استطعتم
اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج
عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة
آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوقا بالدعاء
المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل
وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك
قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها
فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الا دعاء لكون
القرآن من عند الله تعالى وهو لا اولياء او منعا دون الحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتارك كون
لا كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال
العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من بأس الله عز وجل هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك
ولما سياتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واستشعارا بما يعقبه كما يحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا و
زينتها اي بزينتها وبحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة
ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة
على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل احد جميع ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الاجور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال
البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ توف بالتخفيف والرفع لكون
الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون
اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية
التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل عن كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال
ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة
لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطلقا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق
واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك هذا اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم
اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة
الدنيا وزينتها والموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة

الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار
وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة
للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي بنفسه ما كانوا يعملون
في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية
الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني
البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني
دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقتضيات
مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية
مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى
ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك مما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله
تعالى فعلى هذا لابد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه
سبحانه وتعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله تعالى
وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون
الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شئونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة
من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك
اتم بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه
اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل
البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو
الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد
بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه
او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات
الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى
فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا
وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل
وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي صلى الله
عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة

الشاهد بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه
الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله
كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد
آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما غير مفارق عنه ولعراقته في وصف
التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان
تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان التلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار
احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي
الكون على بينة من الله تعالى ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف
من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق حسبما
يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب
من اهل مكة وتحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما يوصف من انواع العذاب فلا تك في مرية منه
اي في شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه
الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال
افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم وفي قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال
عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا
عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدم
ظلمهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل
والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا
وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا اوليا
انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيجيء من قوله عز وعلا لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم
البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وفي الاشارة حصلت الغيبة عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده اليهم حيث قيل
يعرضون لان عرضهم [illegible] على ربهم الحق ودينه اياه او الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل
ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر
عنه ذلك في ذلك لا يشهدون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون من افراد الاشهاد [illegible] يشهد به جميع اهل الموقف على ما قاله
قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد
وقد طفق ما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل

لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته صح

هم فيها خالدون ولكن الخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه

وفيه تهويل عظيم مما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون
على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه
او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا او شرا اي طلبته لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس
من عند الله وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان
لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك
مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك
في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه
ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا
يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع
لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي
طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم
الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس
والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا
يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول
الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم
ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى
حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون وهذا مذهب
سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين
انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير
فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الخاسرين فما ظنك
بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى معارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان
حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة
في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية لتبيين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا
اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله
وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في
يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة
ومعنى اخبت دخل في الخبت كانجد واتهم دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين اي المذكورين

اى حالهما العجيبة لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والسميع والبصير اى كال
هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق
الثانى بالبصير وبالسميع لكن الادخل فى المبالغة والاوفق لما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة
بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثانى
بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو فى قوله تعالى والاصم وفى قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما فى قول من قال
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم واياما كان فالمراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى
يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة فى جانب المشبه به من تعامى الفريق الاول عن آيات الله المنصوبة
فى العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصاممهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر فى قوله تعالى
لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر فى سوء الحال من الاصم
من استعمال الفريق الثانى لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغى المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات
حسبما فصل فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب
المضاعف والخسران البالغ فى احدهما ومن النعيم المقيم فى الآخر فان اعتبار ذلك يفضى الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال
الفريق الاول فى تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والخسران الذى لا خسران فوقه هيئة فتشبه
بهيئة منتزعة ممن فقد مشعرى البصر والسمع فتخبط فى مسلكه فوقع فى مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق
الثانى فى استعمال مشاعرهم فى آيات الله حسبما ينبغى وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما فى مهماته
فيهتدى الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعنى الفريقين المذكورين والاستفهام انكارى مذكر لما سبق من انكار المماثلة فى قوله
عز وجل افمن كان على بينة الآية مثلا اى حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اى اتشكون
فى عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على
المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب
كما فى قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الانكار هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو
الرسل قبل الرسول صلى الله عليه وسلم اذا فلا تفعلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد
صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار فى قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان
فان ذلك لنفى المماثلة ونفى الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل
فى شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذى انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر فى تضاعيف ذلك ما له
مدخل فى تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى
وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة
سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع فى تحقيق ما ذكر
وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين احدهما
ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثانى ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى
فلا يبقى فى حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف الباء لا الواو كما فى سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق

ان اى بانى لكم نذير مبين الامع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها و نوح هو ابن متوشلخ
بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبى بعث بعده قال ابن عباس رضى الله عنهما بعث عليه السلام على رأس اربعين
من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة
وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة انى لكم نذير بالكسر على ارادة
القول اى فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالفتح على اضمار حرف الجر اى ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام
وهو انى لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر
كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم بشارته عليه السلام مبين ابين
لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق
بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اى ارسلناه
ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل فى القبول ولم
يفعل ذلك فى السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او بمفعول
لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من انى لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور ويتبين لوجه الخلاص وهو عبادة
الله تعالى وقوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهى وتحقيق للمحذور وتحقيق للانذار والمراد به
يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازى للمبالغة كما فى نحو نهاره صائم وهو فى المقالة وما فى
معناها مما قاله عليه السلام فى اثناء الدعوة على ما عزى اليه فى سائر السور لما لم يصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان
يكررها عليهم فى تلك المدة المتطاولة على ما ينطق به قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل
الارسال المقارن له او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتى بالفاء
التعقيبية فقيل فقال الذين كفروا من قومه اى الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا اى مطيق له لانهم ملؤا
بكفايات الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر
لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مرادهم ما انت الا بشر
مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا
الحال فى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا
مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك فى موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون
من رؤية القلب كما هو الظاهر فهما المفعول الثانى وتعلق الرأى فى الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول
بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل فى الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا
على ذكر الظن فيما سيأتى وتوقيفا من اول الامر رأى المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما يرد عليهم من انه عليه السلام
ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يوكر فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اى اخستنا
واد انينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب والكلب
وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأى وقد كان ذلك منهم فى بادى الرأى اى ظاهر

قال يا قوم أرأيتم أي أرأيتم البينة فيتنازع أرأيتم وفعل الشرط في العمل

قال الرضي أرأيت زيدا ما صنع بمعنى أخبرني فتقول ... أي أخبرني انقض أي ...
أو عرف كان قال البصرية ... وشاهدت حالة العجيبة أخبرني عنها فلا تستعمل
الا في الاستخبار عن حالة عجيبة ولا محل للجملة المتضمنة للاستفهام لاسيما ...
عن الحال المستخبر عنها كأنه حال المخاطب لما قلت أرأيت على أي شيء حال ...
محلت ما صنع وليس مفعولا ثانيا كما ظن بعضهم

من غير تعمق من البدو وهو ادى أوله من البداء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه أبو عمرو بها وانتصابه
على الظرفية على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم أولى الألباب
الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الأشرف عندهم الأكثر منها حظا والأرذل من حرمها
ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرم
نعوذ بالله من ذلك * وما نرى لكم أي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين * علينا من فضل يعنون ان اتباعهم
لك لا يدل على نبوتك ولا يجديك فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم
فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع
فضيلة علينا * بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في التصديق
واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف * قال
يا قوم أرأيتم أي أخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور * ان كنت على بينة برهان ظاهر * من ربي وشاهد يشهد
بصحة دعواي * وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى
رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله * فعميت عليكم * ح ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال
على صحتها فالافراد لارادة كل واحد منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير
فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء
لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة أبي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل * أنلزمكموها أي أنكرهكم
على الاهتداء بها وهو جواب أرأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ أبو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران
منصوبان وقد قدم أعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله * وأنتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحاصل الجواب أخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير
مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه
عليه السلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الآية لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم
عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون
المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء
للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام
عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال
الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم أخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي
وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن
حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل
على الاقرار وهو الأنسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه
عليه السلام بشرا قصارى أمره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لمادة رأيهم الركيكة * ويا قوم لا أسألكم عليه
أي على ما قلته في أثناء دعوتكم * مالا * تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجرا لي في مقابلة اهتدائكم * ان أجري الا
على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسبه اليهم بالمال الخالي عن المزية * وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب

جواب عما لوحوا به بقولهم وما نريك اتبعك الا الذين هم أراذلنا من انه لو اتبعه الأشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء
مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم
به عليه السلام بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد * انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم
أي انهم فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كأنه قيل لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لأنهم مقربون في حضرة القدس
والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم
موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف أطردهم وحمله على معنى انهم ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان
أشق على قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الأمر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى
على طردهم كما سيأتي وأيضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد
في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته انه لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأي يؤدي
الى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى * ولكني
أراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وبما يستوجب طردهم لغضب الله كما
سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة
بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار وتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة * ويا قوم
من ينصرني من الله يدفع عني غضبه * ان طردتهم فان ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا
وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما بعدما قدم ما يلوح به من احوالهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى
ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى * أفلا تذكرون أي أتستمرون على ما أنتم عليه
من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ويكون هذا علة مستقلة بوجه خصوص
ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عما دعاه اليه ... أوردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم * ولا أقول لكم حين ادعي النبوة
عندي خزائن الله أي رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
فان النبوة أعز من ان ينال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه * ولا أعلم الغيب أي ولا أدعي
في قولي اني لكم نذير مبين اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد * ولا أقول اني
ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان
هذه الأمور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل
النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر * ولا أقول مساعدة لكم كما تقولون * للذين تزدري أعينكم أي تستحقرهم
وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناده الى الأعين بالنظر الى قولهم وما نريك اتبعك الا الذين هم أراذلنا وانما
للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك أي لا أقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم
من المؤمنين * لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت هذا القول ليس مما
يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة أو استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة
الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن أي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا
النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الأمور المذكورة وانها لا تتسنى

وجدلت البناء اي احكمته راغب
وجادله اي خاصمه مجادلة وجدالا والاسم الجدل وهو شدة الخصومة
وجدلت الحبل اجدله جدلا اي فتلته فتلا محكما صحاح
والجدل محركة اللدد في الخصومة والقدرة عليها قاموس

من ليس على تلك الصفة وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجاب عليه السلام
بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا احول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير
الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه وتعالى
سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة
كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني امور
على شواهدها الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذ قلت ذلك لمن الظالمين
لهم بحط مرتبتهم وتنقيص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم
ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال منفية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان الكثرة الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء
او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات
واضحة المدلول وحججا يتلقاها العقول بالقبول ولم يبق لهم الا مجرد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا
فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون
المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي
ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه
ما لا يخفى من تهويل الموعود وكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين
بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول او فعل وحقيقته
امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح
لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف
من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز
وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول
وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا
للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة
لهم والشفقة عليهم وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك
عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة
والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة
الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن
للاهتمام به لا يجدي نفعا عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم
ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله
انما ياتيكم به الله ان شاء وارداه عليهم من اول الامر تسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان

على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال
ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل
يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اي وبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره قراءة
الاولين اي آثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقولون مشركوا مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء
به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد
قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي
لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد
سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب
والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا
باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدي من الكفرة و
من الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب او للاستحباب اذ لا سبيل الى صيانة الروح
من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم
بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه
السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش و
السباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه
من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى
الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم
حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب
بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام
اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان
طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير
ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم
عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر
على يصنع وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها

وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما
لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطير

مطلب

اعلم ان الطلب منع هلاكهم
ويجوز ان يكون المعنى ... وتذكيرهم فانهم محكوم عليهم بالاغراق
حاصل ولا حاجة الى تكرير الطلب

فعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته اشد عزة
وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق
فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص
من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة
التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر
منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام
سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض
الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم ايضا فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا
من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فجهة عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون
ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحسنة
وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم عليه ولم يكن
يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقولون ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف
فكان سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تستجهلونا فيما نحن بصدده
من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل نسخر منكم لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض
عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتوجه لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها
استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر
حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال
وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده يعاملكم
معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده لان حالهم اذ ذاك
ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه
حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم في اما استفهامية في حيز
الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعوليه او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان
مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من
الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب
يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف
العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصها
بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت
على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف
على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول
لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما
يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي

للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيد النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا
لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد
العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء
الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء
امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب
الى بعض المهارب المعهودة تعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب
الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير
وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق
ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده
الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم
لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه
وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه
وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ
وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل
يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي
ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر
عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي
عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض
من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجاء اهله او اتم الامر واستوت
استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمد روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل
عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض
لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية
الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان
ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى نظر اولي الالباب والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر
بحملهم في الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك او ان كل وعد
تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم
او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب
عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده
جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار

الازدياد
الابتلاع

روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء اخبرته
امراته وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة
وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان عمل السفينة فى ذلك الموضع او فى الهند او فى عين
بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة والزهرى ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف
موضع فى الارض اى اعلاه وعن على رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر فلنا احمل فيها اى فى السفينة وهو جواب اذا
من كل اى من كل نوع لابد منه فى الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج الانثى كما هى زوج
له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما
قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام فى تمييز
بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روى انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى
اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى اليسرى فيجعلها فى السفينة واما
البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانهما انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها
واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
بسبب ظلمهم فى قوله تعالى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفى فى صحته
الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجئ بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جئ باللام فيما هو نافع
لهم فى قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن
من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد فى آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما
اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين و
سبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجملة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نساء واعتبار المعية فى ايمانهم للايماء الى المعية فى مقر الايمان والنجاة وقال اى نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين
كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربى لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد
ادخال ما امر بحمله فى الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها فى الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها
كما سيأتى مثله فى قوله تعالى وهى تجرى بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة فى
لان المامور به كونهم فى جوفها لا فوقها كما ظن فان اكثر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها فى البطن
الاسفل والانعام فى الاوسط وركب هو ومن معه فى الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية فى الفلك والسر فيه ان معنى
الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل فى الاول يوفر له حظ الاصل
فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل فى الثانى يلوح بمحلية المفعول بكلمة فى
فيقال ركبت فى السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا فى الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة
بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اى اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب
على الظرفية اى بوقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك

الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر وليس من اهلك الذين امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه عنهم
بالاستثناء وعلى التقدير بن ليس هو من الذين وعدنا بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف التحقيقي
بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قول الخنساء فانما هى اقبال وادبار
وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل
الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هى لصلاحهم وقرأ الكسائى ويعقوب بانه عمل غير صالح اى
عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق
ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال الانجاء الا انه جئ بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا
تسألنى اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب
وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذى هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه
عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى واردا بصريحه فى كل من المعلوم الفساد ومشتبه الحال
ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم
الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح فى ان نداءه
عليه السلام ربه عز وجل ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل
فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء
منه بانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه
وقيل او بانجائه فى قلة الجبل وتأباه تذكير الوعد فى الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته
وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو
ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص فى الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك
لجهله بانحصار النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجراه او لكراهة الاحتباس فى الفلك بل قوله سآوى الى جبل
يعصمنى من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام فى ايمانه حيث لم يقل اكون
معهم او سآوى او يعصمنا فان افراده نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله
عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تأمل فى شأنه حق التأمل وتفحص عن احواله فى كل ما يأتى
ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل انى اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر
عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبنون التثقيلة بياء وبغير ياء قال رب انى اعوذ
بك ان اسألك اى اطلب منك من بعد ما ليس لى به علم اى مطلبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم
انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهو توبة منه عليه السلام
فما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة فى التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه
الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص منه
الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لى ما صدر عنى من السؤال المذكور
وترحمنى بقبول توبتى اكن من الخاسرين اى اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه

خوفا للنجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله ومرساها مستقلة من مبتداء وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيهم ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان تجريها يقول باسم الله تعالى فتجرى واذا اراد ان يرسيها يقول باسم الله فرسوا ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله عز اسمه ومجريها ومرسيها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسى ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك انجاكم من هول الطاعة والداهية الذامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست باستحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المقاولة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائم الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم ييئس من حياته بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتيج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الا ان ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه بمشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا فيه بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا وقرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن الهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال سآوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك زاد عليه السلام اذ بين له حقيقة الحال وصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطق على كلامه ويتعرض لنفي ما آتي

الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يأتى الا بالجريان على موجب امره الغالب صرفا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي تغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان لا يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة الى قوتكم اي مضاعفة ومنضمة الى قوتكم اي ضعفا بكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتى وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما ترى من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام متقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعدة من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل من ذلك وما كان ما وقع اولا منه عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر

من المنة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شأنه إنه عمل
غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمر معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الأمر
الوارد على الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع أنه حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج إذ حينئذ
يتصور الدعاء بالإنجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة
النسب وأن لا يقدم في الأمور الدينية الأصولية إلا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم
ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو أول القصة وكان حقها أن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فإن تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم
المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن
تذبحوا بقرة إلى آخره لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى وإذ قتلتم
نفسا إلى آخره للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي
هو تثنية التقريع ولظن أن المجموع تقريع واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة أصلا
وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية إلى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع
أيضا بل لأن ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام
المؤدي ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين
حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها
بعضها من بعض وأن ذلك يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها
قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين النكتة ازداد حسن موقع الإيجاز
البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر ولو ذكر النداء الناشي عقيب قوله فكان من المغرقين
ربما توهم من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك أنه ينجو بدعائه عليه السلام فينتقض على هلاكه من أول
الأمر ثم ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر
من الغيض والإقلاع وبين بلوغ أمر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من
نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فعقبت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في أثناء
ذلك فجرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط أي
انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا أو بسلام وتحية منا
عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك أي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك
ومعاشهم من أنواع الأرزاق وقرئ بركة وهذا إعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران
بفيضان أنواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى أمم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد
الأمم المؤمنة المتناسلة ممن معه إلى يوم القيامة وأمم سنمتعهم أي ومنهم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فإن
إيراد الأمم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب
منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم أمم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عم

بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا أنها تصيبه عليه السلام
بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة
بإن وأشهد الله تعالى على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد
مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في إيصال الكيد إليه عليه السلام ونهاهم
عن الإنظار والإمهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أي إن صح ما لوحتم به من كون آلهتكم
مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني بريء منها فكونوا أنتم معها جميعا وباشروا
كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الأمر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة
كليهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد والغلاظ الشداد
وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي
لأسباب المغالبة والمحاربة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا
وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال إني توكلت على الله ربي وربكم يعني أنكم وإن بذلتم
في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون فإني متوكل على الله تعالى وواثق به وبلفظ الماضي لكونه أدل
على الإنشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر
إلا بإرادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا هو مالك لها قادر عليها يصرفها
كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه
التوكل من عدم قدرتهم على إضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي إذ لا يضيع عنده معتصم ولا
يفوته ظالم والاقتصار على إضافة الرب إلى نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وإما لأن فائدة كونه
تعالى بالمكان أيضا راجعة إليه عليه السلام فإن تولوا أي تتولوا بحذف إحدى التاءين أي إن تستمروا على ما كنتم عليه
من التولي والإعراض فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم أي لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم
إلا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم وأموالهم
قوما آخرين أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرني
ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار إضافة الرب عليه عليه السلام رمز إلى اللطف به والغضب على المخاطبين ولا
تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط من النون إن ربي على كل شيء حفيظ
رقيب مهيمن فلا يخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما
جاء أمرنا أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالأمر مضافا إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل وأورد
أمرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا أربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الإيمان
الذي أنعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية إليه ونجيناهم من عذاب غليظ أي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ
وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إربا إربا وقيل أريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة
ولا عذاب أغلظ منه وأشد وهي التنجية وإن لم تكن متعقبة لمجيء الأمر لكن جيء بها بكلمة للنعمة عليهم وتعريضا بأن المهلكين
كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة
أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعدما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع

مبتدأ خبره قوله لأن ذكر هذا النداء

النسب

خبر لقوله ثم تأخير

ولنعم ا

التصريح بالهلاك وقع سؤالها فكان من المغرقين فليس يعرف كيف يحصل النجاة بعد ذلك بدعائه

ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أي وعلى أمم هم الذين معك وإنما سموا أمما لأنهم أمم
متحزبة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم سنمتعهم
بعض الأمم المتشعبة منهم وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيمة ويبقى من الأمم المؤمنة التي نشأت منهم مبهما غير متعرض له
ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبر المحذوف خفاء لأن من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية أو ابتدائية
فتأمل ثم يمسهم إما في الآخرة أو في الدنيا أيضا منا عذاب أليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل
مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض
ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وبالعذاب ما نزل بهم تلك إشارة إلى ما قص من قصة نوح عليه السلام إما لكونها بتقضيها في حكم البعيد أو للدلالة على بعد
منزلتها وهي مبتدأ خبره من أنباء الغيب أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر الأنباء بل هي أنباء نبئ وحدها منزوة
في عدادها أو بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به والتعبير بصيغة
المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء الغيب أي موحاة إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر أي مجهولة
عندك وعند قومك من قبل هذا أي من قبل إيحائنا إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل
هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه السلام
لم يتعلمها إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الإيحاء أو العلم المستفاد منه المدلول
عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي وإذ قد أوحيناها إليك أو علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة
وأذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر إلى ما سبق من قوله تعالى فلعلك
تارك بعض ما يوحى إليك إن العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام
وقومه ولك فيه أسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحميدة للمتقين
وهو في أقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما يعتريه
من ضيق صدر وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الأولى منها أعني التوقي من العذاب المخلد بالتبرؤ عن الشرك
وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثالثة منه وهي أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه
بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإن التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور
فكأنه قيل فاصبر فإن العاقبة للصابرين وإلى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة نوح وهو الناصب
لقوله تعالى أخاهم أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب كقولهم يا أخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب
ههنا للحذر عن الإضمار قبل الذكر متعلق بالفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الأعراف
وقوله تعالى هودا عطف بيان لأخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن
إرم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه
وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه ولما كان ذكر إرساله إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق
الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من إله غيره فإنه استئناف يجري مجرى البيان
للعبادة المأمور بها والتعليل للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم من إله سواه وغيره بالرفع صفة
لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه إن أنتم ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون

كان الفصول أن يقول غافلا أهلا لا ثبات
صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر ذلك في
المعهود عن أن ما كان عالما بالعالم
في معنى سورة يوسف ثم قوله
وإن كنت من قبله لمن الغافلين

مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام لتفظيع حالهم وإظهار كمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان
لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين أحد من رسله ويجوز أن يراد بالآيات
ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله واتبعوا
أمر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول
واتبعوا أمر كل جبار عنيد وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم فإن الاتباع
للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
إلى الهدى وأطاعوا من دعاهم إلى الردى وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت
اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا
لوقوعه في صحبة أتباعهم رؤساءهم يعني أنهم لما اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة أي أتبعوا يوم القيمة
أيضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الأولى عليها وللإيذان بأن كلا من اللعنتين نوع برأسه لم يجمعا في قرن
واحد بأن يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة
إيذانا باختلاف نوعي الحسنتين فإن المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الأخروية الثواب
والرحمة ألا إن عادا كفروا ربهم أي بربهم أو نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر أو جحدوه ألا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدعاء وتكرير حرف التنبيه
وإعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد
الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه وإلى ثمود أخاهم
صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود
بن عابر بن إرم بن سام وقيل إنما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه هو ابن عبيد بن آسف
بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله إليهم مظنة أن يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه
بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من إله غيره ثم زيد فيما يحثهم على الإيمان
والتوحيد ويحثهم على زيادة الإخلاص فيه بقوله هو أنشأكم من الأرض أي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب وقصر إفراد
فإن خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع أفراد البشر لما مر مرارا من أن خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت
أنموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيمة انطواء إجماليا وقيل إن خلق آدم عليه السلام وإنشاء
مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب إنشاء لجميع الخلق من الأرض فتدبر واستعمركم من العمر أي عمركم واستبقاكم
فيها أو من العمارة أي أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا إليه فإن ما فصل من فنون
الإحسان داع إلى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب
ذلك فقيل إن ربي قريب أي قريب الرحمة كقوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد
روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الأمر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه ذكر الغائية المتأخرة
عنهما في الوجود أعني الإجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا أي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك دلائل السداد
ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الأمور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا

رجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة
او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا
وقرأ طلحة مرجوا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة
مريب اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة واسنادها
الى الشك اسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارأيتم اي اخبروني ان كنت على بينة
اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت
محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني
من الله اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة
وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة
والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل
فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران
حتى تزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان
انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره
على تقدير العصيان مع ما يقتضيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف
والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله
والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة
الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بكما وشأنها ولا تمسوها بسوء بالغ
في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها
بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة
ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا
نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول
العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف في اي للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه

سليما

سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدق والا كذب او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق
بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة
منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى
انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ
فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف
البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك
الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون
الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل
عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبرائيل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة
فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها
وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى
لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد
ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا الآيات والعلامات التي بينها صالح ع م
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع
وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها
في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمود
وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر ههنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين
كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك
في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم
جبرائيل عليه السلام وملكان وقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب
جبرئيل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام
وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة
مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم
لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم يجيء
قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي المتبين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة
لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم
لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي
وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد ويستعرف
تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيبت بانهم قالوا سلاما

اى سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام اذ ذكروا سلاما قال سلام
اى عليكم سلام او سلام عليكم حيّاهم باحسن من تحيتهم وقرئ سِلم كحِرم فى حرام وقرأ ابن ابى عبلة قال
سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اى ابراهيم ان جاء بعجل اى فى المجئ به او ما ابطأ مجيئه
بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت
الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم
يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى انما انكر ذلك منهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا
انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار
منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما
وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهد من الناس الا يرى الى قوله تعالى فى سورة
الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم خيفة اى احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن انهم يريدون به مكروها
انكره الله تعالى عليها ولتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه
السلام اوجس من جهتهم شيئا وهو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان
تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف لما
قالوه بعد ما رأوا منه مخائل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى فى سورة
الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف فى معنى
التعليل للنهى المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم
من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها
المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليهم السلام وقد اوجز
الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال
من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر
حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اى عقبناه سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا
ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اى ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء
خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة كيحيى او واقع فى الحكاية بعد ان ولد فسميا
بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع ان الاصل فى ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم لان
بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا وردت جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت وبشرت بذلك فقيل قالت
يا ويلتا اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل واما لها
ابو عمرو وعاصم فى رواية ومعناه يا ويلتا احضرى فهذا اوان حضورك وقيل هى الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت االد وانا عجوز
بنت تسع او تسعين سنة وهذا الذى تشاهدونه بعلى اى زوجى واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين
سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من اسم الاشارة
او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى االد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اى االد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت

بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام
ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم وفيه ما لا يخفى
من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان
هذا اى ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصد الجملة تعليل الاستبعاد
بطريق الاستيناف التحقيقى ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا الاستبعاد وذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى
قالوا أتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها التعجب من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة وان تسبح
الله تعالى وتمجده وتحمده والى ذلك اشاروا بقولهم رحمة الله التى وسعت كل شئ واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها
وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحد الى الجمع
المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس
المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير وانتم اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى ترزقون الخوارق بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل
شئ وبركاته اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس اجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السياق
والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان تأخير ما حقه التقديم يبقى النفس متشوقة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده
اليها فضل تمكن وجاءته البشرى اى خبر البشرى بقولهم لا تخف فسببيته ذهاب الخوف ومجئ السرور للجدال المدلول عليه بقوله تعالى يجادلنا
فى قوم لوط اى جادل رسلنا فى شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهر واما ان فسر البشارة بالولد او بما يعمها
فلعل سببيتها له من حيث انها تفيد زيادة اطمينان قلبه بالاسلام وسلامته احله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم
ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الآية وقيل المتبادر من هذا الكلام
ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم فى شأنهم لاشتغاله
بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبيل العلم بذلك لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلما
كان لوط وقومه على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة امته التى من جملتهم قوم لوط ولا ريب
فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذى علمه عليه السلام بعد النهى عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله
الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى
والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض
عن هذا الجدال انه اى الشأن قد جاء امر ربك اى قدره الجارى على وفق قضائه الازلى الذى هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية
الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء فى اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب
غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبينهما
وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه فى صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيئ بهم اى ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف
عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا اى طاقة دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اى لوطا وهو فى بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اى يسرعون

كأنما يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل أي ومن قبل مجيئهم كانوا يعملون السيئات أي جاؤوا مسرعين في حال
أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قبحها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مسرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن
أطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً وقد زوج النبي صلعم ابنته من عتبة
بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأياً ما كان فهو أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية
الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه جارياً على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهار الشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً في أن
يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فينزجروا عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لا مناكحة بينهم وهو الأنسب لقولهم لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق بما تستحقه عليه فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي أي لا تفضحوني في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل
وجاره إخزاء له أو لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الأمر
بتقوى الله تعالى والنهي عن إخزائه مجيبين على أول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة
بيننا وبينك وما عرضك إلا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الذكران وما لهم من أزواجهم عما هم عليه من الغي
قال لو أن لي بكم قوة أي لو ثبت لي قوة بدفعكم لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى أو آوي
إلى ركن شديد عطف على أن لي بكم لما فيه من معنى الفعل أي لو قويت على دفعكم بنفسي أو أويت إلى ناصر عزيز قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة
وروي عن النبي صلعم رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا أي الرسل لإشعاره بعجزه عن مدافعة قومه يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال عز وجل فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون
النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوماً سحرة فأسر بأهلك بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء من السري والفاء لترتيب الأمر
بالإسراء على الإخبار برسالتهم المؤذنة بورود الأمر والنهي من جنابه عز وجل إليه بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم أي لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه
أحد منكم ومن أهلك وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فإن من يلتفت إلى ورائه لا يخلو عن أدنى وقفة أو لئلا يروا ما نزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم إلا
امرأتك استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من أحد فإن الالتفات بمعنى التخلف
لا بمعنى النظر إلى الخلف لئلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فإن النصب يقتضي كونها غير مأمور بالإسراء بها والرفع كونها مأموراً به وللاعتذار
بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الأمر بالإسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسري هي بنفسها كما يروى أنه لما أسرى بأهله تبعتهم فلما
سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وإن تسري بها من غير أمر بذلك وموجب النصب إنما هو عدم الأمر بالإسراء بها لا النهي
عن الإسراء بها حتى يكون مأموراً بالإسراء بها مخالف للنهي لا يجدي نفعاً لأن القراءة الاستثناء إلى الالتفات يستدعي بقاء الأهل على العموم فيكون الإسراء بها مأموراً به قطعاً وفي حمل
الآية في أحد القراءتين على الدنيئة وفي الأخرى على الجنبين مع أن ما فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كما قدمنا منه من المناقضة فالأوجه جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا
يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل منهم فإن ابن عامر قرأه بالنصب وإن كان الأفصح الرفع على البدل ولا بعد في كون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك
أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم من العذاب وهو مطر الحجر وإن لم يصبها
الخسف والضمير في إنه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ والجملة خبر لأن الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعاً على قراءة الرفع إن موعدهم الصبح أي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الإسراع أليس الصبح بقريب تأكيد
للتعليل فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع في الإسراء للتباعد عن مواقع العذاب روي أنه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك
فقالوا ذلك وإنما جعل موعد هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء أمرنا أي وقت

عذابهم وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها أي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها أربعمائة ألف سافلها أي قلبناها
على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولاً أول للجعل وسافلها مفعولاً ثانياً وإن تحقق القلب بالعكس أيضاً لتهويل الأمر وتعظيم الخطب لأن جعل عاليها وإن كان مستلزماً لما ذكر روي أنه جعل
جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وإسناد الجعل والإمطار إلى ضميره سبحانه باعتبار أنه المسبب لتفخيم الأمر
وتهويل الخطب وأمطرنا عليهم على أهل المدائن أو شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل هو من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت لامه نوناً منضود نضد معداً
نضد إعداداً للعذاب أو نضد في الإرسال يرسل بعضه إثر بعض كقطار الأمطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه
التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي أي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لأهل الظلم كافة وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
وأسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر أو إجرائه على موصوف مذكر أي بشيء بعيد أو بمكان بعيد فإنها وإن كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض
إلا أنها حين هوت منها فهي أسرع شيء لحوقاً بهم فكأنها في مكان قريب منهم أو لأنه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث
وإلى مدين أي أولاد مدين بن إبراهيم أو جعل اسماً للقبيلة بالغلبة أو أهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه أخاهم أي نسيبهم شعيباً وهو ابن ميكيل بن يشجر بن
مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحاً أي وأرسلنا إلى مدين شعيباً قال استئناف
وقع جواباً عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ما لكم من إله
غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للأمر به وبعد ما أمرهم بما هو ملاك أمر الدين وأول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادئ ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة
مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان أي لا تتوسلوا به لكمال التجنب إلى بخس حقوق الناس إني أراكم بخير أي بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله
حقها أن تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكراً عليها أو أراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت
بعلة أخرى أعني قوله عز وجل وإني أخاف عليكم إن لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى
وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب على الإسناد
المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فإن اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه
كما إذا أحاط بنعيمه ويجوز أن يكون هذا تعليلاً للأمر والنهي جميعاً ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي بالعدل من غير زيادة ولا
نقصان فإن الزيادة في الكيل والوزن وإن كانت تفضلاً مندوباً إليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال
والناقص للاستعمال وقت الكيل وإنما أمر بتسويتهما وتعديلهما صريحاً بعد النهي عن نقصهما مبالغة وحملاً على الإيفاء والميل من البخس وتنبيهاً على أنه
لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً لعدوانهم ولا تبخسوا الناس
بسبب نقصها وعدم اعتدالها أشياءهم الذي يشترونها بها وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي
عن نقص المعيار والأمر بإيفائه اهتماماً بشأنه وترغيباً في إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن
يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال والميزان الأمر بإيفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاماً للنقص
في المقدار وغيره تعميماً بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع
الفساد وقيل البخس المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع
امرؤ مكس درهم والعثي في الأرض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم
بقيت الله أي ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك

ابقاء منشور بل شر محض ان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام وبالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها اباً عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا بان يامرهم بذلك مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء ويجوز العطف على ما قيل ليستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يعطف على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على نترك اي او ان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك وانما وصفوه بهما على الحقيقة في اباء مقام الاستهزاء اللهم ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره

ونهيه غير مستند الى سند من ربي ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم تنظمونني في سلك السفهاء والغواة وتعدون ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به العقل ويقضي به قضية الفطنة وانما يأمر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني وشان افعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق والسياق عليه النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فمعزول عن ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى اديننك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة الآلهة القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا امره واعلى ذلك النمط فيجيبوا بما يجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستعداد به والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي وما اذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري واختيار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال من جناب الله عز وجل والاستعا

والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من الله عز وجل والاستعانة به في اموره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان
الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم لا
يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر
في آخر ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق
او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته
جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا و
اكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول افصح واجرى على السنة الفصحاء وقرأ ابو
حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات
اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته
عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب
التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من
دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان
المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث
خصوصيته كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق و
الشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على
الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره مثله في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة
للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار
والتوبة وحث عليها قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم
مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن مناهج العقول والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم
المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف
من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة
والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنريك فينا فيما بيننا
ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم
لولاهم مما يتبعونا ويدافعونا لرجمناك فان مخالفة الرهط وسواهم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم
الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى يمنع من
رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن للحصر قطعا لكنه لا يخلو عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل
دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله تعالى ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة

علينا وحيث كان في منهم من تعظيمهم هذه عائدا الى نفي ما منه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه
كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط
ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى
مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التوبيخ وتكرير
التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم
من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد
ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب
كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط
لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا
انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق
قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام
اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على
رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن
مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما
بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما
انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم و
اخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد و
التوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل
فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه
عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا لجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب
عطف على من يأتيه لا على انه قسيم له حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب
وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم الابقاء عليهم لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية
لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية
معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون
الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب
كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما
جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن
بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر
بالواو كما في قصة عاد لا انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح
ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت

الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فسر فيما سبق فنونه
الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر من قبل فاصبحوا
في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف
تعلمون من يأتيه عذاب اليم نفس مجيء العذاب بل من تجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع
غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود
الافادة وانما قدم تنجية اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي
يظهر اثره بموجب جرائمهم كأن لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم
الى هذه بنوع من العذاب المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه
هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك
من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات التي
هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس
ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين
اباه بنو اسرائيل والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي
ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات
الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها
او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته
واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل
لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من
ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية
او ادراجها في جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك
فرعون وقومه قاطبة ليعمل به بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا
مأمورين بعبادة رب العالمين وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية
ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم
رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود
والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال
والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به
موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك امرا محقق الوجود
غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى

الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق
بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ
عن الارسال والتبليغ بل وقوع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون
شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته
فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ما ورد ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى
عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال و
الاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد ضد
الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي
وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى
تقدمه وهو استيناف لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه
او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار نزل ورودهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق
الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة النار بالماء الذي
يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد والذي يردونه النار لان الورد انما يراد
لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في هذه
الدنيا اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف
قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين
جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك
بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة
رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا
يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين
وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من
انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء
القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك
منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما
ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة
المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء
لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما
زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل
ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بمحل الكاف النصب

على أنه مصدر مؤكد إذا أخذ القرى أي أهلها وإنما أسند إليها للإشعار بسريان أثره إليها حسبما ذكر
وقرئ إذ أخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامهم في الأخذ
أجريت الحال عليها وفائدتها الإشعار بأنهم إنما أخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم إن أخذه أليم
شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير إن في ذلك
أي في أخذه تعالى للأمم المهلكة أو في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فإنه المعتبر به حيث
يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من
أنكر الآخرة وأحال فناء العالم وزعم أن ليس هو ولا شيء من أحواله مستندا إلى الفاعل المختار وأن ما يقع
فيه من الحوادث فإنما يقع لأسباب تقتضيه من أوضاع فلكية تتفق في بعض الأوقات لا لما ذكر من
المعاصي التي تقترفها الأمم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار سالهم وما لهم من الأفكار ذلك إشارة
إلى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس أي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو أبلغ من قوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك أي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود أي مشهود فيه
حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله تعالى في محفل من
نواصي الناس مشهود أي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم
وتهويله وتمييزه عن غيره فإن سائر الأيام أيضا كذلك وما نؤخره أي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود
إلا لأجل معدود إلا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما يقتضيه الحكمة يوم يأت أي حين يأتي ذلك اليوم
المؤخر بانقضاء أجله كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل أي الله عز وجل
فإن المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ بإثبات الياء على الأصل لا تكلم نفس أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب أو شفاعة وهو العامل في الظرف أو الانتهاء المحذوف في قوله تعالى إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل
يوم يأتي أو المضمر المعهود أعني اذكر إلا بإذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن
له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والمأذون فيه
الجوابات الحقة والممنوع عنه الأعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها أيضا لإظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله
ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد أي ومنهم سعيد حذف
الخبر لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف المدلول عليهم بقوله
لا تكلم نفس أو للناس وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام التحذير والإنذار فأما الذين شقوا أي سبقت
لهم الشقاوة ففي النار أي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق
رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب أول صوته
زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة
وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم
فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار أو من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه

خالدين فيها خلا أنه إن أريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والأرض
أي مدة دوامها وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما
قام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم
فيها بدوام هذه السموات والأرض فإن النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم وانقطاع دوامها وإن
أريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات وقوله تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل أحد بأن أهل الآخرة
لا بد لهم من مظلة ومقلة وإنما يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامها ولا حاجة إلى الوقوف على تفاصيل
أحوالها وكيفياتها إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا
الموتة الأولى وقوله تعالى لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم
الخياط غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم
النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذ لا إمكان
لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع
ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى إن ربك
فعال لما يريد يعني أنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض
بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب الأجزية على أفعال العباد والعدول من الإضمار
إلى الإظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فإنهم لا يخلدون
فيه بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع أخر من العذاب وبما أغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه
لهم وإهانته إياهم وأنت تدري أنه إن سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع
العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء
وكذا أن نقول إنهم ليسوا مخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه
إلا الله وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في أحكام
الطبيعة المقصور إدراكهم على ما ألفوا من الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك
من الأحوال الروحانية إذا ألقي إليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الإجمالية المنبئة عن
التهويل وهذه العقوبات وإن كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها
وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقيل إلا بمعنى سوى وهو أوفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من
على إرادة معنى الوصفية فالمعنى أن الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها إلا الذين شاء الله عدم
خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات و
الأرض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هاهنا أن لهم بهجة وسرورا كما ذكر في أهل النار
من أن لهم فيها زفير وشهيق لأن المقام مقام التحذير والإنذار إلا ما شاء ربك إن حمل على طريقة
التعليق بالمحال فقوله تعالى عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله ففي الجنة
خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء أو مصدر بحذف

الآية وانه كقوله تعالى انبئكم بنبأ وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج
الى الله تعالى يحتمل ان تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا
الله تعالى بالذي شاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين
او بالاول وقفا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما
قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة
هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعها لهم ولما كان سوق النظم الشريف
قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع
رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن كونه في شك من مصير هؤلاء المشركين
في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصصت عليك قصصهم
من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما يعبدونه من
الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة
قوله من قبل عليه وقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم
اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا
آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير
منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له
لدفع احتمال كونه منقوصا في حد ذاته مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتامل ولقد آتينا موسى الكتاب
اي التوراة فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف
قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انه افتراه ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء
بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس
بذاك وانهم اي وان الكفار من قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للاياس من الايمان لفي شك عظيم
منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى عليه السلام ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية
ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين
فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة
وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى
لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين
اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله تعالى اكلا لما وقرأ ابي وان
كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من

من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم
فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي
حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية
سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب
مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب
قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لولا سبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى
يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كلا من المؤمنين
والكافرين يوفى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال
المشترك بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام
بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة هذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات
النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة وكذلك في الايمان وهو المعني بالبقية وهو
معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو معطوف
من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو
البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا
طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على
حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب
اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل
النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا
ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية
المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما
يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك
النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن
يميل الى الراسخين في والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره
على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا
من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه
القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى
احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء
للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب
على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع

يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق انقسام الآحاد الى الآحاد ولكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى
نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله تعالى اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم
بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم للتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته سبحانه بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه
عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج
انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت
وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار
والمراد بصلاتيهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب و
العشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي
من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوة يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي
الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ
قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال عليه السلام انتظر امر ربي فلما
صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان
تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين
اي عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان
والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة
خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها من يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه
ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور
اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة
كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه
وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر
بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة
من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولو بقية من الرأي و
العقل او اولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا
في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال
بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية والتقوى اي فهلا كان منهم ذو والبقاء على انفسهم و
صيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهو المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا
راقبه وانتظره اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون
عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا
منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة
للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا القليل من الناجين منهم كما اذا قلت

اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا استثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك
ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن
الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا
من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة
وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا
مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله تعالى واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول
الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب
او على استئناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على اترفوا
اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع
اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا او تسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ
واتبع اي جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك
ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم
من ذلك حال غيرها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله تعالى بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل
اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا من كان لما تقرر
من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى و
واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله لكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم
لدلالته على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل
المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون
الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك
ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل
في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن
الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره
من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين
الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة
على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه

ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور
ولذلك اي ولما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او
للرحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معاً فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين و
تمت كلمة ربك اي وعيده او قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما
اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلاً اي كل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك
نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلاً وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر
ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلاً المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه
نقص عليك من انباء الرسل وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود
بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار
بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة
المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه موعظة و
ذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وبين كونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف
الاول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على
الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع
المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم يبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن
فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين
لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي
عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون اي ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر
كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعاً فاعبده وتوكل عليه
فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تأخير
الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه
وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلاً منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق بنوح واحد من
الانبياء عليهم السلام المعدودين فيها وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله تعالى

سورة يوسف مكية وآياتها مائة واحدى عشرة

الر الكلام فيه وفي محله وفي ما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب عين ما
سلف في مطلع سورة يونس عليه السلام المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى
وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا
يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك و

والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب
عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا
لرؤساء المشركين سلوا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من براعة الاستهلال
لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الاضافي عقب بقوله انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما
ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآناً عربياً اذ هو
المشهور بهذا الاسم الموصوف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة
عن السورة فتسميتها قرآناً لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض
كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انا انزلناه حال كونه مقروءاً بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي
تفهموا معانيه طراً وتحيطوا بما فيه من البدائع خبراً وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند
الخلاق القوي والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه
لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية
احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص
اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا
اليك هذا القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصاً والتعرض لعنوان
قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين
بتلقين علماء اليهود وحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة كما
لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا
يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآناً عربياً بان
يكون المراد بذلك المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام
على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن
على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان الواقع اسماً لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله
من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم يخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط و
هو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان
عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب على اضمار اذكر وشروع في القصة انجازاً للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولاً به لا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت
المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب
آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من اسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
وقد روي عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

يا أبت أصله يا أبي عوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة
ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وكسرتها لأنها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها
حركة أصلها أو لأن الأصل يا أبتا فحذفت الألف وبقي الفتحة وإنما لم يجز يا أبتي لأنه جمع بين العوض و
المعوض وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الألفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كأصلها
لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله
لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياي ولأن الظاهر أن وقوع مثل هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة
لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على أحد من الناس أحد عشر كوكبا والشمس و
القمر روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أخبرني
يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فأخبره
بذلك فقال عليه السلام إذا أخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام جريان والطارق والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروج والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء فسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها وقيل
الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وإنما أخر الشمس والقمر عن الكواكب لإظهار
مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال على الملائكة وقد جوز أن
يكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته
عليه السلام لهما عن ملاقاته لإخوته وعن وهب أن يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين
أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها
حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي
عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف عليه السلام ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون سنة رأيتهم لي ساجدين
استئناف ببيان حالهم التي رآهم عليها كأن قائلا سأل فقال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وإنما أجريت
مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء أعني السجود وتقديم الجار والمجرور لإظهار العناية والاهتمام
بما هو أهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة أو لها ولصغر السن وهو
استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه
السلام من هذه الرؤيا أن يوسف عليه السلام يبلغه تعالى خاف عليه حسد الإخوة فقال صيانة لهم من ذلك
من معاناة المشاق ومقاساة الأحزان وإن كان واثقا بأن الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله
بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما أن الرؤية في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربى
والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصادقة منها إنما
تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور
بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس
المشترك فتصير مشاهدة ثم إذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية

مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة
وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه
الكرام

والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه على إخوتك فيكيدوا نصب بإضمار أن فيفعلوا لك
أي لأجلك ولإهلاكك كيدا مبينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه أو خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا
أوفق بمقام التحذير وإن كان يعقوب عليه السلام يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه
وهذا الأسلوب آكد من أن يقال فيكيدوك كيدا إذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الإيقاع وقد قيل
إنما جيء باللام لتضمنه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد أي فيحتالوا لك ولإهلاكك
حيلة وكيدا والمراد بإخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الأحد عشر وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبولون ويشجر ودينه من بني يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد
وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهم الممثل لهم بالكواكب الأحد عشر وأما بنيامين الذي هو
شقيق يوسف عليه السلام وأمهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة أختها ليا أو في حياتها إذ
لم يكن جمع الأختين إذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي إذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا
معهم في الرؤيا إذ لم يكن معهم في السجود ليوسف عليه السلام والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا أو بعضا
إن الشيطان للإنسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألوا جهدا في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على ما لا
خير فيه وهو استئناف كأن يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت النبوة
فقيل إن الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام على أن لرؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وحذره
إشاعتها المؤدية إلى أن يحول إخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو بين وصوله إليها شرع
في تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالي فقال وكذلك أي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في
عالم المثال من سجود تلك الأجرام العلوية النيرة لك وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب
كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه إذا جمعه ويصطفيك على أشراف الخلق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق
تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور
المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا وأشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة
أي كما سخرت لك تلك الأجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على
وجه الاستكانة ومراده بيان لطاعة أبويه وإخوته له لكنه لم يصرح به حذرا عن إذاعته ويعلمك كلام مبتدأ
غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به
على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الأحاديث أي ذلك الجنس من العلوم أو طرفا
صالحا منه فتطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد
بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا إذ هي أحاديث الملك إن كانت صادقة أو أحاديث النفس أو الشيطان إن
لم يكن كذلك والأحاديث اسم جمع للحديث كالأباطيل اسم جمع للباطل لا جمع أحدوثة وقيل كأنهم جمعوا حديثا على
أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع وتسمية التعبير تأويلا لأنه جعل المرئي آيلا إلى ما يذكره
المعبر بصدد التعبير ومرجعا إليه فكأنه عليه السلام أشار بذلك إلى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا
صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك منه عليه السلام ذريعة إلى ما ساقه الله تعالى إليه من الرياسة العظمى
التي عبر عنها بإتمام النعمة وإنما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه عليه السلام من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة

سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عليه السلام بذلك من طريق الفراسة والاستدلال
من الشواهد والدلائل والامارات والمخائل بان من وفقه الله تعالى بمثل هذه الرؤيا لابد من توفيقه لتعبيرها وتأويل
امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو نفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفه
فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى
وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم
الآخر وان هذا الشأن البديع لابد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي
من الانبياء عليهم السلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من
الاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس
الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب
وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها
على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا
اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على
ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها
على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح
عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه
كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من
قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه
بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبره في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه
والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة
النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم
فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في
الموضعين لتربية تحقيق ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا
الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء ملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما
اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا
اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها
آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل
عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين لها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم
ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة
نفس المقصوص او على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك

بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان
اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته عليه السلام على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم
على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير
آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته
عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان
مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث
قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد المبتدأ مع تعدد الخبر لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في يوسف
تحقيق مضمون الجملة ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة
العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما
وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل من
منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخائل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا
ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه من
جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين لتقتضيه الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل
شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون واندرجوا تحت القول
المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك الفعل وتنكير ارضا واخلاؤها
عن الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم
جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع
مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه
واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او
صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا
وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا
على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في
مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما للقتل وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح
بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابت الجب اي في قعره وغوره
سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك
شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض
غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط
اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في

الجب وما فيهما وفي البعض من الإبهام تحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقة غرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى أثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل إنما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم وتوجيها لهم إلى رأيه وحذرا من نسبتهم له إلى التحكم والافتيات أو إن كنتم فاعلين ما أزمعتم عليه من إزالته من عند أبيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه أم لا فأجيب بطريق الاستئناف على وجه أدرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا أبانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف عليه السلام ليتسببوا بذلك إلى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغي كأنهم قالوا ما لك أي أي شيء لك لا تأمنا أي لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا وإنا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالإدغام والإشمام وعن نافع ترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع أي يتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وإنما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وإنا له لحافظون من أن يناله مكروه أكدوا مقالتهم بأصناف التأكيد من إيراد الجملة اسمية وتحليتها بإن واللام وإسناد الحفظ إلى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال إني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله إن ربك ليحكم بينهم أن تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك أخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذأبة والحزن ألم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك أسند الأول إلى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف عليه السلام والثاني إلى ما يتوقع نزوله من أكل الذئب وقيل رأى في المنام أنه قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة إن البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمزة على الأصل وأبو عمرو وقفا وعاصم وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا جاءت من كل جانب وقال الأصمعي الأمر بالعكس وهو الأظهر لفظا ومعنى وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي والحال أنا جماعة كثيرة جديرة بأن يعصب بنا الأمور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تعالى إنا إذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء أي لهالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون للهلاك إذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار والدمار يقال خسرهم الله ودمرهم حيث أكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل إن لم نقدر على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا إذن وخسرناها وإنما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من أكل الذئب لأنه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به وأجمعوا أي أزمعوا أن يجعلوه مفعول أجمعوا يقال أجمع الأمر ومنه فأجمعوا أمركم ولا يستعمل ذلك إلا في الأفعال التي قويت الدواعي إلى فعلها في غيابة

الجب قيل هو بئر بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الأردن كما أن مدين كذلك وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم أباهم عشاء ذلك اليوم فإن بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف إيذانا بظهوره وإشعارا بأن تفصيله لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الأذية ما فعلوا يروى أنهم لما برزوا إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لأبيه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى الصخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف عليه السلام فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجه من التميمة فألبسه إياه وأوحينا إليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول إليه أمره وإزالة لوحشته وإيناسا قيل كان ذلك قبل إدراكه كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا أي لتتخلصن مما أنت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بأنك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للأشكال والأول أدخل في التسلية روي أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بالإيحاء على أنا آنسناه وأزلنا عن قلبه الوحشة التي أورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير وجاؤوا أباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي متسابقين في العدو أو الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما وتركنا يوسف عند متاعنا أي ما يتمتع به من الثياب والأزواد وغيرهما فأكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد حيث لا يكاد يطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما إذا لم يرجوه ولم يغيبوا عنه فكأنهم قالوا إنا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا بمرأى منا إلا أن ميدان السباق لا يكون عادة إلا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في أمره ولو كنا عندك وفي اعتقادك

صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين

وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور رتبنا اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها بغير المعجمة اي كدب وقيل طري قال ابن جني اصله من الكذب وهو الغوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم وقد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن ان يمزقوه فلما سمع يعقوب عليه السلام بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استيناف مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب عليه السلام هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيلا من سؤال الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف بوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها وقرئ ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لبيان الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل الى المكان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان ادمجا ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامم المليا فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة

بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يعزب عنه الاكر صفع فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى لها يوسف عليه السلام فخرج قال استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واتى نعمة مكان ما يوجد منها من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على خضد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء ليبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعامه فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف عليه السلام مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحال اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال يضع عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف عليه السلام وهو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البايعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية ان يتأتب ما لهم لما ظن من انهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما ان من اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين اي على ان اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان ابن الوليد العمليقي ومات في حيوة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبعة عشر سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلثة عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده

عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من
مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر
حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه
من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي
اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم اهلكنا من
قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نجعل لكم فيها او مكناهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى
كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة
في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي
الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها
رؤيا الملك وصاحبي السجن بقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام
ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب
عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي
ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف
كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي
يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فمادية الى ذلك انما هي باعتبار
اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون عبارة
عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه
كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد
تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها و
من ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي
فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم
يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها حتى يجعل ذلك
غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد
بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون
المعنى حتى مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء
عليهم السلام فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متأخر عن تمكينه بذلك
المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر
عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره لشيء اذا
اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متول على امر يوسف عليه
السلام لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى من العاقبة الحميدة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك و

ان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله آتيناه
حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي
حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فيما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس
او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي
كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد
فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام
البلاء صح ان يعتد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرهما في السجن بضع
سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان اليه وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا
في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه
في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وكذلك مكنا ليوسف الى ههنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم
السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه
السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى
هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة
بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور نازع من التقريب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد كما في مطالبة الدائن ومماطلة المديون
ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة
عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك
مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان
فعل البادئ وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن
وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها
فان مطالبة الدائن للمماطلة التي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض
الذي من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور
مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب
السبب فتأمل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها
الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه
اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل
في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة
فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد
ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه
تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك

جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها
مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اى لك اقول
هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيت لك واللام صلة للفعل
قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل
يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو
عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد تقبله لما سولته
لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان
بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اى سيدي العزيز
احسن مثواي اى احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى
رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله تعالى وربي خبران واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل
من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله تعالى وعلى
التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة
من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع
المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من
ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة
لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به اى بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها وعزمت
عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته
عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير
ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في
مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها اى مال الى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المنبئ
عن كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم عنه عليه السلام
تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد
اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر
الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل لولا ان رأى برهان
ربه اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها
مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها
المستعارة التي بها تظهر في هذه النشاة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجبه

ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اى
لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما
هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة
بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور احكام الطبيعة تجري
التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد
جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم على معناه الحقيقي فمعنى لولا انه قد شاهد
برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا و
قد فسر همه عليه السلام بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه تكة سراويله وقعد بين شعبها
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب
بيده على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل
عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل وقيل
كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها
كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اى مثل ذلك
التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما او الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على
الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنى لانه مفرط في القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة
على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه
ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب
انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله
تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وعلى كلا
المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك
فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء عنه عليه السلام بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم
بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اى تسابقا الى الباب البراني
الذي هو المخلص لذلك وحده بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور كقوله واختار موسى قومه او ضمن
الاستباق معنى الابتداء واسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء
الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن
اسراعها اثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق
عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها
خاصة مع ان لقوة يوسف عليه السلام ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه

عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب أو لخوف الافتضاح وألفيا سيدها أي صادفا زوجها واذ لم يكن
ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمرأة لدى الباب أي البراني
روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القميص يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول
فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا من الزنا ونحوه إلا أن يسجن أو عذاب أليم
ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استفهامية أي أي شيء جزاؤه غير ذلك
أو ذلك ولقد أتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها
وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها
بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواتاته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونن من الصاغرين ثم إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمرا محققا مفروغا عنه غنيا عن
الإخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهي تريد إيقاعه حسبما يقتضيه قانون الإيالة وفي إبهام
المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز
للخطب وإغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف عليه السلام فقيل قال
هي راودتني عن نفسي أي طالبتني للمواتاة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما أسندته إليه
من الخيانة وعدم موافقة حق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة
مراعاة لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض عنها وشهد شاهد من أهلها قيل هو ابن عم لها وقيل هو الذي كان جالسا
مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر
فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله تعالى الشهادة إلى من هو من أهلها
ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته وهو
الأظهر فإنه روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان
الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم إن كان قميصه قد من قبل أي
إن علم أنه قد من قبل ونظيره إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك فيما قبل فإن معناه إن تعتد بإحسانك إلي
فاعتد إحساني إليك فصدقت بتقدير قد لأنها تقرب الماضي إلى الحال أي فقد صدقت وكذا الحال في قوله
فكذبت وهي وإن لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءا إلا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق
والكذب بذلك الاعتبار فإنهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان
الإنشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست
من الشهادة في شيء وإنما ذكرت توسيعا للدائرة وإرخاء للعنان إلى جانب المرأة بإجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة
بأن يقع القد من قبل بمدافعتها لما هو المقصود بإقامة الشهادة أعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل
وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع
وأدل على المطلوب وإن لم يكن بين طرفيها أيضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الأقوال
أو بتقدير القول أي شهد قائلا إلخ وتسميتها شهادة مع أنها لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها

بل لأنها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر إذ هو إخبار بها من قبل
علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للإيذان بأن ذلك ظاهر من العلائم أيضا وأما على تقدير كونه غيره فلأن
الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه إما مشاهدة أو إخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الأولى و
بوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الأولى وبوقوع تالي الثانية فإذن هو إخبار
بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية
المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه وأما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لأن الشرطية الأولى تعليق لصدقها بما يخيل
وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه
عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القد من دبر فكذبها في ذلك فيكون محققا ألبتة وهذا كما قيل فيمن قال
لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت إن لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الزوج
فإذا لا زوج لها فهو نكاح إذ تعليق الشيء بأمر متقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة
كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى
قميصه قد من دبر كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أو لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال إنه أي الأمر الذي
وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن إرادة السوء التي أسندت إلى يوسف عليه السلام وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء
من أراد بأهلك سوءا إلخ لكن لا من حيث صدور تلك الإرادة والإسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك
لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن أي من جنس حيلتكن ومكركن أيتها النساء لا من فكركن عن الإفادة وتدبير
العقوبة وإن لم يكن تجريده عن الإضافة إليها إلا أنه لما صورته بصورة الحق أفاد الحكم بكونه من كيدهن إفادة
ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق ولكيلا يسند إليها القدر وحدها سجية لكل نفس
غانية سند ويرجع الضمير إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع فيه النزاع
من إرادة السوء ممن هي إلى البحث عن شعبة من شعبه وحيله للسوء أو لتحرم المعترف به عن طمعها في يوسف عليه السلام
يأباه الخبر فإن الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هنات أخر من قبلها كما أشرنا إليه إن كيدكن عظيم فإنه ألطف
وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء إني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه
تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن
يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله
أعرض عن هذا أي عن هذا الأمر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري أنت يا هذه
لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك إنك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب
أو من جنسهم يقال خطئ إذا أذنب عمدا وهو تعليل للأمر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكان
العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة أي جماعة من
النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب
والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال
ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث في المدينة ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة لنسوة امرأة العزيز
أي الملك يريد قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليس لقصد المبالغة في إشاعة

لخبرهم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الخطر اميل وليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشاعة في لومها
بقولهن تراود فتاها اي تطالبه بمواقعة لها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثار
بصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي و
تعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر
بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشاعة
في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنيء قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم
علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر ثم انها تراود غيره لا سيما عبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا
وتمادت في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة
يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن
الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول
الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم و
تأكيد للعذل ببيان اختلال قواها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الانية يجنح
الى الاستدلال بالاجلى على الاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذلك المقام وانتصاب حبا
على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنريها اي لنعلمها علما مضاهيا
والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن
العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا او على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين
المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا
بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما
سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته
مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكرين وان كان ظاهره العذل وقيل استكتمتهن سرا فافشينه عليها وقيل انما قلن
ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات
واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس
طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل ان يأكل متكئا
وقيل طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا على حال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن
مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير
همزة وقرئ متكاء باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد
واهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكي
اذا اتكى واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله في القطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن
من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشعر بان

ان قولها اخرج عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على
مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها
تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام لامرها فيما لا اثم فيه بحضرته من الافاعيل اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى
تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرنه حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف
عليه السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على
كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز و
تعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو
حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فاستعمل فيما يكون موجبا للتنزيه ثم وضع موضعه فمعنى حاشا
لله تنزيه الله وبراءته وهي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك
والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة
الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله
كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع المضمر وقرئ حاش لله
بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمت به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل
الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم و
بشرى بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر
وقصرنه على الملكية ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها
ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب
الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف عليه السلام بالعنوان
الذي وصفته به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة
مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية الذي
لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث رأيتن بمجلي ينسبني الى العزيز ووصفتن قدره بكونه من
المماليك او بالعنوان الذي وصفته به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ
محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من
هو وما قولكن فينا واما ما يقال من ان المعنى انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان
به فلا يلائم المقام فان المراد بدعوتهن وتمهيد ما مهدت لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم

وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال تحقيق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان
الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي
لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما يتأبى بحسبه مراحها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن
منه عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم
امتنع طالبا للعصمة وهو بناء للمبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها
مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كما في استمسك واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه
السلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها اياه واكدته
اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها
مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره
اي آمر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او
امري اياه اي موجب امري فمقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف عليه السلام وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا
لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون الثقيلة آثرت بناء البناء للمفعول جريا على
رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا بالخفيفة
من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتب في
المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا
الوعيد المنطوي على نون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه
الحيل ويعي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل
يقول فما صنع يوسف عليه السلام قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذي اوعدتني بالقائي فيه وقرأ يعقوب
بالفتح على المصدر احب الي اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه
من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاوة والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق
لديه وبروز كل منهما بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما
هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن
جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام
بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني
على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم
القوة والشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل
الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه
في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار
والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو

تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين
لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من
القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه
استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى
من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد واما اكتفوا بامر يوسف عليه
السلام بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات الصادقة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة
على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه و
المعنى بدا لهم بداء او رأي او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا
من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا
لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني
راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها
لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها و
باعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او
خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين اي حين انقطاع قالة الناس
وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ
حتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه
روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن
ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب
ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت
فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلاه معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس
في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ ويكون الجملة حالا من
فاعل دخل فتأمل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال
احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رأيتني والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة الماضية اعصر خمرا
اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر في لغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر
عنبا وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير
منه اي تنهس منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او
ما روي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيه خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رؤي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير الاشارة

نبئني

الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل واحد منهما اثر ما قص ما راى فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع غيره واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نريك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس وقد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها فعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما بحسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآئل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آئلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع ولو كان عليه السلام يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجيء كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها واما تخصيص الطعام بالذكر فلكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل قصصهما على قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمت المحسنين وانما قدما ذلك حيث قالا انا نريك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجههما الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير ما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتماه علي في طرف الثمام حيث رايتماه مثاله في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه بذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي

يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيله لتلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه من الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليل له لا للتعليم الواقع صلة الموصول لتاديته الى ان معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع آباءه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدا والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لهما في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامم وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا حيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجب بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من النعم شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا اليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهما حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط الهتهما

عن درجة الاعتبار فضلا عن الالوهية وقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله شيئا
الا اسماء فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء
فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان
تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم
ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم الا لله فى امر العبادة
المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لان المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره
امر استئناف مبنى على سؤال نشأ من قوله ان الحكم الا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى فى هذا الشأن فقيل امر
على السنة الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضيه قضية العقل ايضا ذلك
اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين اذ لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء
سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه
لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه لكنما مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال
يا صاحبى السجن اما احدكما وهو الشرابى وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه
حذار مشافهته بما يسوءه فيسقى ربه اى سيده خمرا روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها
الملك وحسن حالك عنده واما القضبان فثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج فتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة
فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روى
انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضى اى اتم واحكم الامر الذى
فيه تستفتيان وهو الذى ما رأياه من الرؤيين قطعا لا ماله الذى هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما
يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون فى الحادثة لا فى حكمها يقال استفتى الفقيه فى الحادثة
اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه فى حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا
يقال افتى فى حكمها او جوابها بكذا وحيث هو علم فى ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى ومعنى استفتائهما
طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما
لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون فى النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما
فى ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضى عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله
لانه فى الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر فى عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد
على حسب ما وحداه فى قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر ما اتهمهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه
ولا فيما هو فى صورته بل فيما هو صورة لمآله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره و
تأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك الشئ كائن صدقتما او كذبتما و
لعل الجحود من الخباز اذ لا داعى الى جحود الشرابى الا ان يكون ذلك لمراعاة صاحبه وقال اى يوسف عليه السلام
للذى ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة فى الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضى الامر
الذى فيه تستفتيان وهو السر فى ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر

وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التوثيب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل
فى ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف
الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى انى ظننت انى ملاق حسابيه فان التعبير بالوحى
كما ينبئ عنه قوله قضى الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادى اذكرنى
بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفنى له بصفتى التى شاهدتها فانساه الشيطان اى انسى
الشيطان بوسوسته والقائه فى قلبه اشتغالا لا تعوقه عن الذكر والا فالانساء فى الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية
فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اى ذكره
له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اى يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء
او القول فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه
سبع سنين وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى لما لبث فى السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم
وقال الملك اى الريان انى ارى اى رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان
جمع سمين وسمينة ككرام فى جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اى اكلهن والعدول الى المضارع
لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اى سبع بقرات عجاف وهى جمع عجفاء
والقياس عجف لان فعلاء افعل لا تجمع على فعال ولكنه عدل عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف
بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما
قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه رأى سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اى وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها
على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب
للاشراف من العلماء والحكماء افتونى فى رؤياى هذه اى عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة
والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا
علما مستمرا وهى الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة فى المنام الى ما هى صور وامثلة لها من
الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة فى الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته
وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضى
والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العمل او لرعاية الفواصل او لتضمين
تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول
فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل
فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هى اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى الاصل ما جمع
من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان
وتريها فى المنام والاحلام جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هى اضغاث

من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤل اليها ويعتني باخرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة
في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة
او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات
فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اي المنامات الباطلة
التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة
ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كانهم
عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير
الاحلام مع ان لها تاويلا او عابرتها الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآئل والمآل من البعد
ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي صاحبي يوسف عليه السلام وهو الشرابي وادكر
بغير المعجمة هو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشئونه التي شاهدها وصيته بتقريب ذكره
الملك واشكال تاويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة
وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان
حق كل من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم و
لذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما
علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي
عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل وانا افتيكم فيها وعقبه بقوله يوسف ايها الصديق اي ارسل
اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره
واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون
الى ونه عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام
في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده
اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال
لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان الناس بالخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم
يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول
في ذلك مجاراة معه عليه السلام على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه
لعل المنايا دون ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استيناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قال يوسف
عليه السلام فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه
وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اوّل
عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون
سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم
في ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس

السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا
فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محققا الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من
البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل ثم الاقتصار على الاستثناء
الماكول دون البذر لكون ذلك من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر
منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة
على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا
الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس
ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد
الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجاز كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن
ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم
للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر
من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من
اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا
مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي
ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز
الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث ليس كاستلزامه
للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به
لبشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع
والتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث
من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين
فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير
ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون
ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو
المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله تعالى
ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته بتعديته
واما بحذف الجار وايصال الفعل الى ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك
وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة
لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه
عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام
في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من
نفير وتطير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى

الاكل و

السفير

ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن
حث للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان ويهتم في البحث للتفصي عما توجه اليه
واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة
الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن
بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له
وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك
وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان
بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شأنكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه
صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة
قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت
امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر
وتبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص
الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من
حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى اقر الحق في
مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض
لنزاهته عليه السلام في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحثت عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل اردت
ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثباته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه
راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي واردت بالآن زمان تكلمها
بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى حدا وراء هذه المرتبة من نزاهته حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة
بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما
عند العزيز حتى ان كل عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت
المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش
على الخروج من السجن بل علما بما ذكر من نقض ما ابرم ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان
ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم التهاون بامره واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند
الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه عز وجل بالغيب اي بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله
اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا
للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى [illegible] وفيه تعريض بامرأته
في خيانتها امانته وبه وفي خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا الآيات المؤدية نزاهته عليه السلام ويجوز ان

يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء
قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربأ بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على
اسلوب قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شأن افعال العباد
اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس
البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك
بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها
نفسي او في وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف
عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها
ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي
المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب
عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه وفعلت به ما فعلت ان كل
نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام ان ربي لغفور لمن استغفر
لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره
بين بين فيفعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك
بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه
اي فأتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر بإحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في
كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو
مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما
احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير
في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له ولدين افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه
عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي
ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية
اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد انه
اسلم على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم في ذلك من تدبير السنين
حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجسوم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة
الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد
تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله تعالى
وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض

الى ارض مصر وروى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه
من التشريف له عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى
يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه
فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك و
اما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له
الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل في مصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في
السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من
الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم
من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة
احسان من نصيبه الرحمة المرقومة وانها اجره ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل
التأكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين
المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان
والثبات على التقوى المستفاد من جميع صيغتي الماضي والمضارع وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان
وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف و
هو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال و
تشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى
تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه
ولاعتقادهم هلاكه وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه
عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له
من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفتهم له ولعله عليه السلام
انما قاله لما قيل من انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا لما قيل
من انه لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا اثنا عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا فقالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابيه
يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخ لكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل
ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار في منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل
رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة

الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار
صيغة المضارع مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني
اوفي الكيل والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما
الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق وما لحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على
تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل
واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون
بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية
الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده
ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه
لا نتعايا به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه
وكل بكل رحل رجلا يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها
اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع
وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت
به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما اعزاز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع
وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور اما
ان علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها
بقيت في رحالهم وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم
كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل
ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة اخرى
معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل
بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا
وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه
ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما
على التمييز والحالية على القراءة الاولى تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على
مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما في قيل
وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا
ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا
وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل

عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما منّ
علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب
نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا
اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان
بكمال الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل
ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي
فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته
ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا على قضية
التقسيط ذلك اي ما نحمله اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف وقع
تعليلا لما سبق كأنه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد الناشئ قليل لا يضايقنا
فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به
الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء
نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي
المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه
اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك واي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة
عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة
اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي
بمجاوزة الحد فما نافية فقط فالمعنى ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا واكرامه الموجب لما
ذكرنا والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله عز وجل ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا
من احسانه ونحصل ما نحتاج اليه من ميرة اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما
اي جملة اعتراضية تذييلية وان يكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق
فالحق ابلج وان قوله عز وجل ونمير اهلنا وان ساعدنا في حله غيره ما ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك واما ما ينبغي في الرأي
وما نعدل عن الصواب فيما نشير اليه عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى اخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم
اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم
ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان
توكيد العهود به مأذون فيه من جهته عز وجل فهو اذن منه جل وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى
تحلفوا بالله لتأتنني الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو
فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفي اي
لا تأتون به في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم
ونظيره قولهم اقسمت عليك الا فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا اي لتأتنني به على كل

على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال
على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما
عدا الحال المستثناة كما في قولك صل الا ان يكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن
العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا لمقارنته لتلك الاحوال على
سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى
الى التأويل المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال
الله على ما نقول وكيل اي على ما قلنا في اثناء طلب الموثق واتيانه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال
لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل اي مطلع رقيب يريد به عرض ثقته
بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر
من باب واحد نهاهم عن ذلك حذرا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا
في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى
فكانوا مئنة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه
عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله تعالى
عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله تعالى عنهما بقوله اعيذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل
عين لامة وكان يقول ابوكما يعوذ بهما اسمعيل واسحق عليهما السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك
التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من الباب متوقفة وكان في دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما في الدخول
من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهي
وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية وايذانا بان المراد المذكور لا تحقيق شيء اخر وما
اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر
ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم
بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة
عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم
مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما اتي واذر وفيه دلالة
على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه
وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن
هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها
وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سيأتي عند وقوع ما وقع
عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع لتحقيق المقارنة
الواجبة بين جواب ولما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق

الاخبار م

حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتى من قوله تعالى الا حاجة استثناء منقطع
اى ولكن حاجة وحزازة كائنة فى نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد
ان للتدبير تأثيرا فى تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل فى قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة
فى نفس يعقوب وهى ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغنى عنهم من
جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة فى نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا
وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا
لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحى ونصب الأدلة
حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل فى رأيه عند تخلف الاثر
او حيث بت القول بانه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفى تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم
وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه وتعالى من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة
علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغنى عنه الحذر واما ما يقال
من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغنى شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادى
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اى ضمه اليه فى الطعام او فى المنزل او فيهما روى انهم لما دخلوا
عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندى فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى
مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى اخوكم فريدا فاجلسه معه
على مائدته وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثانى معه فيكون معى فبات يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لى هلك فقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه
وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال انى انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا تحزن بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه
من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدى بى فاذا
حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك بامر فظيع قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال ادس صاعى
فى رحلك ثم انادى عليك بانك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب
وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة يشبه المكوك
الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر فى رحل اخيه بنيامين وقرئ
وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهو
الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير
كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعين والمراد اصحابها كما فى قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل

وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله
اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على
زعمه والاول هو الاظهر والاوفق للسباق وقرأ اليمانى سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا عليهم
جملة حالية من ضمير قالوا جئ بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اى تعدمون
تقول فقدت الشئ اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار
الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم
ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شئ فضلا عن ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن
ان يضيع منهم شئ فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة
ونسبة البراءة الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا فى جوابهم نفقد
صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال
العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا ترتيبا لما لفقوه من قبلهم وارادة لاعتقاد انه انما بقى فى رحلهم اتفاقا
ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له على تحقيق الوعد لهم باتمام
وجود الشرط وحثهم على الكف من اخذ من وجد فى رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن
قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة
او الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب
لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد فى الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الفساد
او لنفسد فيها اى فساد كان فيندرج فيه ما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجئ للفساد وان لم يكن
مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الفساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق
مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما
قيل فى قوله تعالى عز وجل ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فى
الظلم دون نفى الظلم فى الجملة الذى هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت
ظلاما مفرطا فى الظلم فكأنهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا ما كان عليه وقد كانوا على غاية ما يكون
من الديانة والصيانة فيما يأتون وما يذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة
لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا افساد
وما كنا سارقين اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم المشاهدة يستلزم
العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم و
تحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع
على حذف المضاف اى فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم ان كنتم كاذبين لا فى دعوى البراءة عن
السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل
قالوا جزاؤه من وجد اى اخذ من وجد الصواع فى رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان فى
الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها فى اعتقادهم المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا

بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتأمل
واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله تعالى
فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ و
الجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول
لمن والثاني للظاهر الذي هو وضع موضعه كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد
للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون
فبدأ يوسف عليه السلام بعد ما رجعوا اليه للتفتيش بأوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها قبل
تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا
والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة
كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة
للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد اخوته
الى الافتاء المذكور باجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين بحيث لم يحتسبوا المعنى قوله تعالى كدنا ليوسف
صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى
فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
استيناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لتفسيره وبيان له كأنه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه
بما فعله في دين الملك في امر السارق اى في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان
جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه
السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله
اى الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان
يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال و
الاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور مأخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على
معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شأن
السارق مطلقا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى
مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ليأخذ اخاه في دين الملك به الا
حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور
وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اى مثل ذلك التعليم
المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز
ان يكون من اعم العلل والاسباب اى لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل او سبب من الاسباب الا لعلة مشيئته
او لسبب مشيئته تعالى واياما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند
رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك ف

الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه رسمه فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث بعضه
الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ القصر بان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه ح ولم يتعلق المشيئة
بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من
احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشيئة
الله تعالى واذنه في دين غير الملك نرفع درجات اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية
او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اى نشاء رفعه حسبما يقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة كما رفعنا يوسف عليه السلام وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه
واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او النظر
من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه والمغ
ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى
ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات الى
قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل
انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى
ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه
دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكأنه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور
الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله تعالى وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين
جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه تعالى وجلالة مقدار علمه
المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن
داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء
الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا
وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله تعالى وفوق كل ذي
علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان
يوسف عليه السلام افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى
من نسب اليه الفوقية لا الى درجة ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اى وفوق كل من اولئك
المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد
سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت لها
منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه
من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم
افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في الجيف وقيل

غير دين م

دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا يعبدونه فدفنه فأسرها يوسف أي أكنّ الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا أنه
أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسررت لهم إسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد
لما سبق قال أي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بالإسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال
في نفسه في تضاعيف ذلك الإسرار فقيل قال أنتم شر مكانا أي منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم
تفترون على البريء وقيل بدل من أسرها والضمير للمقالة المعبر عنها بقوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون أي
عالم علما بالغا إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة بل إنما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد
المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل أخذ بنيامين
مستعطفين يا أيها العزيز إن له أبا لم يريدوا به الإخبار بأن له أبا فإن ذلك معلوم مما سبق وإنما أرادوا الإخبار
بأن له أبا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالته يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ أحدنا مكانه
فليس أحد عنده بمنزلته من المحبة والشفقة إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك بهذه التتمة أو المتعودين بالإحسان
فلا تغير عادتك قال معاذ الله أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فحذف الفعل وأقيم مقامه المصدر
مضافا إلى المفعول به بعد حذف الجار إلا من وجدنا متاعنا عنده لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الإخلال
بموجبها وإيثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب إخوته على التوحيد من باب السلوك لسنن الملوك
أو للإشعار بأن الأخذ والإعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء أولي الحل والعقد وإيثار من وجدنا
متاعنا عنده دون من سرق لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فإنهم لا يحملون وجدان
الصواع في الرحل على محمل غير السرقة إنا إذاً أي إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون
في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي أريد بالكلام في أثناء الحوار وله معنى باطن وهو أن الله عز وجل إنما أمرني
بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها الله تعالى في ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا
منه أي يئسوا من يوسف وإجابته لهم أشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وإنما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما
شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب أن يحترز عنه ويعاذ
منه بالله تعالى ومن تسميته ظلما بقوله إنا إذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا أي ذوي
نجوى على أن يكون بمعنى النجوى والتناجي أو فوجا نجيا على أن يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه
قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز أن يقال هم نجي كما يقال هم صديق لأنه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال
كبيرهم في السن وهو روبيل أو في العقل وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون ألم تعلموا كأنهم أجمعوا عند التناجي
على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به
وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لإذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل أي من قبل هذا ما فرطتم في
يوسف قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم وقد قلتم وإنا له لناصحون وإنا له لحافظون وما مزيدة أو مصدرية
ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا أي ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شأن يوسف
عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم أن والخبر في يوسف أو
من قبل على معنى ألم تعلموا أن تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف أو أن تفريطكم الكائن أو كائنا في شأن يوسف
عليه السلام وقع من قبل وفيه أن مقتضى المقام إنما هو الإخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في

في شأن يوسف عليه السلام كما هو مفاد الأول ولا بكون تفريطهم الكائن في شأنه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على
أن الظرف المقطوع عن الإضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع
على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة أو موصوفة ومحله النصب أو الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول
تعلموا أي ما قدمتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة وأما النصب عطفا على اسم أن أو الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله
فلن أبرح الأرض متفرع على ما ذكره وذكره إياهم من ميثاق أبيه وقوله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم أي فلن أفارق
أرض مصر جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي أبي في البراح بالانصراف إليه وكأن أيمانهم كانت معقودة على عدم
الرجوع بغير إذن يعقوب عليه السلام أو يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو بخلاص
أخي بسبب من الأسباب روي أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال روبيل أيها الملك لتردن إلينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقى
في مصر حامل إلا ألقت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون
خلا أنه متى مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمسه فمسه فقال روبيل من هذا إن في هذا البلد
بذرا من بذر يعقوب عليه السلام وهو خير الحاكمين إذ لا يحكم إلا بالحق والعدل ارجعوا أنتم إلى أبيكم
فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سُرِّق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا
وشاهدنا أن الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب أي لباطن الحال حافظين فما ندري أن حقيقة الأمر
كما شهدنا أم بخلافه وما كنا عالمين حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق أو أنا نبتلى بهذا الأمر أو أنك تصاب به كما أصبت
بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها أي مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي عندها أي أرسل إلى أهلها واسألهم
عن القصة والعير التي أقبلنا فيها أي أصحابها فإن القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من
جيران يعقوب وقيل من صنعاء وإنا لصادقون تأكيد في محل القسم قال أي يعقوب عليه السلام وهو استئناف
مبني على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لإخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا إليه فقالوا
له ما قالوا وإنما حذف للإيذان بأن مسارعتهم إلى قبوله ورجوعهم به إلى أبيهم أمر مسلم غني عن البيان وإنما المحتاج إليه جواب
أبيهم بل سولت أي زينت وسهلت وهو إضراب لا عن صريح كلامهم فإنهم صادقون في ذلك من قول أو فعل
كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل زينت لكم أنفسكم أمرا من الأمور فأتيتموه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقته
فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وأخيه والمتوقف بمصر
إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لا يفعل إلا لحكمة بالغة وتولى أي أعرض عنهم كراهة لما سمع منهم
وقال يا أسفى على يوسف الأسف أشد الحزن والحسرة أضافه إلى نفسه والألف بدل من الياء فناداه أي يا أسفي تعال
فهذا أوانك وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزأه كان قاعدة الأرزاء عنده وإن
تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولأنه كان واثقا بحياتهما طامعا في إيابهما وأما يوسف فلم يكن في شأنه
ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم يعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ألا يرى إلى يعقوب عليه السلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس
بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم
إلى الأرض أرضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها وابيضت عيناه
من الحزن الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته إلى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان

يدركه ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف عليهما السلام الى حين لقائه ثمانين عاما وما
على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه
سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال
اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند الشدائد ولقد بكى رسول الله
تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق
الثياب وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي
وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من
كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم
البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف
حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض و
هو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب و
غرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه
فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او
الى غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي وحزني الى الله ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه وقرئ بفتحتين
وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا
او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عليه السلام فسأله عنه وقيل هو حي وقيل علم من
رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ
بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية
لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها
العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه
بقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في
حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم
الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع
مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما
قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا
فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب لما لم ينظر الى

الى امر ابيهم او بالابقاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا واراد التصدق
فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وانما لم يبدؤوا بما امروا به استجلابا للرأفة
والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به و
ضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرضوا لما فعلوا باخيه فقط وانما
تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان
لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون
بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما سوقهم ووظيفتهم من
الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يتفق عليه السلام بطريق الوحي والالهام على وصية
ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب
عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما فانا
اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما
واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان
اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره
فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب
مثلها وقرئ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة
استغراب قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف
نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يقتضيه قوله تعالى قد من الله
علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما
ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب
عن طلبهم رد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من
يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على
مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع
المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشأن كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب
اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب لا عتب و

لا تثريب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة
القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله جل وعلا اليوم منصوب
بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي
منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة
ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
امره جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت
بصيرا اي يصر بصيرا او يأت الي بصيرا ويشهد له قوله واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا
من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل
من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب
عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا
حين اقبل به يهودا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال
شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا
اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير هو يهودا القاه اي القى البشير القميص على وجهه
اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم
يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله فلا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو
الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله تعالى
وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم من اليأس
من روح الله اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف عليه السلام روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا
كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك
اقتصروا على استدعاء الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم
من يوسف او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاما خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان
ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد على الدعاء وقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة

سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عليه
واغفر لاولادي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف
روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف من
الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت
بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل
ان يعقوب عليه السلام وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه
السلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف
آوى اليه ابويه اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله اباءك ابراهيم
واسمعيل واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى
التأويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكان عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما
اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشيئة متعلقة بالدخول على
الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له
اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد و
نحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور
وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها
عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة
وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان
الترتيب الذكري لا يجب كونه على ترتيب الوقوع فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله
وقد احسن بي المشهور استعمال في الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز وجل وبالوالدين احسانا وقيل
هو بتضمين لطف وهو احسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا
الى غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب اخوته لانه
الظاهر صفحه عنهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية
من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري
يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما
يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل
انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليه
السلام فطاف في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح
وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال
امرني جبريل قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله
الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه

بأن تم إلى جنب أبيه إسحق لمضي بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه
لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني من الملك أي بعضا منه عظيما وهو
ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث أي بعضا من ذلك كذلك إن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار
الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر وأما إن أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر
فلعل تقديم إيتاء الملك عليه في الذكر لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أدخل في كونه نعمة من
التعليم المذكور وإن كان ذلك نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم هناك وارد على نهج
العلة الغائية للتمكين فإنه حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه وأما الواقع ههنا فمجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف
الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والأرض مبدعهما وخالقهما نصبا على أنه صفة للمنادى
أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله أنت وليي مالك
أموري في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذ قد أتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما
وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فإنما يتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله
تعالى طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا في القتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه
فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا أحدا في التبرك به وولد له أفرائيم وميشا ولأفرائيم
نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت
أيديهم على دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف عليه
السلام وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته أو لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من أنباء الغيب الذي لا يحوم حوله أحد وقوله نوحيه إليك
خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه إليك
وما كنت لديهم يريد إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم وهو جعلهم إياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون
له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد
مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد إجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضا وإنما تخصيصه بالذكر لكونه
مطلع القصة وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك إذ عدم
سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر
حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضا إيذان بأن ما ذكر من النبأ
هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور
فهو بالوحي ومثله قوله وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى
موسى الأمر وما أكثر الناس يريد به العموم أو أهل مكة ولو حرصت أي على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات
القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روي أن اليهود وقريشا لما سألوا
عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة ولم يسلموا حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل
له ذلك وما تسألهم عليه أي على الإنباء أو على القرآن من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة

عظة من الله عز وجل للعالمين كافة لا أن ذلك مختص بهم وكأين من آية أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات
الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والأرض
أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما فيهما من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب
الفائتة للحصر يمرون عليها أي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ
بنصبها على معنى ويطئون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من
متفكرين فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين إليها ولا متفكرين
فيها وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأحبار
والرهبان أربابا أو بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا أو بالنور والظلمة وهي جملة حالية أي
لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم قيل نزلت الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب أفأمنوا أن
تأتيهم غاشية من عذاب الله أي عقوبة تغشاهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة إلى الله التوحيد والإيمان بالإخلاص
وفسرها بقوله أدعو إلى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى
الإشارة أنا تأكيد للمستكن في أدعو أو على بصيرة حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه و
سبحان الله وما أنا من المشركين مؤكد لما سبق من الدعوة إلى الله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا رد لقولهم
لو شاء الله لأنزل ملائكة نوحي إليهم كما أوحينا إليك وقرئ بالياء من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل
البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من
المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة الساعة أو الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي أفلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على أنه غير داخل
تحت قل حتى إذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السباق أي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء
فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو من إيمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان
من غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فإنه يوصف
بالصدق والكذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وظنوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر فإن صح ذلك عنه فلعله أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة
وحديث النفس وإنما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك
من آحاد الأمة فما ظنك بالأنبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله تعالى منزلتهم وقيل الضمير للمرسل
إليهم وقيل الأول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد أي ظن الرسل أن القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف
على بناء الفاعل على أن الضميرين للرسل أي ظن الرسل أنهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له
أثرا أو على أن الأول للقوم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد
وقرئ فنجى ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين إذا نزل بهم وفيه بيان للذين تعلق بهم المشيئة لقد كان في قصصهم
أي قصص الأنبياء وأممهم ويعضده قراءة من قرأ بكسر القاف أو قصص يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي العقول

المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق
الذى بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل
كل شئ يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بالواسطة وهدى من الضلال
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اى يصدقون لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون
بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية وقيل مدنية آيها اربعون وثلاث آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم
وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدا
مستقل وعلى الوجه الثانى مبتدا ثان او بدل من الاول اشير اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب
المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدا كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى ايات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل الغنى عن الوصف
به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ
حسبما مر فى مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من
وصف الايات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة
من الشهرة فى الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من تعميم جعل تلك اشارة
الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله فى سورة يونس والذى انزل اليك من ربك اى الكتاب
المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته
فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا
لما بين يديه ومهيمنا عليه وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض بوصف الربوبية
مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء
الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم
متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما فيه ولانه وارد على طريقة الوصف
دون الاخبار الله الذى رفع السموات اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض
لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدا وخبر كقوله وهو الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع عماد
جمع كاهاب واهب وهو ما يعمد به يسند يقال عمدت الحائط اى ادعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول
وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف استشهد به على ما ذكر
من رفع السموات بغير عمد وفيه صفة لعمد جئ بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله تعالى ثم استوى
اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة وسخر
الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى حسبما اريد منهما

لاجل مسمى لمدة معينة كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما كل يوم يجرى على مقدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهى
فيها حركاتهما ويتخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر ما صنع من
الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته
يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اى يأتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من
الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للاثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما
حالان من ضمير استوى وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء ولما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية
من الضمير فيها او كلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله
خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جئ به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الفرزدق ان الذى سمك
السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء
توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنايع البديعة على كل شئ قدير وان لهذه
التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين
ثم جزاؤهم حسبما اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية
فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على
بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسى اى جبالا ثوابت فى احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة
ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك واختصار مجئ فواعل جمعا لفاعل فى فوارس وهوالك ونواكس
انما هو فى صفات العقلاء واما فى غيرهم فلا يرى ذلك اصلا كما فى قوله تعالى اياما معدودات وقوله تعالى الحج اشهر
معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعنى اجبلا ويعتبر فى جمع الكثرة اعنى جبالا لا نظرا
لطائف من جمع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتى الجمعين انما
هى باعتبار الافراد التى تحتهما لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان
جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة فى عداد الاسماء التى تجمع على
فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع
قرار الارض وانهارا مجارى واسعة والمراد ما يجرى فيها من المياه وفى نظمها مع الجبال فى سلك مفعول فعل واحد
اشارة الى ان الجبال منشأ الانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل
بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهى تعيشه بالماء والكلأ ومن كل الثمرات متعلق
بجعل فى قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اى اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكد به
الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اى
جعل من كل فرد ونوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا ضربين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود
او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان
يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشى الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية
مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب
وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثانى على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان

الانسب بالليل ان يكون هو الفاعل حقيقة وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار
ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات
من حيث العقد والانضاج على انهما زوجان متقابلان مثلهما وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر
من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه
على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها
فتقر على معناها فان تلك الآثار المستكنة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها
بتلك الافاعيل ففي تجريدية لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا
النمط الرائق والاسلوب اللائق لابد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو
الحميد المجيد وفي الارض قطع جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف
فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف
قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا متجاورات وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع
من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها
ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى صنوان
وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها رأسان واصلها واحد وقرئ بضم
الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي
الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق
الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع و
نخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة
للفظ الاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار
او بماء الانهار ونفضل مع تأخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها في الاكل
فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول
وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل
ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على
قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة
في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة
ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها
امثالها مبالغة في كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او اشير اليه الاحوال الكلية والآيات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والاماكن المشاهدة لاهلها ففي على معناها
وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل
بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل
وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب

لا عجب منه حقيق بان يقضى عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عد من ذلك من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء
قدير ائذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية
من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم
بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قولهم ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث
بتوجيهه الى حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لفي خلق لتأكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين
في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم
في الكفر ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب
وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتأمل وقد يجوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب
يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث
وهو اهون شيء عليه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل
من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى
وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا اعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه
اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث بعدما عاينوا ما فصل من الآيات
الباهرة الملجئة لهم الى الايمان به لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته
تعالى كفر به واي كفر واولئك مبتدأ خبره قوله تعالى الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال
لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع المدلول
عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذرتهم اياها وذلك حين
سألوا رسول الله تعالى عليه السلام ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية و
الاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون
بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك
بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم
من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة
ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء
تخفيف المثلات كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة
وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب
على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل العقوبة وان كانوا ظالمين
بل يمهلهم بتأخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس
للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم
بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا

انزل عليه آية من ربه من ايات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففي ادنى آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص به له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله تعالى وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك واذ دراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي يجيء معين من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد واي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله تعالى وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد له علم لها بالنسبة الى الله تعالى عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما للمبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعدما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الاناث في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه تعالى بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كأنه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر او الى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به او الى الفعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكأنه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبة الكل سواء كما عرفته آنفا له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة

مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له ويحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله تعالى بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه تبع هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر ووجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق والمطموع فيه الرزق المترتب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هو الرؤية التي يتضمنها الارادة على طريقة قول النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا ينال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اي يسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي يسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون بقوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم

اى الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شانهم يجادلون في الله اى في شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون
من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله هو الذى يريكم البرق
الخ او على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله الله يعلم
ما تحمل الخ استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث فالحق لعطف ما بعده على ما قبله
وقيل للحال اى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل
مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر
من الاصحاب فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى لاربد انه اذا رايتني اكلم محمدا عليه السلام
فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم
يقدر على سله وجعل عامر يومى اليه فراى النبي عليه السلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد
صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير
لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لى محمد وصاحبه
يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحيه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة
عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه
حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روى عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي عليه السلام نفرا من اصحابه
يدعونه الى الله تعالى فقال لهم اخبروني عما تدعوني اليه ما هو ومم هو امن ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس
ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي عليه السلام فقالوا ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه
السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه فبيناهم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة
فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب
فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا اوحى الى النبي عليه السلام وهو شديد المحال اى والحال انه شديد
المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة وقيل
هو محال بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من
حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه
احد له دعوة الحق اى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق
واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اى الدعوة
اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية
لمزيد تهجين الاستجابة والاول هو الادل لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث
ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله تعالى عليه السلام عليهما ان كانت الاية نزلت
في شانهما او من حيث انه وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله عليه السلام بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم
والذين يدعون اى الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله تعالى لا يستجيبون
لهم بشئ من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اى الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة
مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اى لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط

بناء على استعمال المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجوزا وقد ما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشئ فلا
يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كقوله وعضة دهر يا ابن مروان
لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اى لم تدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ فاه اى الماء بنفسه من غير ان
يؤخذ بشئ من اناء ونحوه فاه وما هو اى الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه
اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم
على شئ اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدرى ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغى وصوله
الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شئ نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة
رأسا الا انه فاخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه
الصورة التي ليست فيها ثبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء
وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اى ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع
وينقاد لا لشئ غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من
الملائكة والثقلين طوعا وكرها اى طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله تعالى
وانقيادهم لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل خيره حكم
تعالى في تلك الشئون مما لا يخفى على احد وظلالهم اى ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعنى الانس حيث
يتصرف على مشيئته وتتاتى لارادته في الامتداد والتقلص والفئ والزوال بالغدو والاصال ظرف للسجود
المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك
فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر
المغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اى الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة
السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله تعالى كما
خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانبارى ويجوز ان يراد بسجودها ما
يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة
بالله تعالى لا يجدى فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه
حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر
مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه يبين بذلك بقوله تعالى قل من رب
السموات والارض فانه بتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله تعالى وقوله تعالى
قل الله امر بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر
بتلقينهم ذلك لتحكيكتهم في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره قل
الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله
اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم ان ربهما هو الله تعالى الذى ينقاد لامره من فيهما

كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم
فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما
في قوله تعالى افلا يعقلون اذ اقتدار المعطوف عليه الاستفهام بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه نقيضه والمعنى ابعد علمتم ان ربها هو الله تعالى اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك
انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني ووصف الاولياء ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الانكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ
هناك بالجملة الحالية اعني قوله وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لآرائهم
الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى اي الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو
الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن الاله الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي
الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل
النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله في الضلال المحض والخطاء البحت بحيث لا يخفى
بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي لشيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة فضلا ان تكون منشأ
لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه
والهمزة لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق
به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا
هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء
هم بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه
الله خالق كل شيء كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية
المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل الشرك والمشرك بالاعمى والظلمات
والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية
عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونها
ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية
يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما
يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا تتمتع به في المعاش والمعاد
بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة
ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مدخلية له فيهما واضمحلاله سريعا بما من الزبد
الرابي فوقها المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء
المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو
جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان
فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة
جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناه الحقيقي فالاسناد

مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المعتادة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل
بها كما اشير اليه بقوله تعالى بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته
في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها
منطبقة عليها بل بحيث قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد
فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا
ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها كما
ان الاودية على كونها عرضة آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من
المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف
ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير طاف كالاحجار
الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى
شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في
بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار
والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب
اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من
الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر
من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدئا
ناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك
بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في
قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه
وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من
السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سبق بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت
رائقة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل
والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه
المماثلة على ابدع وجه واتقنه حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع
التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت
والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى
واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت
بعضه في مناقعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والآبار واما الفلز فيصاغ من
بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات
مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسه ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها
وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق لترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب

والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الشئ بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اى مثل ذلك
الضرب العجيب يضرب الامثال فى كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية فى الارشاد والهداية وفيه
تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول
او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شان كل واحد من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان
شرع فى بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم
الى الحق بفنون الدعوة التى من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى
وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعانى
فى هيئة المأنوس فاى دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين
لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلى لو ان لهم ما فى الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه
شاذ فى اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اى بما فى الارض ومثله معه
جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هو خبره
الواقعية لكن لا على انها وصفت موضع السوءى فوقعت فى مقابلة الحسنى الواقعة فى القرينة الاولى لمراعاة
حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال
سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور
حصول المرام وانما الواقع فى تلك المقابلة سوء الحساب فى قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث
كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ فى هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ فى الجملة السابقة وكان
خبرها اعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول فى الحقيقة مبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا
ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك فى قوة ان يقال وللذين
لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مؤدى ذلك
فقيل ومأويهم اى مرجعهم جهنم وفيه نوع تأييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اى المستقر والمخصوص بالذم
محذوف وقيل اللام فى قوله تعالى للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اى الامثال
السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف
على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب
والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اى هما مثلا الفريقين وانت خبير
بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض
دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل فى هذا المعنى ايضا كما فى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين امنوا
امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين
بل مثلا للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل فى حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال
للناس اذ لا وجه لتوزيعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فانى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص فى المنفعة والجدوى الحق الذى لا حق وراءه
او الحق الذى اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى اعمى القلب لا يشاهده وهو مار على علم ولا يقدر

قدره وهو فى اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا فى ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال
اى كمن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى
ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين
حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكرات
فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائى اولوا الالباب اى العقول الخالصة المبرأة من شائبة الالف
ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالى حين
قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان
بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد لاستمرار المفهوم
من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع
الانبياء اجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما
يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون
سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين
صبروا على ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا
الى جانب الخلق رياء او سمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر
فى كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضى اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه
فان ذلك مما لا بد منه واما فى انفس الصلات كما فى احدى الاولى والرابعة والخامسة وفى اظهار احكامها
كما فى الصلات الثلث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر فى انفسها حيث لا مشقة على النفس فى الاعتراف
بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجرى على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا
الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اى بعضه الذى يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او
لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من تمنعه المروة من اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن
كما ذكر او الاول فى التطوع والثانى فى الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة اى يجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد
عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن
كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية
بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعنى قوله
عز وجل لهم عقبى الدار اى عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل امر اهلها وهى الجنة وقيل الجار والمجرور
خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما فى حيز الصلة ليس من
العزائم التى يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان
ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولى الالباب على طريقة المدح من غير
ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل فى التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح

من آبائهم جمع ابوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على
المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان
لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد
بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل
او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف
اى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اى بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في
الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل
منها ومزية زيادة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى
وتقدس فنعم عقبى الدار اى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى
النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين و
الذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد
ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء
المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعى
حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على
ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به
فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة عمن لا يحوم حول اصل
الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل
واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه تعالى بنقض العهد و
مخالفة الامر ويباشر الفساد بدلا حسبما يقتضيه قوله تعالى ويفسدون في الارض اى بالظلم وتهييج الفتن
كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له مدخلا في العقوبة لا فضائه الى العقوبة التي
ينبئ عنها قوله تعالى اولئك الخ اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اى الابعاد
من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اى سوء عاقبة الدنيا وعذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب
الحكم على الموصوف مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة
بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس
مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندرجة فلا خير في
ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال باللوازم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين
وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختصاصهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله
يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اى يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من
غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا يشعرون بحكمة فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن

تعلية

زيادة لاجره على ما يعتبر بسط الكافر كالا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اى اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل
الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا اى وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب
نعيم الآخرة الا متاع الا شيء يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم
الآخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اى
اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل
عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كأنما
انزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا يقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة
التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله
مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع
فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا
سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اى الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة
مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اى اقبل الى
الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايراده
في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما
دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار
صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى
للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية
المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار
امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اى الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية
نفسها او خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اى تستقر قلوبهم وتسكن
بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان
وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي
تميل اليها النفوس من الدنياوات وهذا ظاهر واما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة
الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيامة يشاهدها كل
احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا
بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته تعالى كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله
الدالة على وحدانيته او بذكره تعالى انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز اليه اى قلوب الذين آمنوا وفيه
ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل او غير قوله تعالى طوبى لهم

او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى الواو
منقلبة عن الياء كموقن وموسر وقرئ مكوزة الاعرابي طيبى لتسلم الياء والمؤاخاة بالخير او محلها النصب
كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله
تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك اى مثل ذلك الارسال العظيم
الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اى مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل
اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم
المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب
النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اى والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ
الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال
ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به
عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اى الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته
ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل و
قيل هو نعت اى خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله تعالى لا اله الا هو اى لا مستحق للعبادة
سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي عليه السلام يقول يا الله
يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب
اى توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى
وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها
وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي
مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني
على مصابرتكم فاني. ولو ان قرآنا اى قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب
لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن
وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى و
عيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول
لو ان قرآنا سيرت به الجبال اى بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى
عليه السلام او قطعت به الارض اى شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام
بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اى بعد ان احييت بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام
لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار
ولا في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فهم العقول

اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير
لزيادة التقرير لان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند
وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في المواضع لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كانت متعلقة بمجرد ظهور
مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله
في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق
وابانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها
هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأن العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر
جميعا اى له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو
اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه
ومؤداه اى لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن
لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله تعالى بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون
الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اى افلم
يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال اليأس في العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير
والفاء للعطف على مقدر اى اغفلوا عن كون الامر لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير
الشأن وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين
جميعا او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب وقوع المعطوف
على المعطوف عليه اى تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فانما الانكار الوقوعي كما في قوله تعالى
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا الانكار الواقعي كما في قوله الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس
عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى
لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا
على الايمان وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اى فليس
لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير
ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اى الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من
ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه
الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اى الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار
الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله
ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اى افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس
وانه لم يشأ تعالى ذلك او بآمنوا اى افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى بائس
من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم عن مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف

المذكور من دواعي الانكار بأسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان كنت نبيا كما تزعم
فسير لنا جبال مكة حتى يتسع لنا وتتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود حيث كانت تسبح معه فلست باهون على الله
منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا
قطع الطريق الشاقة البعيدة او ابعث لنا رجلين او ثلثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها
بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن
الفراء انه متعلق بما قبله من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب و
التقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه
من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول
من علية الصلة لزيادة ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو
ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر
مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم
اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها
شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان
ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى
ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من
احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول عليه السلام مرادا به حلوله
الحديبية والمراد بوعد الله تعالى ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك
فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى و
هذا تسلية لرسول الله عليه السلام عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به
ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامهلت
للذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين
الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي
اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن
على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بحسبه وهو الله تعالى
والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل
تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية الناس
جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان يأتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه

كن

كمن ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه
المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلم فلا تعمل به
وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه صفاته كمن ليس كذلك
وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لم يوحدوه
وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق
العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام وايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت
لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون
الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله تعالى بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم
الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم
بشركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم
وهاتيك الاساليب التي ورد عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق
القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا
عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده
صدا او قرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتح اي صدوا الناس او من صد صدودا ومن
يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في
الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب
الاخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ
يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي
في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا
عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد
الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل
الجنة جنة تجري الخ اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة
المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه
ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التورية والانجيل ومن الاحزاب اي
من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله عليه الصلوة والسلام بالعداوة نحو كعب بن الاشرف
والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما
يوافق ما حرفوه والا نعي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه
وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون بكونه مصداقا لكتبهم في الجملة
فيكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل انما امرت ورد لانكارهم

انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اى شيئا من الاشياء او لا افعل الشرك به والمراد قصر الامر بالعبادة
على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اى قل لهم انما امرت فيما انزل الى بعبادة الله تعالى وتوحيده
وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء عليهم السلام والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح
عليهما السلام وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اى وانا لا اشرك به اليه الى الله تعالى خاصة
على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم
يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه الى الله تعالى وحده مآب مرجعي
للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما
وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة
في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اى ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب
على المصدرية اى مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة
حسبما يقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض
لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وحتمية المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب
والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى اذ بذلك تسهل
فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل
انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع
عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة
لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفاحص
من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد
الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا او حتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا
من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر
على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس
الله تعالى من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هذه القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على
الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل
الطعام الخ وما كان لرسول منهم اى ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس
منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور
العظام والالتفات لما قدمناه وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اى لكل مدة ووقت من المدد و
الاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد
ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف
احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اى ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة بحسب الوقت

ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او
يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب
ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو
الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما والقائلون
به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام والانسب تعميم
كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اى
اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو وإما نرينك اصله ان
نرينك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اى وعدناهم من
انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة
من انذار غب انذار وفي ابهام البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ
اى تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب
محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي
او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
ولا يحزنك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال اولم يروا
استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أانكروا نزول ما وعدناهم او اشكوا او الم
ينظروا في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اى ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا
ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله
وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال
وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم
الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية
جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله و
قيل نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اى حاسرا والمعقب من
يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بإثر ما عذبهم
عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سريع الانتقام وقد مكر
الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول
الله عليه السلام بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد
من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اى جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه
الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل

ولا تأثير حيث لا بينة قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية
لكل نفس جزاء ما تكسبه فظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث
يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون أو لله المكر الذي باشروه
جميعا لا لهم على معنى أن ذلك ليس مكرا منهم بالأنبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث
لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى
الدار أي العاقبة الحميدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين للتأكيد ووقوع ذلك وعلمهم به
وقرئ سيعلم الكافر على إرادة جنس الكافر والكافرون والكفر أي أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول
من الإعلام أي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار
صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
فإنه قد أظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده
علم الكتاب أي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون
بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق أو من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه أي كفى شاهدا بيننا
بالذي يستحق العبادة فإنه قد شحن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدني بأنواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح
من الأشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف
المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى
وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل

سورة ابراهيم مكية وآيها خمسون آية

الر الكلام فيه وفي محله كما مر وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ أو لمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبرا
لمبتدأ محذوف أو مسرودا على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى أنزلناه
إليك صفة وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بأنزلناه أي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة
المفصحة عن كونه من عند الله تعالى الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس أي ليخرج به الناس من
الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة إلى النور إلى الحق الذي
هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فإنك لا تهدي من أحببت بل بإذن ربهم بتيسيره وتوفيقه وللأنبياء عن كونه
دخل منوطا بإقبالهم إلى الحق كما يفصح عنه قوله ويهدي إليه من أناب استعير له الإذن الذي هو عبارة عن
تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ
الشيء إلى كماله المتوجه إليه وبشمول الإذن بهذا المعنى للكل وإنما وعليه يدور كون الإنزال لإخراجهم جميعا
وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة
بتخرج أو بمضمر وقع حالا من مفعوله أي ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه إضافة الرب إليهم
لا إليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وإيضاحه لغيره موصلا إلى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط

أخرى فقيل إلى صراط العزيز الحميد على وجه الإبدال بتكرير العامل كما في قوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وإيثار
البدل والبيان بالاستعارة إنما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وإضافة الصراط
إليه تعالى لأنه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة
الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ
بالرفع على تقدير هو الله العزيز الحميد الذي أضيف إليه الصراط الذي له ما في السماوات وما في
الأرض أي ما وجد فيهما داخلا فيهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي وفيه على القراءتين بيان لكمال
فخامة شأن الصراط وإظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء وجعل الموصول خبرا مبناه الغفول
عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل
وهو نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب
شديد متعلق بالويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون
الحياة الدنيا أي يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها
وأفضل عندها من غيره على الآخرة أي الحياة الآخرة الأبدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين
شأنها والاقتصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا
وقرئ يصدون من أصد المنقول من صد صدودا إذا تنكب وهو غير فصيح كأوقفه في وقفه لأن في صده مندوحة عن
تكلف النقل ويبغونها أي يبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير أي يطلبون لها عوجا أي زيغا و
اعوجاجا وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة
ومحل الموصول بصلاته الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أوصافهم بإزاء ما يناسبه
من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بإزاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة
العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى
أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء أو الخبر قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد وعلى الأول جملة مستأنفة وقعت
معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة
من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بمنزهة
في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الأمد القاصية والبعد وإن كان من أحوال الضال إلا أنه قد وصف
به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد فإن الضال قد
يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة
وما أرسلنا أي في الأمم الخالية من قبلك كما ستذكر إجمالا من رسول إلا بلسان قومه متكلما بلغة
من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش و
بلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما أمروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة
إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم تكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين
لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد ألسنة الأمم أدعى إلى التنازع

واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين
واتفاق الجمع فيه امر قريب من الالجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة
وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد
لكل امة معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك
بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم
بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين
وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تعالى انزل
الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من
نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب
وفي رجعه الى قوم كل نبي كما قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام ليبين الرسول
لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال
لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق
ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين
الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيمهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في
قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله
لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول
الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان و
العدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من
الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء
ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته
تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج
من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا
من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق
الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع
في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية بآياتنا اي ملتبسا بها
وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان
اخرج كما في قوله وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد
بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا
يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام
الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى
من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية

على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان
بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي
عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب
وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام
بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك
اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانيته
وقدرته وعلمه وحكمته تعالى فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء
والبلاء ومبنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومبنى الظرفية
ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع
او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل
مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان للمؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
والايمان ويصير امره اليهما لا من اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير
المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة
الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن
غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على
متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه
عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام
وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر
لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل
وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا
انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه
عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل
اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما و
اصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء
او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول
ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد
وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا
في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار
ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك
الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم

لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض
لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له
واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم و
اذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف
المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في
هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله عليكم لما ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنا بتذكير
ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر
والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها لانها مشاهد معاين لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه
بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم
منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنكم باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون
المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد
جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ
تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمته تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في
الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجد
من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان
بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان
تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قال عندما عاين
منهم دلائل العناد ومخائل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب
او قاله عقب تذكيرهم ما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب
بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمنين
والكافرين فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء الكلام من الله تعالى خطابا للكفرة في
عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتحقق تذكير موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء و
الايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي
عليه الصلوة والسلام بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل
من الموصول او عطف بيان وعاد عطف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين
عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الخ خبره والجملة
اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون
ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة

والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في
افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها
والمحافظة عليها واحتمالا لهم على التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر
بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم او وضعوها غيظا وضجرا مما جاءت الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء
في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي
عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم
ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك
كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس
المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او
ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت لهم رسلهم استئناف مبني على سؤال
ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء
افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه
الشك اصلا منقادين نحو تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في
تنزيه ساحته السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته
ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب
وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا
للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار
بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من
المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع
بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف و
الصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان
بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او
يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه
تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة
بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن
المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم
بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا
استئناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة

تريدون صفة ثانية للبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستأنف اى تريدون بما تقصدون من
الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته
من غير شيء يوجبه وان فأتونا اى ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد
ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من
العظام مكابرة وعنادا وارادة لما وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم
مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في
الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة
على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان
من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس اي ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول
تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات على من يشاء المن بها وما يشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها
وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام
لنا ان نأتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وبسبب من الاسباب
الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا
فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا يرى الى قوله تعالى
وما لنا اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل
عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه
حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث
كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين
لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله
خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من
ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به وحيثما يراد
وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لرسلهم لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين العاتين في
الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك
لم يقل قالوا لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق
بعد ما رأوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترؤوا على مثل تلك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان
وحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل
وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فأوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر
الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء
الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا
كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد هلاكهم

وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك
الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي
يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف
وعيد وعيدي بالعذاب اي عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا
اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة
وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان
ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم
ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متعسف بشدة التعسف به المنفرد له
اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى
مطلق الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا
ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم
الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب
وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد لها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف
على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه
المعهودة صديد وهو قيح او دم مختلط بقيح يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد
اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها
يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه
ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة
غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب
في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة
لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه
من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره و
ابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من
جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل
كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا
وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل
مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم
بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره قوله اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استئناف مبني على

سؤال من قال ما لُ اعمالهم التى عملوها فى وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها
مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور لريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله
تعالى والايمان به والتوحيد بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استيناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام
او مبتدأ خبره محذوف كما هو رأى سيبويه اى فيما يتلى عليكم مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال
من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من
مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اى يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شئ ما اى لا
يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر
لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى
وفيه تهكم بهم ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شئ هو الضلال البعيد
عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته
وقيل لكل احد من الكفرة لقوله يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله ان الله خلق السموات والارض ساد
مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذى يحق ان تخلق عليه وقرئ
خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اى يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا
لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع
ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر
ولذلك قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر
لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه
ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه كما فى
قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضى ولا استقبال بالنسبة اليه تعالى والمراد ببروزهم
من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى
على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد به
ضعف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين
استتبعوهم واستغووهم انا كنا فى الدنيا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع
كغيب فى جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اى ذوى تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا
والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله
من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى
هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون
الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول
قوله فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا

بهم لو هدانا الله اى للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا اولو
هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين
مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام لمجرد
التسوية كما فى قوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسند ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين
ايضا مبالغة فى النهى عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام
الفريقين على منوال قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان
لا جدوى فى ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان
كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهى جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل من الاعراب او حال
مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عتباه بما قال الاتباع للمستكبرين لما
قضى الامر اى احكم وفرغ عنه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى محفل الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اى
وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم
اى موعدى على حذف المفعول الثانى اى نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك
وما كان لى عليكم من سلطان اى تسلط او حجة تدل على صدقى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليه وتسويله و
هو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه فى معرض على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة فى نفى السلطان عن نفسه
كانه قال انما يكون لى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى
فلا تلومونى بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما ينبئ عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما
فى قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل
بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة
اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفى فى ذلك ان يكون
لقدرته الكاسبة التى يدور عليها فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة
والشقاوة وما قيل من انه يستدعى ان يقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبنى على عدم
الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اى بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخى مما
انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن فى حيز الاحتمال مبالغة فى بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا
به ويحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم
وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به فى استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء انى كفرت
اليوم بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية اى باشراككم اياى بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم
يعنى ان اشراككم لى بالله تعالى هو الذى يطمعكم فى نصرتى لكم بان كان لكم على حق حيث جعلتمونى معبودا وكنت اود ذلك
وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة او كفرت
من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم

اصراخه فان الكافر بالله تعالى بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل قد اخر عن ثانيها اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا والنسب بقرينة اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد فروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثال ايتاء الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول ابن عمار الحملي يقول رايت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما المثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة مذ بعثا ويضل الله الظالمين اي يخلق الله فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب

ارادتهم

ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروب به مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأي التثبيت والاضلال فان مبدأ احدهما وركن منهما عنه سبحانه وتعالى عن صفاته العلى غير ما هو مبدأ احدهما الاخر الم تر تعجيب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما تبيانا ولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا او عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال وليس تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره للايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب ولو سيق في النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم مرايا انا انهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احقاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم والا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في

التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم التي هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال لها حسبما يلوح به قوله عز وجل واحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصوير الحالهم وتعبير عما يجيئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كدأب مأمور ساع في الطاعة آمره مطاع فليس فيه فان مصيركم الى النار تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينبئ عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول محذوف دل عليه الكلام الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوز ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر فيهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفدي به نفسه والمراد نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع لخليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بما ينتفع به من البيع والخلال ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله تعالى والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك الانفاق انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة بحيث لا يكون ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيهما من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة

شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الموصول من الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ التنزيل او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات المتنوعة لجمعها الى صيغ الجمع تقاوما او موضع بعض واما لانه اريد بجمع جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكنه جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي يناط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنبيه على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يترأى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يوحي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحد منها في جملة مستقلة تنويها بشانه وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصرف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي

مصدر ام

لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او
للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة
وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به
انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان
من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وآتاه كل الناس وعليه قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب
وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما بقي على ما القي وقرئ بتنوين كل
على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله
التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب
اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فمعنى ايتان لعدم بلوغ مرتبة معتد بها من
مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر و
الافلاس ممنوا باصناف العناء مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته الفيته متقلبا في نعم لا تحد ومنن
لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر
انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب
العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير نكير احد ولا شريك
يساهم بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد فقد من فقد
مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال
لقمة تنجيه عن رداه او شربة تنجيه من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه
ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن
تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام يناله متى شاء من الليالي والايام
او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل معه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان وآتاه الموت من
كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا
بجملتها ومطالبها برمتها مع انه يتم له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من
الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف
على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه
من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما
استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن
يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من انواع
الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق
التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ
الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسند عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود

بعد تحققه بعلته ما لم يسند عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت
خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء
واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود وان ارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها
على العدم مع امكان وجودها في نفسها نعمة في كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال
في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فانتقح انه يفيض
عليه في كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا يطالعك
العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك
قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها
للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان
للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا
الخ دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه
من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد بتأكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من
جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم مكة شرفها
الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا
ويرزقهم من الثمرات وتهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى
اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى آمنا اي ذا امن او آمنا اهله
بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان
المسؤول هناك البلدية والامن معا وهاهنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة
للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله سأل عليه السلام اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما
وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال
او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه ثانيا الامن المعهود او
كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لبيان استدامته والاقتصار عليه لانه المقصود
الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية
كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر هاهنا على حكاية سؤال الامن
لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل
لان سؤال البلدية قد حكي بقوله عز وجل فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم
للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه
السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد

فتوجها الى الشام فتبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت
آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي
فقال ربنا اني اسكنت الآية وانما فصل بينهما تغنية للاهتمام وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة
لشكر كثير كما في قصة البقرة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب
بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من
الافعال وهما لغتا اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنّبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الاصنام وانما كان لكل قوم
حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على
التفصيل كما ذكره كرا على ما فرضه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى
وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني
منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه
به واتصاله بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام
مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر
على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد
قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا آثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما سبق من تقدم ذكره وذكر بنيه والارغاب
في قوله رب انهن الخ لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت
الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسئول من ذريتي
اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان
على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها لابرهيم عليه السلام
فلما ولدت له اسمعيل غارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى
عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله تعالى عند بيتك ظرف
لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان
مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل
معظما ممتنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه الطوفان فانه لم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته
اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال
ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما
هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها
في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متعلق بالمقدر حيث متعرك به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها

بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرار النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض
الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء
مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من
افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وانما زيد عليه من حجتهم
ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت
للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او لابتداء الغاية كقولك القلب منه سقيم
اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كادر في ادور او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة
من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النقل من افئدة تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ
بالبناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع ومن اول آثار
هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف
على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى
ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم
هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله تعالى وارزق اهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل
فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد روي عن ابن عباس ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه السلام بهذه الدعوة
رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري ان الله تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف
لدعوة ابرهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام
في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى
فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال
الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول
وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك
الاسكان مع كمال اعوازه لمرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال
ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد
بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر
بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على
ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء
يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه السلام ان
اظهار هذه الحاجة وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع
لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة
والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله

على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود
كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول
ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بما يكون مرئيا بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في
متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من اي شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما
او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ
الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن
للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا
لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة
سنة ادعاءه وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو
من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة
الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف
النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان
كان عقيب ذكر جميلته لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة معتبرا
عليها مؤديا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين
ومن يسير سيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما
في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان الكائنة مع عموم تحققه بالملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص
بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين
على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين و
غير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر
له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله الا قول ابراهيم الاية وقد حرر في سورة التوبة
ما يتعلق بتحقيق المقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك
الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل
استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تعديله وقيل اسند اليه قيام اهله
مجازا او حذف المضاف كما في واسئل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر
عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره
في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى في مصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن
من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام

علومنا

بل ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى عز وجل

عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه
تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم
الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديدا وكل احد
ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن
عددت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة
التاخير المنبئ عنه قوله قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم
متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على
ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره
للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم
مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لانهم
باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا
اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما افاده ذلك ليوم هائل
تشخص فيه الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة
لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما
بجعل الصيغة من تشخص من بلد الى بلد وسارحي ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل
والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر من غير التفات
المنبئ قال العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل
عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم
لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا ترجع اليهم اجفانهم التي هي
آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الغيره وذابادئ العين الطرف لا يجمع لانه مصدر
في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال
او بدل من مقنعي الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمته من الانقطاع
والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية عن العقل والفهم لفرط
الحيرة والدهشة كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه
واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا
فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم
لماذا واوله بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول
من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب
عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث

كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف
بما لا يوصف من الاهوال الهائلة اعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم
للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان
الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون
المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين
وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا
وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك
لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به اي
نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول
عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة
باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوف على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا
في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ
الدنياوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشارة
الى امتداد زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو
في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات
يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله
تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا
قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع
رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك ونعوذ بكنفك ونلوذ بعز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاوطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن
الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن حقيق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون
واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم
بما لقوا بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة
الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب بالمنذرين
واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما بعده باعتبار حال اواخرهم

وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف
منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي
فعلنا العجيب وفيه من المبالغة ما ليس في ان يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم
الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام
على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم
لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم الى مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب
الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث
في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا
العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول
في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه في قوله وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله
اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله
المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم والمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او
قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم
وحقارتها عند قدرة الله سبحانه وتعالى وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف
الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه
في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا
انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود
بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى لازالة الجبال عن مقارها
لكونه مثلا في ذلك والجملة المقدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي
يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة
واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في
ان الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله وعند الله مكرهم وقيل ان نافية
واللام لتأكيدها كما في قوله وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وما كان مكرهم
فالجملة ح حال من الضمير في مكروا لا من قوله وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه
الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام
التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ والثبات وما كونه عبارة عن امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامر القرآن
العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الذين سكنوا في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب
بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات
والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة
الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع مانعا من مباشرة

المكر لازالة وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والنون لتعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله وعند الله مكرهم اي
مثبت فيه جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على
لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير
في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية و
غيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله وقد مكروا الخ حالا من القول
المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما يأتيه من السكون في مساكن المهلكين وتبيين
احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي وتجاوزوا الى اجترؤا على مثل
هذه العظيمة وقوله وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزائين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر حسبما ذكر وعلى تقدير كون ان
نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما
كان لتزول منه ما هي كالجبال الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام
مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون
منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله وعند الله
مكرهم كما ذكر من قبل فتأمل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله اعلم ما وعده بقوله انا لننصر
رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخروي بل ما سلف
آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به
تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المؤذن بالامر
بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم
بذلك كما فصلت صفة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك
بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال من
سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم
اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه و
الجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال
ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك وايراد الانتقام ما اشير اليه بالنص وعبر عنه
بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستأنف ينبه عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم الخ او معطوف
عليه نحو اذكر او ترقب يوم تبدل الارض غير الارض او للانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر
كل مرة بعنوان مخصوص وفي التقييد به منع عموم انتقامه للاوقات كلها لا يصاح عن المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر
الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باضمار اذكر او باضمار لا
يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الثاني من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وقيل هو غير مانع لان قوله ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها
فاصلة والمعنى ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد

يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على
بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات
من ذهب وعن ابن مسعود وتبدل الارض ارضا كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن
ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت
تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى
ابو هريرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى
فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما عرفت من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها
منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بقرينة السياق
والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر
او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو
معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها و
بين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة
واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير
كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يضاد ولا يعارض كان في
غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار
الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف
على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم
اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او
مع توابع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية
والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكله بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله
مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها
النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستأنفة
لا محل لها والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة
وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون
الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده
منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العظيم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر
النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فتجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون القطران المذكور
عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون
العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك

بمثله ولطفه وقرئ من قطرٍ آنٍ أي نحاسٍ مذابٍ متناهٍ حره {وتغشى وجوههم النار} أي تعلوها وتحيط بها النار
التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة
وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب الآية ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا
عنه ولم يستعملوها في تدبره كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات و
لذلك قيل تطلع على الأفئدة أو لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا
عند انكشاف اللهب أحيانا وتتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الأشهاد وقرئ تغشى أي تتغشى بحذف إحدى
التاءين والجملة نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله
أبو البقاء {ليجزي الله} متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزي {كل نفس} مجرمة {ما كسبت} من أنواع الكفر
والمعاصي جزاءً موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم موافق لأعمالهم أو بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا
على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به والظاهر برزوا للحساب ليجزي
الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال
لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة {إن الله سريع الحساب} إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في
أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن
عباس ثم قوله تعالى وهو سريع الحساب {هذا} أي ما ذكر من قوله عز وجل ولا تحسبن الله إلى قوله سريع
الحساب {بلاغ} كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من
فنون العظات والقوارع {للناس} للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم في قوله وأنذر الناس
أو لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وإن كان ما شرح مختصا بالظالمين {ولينذروا به} عطف
على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم لأن ينصحوا ولينذروا به أو حذف الخ بلاغ لهم ليفهموه و
لينذروا به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما في قوله ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا
به أنزل أو تلي وقرئ لينذروا من نذر بالشيء إذا علمه وحذره واستعد له {وليعلموا} بالتأمل فيما فيه
من الدلائل الواضحة التي هي إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق {أنما هو إله
واحد} لا شريك له وتقديم الإنذار لأنه الداعي إلى التأمل المؤدي إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر
في قوله تعالى {وليذكر أولوا الألباب} أي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون
الله تعالى عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا
بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح باختصاص العلم بالكفار
ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما
سيق للمؤمنين أيضا فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب
عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة إلى أولي الألباب الثبات على ذلك عبر
عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله تعالى لنا
بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضاه في الأولى والعقبى. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة إبراهيم
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

يحظيهم خ

سورة الحجر مكية وآيها تسعون وتسع آية

{الر} قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها {تلك} إشارة إليه أي تلك السورة العظيمة الشأن {آيات
الكتاب} الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق
أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل إذ ذاك إذ هو المتبادر إلى الفهم حين عند
الإطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت إليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة
إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها
فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد {وقرآن} أي قرآن عظيم
الشأن {مبين} مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام ولسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال
والحرام ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين إحداهما اشتماله على صفات كمال
جنس الكتب الإلهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان
وأخرت طريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب
أدخل في المدح كيلا يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت
كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا أنه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك
ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى حسن تلقي ما فيهما من الأحكام و
القصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنته فقيل {ربما} بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء
مخففا وبزيادة التاء مشددة وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء أيضا مشددا أو
مخففا ورب حرف جر لا يدخل إلا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله
على قوله تعالى {يود الذين كفروا} لما أن المترقب في أخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل
ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى {لو كانوا مسلمين} منقادين
لحكمه ومذعنين لأمره وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم
القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المؤمنين من النار روى
أبو موسى الأشعري أنه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من
شاء الله من أهل القبلة قال لهم الكفار ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في
النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضله فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في
النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال لا يزال الرب
يرحم ويشفع عليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام والحق أن ذلك
محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن
تمر عليهم وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب
فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي

في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابرازه انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل
وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هيهنا اجمالا للحق فدل النظم
الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد و
لو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو
الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى
ذرهم يأكلوا الخ او وفيها الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك
الا ان يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان
على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل
لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه منه فكيف وهم يودونه بقطع الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا
عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض
بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه
كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا
فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم
عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان
بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم
بلا استماع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم
وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل و
التمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة
والمآل الا الخير فالافعال الثلثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز
او على ان يكون المراد بالافعال المذكورة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا
ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم
عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمرغوا فيما هم عليه من حظوظهم فيذهبهم ما يذهبهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون
سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمتع المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وسمع كونه وعيدا
اي وعيد وتهديدا اي تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة
في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما ترتب عليه من الاكل والتمتع
والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل
العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم
كما فعل بآخرين الا ولها في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله
لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره
الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية
من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لهلاكها قد كتبناه ولا نهلكها قبل بلوغه معلوم

لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال
من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن
لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا
قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله لا يسمن صفة لكن لا
للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس
لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان ما نحن
فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك
الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل
منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم
لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها
اي لا يجيء هلاكها او لا يمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت
سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه
الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق
ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه
من الاهلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة
المضارع في الفعلين بعد ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية
والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع
ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوبتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم
مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر
تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف
الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان وداداتهم للاسلام
اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها
ما علم الله من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر
خاطبوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام واشعارا بعلة
حكمهم الباطل وقولهم انك لمجنون كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل
هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عندما تدعي انه ينزل عليك لمجنون و
تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل
عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله لولا انزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايراد الفعل

على صيغة المجهول لايهام ان ذلك لسبب يفعل له فاعل ولتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل
لو ما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومن التحضيض
خلا انها عند ارادة الثاني لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا الاسم ظاهرا او مقدرا عند البصريين
والمراد ههنا هو الثاني اي هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتت الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى
على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين
عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل
مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن [illegible] وهو
كلام مسوق الى النبي عليه السلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب
قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء
مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو
قولهم يا نوح قد جادلتنا الخ لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس [illegible]
كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وسوا تعالى عن اتيانهم بهم للايذان
بانهم قد اخطأوا في التعبير حيث اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان
الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك
الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق
التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة
ويجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من
التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة و
الحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين
فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال
كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط
المقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب
النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار
اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ ان كان ما طلبوه
منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم
القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيامة حسبما اجمل في قوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال حائل الحكمة
بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم
في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد وهذا هو الذي يستدعيه
اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونوا مصدقين عن اضطرار
او انه لا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق

وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير
انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اختلال كل من ذلك بقطعية الاباء لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين مضافا الى تقدير ان يكون ذلك اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة
اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى ان ما تنزل الملائكة الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل حسبما يقتضيه الحكمة الموجبة لتأخير
عذابهم الى يوم القيامة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة
الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم
ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل
العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك
ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له
وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين
به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقصان وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من
جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى
اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء
والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم
وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام
وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ورد الما ذكر انفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا
اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف
اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة
ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف
الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه
في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا
نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو
قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزئون كما يفعله
هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان
حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزئون
واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون
منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله

تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاؤهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق
من القاء الوحى مقرونا بالاستهزاء اى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما
جاؤا به من الكتب نسلكه اى الذكر فى قلوب المجرمين اى اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا
اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اى نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك
حال كونه مثله اى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول
الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما فى الوجود وهو السلك الواقع فى الامم السالفة او للدلالة على
استحضار الصورة والسلك ادخال الشئ فى آخر يقال سلكت الخيط فى الابرة والرمح فى المطعون لا يؤمنون
به اى بالذكر حال من ضمير نسلكه اى غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء
فيتعين البيان الآن يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اى نسلك الاستهزاء فى قلوبهم حال
كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما هو فى قوله
تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اى قد مضت طريقتهم التى سنها الله تعالى فى اهلاكهم
حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جئ به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد
ولو فتحنا عليهم اى على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة
كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود اليه فظلوا فيه فى ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما
فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون فى ذلك الباب وهم
يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم فى المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق
انما سكرت ابصارنا اى سدت عن الاحساس من السكر كما يفيده القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة
من قرأ سكرت اى حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما قالوه عند ظهور
سائر الآيات الباهرة وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له
وانما هو امر خيل اليهم بنوع من السحر وفى اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار
لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان
مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا فى السماء
بروجا قصورا ينزلها السيارات وهى البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما
يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع فهو
الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا كائنة فى السماء
وزيناها اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها
فى التزيين ظاهرا او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها
على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا يقدر ان يصعد
اليها ويوسوس فى اهلها ويتصرف فى امرها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء
المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها فى الجملة او المنقطع
ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات

فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق
السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال
من الاوضاع فاتبعه اى تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهى شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان
لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال
نعم وان النجم ينقض ويرمى الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله
تعالى وانا كنا نقعد منها الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام ولكن لم يكن فى شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله ومنهم من يخبله فيصير
غولا فيضل الناس فى البوادى قال القرطبى اختلفوا فى ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح
ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب
على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعنى قوله تعالى ولقد جعلنا الخ
وليوافق ما بعده اعنى قوله تعالى والقينا فيها رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر بيانه فى اول الرعد وانبتنا
فيها اى فى الارض او فيها وفى رواسى من كل شئ موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا او قيل
ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شئ مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب
النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهو
جمع معيشة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم
كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب
وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان
الله تعالى هو الذى يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شئ
ان للنفى ومن مزيدة للتاكيد وشئ فى محل الرفع على الابتداء الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه
مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهى ما يحفظ فيه
نفائس الاموال لا غير غلب فى العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت
مقدوراته عز وجل الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة فى كونها مستورة عن علوم العالمين و
مصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه
بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة فى الخزائن السلطانية
فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اى ما ننزله نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء
ملتبسا بشئ من الاشياء الا بقدر معلوم اى ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة
التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل بصفة معينة وقدر معين ووقت
محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل فى الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضى
اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو فى خزائنه

القدرة وسواء عطف على مقدر اى ننزل وما ننزله الخ او حال مما سبق اى عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاؤه بطريق التفضل عبر عنه بالتنزيل من العالم العلوى الى العالم السفلى كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش الخ وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اى ارسلنا الرياح لواقح اى حوامل شبهت الريح التى تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبهت بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اى جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه فى السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه فى الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الغور وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها منها وتديم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما فى قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازى الحاكمون فى الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصورى والملك المجازى وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يترائى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر فى ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه تعالى بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفى تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله وان ربك هو يحشرهم للجزاء وتوسيط ضمير الفصل للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولى له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيى العظام وهى رميم اى هو يحشرهم لا غير وفى الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن فى افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هى عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغى عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اى هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه فى سورة الانعام من صلصال

الحاكمون ع

من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند نقره قيل اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من حمإ مسنون اى مصور من سنة الوجه وهى صورته او مصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة فى القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وهى الاولى حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمإ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس فى حال كونه صلصالا بل فى حال كونه حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الفعل من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الاخر والخطاب فى قوله تعالى منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا امتناع فى خلق الحيوة فى الاجسام البسيطة كما لا امتناع فى خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى غالب اجزائها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى غالب اجزائها الجزء الارضى وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الاية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل فى تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفى التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم اى اذكر وقت قوله تعالى للملائكة انى خالق فيما سياتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا قيل ليس هذا العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافى هذا ما فى قوله تعالى فى سورة ص بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه من اثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكى غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحى النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى وجعله عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب اثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله تعالى عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقران والسنن فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر فى ذلك

احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان
فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف
السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ
آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا
هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في
غيرهما فقد خرجنا بفضل الله تعالى عن عهدة تحقيقه في سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان جنيا
مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون
مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع
التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة
على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومخالفة
الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى
عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى الا تكون في ان لا تكون
مع الساجدين لآدم عليه السلام مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من
المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان
كل واحدة من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة
البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال
الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف
العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر هنا على الاشارة
الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه
في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية
تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل
على ان قوله عز وجل ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال
روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا
يليق بشاني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل
والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء على امر رب
العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم
عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ
الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري
او بطريق الدخول فيه بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما او لانه في

هذا الطرد على رؤس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان
عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص
وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها
ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك
بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها
الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت
عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني
والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم عليه السلام وذريته
بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من
المنظرين ورد الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم وذلك
لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء
ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا
امكان لجعل الفاء لربط ما فيه معنى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه
ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن والخلق من الثقلين لا يلايم مقام
الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي
سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز
واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون لمقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما
صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الطبقة العليا من الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معارج الاعجاز وقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى
في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي يصعق عندها من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث
لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلمه فلعل
كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد فيموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في [illegible]
ان موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى عنه فاذا
انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت
بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الجنة ويؤخر اللعين
الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه
قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله تعالى لملك الموت عقيب النفخة الاولى

قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغيضي
وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة و
ليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من
اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو
نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت
كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين
عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص البحار فتنزه منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب
الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض
كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم
وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من الشدة فيقولان ربنا اتممت
علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه
وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى
بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت
بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له
بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام فاغتنم وامن امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغواء آدم عليه السلام بانه
قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه
لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط علي
اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة
ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف
ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين
وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه
للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين
والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة
اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم
مكان لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم اي من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين
مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين

والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان جهنم لمن ادعى
الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل
حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء
وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في
مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفر في جنات
وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها
امر من الله تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسين
بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان
في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة وزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا
فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد
لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم
وهو استئناف او حال بعد حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتوكيد
له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى
بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه
من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابرهيم عليه السلام من البشرى في
تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف و
تنبيههم لطول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابرهيم عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انهم جبرائيل وملكان معه عليهم السلام وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل
جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور
الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا
مرسلين الى ابرهيم عليه السلام بل الى قوم لوط عليه السلام حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب
بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف ابرهيم عليه السلام
حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او
سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه
قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم
ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم

واوجس منهم خيفة في الحال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك
لاجابوا ح بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير
هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تأجل
ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف لتعليل النهي عن
الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله
في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة
يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني
بذلك على ان مسني الكبر واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في
ذلك فقال فبم تبشرون اي باي اعجوبة تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير
شيء او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا
بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى
وقوله تعالى فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير
ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمته تعالى
عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوك فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى
قدرته تعالى كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن
يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا
يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة
حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون
وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عليهم السلام خاصة بل مع سارة
ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر
ههنا قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيط بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير
الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها
كما في قوله تعالى قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الاية فان قوله الاخير ليس
موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان
بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان
خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان
مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة
لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فما هو قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم
قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء

متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى
انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم
اي لوطا واهله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استيناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان
ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بان حالهم بين بين او لتعليله فان من
تعلق بهم التنجية منجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى الا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر
لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم
ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم و
هو فعل الله تعالى لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك
المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان
بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط
فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكايد من قومه
الذين يريدون لهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في
تخليصهم انكارا لهم لا انه لم يعرفهم وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه
للاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة
هود لانه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي العذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا
له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويشفي به غيظك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك
النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك
حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة
الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث
كان ذلك مسعدا على بيان كيفية القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في موقع
آخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه
كانهم جاؤوا به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا
مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار
بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع
وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيدا اثر تأكيد وقوله
[illegible] فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من

وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه اه صح

السرى وهو السير في الليل من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل
هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار
الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض ويلزمه عادة
الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي منك ومنهم احد فيرى
ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عنه ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير
فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي
عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث
امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر
على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين
وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع
على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت
الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ
القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره
ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه
للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم
عند وقوفهم على مكان من الاضياف من الفعل والقول وما يترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما
نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا
فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم لذلك بل لتحقيق
اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون
اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من
اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم
لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة وحيث كان
التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار
اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه
فذلك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته
بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك
وقيل المراد بتقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين
بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا او لم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم

والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من
الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكأنهم
قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك تلك الحالة
ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي
فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمة والكافر
وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يخفف
القسم ايثار الخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل
في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة
من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات
لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها
ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة
للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق
بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق
لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سبق وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة الشجرة
الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين عن الحد
فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح
فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به
سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا
فان من كذب واحدا من الانبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم
والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر
واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة
وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث
فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم عنه عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم
زجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فأخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة
هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة
المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليه كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما
كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم
الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار
الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب
العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى فيها ممن
هو كذلك فاصفح اى اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة
الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق
لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك
وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله
تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي
الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله تعالى عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في
حكم واحدة ولذلك لم يفصل بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر
قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ
بعدها في الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثانية اذ
السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فتوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او قصصه
ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او
الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله
عز وجل كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه
بالاعجاز او كتب الله تعالى كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او
السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد
الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم اى ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا
به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من

من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه من اوتي
القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل او انهم المتمتعون به ويأباه
كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك
لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اى المنذر المظهر لعذاب الله وحلوله كما انزلنا
على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ اى انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا
القرآن عضين اى قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا او عدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او قسموه لانفسهم استهزاء حيث كان بعضهم يقول سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا
او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقر وا ببعضه وكذبوا ببعضه وعلى توسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك على الوجه الذي
هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه حق المقام عن التشبيه ولقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احد مثله ولا
بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما
انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير
بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي
تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة
محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود يجزد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم
للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب
المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر اى انذر المعضين
الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة
ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول بعضهم
لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه
ما فيه من الاشتراك للسبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود
الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف العضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو
الا نفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به
عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكل الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل جريان اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول
كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمين هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه ما مر
انه قوله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقول بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان

الامر الملكي حسبما سلف ثم قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف بما لم يجوزوه خلاف من الجوب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اى انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدري ان علاجهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القران العظيم صالح لان يقع مشبها به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حتى ينوا جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل عليه من انذر لا يكون للتوصل لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعتبر في التقاسم على التبييت الذي هو السبب للهلاك اولئك ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا اتفق وقوع احدهما في جانب والاخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقسام المداخل ثم جعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوايح النظر الجليل والمعنى لقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما هو في جانب المشبه بان يقال كما اتينا هم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتائين من التنافي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القران العظيم وليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام لانكار اتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصافه بما هو المقصود من بيان ما اوتي النبي عليه السلام ولعظيم او لا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغنائه به عما سواه ثم نهي عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القران العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادمج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم عن العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية

من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب ح ان يحمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضيه اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القران بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقران العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء ﴿فوربك لنسئلنهم اجمعين﴾ اي لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سوال توبيخ وتقريع ﴿عما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به عم ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقران العظيم ﴿واعرض عن المشركين﴾ اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصدى للانتقام منهم ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث ابن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوكة حتى مات ﴿الذين يجعلون مع الله الها اخر﴾ وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ما ياتون ويذرون ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من كلمات الشرك والطعن في القران والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد ﴿وكن من الساجدين﴾ اي المصلين يكفيك ويكشف عنك الغم او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ﴿واعبد ربك﴾ دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف آنفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة ﴿حتى ياتيك اليقين﴾ اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بلحظة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان

له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالعون

سورة النحل مكية وآياتها مائة وعشرون آية

اتى امر الله اى الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع فى سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه
على كمال قربه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة توقيعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأسا لا بما
ذكر من قربه ووقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على التحتانية الغائبة واستعجالهم وان
كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ومنها عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او
العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب
حتى يعمهم النهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفت فلا ينتظمهما
صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة شريفة تعسف لا يليق
بشان التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد
قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم
فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول
الله عليه السلام فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل
لا لما توهم من التعبير بالفاء يأباه فانه بمعزل عن ابانة حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد
بالاتيان هو الاتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهى عنه لما ان النهى عن الشئ
يقتضى امكانه فى الجملة ومداره كما لو وقف انما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد
ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز
تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذى يقتضيه الاعجاز التنزيلى
انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله تعالى الى ما لا يليق به
من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا فى نفاعة ان صح مجئ
العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتهم وذلك قيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه و
تقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد
بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء
ذكر قبائحهم الاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين
يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط النهى عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملائكة بيان لتحتم التوحيد
حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شئ فى شئ وايذان
بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية
القاء الوحى والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم

اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم فى الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان
ذلك عادة مستمرة له تعالى والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان
رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحى بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين
وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى من جملته القرآن العظيم على نهج الاستعارة فانه
يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله
اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا و
مبتدأ منه او صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره او متعلق
بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى ينزلهم بامره على من يشاء من عباده اى
ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان انذروا
اى بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله تعالى والملائكة
نقلة للامر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى ينزلهم
ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول كانه قيل يقول
بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية
كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما مر فى اوائل سورة هود ومحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا
انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه
فى ابلاغه كذا فى القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء
شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة
تقرير له فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه
عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث
اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف فى كونه اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون
خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل
الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له فى الالوهية فاتقون فى الاخلال
بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل
السمعى للتوحيد شرع فى تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اى اوجدهما على ما هما عليه
من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين
عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذى لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه
على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال
خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ
شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل بليغ مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها
وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه
منكر له قائل من يحيى العظام وهى رميم وهذا انسب بمقام تعداد جنايات الكفرة روى ان ابى بن خلف الجمحى

اتى النبي عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رمّ فنزلت والانعام وهي الازواج
الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده
بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى لكم اما متعلق بخلقها وقوله تعالى فيها خبر مقدم وقوله
عز وجل دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها
حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها
ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون
اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان
الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان
الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه
مع ان فيه مراعاة الفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء
الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة
في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين رعاية للفواصل وتعيين الوقتين
لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند رواحها وسرحها
في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء
ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال
واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة
الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه
وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم
عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين
اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين
وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع
والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما ينال من الجهد والاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا
بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس
ولعل تغيير النظم الشريف السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث
للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ والمتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحايين المعهودة
بمثابة النعم السابقة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة
وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين
ودائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرؤوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور
الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال

والحمير لتركبوها تعليل بمعظم منافعها وان لم يكن الانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها
وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف
اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها
او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم
ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او يخلق في العقبى
اي يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله
عليه الصلوة والسلام حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه تعالى يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة
للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل
السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل جبرائيل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره
وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل
منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة وعلى الله
قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج
اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته
ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال
الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل
تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء
كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك
حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين
ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق
الحادي الى سبيل الاستدلال بالادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن مضايق الضلالة ومهاوي الردى
الا ترى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات من ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك
ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن
الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عنه بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بالمحيط
بالعالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما
بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق
ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان وتعديل له
اثر تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء
اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اي مائل عن الحق
منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى اتفق

نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت ان تعديل السبيل وتقويمه ابدا
ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان ففي النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر
مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله تعالى
الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقيني ويشفين ولكن غير
الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم
حتى يصح اسناده انه جائز اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد
بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى
بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غير ذلك لنكتة تستدعيه ولا
يتوهم متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائرها ثم بتغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة
الظرفية اعتراضية جي بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الذي سبق
بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد
وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق
على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب
الاستعداد واليه اشير بقوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية
موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تعالى تابعة للحكمة الداعية
اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار
الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها ينوط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وقد فسر كون
قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة
على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم
فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما ترى قوله ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى ولعل ان قصد
السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا
حق في نفسه ولكنه بمعزل من نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق
السوي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي
اليه بعثا للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات
فقيل هو الذي انزل بقدرته الباهرة من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا
منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا
انه انزل من السماء الماء والتشويق ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن عند
وروده عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وسواء ارتفع بالظرف المتقدم او مبتدأ وهو خبره و
الجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب
فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى فاسكناه في الارض
وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب

بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية
اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان
سقيه بالماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تاكله الابل فتسمن
اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية
او اسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل
وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من
الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على مر
الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما فيه من تقديم ما اصلها من
الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون
لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها
وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع
اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونها غذاء للانعام لكونه
بغير صنيع من البشر او للاشعار الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل
من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام
لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الانبات مسندا الى الزرع
وما عطف عليه ان في ذلك في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية
لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت
منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام
مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد
المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره
لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية
واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية
الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس
والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها
ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصريفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان
الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم و
تصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ
بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات
بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او
لما خلق له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين

لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ
بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات
ماجرة او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال
كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع
لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان
ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع
فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
فانى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله
وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في
الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم
يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية
اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك
فنمت راليه من تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة
من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا
ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه
فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات
وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم
عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانت خبير بان قوله تعالى مختلفا الوانه حال من
مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له
ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما توهم من حسبان ما ذكر دليلا
على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس
بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة
من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم
المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب و
الغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع
في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ

عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب
مالك والثوري الى ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من
اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاءه بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا ترى ان الله تعالى سمى
الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة و
تستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون
لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف عليه
وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك
ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه
بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد
ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة
قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز
بالمطلوب من الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي
اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في سورة الرعد ان تميد بكم اي كراهة ان تميد بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم
فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى جعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم
وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد روي ان جماعة يشمون التراب و
يتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد
بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ بضمتين وبسكون وهو جمع كرهن و
رهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم بالتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا
كثيري الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم
واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم
لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هذه الافاعيل البديعة اي يخلق كل شيء
كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم الاصنام بانكار ما يستلزم
ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الكفرة بالفاء
لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص
به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين وقد اجري
على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي بعد
ظهور اختصاصه تعالى ببدائع هذه الشؤون الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده

باستحقاق العبادة بتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل عن ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه
غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان من نسبة تقوم بالمنتسبين اختير عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم
وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المنفصلة فيها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس
مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن
لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم
بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجمادات واياما كان فدخول الاصنام
في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على
الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه
لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها
وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله افمن
يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية
مع ما فيه من سر ما ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصودة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها
من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين ما لها بطريق الاجمال
اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يوجب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة
تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها
ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وما تذرون
من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة واية نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم
الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد
والاعمال وما تعلنون تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم
وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه تعالى بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في
سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم
منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته
الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه
شائبة ريب بتعداد احكامها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن
البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم
الكفار من دون الله وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا
اي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت
لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها و
وجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية
والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني

عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز منهم و
ايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه
له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستلزم
لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او
خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها
الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله
عز وجل وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم ففيه على طريقة التهكم بهم لان
شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث
من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا شريك له في شيء وهو تصريح
بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث و
ما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للآيات الدالة عليها والفاء
للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة
والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من
الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة
وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل
والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مدلولها والاستكبار عن اتباع الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعوهم لا محالة الى التأمل في الآيات والدلائل
رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة
هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير
الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي
لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر
واذا قيل لهم اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم
القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعضهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء
انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث
الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا
متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء
بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين
يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا بفعله وهذا بطاوعه فيه
الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال
او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق

وهم يستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها

الضلال واما حمله على معنى تحير عاقلين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا او تاييده بما سبق من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة و العذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل. الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر. قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كداب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه. فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله تعالى وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بالتحريك واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فعلنا بهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما سواهم منه وما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي ايضا وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة اليه وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن الكريم اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه. ويقول لهم توبيخا وتوبيخا حسنوا الى بيان للاخزاء. اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم. الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقد والبين لبديهية فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ وزجوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد. وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له تعالى. قال الذين اوتوا العلم من اهل

الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اقاموا عليهم دلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم و يتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به و ايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتقرره حسبما هو المعتاد في اخباره تعالى كقوله عز وجل ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف. ان الخزي الفضيحة والذل والهوان. اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المصدر باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق. والسوء العذاب. على الكافرين بالله تعالى وباياته و برسله. الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد و بدلوا فطرة الله تبديلا. فالقوا السلم اي فيعترفون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع و هو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اي فيسلمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة. ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله تعالى اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء. بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون. ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه. فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة. خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة. فلبئس مثوى المتكبرين عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا ردا للنفي فقط مع ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم. وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى. ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سكتوا في الجواب مسارعة للسؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جوابه مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواضح الذي ليس له من دافع خبرا وصورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير ردا لما هو من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد لقيه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحابه عليه السلام ورضي الله تعالى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا. للذين احسنوا اي اعمالهم او صفوا بالاحسان في هذه الدار

الدنيا حسنة اى مثوبة حسنة مكافأة فيها ولدار الآخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا فى الدنيا من المثوبة او
خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اى دار الآخرة حذفت لدلالة ما
سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعدّ جوابهم المحكى من جملة احسانهم ووعدهم بذلك
ثوابى الدنيا والآخرة فلا محل لها من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اى انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه
ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص
بالمدح يدخلونها صفة جنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجرى من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته
لهم فيها اى فى تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثانى حال منه والعامل فى الاول او متعلق
به اى حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة او لما مر
مرارا من ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كذلك مثل ذلك
الجزاء الاوفى يجزى الله المتقين اللام للجنس اى كل من يتقى من الشرك والمعاصى فيدخل فيه المتقون المذكورون
دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة
نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان
ملاك الامر فى التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله
وقيل فرحين طيبى النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى
جناب القدس يقولون حال من الملائكة اى قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبى رحمه الله تعالى اذا استنقعت
نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولى الله الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره
بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها فى وقته فان
ذلك بشارة عظيمة وأن تراخى المبشر به لا دخول القبر الذى هو روضة من رياضها اذ ليس فى البشارة به
ما فى البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذى كنتم تعملونه من
ذلك وقيل المراد بالتوفى التوفى للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اى ما ينتظر كفار مكة المار
ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره
لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه
ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتى امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه لطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر
العذاب الدنيوى لا القيامة لكن لا لان انتظارها لا يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائم العطف باو
لانها ليست لمنع الجمع ويجوز ان يعتبر منع الخلو مرادا بايراد ما كفاية كل واحد من الامرين فى عذابهم
بل لان قوله تعالى فيما سيأتى ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح فى ان المراد به ما اصابهم من
العذاب الدنيوى كذلك اى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين
خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح
الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما فى سورة الزخرف لكنه
اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم

كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه فى سورة يونس عليه السلام فاصابهم
عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اى اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان
لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اى احاط بهم من الحيق الذى هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع
ما كانوا به يستهزؤن من العذاب وقال الذين اشركوا اى اهل مكة وهذا بيان لفن آخر من كفرهم والعدول
عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما فى حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شىء اى لو شاء عدم عبادتنا لشىء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدى بهم فى ديننا
ولا حرمنا من دونه من شىء من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا فى
الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا
ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة الله تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك
وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله
تعالى كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله تعالى وحرموا حله و
ردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون
رسالات الله تعالى وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا
واضحا موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحى التى من جملتها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف
قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم
عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور امر
التكليف فى شىء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك
فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد فى تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم
الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل
كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه عز و
جل لا تحقيق مضمونها او اجراء موجبها على الناس قسرا او الجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم فى ذلك
مأمورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم اى يؤدوه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء
لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا فى كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى
بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه
الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اى بعثنا فى كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان
اعبدوا الله يجوز ان تكون مفسرة لما فى البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اى بعثنا بان
اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اى من تلك
الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله سبحانه وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم
من هدى الله الى الحق الذى هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى الى
تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم

حرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
فلم يكن كل من مشية الهداية و عدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق و عدمه لا بطريق القسر والالجاء
حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده . فسيروا . يا معشر قريش . في الارض
فانظروا . في اكنافها . كيف كان عاقبة المكذبين . من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم
تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت
الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير
لانه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء . ان
تحرص . خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغية . على هداهم . اي ان تطلب هدايتهم
بجهدك . فان الله لا يهدي من يضل . اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء
اختياره والمراد بهم قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار
بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله
لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يُهدى على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله
تعالى وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل
بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل . وما لهم من ناصرين . ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب
فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لا ان المراد نفي طائفة من الناصرين عن كل منهم . و
اقسموا بالله . شروع في بيان فن اخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث . جهد ايمانهم . مصدر في موقع الحال اي
جاهدين في ايمانهم . لا يبعث الله من يموت . ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق . بلى . اي بلى
يبعثهم . وعدا . مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله تعالى او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا . عليه .
صفة لوعدا او وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة . حقا . صفة
اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا . ولكن اكثر الناس . لجهلهم بشؤون الله عز شانه من العلم والقدرة
والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى
ان البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها . لا يعلمون . انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه
وعد عليه حقا فيكذبونه حالفين بعدم وعده ناكثين وابائنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين . ليبين لهم .
غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك
لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم
من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان . الذي يختلفون فيه . من الحق المنتظم لجميع
ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا . وليعلم الذين كفروا . بالله تعالى بالاشراك و
انكار البعث وتكذيب وعده الحق . انهم كانوا كاذبين . في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت
والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه و
جعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستوجب
للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذ كان ليتبين

انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق
العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك لا تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل
على وقوع الفعل المغيّا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا
بمعرفته تعالى وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت
التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو
عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون
واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وتدبر تحقيقه في سورة
التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين
الاية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا . انما قولنا . استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء
واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله عز وجل . لشيء . اي اي شيء
كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل
شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك .
اذا اردناه . ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده . ان نقول له كن . خبر للمبتدأ . فيكون . اما عطف على
مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول له كن فيكون او جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك
فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب
المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه الحصار قوله تعالى في قوله كن وليس يلزم منه انحصار اسباب
التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو
الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو
تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك
من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيتنا به ان نوجده في اسرع
ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل
وفي الاية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول
او تشبيها له بجواب الامر . والذين هاجروا في الله . اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه
من بعد ما ظلموا . ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخرجوهم
من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله تعالى . لنبوئنهم في الدنيا حسنة .
اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث
ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في صهيب وبلال وعمار
وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل رضي الله تعالى عنهم اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم
ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله تعالى
عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن

قتادة من كون هذه الآيتين الى اخر السورة مكية ينحى ما نقلنا عنه من نزول الاية في اصحاب الهجرتين على ان يكون
نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من جملتهم كما يشعر به نظم التنزيل كذا شانه
الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة اولننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من
اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ○ ولاجر الاخرة ○ اى اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة اكبر
مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر في الاخرة افضل ○ لو كانوا يعلمون ○ الضمير للكفار اى لو علموا ان الله
تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقتهم في الدين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد
ولما تالموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها ○ الذين صبروا ○ على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل
والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح ○ وعلى ربهم ○ خاصة ○ يتوكلون ○ منقطعين اليه تعالى معرضين
عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله
سبحانه وتعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا ○ وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحى اليهم ○ وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من
البشر كما هو مبني قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اى جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من
الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل ○ فاسئلوا اهل
الذكر ○ اى اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ○ ان كنتم لا تعلمون ○
حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا
معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها
اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لم تعلم ○ بالبينات والزبر ○ بالمعجزات والكتب
والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا
تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تاخير
صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحى على المفعولية او
الحالية من القائم مقام فاعل نوحى وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان
الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي ○ وانزلنا اليك الذكر ○ اى القرآن وانما سمي به لانه
تذكير وتنبيه للغافلين ○ لتبين للناس ○ كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ○ ما نزل اليهم ○ في ذلك الذكر من الاحكام
والشرائع وغير ذلك من القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا
كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولعل التبيين اعم من
التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه ودخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية
او غيرها ولعل قوله تعالى ○ ولعلهم يتفكرون ○ اشارة الى ذلك اى ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه
من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب ○ افامن الذين مكروا السيئات ○ هم اهل مكة

لوافقوهم خ

الذين مكروا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك
الانبياء عليهم السلام كما قيل ولا ما يعم الفريقين لان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب
المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه
معنى العمل اى عملوا السيئات فقوله تعالى ○ ان يخسف الله بهم الارض ○ مفعول لامن او السيئات صفة لما هو مفعول
اى افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله تعالى ان يخسف الله الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على
مقدر ينبئ عنه النظم الكريم اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب
ويتفكروا في ذلك اى الم يتفكر فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه
الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد
قيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ ○ او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ○
باتيانه اى في حالة غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف مما نزل بالماكرين
○ او ياخذهم في تقلبهم ○ اى في حالة تقلبهم في مسائرهم ومتاجرهم ○ فما هم بمعجزين ○ بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار
على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته
حسبما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة
على دوام النفي لا لنفي الدوام ○ او ياخذهم على تخوف ○ اى مخافة او حذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن
اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال
فانهم تخوف الرجل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اى ياخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء
في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان
لا الحصر فيها ○ فان ربكم لرؤف رحيم ○ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها ○ اولم يروا ○
استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم ينظروا ولم يروا متوجهين
○ الى ما خلق الله من شيء ○ اى من كل شيء ○ يتفيؤ ظلاله ○ اى ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى
فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء لتانيث الفعل ○ عن اليمين والشمائل ○ اى الم يروا الاشياء التي لها ظلال
متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها استعيرا لهما ذلك من يمين الانسان وشماله ○ سجدا ○
لله ○ حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله تعالى وتاتيها
لارادته في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى ○ وهم داخرون ○ اى صاغرون
منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من
خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما
قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام
داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المستتر
والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما

ولعل المراد بالجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع
الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل
يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل
له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من
الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها
وهو من عالمه سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل و
لله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب
بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات وما في الارض
كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان
المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما
اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبرائيل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته تعالى والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر
والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسندا الى الملائكة او استيناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك
امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه تعالى خوف هيبة واجلال وهو فوقهم
بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير
في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي ما
يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره تعالى وفيه ان الملائكة مكلفون مداورون بين الخوف والرجاء
وبعدما بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث
لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله سبحانه اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك
فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه
متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء
عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة
التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله
بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد كذلك للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالوهية
واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة
على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على
ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب
ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد
الذي يسجد له ما في السموات وما في الارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد

فيما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله
الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب
وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يستدعيه السياق اي اعقيب
تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد
وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به تعالى غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون وما
بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اي نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة
متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه
عز وجل ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح
الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث
مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس
مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها بالباء المنبئة عن المصاحبة وايرادها معربة عن
العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقيق وقوع الجواب ثم اذا كشف
الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة
بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله عز وجل اذا فريق منكم
بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض
والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كأنه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم
من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن للتبعيض ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان
بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة وانكار كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام
لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ
شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي
يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون حقيقته و
قدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله تعالى جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة
والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من المستكن
وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم
علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن
سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف
الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة

وكناية الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم
على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية
وسبحانه اعتراض واقع موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي
الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار
كله مسودا من الكآبة من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا
له عز وجل يتوارى اي يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء
ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شأنه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب و
التذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهوان والحقارة لله تعالى
من الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه
لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى
للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد
ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز
والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله
سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق
والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه سبحانه وتعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز
المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا
من جملة صفاته العجيبة له تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد
من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية
وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة
قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة و
لا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستئخار لنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله عز وجل
وليست التوبة على الذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك
وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم
مما ذكر وهو تكرير لما ذكر تمهيدا للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون
ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله عز وجل ولئن رجعت

الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات
لنقيضه اي حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوءى وانهم
مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته و
نسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر
المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكون حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم
رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو
وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية او في
الدنيا او يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم
اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم
السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانه منهم او ان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب
اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلنا
عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال
واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا
لكونهما اثرين فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود
وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب
السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من
الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيا به الارض بما انبت فيها
من انواع النباتات بعد موتها بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين
من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية اية آية دالة على وحدته سبحانه
وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم
وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة يحار في دركه العقول ويتيه في فهمها الباب الفحول نسقيكم
استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير ههنا لمراعاة جانب اللفظ
فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه من المفردات المبنية على افعال كاكياس واخلاق كما ان تأنيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس في جميعها او له على المعنى فان
المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضلة
ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد
به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما
لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما
يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين

الصفراء والسوداء ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه
على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض
لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما
يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن
بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما
مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما
اذا كان المتقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا
بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا او حال من لبنا قدم لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا من شائبة ما في الدم والفرث
من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا
للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين و
هين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء
المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما
وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استئناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد
او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا
كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه
للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم
ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على
كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم
الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما في
الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتأنيث لغة اهل
الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون
اي يبنونه الناس او يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي
لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض
لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة
تشتهينها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي برأها بحيث يتحيل فيها
بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي

راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير
متوعرة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من
بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي
موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم
ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطونها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم
انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا
اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر
حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في
الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق رسول الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل
الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه العسل شفاء لكل
داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من
عجائب آثار قدرته تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين
الا بآلات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها
اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل
اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر
في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهو سن الشباب والثالثة سن الانحطاط
القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبابا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه
اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه
وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان
بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا
عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا
من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم
بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما
بلغ التفاوت المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما
اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم

على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية «فهم» أي الملاك والمماليك «فيه» أي في الرزق «سواء»
أي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على
الرد أي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وإنما يردون عليهم منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون بمساواة
مماليكهم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم وإياهم من الرزق
الذي هم أسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق إلا به من الألوهية والمعبودية
الخاصة بذاته عز وجل بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما
فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية
«أفبنعمة الله يجحدون» حيث يفعلون ما يفعلون من الإشراك فإن ذلك يقتضي أن يضيفوا نعم الله سبحانه وتعالى
الفائضة عليهم إلى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج البالغة بعدما أنعم
الله تعالى بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر كقوله وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى
على الفعل أي أيشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب أو ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم
بل أنا الذي أرزقهم وإياهم فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئا وإنما هو رزقي أجريه على أيديهم فهم جميعا في ذلك سواء
لا مزية لهم على مماليكهم ألا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين إذ كل يعطيهم المولون بركة
أوما المفضلون برادي نصيبهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع أن التفضيل ليس إلا ليبلوهم
أيشكرون أم يكفرون ألا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية
للدلالة على استمرارهم على عدم الرد ويحكى عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه
رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت «والله جعل لكم من أنفسكم» أي من جنسكم «أزواجا» لتأنسوا بها و
تقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام «وجعل لكم
من أزواجكم» وضع الظاهر موضع المضمر للإيذان بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره «بنين»
لأن نتيجة الأزواج هو التوالد «وحفدة» جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت
وإليك نسعى ونحفد أي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الأولاد وقيل البنات
عبر عنهن بذلك إيذانا بوجه المنة فإنهن يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل
البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الأختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر
من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للإيذان من أول الأمر بعود منفعة الجعل إليهم إمدادا للتشويق
والتقوية أي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم أزواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة بنين وحفدة «ورزقكم
من الطيبات» من اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض إذ المرزوق في الدنيا أنموذج لما في الآخرة
«أفبالباطل يؤمنون» وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء في حقيقة داخلة على الفعل
وهي للعطف على مقدر أي أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل
يؤمنون دون الله تعالى «وبنعمة الله» تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان «هم يكفرون»
حيث يضيفونها إلى الأصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل

والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه
«ويعبدون من دون الله» كلام عطف على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخي أي أيكفرون بنعمة الله ويعبدون
من دونه «ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا» إن جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه
أي ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا وإن جعل اسما للمرزوق فنصبه على البدلية
بمعنى قليلا ومن السموات والأرض صفة لرزقا أي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا للا يملك أي لا يملك رزقا ما شيئا
من الملك «ولا يستطيعون» أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم رأسا لأنها أموات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز
أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا
حس به «فلا تضربوا لله الأمثال» الالتفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به
شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون فإن ضرب
المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة أي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى و
اضرب لهم مثلا أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من
جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والأرض شيئا من رزق ما
فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد «إن الله يعلم» تعليل للنهي المذكور
ووعيد على المنهي عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وأنه في غاية العظم والقبح «وأنتم لا تعلمون» ذلك
ولو علمتم لما جرأتم عليه أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد عليكم
من الأمر والنهي ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك
فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الأمثال في هذا الباب فقال
«ضرب الله مثلا» أي ذكر وأورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه جل جلاله وبين ما أشركوا به
وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا «عبدا مملوكا لا يقدر على شيء» بدل من مثلا وتفسير له
والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية
عن الحر في اشتراكهما في كونهما عبدين لله تعالى وهذا ومع أن الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه
عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة و
الجزالة «ومن رزقناه» من موصوفة معطوفة على عبدا أي رزقناه بطريق الملك والالتفات إلى التكلم للإشعار
باختلاف حالي ضرب المثل والرزق «منا رزقا حسنا» حلالا طيبا أو مستحسنا عند الناس مرضيا «فهو ينفق منه»
تفضلا وإحسانا والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق و
إيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددي «سرا
وجهرا» أي حال السر والجهر أو إنفاق سر وإنفاق جهر والمراد بيان عموم إنفاقه للأوقات وشمول إنعامه
لمن يجتنب عن قبوله جهرا والإشارة إلى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للإيذان
بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرا مالكا للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه
وبين قسيمه لقصد التحقيق بأن الأحرار أيضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكيتهم لما يملكونه

ليس الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل
من تباين الحال بين المتماثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين
هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا
فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان
في البشرية والمخلوقية لله تعالى وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم فيه دخل بل هو مما اعطاه الله تعالى
اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله
اي كله لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه
ارشاد الى ما هو الحق من ان ما ظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع الى الله تعالى كما لوح به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم
لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون
ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا
اي مثلا اخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وتترقب
حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء
المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من
يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله
تعالى اينما يوجهه اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة
يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي
هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية
ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص
والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حالهما يقابلانها فان
محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمور به لمحض هذين استحقاق كمال الآمر به المستتبع لحيازة
المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو
المقصود من بيان تباين بين الفريقين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد
انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان
خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه تعالى وبين ما يشركون فيكون كل من
الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات و
الارض اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل اليها لا مشاهدة ولا استدلالا و
معنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان
الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان
كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه تعالى حضوري فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة
اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة
من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه

من الغيوب المختصة به تعالى وان كان اعينها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها في سرعة المجيء الا كلمح
البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع
في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة انية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام
الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او وما امرها الا كالشيء الذي
يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة
الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك
او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به تعالى وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات
من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان
في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو
قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لان علمه بخصوصه غائب عن
اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله عز وجل
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله
والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت
الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون
شيئا في موضع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس
فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل
لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات
الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم
بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من
القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات
لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل
تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لانه طريق
تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ
بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر و
الفلك والدواب للانسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير
السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى
في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها
من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين تقبض اجنحتهن وتبسطها ووقوفهن الا الله
عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها
ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما استئناف ان في ذلك الذي

ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها
من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها
من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير • لآيات • ظاهرة • لقوم يؤمنون • اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم
المنتفعون به • والله جعل لكم • معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان
من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم ولتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى • من بيوتكم • اي من بيوتكم المعهودة
التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق • سكنا • فعل بمعنى مفعول
اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون
اليه وتطمئنون به • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب
والاخبية والفساطيط • تستخفونها • تجدونها خفيفة سهلة المأخذ • يوم ظعنكم • وقت ترحالكم في النقض والحمل
والنقل وقرئ بفتح العين • ويوم اقامتكم • وقت نزولكم في الضرب والبناء • ومن اصوافها واوبارها واشعارها
عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل و
اشعار المعز • اثاثا • اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث • ومتاعا • اي شيئا يتمتع به فنون
التمتع • الى حين • الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا
والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل • والله جعل لكم مما خلق • من غير صنع من قبلكم • ظلالا • اشياء تستظلون
بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لان تلك الديار غالبة الحرارة • وجعل لكم من الجبال
اكنانا • مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير
مرة • وجعل لكم سرابيل • جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها
تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر او لان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا • و
سرابيل • من الدروع والجواشن • تقيكم بأسكم • اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله تعالى علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من
جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ
ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم
ثم قال • كذلك • اي مثل ذلك الاتمام البالغ • يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم
من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به
تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او للاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء
شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا •
فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسلية له اي فان
اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات • فانما عليك البلاغ المبين •
اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الواضح او الموضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب
وضع السبب موضع المسبب • يعرفون نعمة الله • استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم

بها وعدم نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعرفون انها من الله تعالى • ثم ينكرونها • بافعالهم حيث يعبدون
غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها
بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة
الاعتراف بها لا الانكار • واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال
البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله تعالى • واكثرهم
الكافرون • اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي
كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل او التفريط
في النظر اي لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر • ويوم نبعث من كل امة شهيدا • يشهد لهم بالايمان و
الطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها • ثم لا يؤذن للذين كفروا • في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة
على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عند ما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد
من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام واظهر • ولا هم يستعتبون • يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة
دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق
مما لا يوصف وكذا قوله تعالى • واذا رأى الذين ظلموا العذاب • الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم • فلا يخفف
عنهم • ذلك • ولا هم ينظرون • اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم • واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم •
الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال
• قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك • اي نعبدهم ونطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب
بينهم كما ينبئ عنه قوله تعالى • فالقوا اليهم القول • اي شركاؤهم • انكم لكاذبون • فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس
الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا
راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون
ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى عن الشريك
والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم • والقوا •
اي الذين اشركوا • الى الله يومئذ السلم • الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا
• وضل عنهم • اي ضاع وبطل • ما كانوا يفترون • من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك
حين كذبوهم وتبرؤوا منهم • الذين كفروا • في انفسهم • وصدوا • غيرهم • عن سبيل الله • بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر • زدناهم عذابا فوق العذاب • الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات
امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون
من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار • بما كانوا يفسدون • متعلق بقوله زدناهم اي
زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الفساد وهو الصد المذكور • ويوم نبعث • تكرير لما سبق تثنية للتهديد
• في كل امة شهيدا عليهم • اي نبيا • من انفسهم • من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان
شهادة انبيائهم على الامم تكون بحضرتهم • وجئنا بك • ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عم

وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع. شهيدا على هولاء الامم وشهدائهم كقوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة
شهيدا وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة. ونزلنا
عليك الكتاب. الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الكتاب وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا
بيانا بليغا. لكل شيء. يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه
عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملة ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا
عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان
فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وطاعته وقيل فيه
وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لامته باتباع اصحابه
حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجماع والاجتهاد
فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يقرنا في البعض من الخفاء في كونه
تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك
فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله تعالى وما للظالمين من انصار. وهدى ورحمة للعالمين في
حرمان الكفرة من مغانم اثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب. وبشرى للمسلمين. خاصة او يكون كل ذلك
خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك. ان الله يامر. اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى وايثار
صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار. بالعدل. بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط
والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين
الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة
القوة الغضبية السبعية الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب
المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير. والاحسان. اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق
وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. وايتاء ذي القربى. اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه
وهو تخصيص لمزيد اهتمام بشانه. وينهى عن الفحشاء. والافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا
مثلا. والمنكر. ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار اثار القوة الغضبية. والبغي. الاستعلاء
والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من اثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة رذيلتي
القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام
صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هي اجمع اية في القرآن
في كونه تبيانا لكل شيء وهدى. يعظكم. بما يامر وينهى وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين
لعلكم تذكرون. طلبا لان تتعظوا بذلك. واوفوا بعهد الله. هو البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله. اذا عاهدتم. اي حافظوا

على حده وعلى ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام. ولا تنقضوا الايمان. التي تحلفون بها عند المعاهدة
بعد توكيدها. بذكر الله تعالى حسبما هو المعهود في اثناء العهد لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به. وقد جعلتم الله عليكم كفيلا.
شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظا عليه. ان الله يعلم ما تفعلون. من نقض الايمان والعهود
فيجازيكم على ذلك. ولا تكونوا. فيما تصنعون من النقض. كالتي نقضت غزلها. اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة. متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه. انكاثا. طاقات نكثت
فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال
النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت
مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم تامرهن فينقضن ما غزلن. تتخذون ايمانكم دخلا بينكم. حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع
موضع الخبر اي مشابهين بامرأة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما
يدخل الشيء ولم يكن منه. ان تكون امة. بان تكون جماعة. هي اربى. اي ازيد عددا واوفر مالا من امة
من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا
شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم. انما يبلوكم الله به. اي بان تكون امة اربى
من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر هل تتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال. وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون. حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا. ولو شاء الله. مشيئة قسر والجاء. لجعلكم امة
واحدة. متفقة على الاسلام. ولكن. لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء. اضلاله
اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الذي في اليه. ويهدي من يشاء. هدايته بصرف اختياره الى تحصيلها
ولتسألن. جميعا يوم القيمة. عما كنتم تعملون. في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه
مدور امر الهداية والضلال. ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم. تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في
بيان قبح المنهي عنه وتمهيد لقوله تعالى. فتزل قدم. عن محجة الحق. بعد ثبوتها. عليها ورسوخها فيها بالايمان
وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف
باقدام كثيرة. وتذوقوا السوء. اي العذاب الدنيوي. بما صددتم. بصدودكم او بصدكم غيركم. عن
سبيل الله. الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره. ولكم
في الاخرة. عذاب عظيم. ولا تشتروا بعهد الله. اي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله تعالى عليه
وسلم او اياته الناطقة بالايجاب لحفظه على العهود والايمان. ثمنا قليلا. اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا. انما عند
الله. عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي. هو خير لكم. مما يعدونكم. ان كنتم تعلمون. اي ان
كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى. ما عندكم. تعليل للخيرية بطريق
الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا. ينفد. وان جم عدده وتنفيخ
وان طال امده. وما عند الله. من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية. باق. لا نفاد له اما الاخروية فظاهر

وان الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سلك الباقيات الصالحات وفي ايثار
الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات
تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات
في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض
لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي
من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم
اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا
يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله تعالى وحسن ثواب الاخرة
لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او
لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة
الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن بالحسن
والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع
ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم اما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات
او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات ولا دلالة على جعلها هو المدار للجزاء دون ما يستوي فيه فعله وتركه
كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في
تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم من مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع
حماها من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح
غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور
بهم وبعملهم المذكور وقوله عز وجل من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاقهم الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه
ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر
واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره
بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف
الفوات ان يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الاخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين
فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف
لمراعاة جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع
ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد ولما انتهى الامر الى
ان مدار الجزاء المذكور هو العمل الصالح وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص من
شوب الفساد فقيل فاذا قرات القران اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق
اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسأله عز جاره ان

الحسن منه

يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة لذلك قال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره
عليه السلام وفي الاعمال الصالحة احرى فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القران الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه فما ظنك بمن عداه عليه السلام فيما عدا القران من الاعمال والامر للندب
وعند عطاء للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل عليه الصلوة والسلام عن
القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان
وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة
على التحقق كما ان اختيار صيغة المضارع في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية
عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه
انما سلطانه تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف من
الفريقين لقوله تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه
قوله تعالى على الذين يتولونه اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقصور تحول
من ولاه والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون اي بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم
على الاشراك بالله تعالى وفي قصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا
واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم
وان من لم يتوكل عليه وسلم ينتظم في سلك من تولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل
ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى
لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير
الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء
الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية
المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل
من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا اية مكان اية اي اذا انزلنا اية من القران مكان اية منه
وجعلناها بدلا منها بان نسخنا مابها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت
حيثما نزلت الا حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في
وقت تنقلب في وقت اخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا
مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه

على حسب ما دار رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة
وتحقيق معنى الاعتراض او حاليته وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ
انما انت مفتر اى متقول على الله تعالى تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان
بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون شيئا اصلا او
لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا
قل نزله اى القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعنى جبرائيل عليه السلام اى الروح المطهر من
الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود
للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما
يقتضيه الحكم البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم من الدلالة على تحقيق
افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق
اى ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان
النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه
تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل
عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اى القرآن بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس
عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة
استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على التفوه بتلك العظيمة يعنون بذلك
جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة
والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب
ابن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وانما لم يصرح
باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عليه
السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين
والآخرين لسان الذين يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن
الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه اى لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء
وتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان
مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه
معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه
الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى لا يصدقون انها
من عند الله تعالى بل يقولون فيها ما يقولون يسمونه تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر

لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم
ولهم في الآخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله
عز وجل انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم
ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط
بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري
هو الذي يكذب بآيات الله تعالى ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اى تكذيبها على الوجه المذكور هو
الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس كلامه سبحانه وتعالى في كونه كذبا
وافتراء كالحكم بان ما ليس من كلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في مبالغة قبحه وصيغة
المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله تعالى لا يؤمنون وقيل المعنى
انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله تعالى لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع
عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك
الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله تعالى هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته عز وجل والطعن فيها بامثال هذه الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب
الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع
ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا
او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر من كفر بالله اى تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من
كفر بآيات الله تعالى بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع
على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره
على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم
لان الكفر لغة يعم القول والفعل كما اشير اليه بقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل
هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا
وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اى الا من كفر بالاكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه
مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اى اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب
ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضمير بين المجرورين لمراعات جانب المعنى كما
ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا و
سمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت
من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوه

عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه
واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله عليه السلام
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان
كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول فيّ قال فانت ايضا فخلاه
وقال للآخر ما تقول في محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول فيّ قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه
فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على
الآخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين في
علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار
الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله تعالى للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا
او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع
واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة
اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها الى ما افضى الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه
رضي الله تعالى عنهم اي لهم بالولاية والنصرة لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر
لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرها وتكون ان الثانية
تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد
الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا
على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاق
الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على
الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو تنويه عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي
التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله تعالى عليه و
سلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بان افاضة آثار
الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له يوم تأتي كل نفس منصوب
برحيم وما عطف عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها
عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا
كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين
الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية

بيان عدم اخلال ذلك بالحكم لتنفعوا ما فعلوا من قبل رحيم م

وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم
وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول
واحد وانما عدي الى اثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا اولا لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين
صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير من الحل مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم
مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشويقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو
الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في
الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا
ما فعلوا فبدل الله نعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف
مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج بانتهاز رزقها اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة
الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها
فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب
هذا العذاب فما ظنك بكفران نعمة كثيرة فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر
الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة
لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها
لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم
ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير
الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف
تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس
المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه المعقول بالمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى
بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة
المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة
وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم
على اتيان الرزق وكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ
بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الجوع
بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية
تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان
بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان
ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله تعالى على الخلق
ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب
الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء

فضيحة وعدم وكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا
نبذة من ذلك وهم ظالمون اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب
رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم فى الكفر والعناد وتجاوزهم
فى ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب لهم المثل خاصة او لمن سار سيرتهم
كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو فى خصلة فذة كيف لا وقد
كانوا فى حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل
شئ ولقد جاءهم رسول منهم واى رسول يحار فى ادراك سمو رتبته العقول صلى الله تعالى عليه وسلم
ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله تعالى وكذبوا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذاقهم
الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف
ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام
المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من
من العذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من
ان الضمير فى قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله تعالى فكلوا
مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدى الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال
من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسببه من اللتيا والتى اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه
من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله
تعالى واطيعوا رسوله عليه السلام فى امره ونهيه وكلوا من رزق الله تعالى حال كونه حلالا طيبا وذروا ما
تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء فى المعنى
داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكأنه قيل فاشكروا
نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا ريب فى ان هذا انما يتصور حين كان
العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذى يحذر ومن ذا
الذى يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه
التصدى لاستصلاحهم بالامر والنهى وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب
النهى متوجه الى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اى تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم
باكله مما رزقهم اى انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر
بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اى على مضطر آخر ولا عاد اى متجاوز قدر الضرورة

كيف لا

فان ربك غفور رحيم اى لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم
وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات
فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل
باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها فى قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل
فى سبيل الله اموات اى لا تقولوا فى شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر
فضلا عن استناده الى وحى او قياس مبنى عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله جل جلاله هذا
حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى لا تقولوا لما تصف السنتكم
فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتكم اى قائلين هذا حلال الخ ويجوز
ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب و
تصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له فى المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا
للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة
الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها
كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل و
الحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب
او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل و
الحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله تعالى من غير ان يكون
ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب فى امر من الامور لا يفلحون اى
لا يفوزون بمطالبهم التى ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى منفعتهم فيما
هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم فى الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين
هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اى بقوله تعالى حرمنا
كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق
لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما
ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية
كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه
تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى بسبب جهالة او

ملتبسين بها بالتيم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره
ثم تابوا من بعد ذلك اى من بعد ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة واصلحوا
اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم
يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة آثار
الربوبية من المغفرة والرحمة بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان
امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس على
الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل
الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج
الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى
جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في
النبوة وتحريم ما احله الله تع للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه
قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك
من المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لرد ما عليه كفار قريش فقط في زعمهم
نحن على ملة ابينا ابرهيم عليه السلام بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم و
ادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة
لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة و
للتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تع حسبما اشير اليه بضرب المثل اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه تعالى وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه
عليه السلام مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر
الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة
وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه
عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع
علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تع لعباده على لسان الانبياء
عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه
ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تع يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى
دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة الى الله تع
ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه

آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى مجرى البعض
فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المبدلة بتبدل الاعصار
وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين
تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تع انما جعل
السبت اى فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما
عسى يتوهم لكونه من احكام ملته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا
يدعون ان السبت من شرائع الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه اى ليس السبت من شرائع
ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما
شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم
الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك
بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا
له على ما امر الله تعالى به واختيار للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة
للفريقين بل باعتبار حال منه الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان
يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تع
فيه خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تع لهم في السبت
وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا
عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اى بين الفريقين
المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق
بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر
بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل
وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم
ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله تع به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم
اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره
كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله ولا ريب في ان كلمة بينهم تأبى ان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين
وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي عليه الصلوة والسلام باتباع ملة ابراهيم
ابراهيم عليه السلام وبين امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
فتامل ادع اى من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او لان المقصود الدعوة كما في قولهم
يعطي ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن
البيان وان المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط
المستقيم واخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله

شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عليه السلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام
الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به عليه السلام والايماء الى وجه بناء الحكم بالحكمة
اي بالمقالة الحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابات المقنعة والعبر
النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر
معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار
الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين
ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين
والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى اعلم بحال من لا يرعوي
عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه
لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك
الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة باحسن واما حصول الهداية او الضلالة والمجازاة عليهما فالى الله
تعالى سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين
لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي
فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات
على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء بصيغة الاسم المنبي عن الثبات وتكرير هو
اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال الفريقين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه السلام
فيما يختص به من شأن الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه
فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل
قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب
على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة هو المقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من
غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد
تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة
غير معهودة قاضية عليهم بفناء ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون
وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم
ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة رضي الله تعالى عنه يوم احد قد
مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده
وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر
وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو
تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي صبركم وكذا

خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند
ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين
دخولا اوليا ثم امره صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم
الامور لزيادة علمه بشؤونه تعالى ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون
الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم
الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة
شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد
عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غاياتها الجميلة
وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين لوقوع
الياس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم
والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول
والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز ان يكون الاول تخفيف ضيق كهين وهين اي في امر
ضيق مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات
والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على
الوجه الاول لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله
سبحانه بشراشر نفسه منزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فيبقى عن الحزن بفواته او محذور
فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشوبه دخول
كلمة مع على المتقين لما انهم من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله تعالى ان
الله مع الصابرين ونظائره مما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي
عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل
اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية الله المقرونة ببشارة قوله تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل
سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو
المعنى بماهية الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من
العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورد بعينه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل
ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم المذكور مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من
خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفها كان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب
الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع

ابو الحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي و
قد فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية
كل من الصلتين في ولايته تعالى من غير ان تكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد
الثانية اسمية لافادة كون مضمونها سمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على
التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه
السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام مستتبع
لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر
الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم
تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية   تم تم تم

سورة بني اسرائيل مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم يكن
اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى
من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس
سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما
وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران
بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى الذات المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه
في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته تعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا
لافادة قلة زمان الاسراء ودلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك
من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون
معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته
سبحانه وتعالى وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه
واضافة التنزه او التنزيه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته
وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد
الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرائيل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه عليه
الصلوة والسلام كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد
تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل
فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع

يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال ذلك لقد
صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس
فاستنعتوه المسجد فجلي له البيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت
يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل
الهجرة بسنة وعن انس رضي الله تعالى عنه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام
فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها
واختلف ايضا انه كان روحانيا او جسمانيا فعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ما فقد جسد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا
على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق
العادة بمثابة هذه ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه والاستحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان
قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة
الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
التي من جملتها الحركة وان الله تعالى قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة
بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد
الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب
ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام
لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح
في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية
عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك
وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله و
افعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى الكتاب
اي التورية وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين
في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت
به سورة النجم تقوية بالاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التورية بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلناه
اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه ان لا تتخذوا اي بان لا تتخذوا كقولك كتبت
اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا
تتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير

انعامه تع عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عم او على انه احد مفعولي لاتتخذوا على قراءة
النخعي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تع ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لاتتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغدادية وقرئ
ذرية بكسر الذال. انه. اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا. كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء
من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب
الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام. وقضينا. اي انهينا واعلمنا منزلين. الى بني اسرائيل. اي موحين
اليهم. في الكتاب. اي في التورية فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم. لتفسدن
في الارض. جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المختوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن.
مرتين. مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارميا
حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام. ولتعلن علوا كبيرا.
لتستكبرن عن طاعة الله تع او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحد.
فاذا جاء وعد اولاهما. اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود. بعثنا عليكم. لمؤاخذتكم
بجنايتكم. عبادا لنا. وقرئ عبيدا لنا. اولي بأس شديد. ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من
اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت. فجاسوا. اي ترددوا لطلبكم بالقتل
وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ جوسوا. خلال الديار. في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار
فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض
الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية. وكان. ذلك. وعدا مفعولا. لا محالة اي ثابتا لا صارف عنه و
لا مبدل. ثم رددنا لكم الكرة. اي الدولة والغلبة. عليهم. على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم و
رجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسارائهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب القى الله تعالى
في قلبه الشفقة عليهم فرد اسارائهم واموالهم وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت. وامددناكم باموال. كثيرة بعد ما نهبت اموالكم. و
بنين. بعد ما سبيت اولادكم. وجعلناكم اكثر نفيرا. مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع
الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو وكالعبيد والمعيز. ان احسنتم.
اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد
ان تكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان. احسنتم لانفسكم. لان ثوابها لها. وان اسأتم.
اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق وبلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة. فلها. اذ عليها وبالها
وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها. فاذا جاء وعد الآخرة. حان وقت
ما وعد من عقوبة المرة الآخرة. ليسوءوا وجوهكم. متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا
ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي

الله تعالى عنه لنسوأن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة ولنسوأن واللام في قوله تعالى
وليدخلوا المسجد. عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به. كما دخلوه اول مرة. اي في اول مرة. وليتبروا.
اي يهلكوا. ما علوا. ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم. تتبيرا. فظيعا لا يوصف بان سلط الله تعالى عليهم
الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح
قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ
الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال بمثل هذا
ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي
منهم احدا فهدأ. عسى ربكم ان يرحمكم. بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي
وان عدتم. اي الى ما كنتم عليه مرة اخرى. عدنا. الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله تعالى عليهم
النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث
الله عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا. اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما
عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم. ان هذا القرآن.
الذي آتيناكه. يهدي. اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كالكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام
للتي. للطريقة التي. هي اقوم. اي اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها لبيان القصد
التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها
لاسيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل
الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين. ويبشر. المؤمنين. بما في تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ
بالتخفيف. الذين يعملون الصالحات. التي شرحت فيه. ان لهم. اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا.
بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات. وان الذين لا يؤمنون بالآخرة. واحكامها المشروحة فيه من
البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة
التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله تعالى. اعتدنا لهم عذابا اليما. وهو عذاب جهنم اي اعتدنا
لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث
لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير
المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية
القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدائهم وقوله تعالى. ويدعو الانسان بالشر. بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما
من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى
على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا
شر وراءه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور
اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء

او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وغير ذلك مما يحكى عنهم واما باعمالهم السيئة المعم
المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم • دعاءه بالخير • اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لتحققا فانه بمعزل
من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله • وكان الانسان • اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا
يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا فى العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تحكم به
وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثانى ان
القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله
بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام دفع
الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل من ألم القد فهرب فلما اخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام انى سألت الله ان يجعل دعائى
على من لا يستحق من اهلى عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر فى
اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه • وجعلنا الليل والنهار
آيتين • شروع فى بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد لا مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التى
التى كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من
محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية
المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودى اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور
ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار
عليها بلا واسطة اى جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما فى الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار فى
فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن العظيم
من ملة الاسلام والتوحيد • فمحونا آية الليل • الاضافة اما بيانية كما فى اضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية
التى هى الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان
لم تكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشأهما كذلك والفاء
تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك
الجعل المذكور ومتمماته • وجعلنا آية النهار • اى الآية التى هى النهار على نحو ما مر • مبصرة • مضيئة يبصر فيها
الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما
ومحو القمر اما خلقه مطموس النور فى نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما
هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء
المظلمة • لتبتغوا • متعلق بقوله وجعلنا آية النهار كما اشير اليه اى وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم فى بياض النهار
فضلا من ربكم • اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء
والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد فى تحصيل الرزق
تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله تعالى لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية • ولتعلموا •
متعلق بكلا الفعلين اعنى آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا

١٦٥

للعلم المذكور اى لتعلموا بتفاوت الجديدين وتغيرهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما
وسائر احوالهما • عدد السنين • التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية • والحساب •
اى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالى والايام وغير ذلك مما نيط به شىء من المصالح
المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذى تعلق به العدد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك
بكل فرد من احوالها ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها
من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من
تلك الطائفة المعدودة بعدها اى بفنيها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شىء معين وتحقيقه ما مر فى سورة يونس
من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم
خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعدد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شىء كذلك ولما ان
السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر
فيه تحصل مراتب معينة لها اسامى خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف
اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على
العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا او
لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شىء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط
من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان والله تعالى اعلم
وكل شىء • تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع
الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل مقدر يفسره قوله تعالى • فصلناه تفصيلا • اى بيناه فى القرآن الكريم
بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء فظهر كونه هاديا للتى هى اقوم ظهورا
بينا • وكل انسان • مكلف • الزمناه طائره • اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش
الغيب ووكر القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم
كذا • فى عنقه • تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة
او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون • ونخرج له • بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل
على ان الضمير لله تعالى وللمفعول والضمير للطائر كما فى قراءة يخرج من الخروج • يوم القيمة • والبعث
للحساب • كتابا • مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من
المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخيرتين حال من المستتر فى الفعل من ضمير الطائر • يلقاه • اى
يلقى الانسان او يلقاه الانسان • منشورا • وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثانى حال منها وقرئ
يلقاه من لقيته كذا اى يلقى الانسان اياه • قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان عن يمينك وعن
شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت
صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة • اقرأ كتابك • اى قائلين له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك
اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان
خيرا او شرا يحدث منه فى جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس

والقوى فاذا انقطعت علاقتها عن البدن قامت قيامتها لان النفس كانت ساكنة مستغرقة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عملته في مدة عمرها وهذا معنى الكتابة والقراءة . كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . اى كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعليك صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث . يا نفس انك باللذات مسرور . فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير . من اهتدى فانما يهتدي لنفسه . فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد . ومن ضل . عن الطريقة التي يهديه اليها . فانما يضل عليها . اى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه . ولا تزر وازرة وزر اخرى . تأكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منهما وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يرى عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملها العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم . وما كنا معذبين . بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اى وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل . حتى نبعث . اليهم . رسولا . يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده وايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح عليه السلام كيف اخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة . وقوله تعالى . واذا اردنا ان نهلك قرية . بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اى واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من العذاب الاستئصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع مما ذكرنا شانه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير

بعث

ان يكون له حد معين . امرنا . بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها . مترفيها . متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله تعالى لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع . ففسقوا فيها . اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا . فحق عليها القول . اى كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها . فدمرناها تدميرا . اى اهلكناها باهلاك اهلها . تدميرا . لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز عن الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اى كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وامّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة اى جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله تعالى وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقا بان يعبر عنه بالامر به . وكم اهلكنا . اى وكثيرا ما اهلكنا . من القرون . بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعى لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرون . من بعد نوح . من بعد زمن نوح عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام في سلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليه السلام رمز الى ذكرهم . وكفى بربك . اى كفى ربك . بذنوب عباده خبيرا بصيرا . يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه . من كان يريد . باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الريا والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة . العاجلة . فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان هنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب لقوله تعالى . عجلنا له فيها . اى في تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها . ما نشاء . اى ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد . لمن نريد . تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله تعالى وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي يدور عليها فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل ما يطلبه

بتمامه وانما لم يراع ما في قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى
ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور
او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا
يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية
سوى آيات معينة ومن اراد باعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اى السعي
اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية و
الاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على
اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة و
ما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة
المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اى اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الآخرة
والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق
المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل واحد من
الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد اى نزيده مرة بعد مرة اخرى بحيث يكون
الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار
اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكاء على ما يلحق عبارة واشارة
كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اى نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء
المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه
تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الآخر وتاكيد للقصر المستفاد
من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اى من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد
ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل
بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اى دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه
واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية
على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض
لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم
محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اى انظر
بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع
وضالع وظليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات
تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر
اى هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها

ودرجاتها العاجلة التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنها بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع
توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان
النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من
الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك
الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك
العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآتية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة
الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد لهم كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر
لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام
اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وهو من
باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من
قولهم شحذت الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اى عجز عنه مذموما مخذولا خبران
او حالان اى جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد
جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اى امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك الا تعبدوا
اى بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اى لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان
العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين
اى وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد
ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار
تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما
عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما
تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد
فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا
تقل لهما اى لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ
بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي
يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما
اى لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا
كريما ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه او قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه
حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال
لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمهما فانه من الجفاء وسوء الادب وديدن الدعار وسئل
الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما

ولا تنظر اليهما شزرا ولا يرى منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم
بخدمة أودائهما من بعد لما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه
واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الالانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك كأنه
قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ
اصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زمانا وللشمال يدا تشبيها بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة
عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط
رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك
الفانية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من
جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كونهما كافرين كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد
ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه
قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي
كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ تعالى في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما
بتوحيده تعالى ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة
تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت
كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي عليه السلام رضى الله تعالى في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما و
روي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة و
قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من
ماله فنزل جبريل عليه السلام فقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها
فانشد الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم
لم ابت لسقمك الا ساهرا اتململ كأني انا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت
السن والغاية التي اليها مدى ما كنت فيها اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك انت المنعم
المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين اليه تعالى
عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه
ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا
اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد
بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة

المالية لا محالة اي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض
والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الا من سواهم ممن لا يستحقه فان
التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات البذر والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار
في صرفه اليهم والا لناسب الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن
الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا
بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير
والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير
فيه من المناهي والملاهي او المقارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا
من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تعالى لان من شأنه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى
والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر
بالله تعالى وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر
من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير محلها
من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت له والتعرض لوصف الربوبية
للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران
ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي ان اعترك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك
المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب
للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض
عن السائل وسكت حياء فأمر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل
فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر كسعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من
فضله على انه دعاء لهم ليتيسر عليهم رزقهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلا
لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد مع كلا طرفي قصد الامور
ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معروفا من اول الامر روعي في التصوير بأقبح الصور ولما كان
غائلة الاسراف في آخره بين قبحه بما اثره فقيل فتقعد ملوما اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند
الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال بينا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة
فنزلت فيأباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى
الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول

فجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت
دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل و
كانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض
ويضيقه على بعض آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض
عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا ابيها لكل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي
يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر
والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة و
يقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر
حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عنه نحن نرزقهم واياكم لا انتم
فلا تخافوا الفاقة بناء على عجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه
في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما في سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان
الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وهاهنا الاملاق المتوقع ولذلك
قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا
الى رزقكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم
يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب
وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه
القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهي عن قربانه على خلاف ما سبق وما لحق من القتل للمبالغة في
النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل
النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب
الابضاع المؤدي الى اختلاط الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقلع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة انه عليه السلام قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا
وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى
وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا
بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها
بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه
لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول
الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند

عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل بمؤاخذته بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته و
حجة غالبة فلا يسرف وقرئ فلا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع
بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل القاتل في مادة الدية او بان يقتل
الاثنين مكان الواحد كما يفعله الجاهلية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا
تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته
في استيفاء حقه فلا يبلغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على
ان الله ناصره لما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن
مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى
الولي او المقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف
والتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضائه ذلك اليه و
للتوسل الى الاستثناء بقوله عز وجل الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال
والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه
بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس
والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين
الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان
المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسؤولا اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد
بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في
قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد
انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد
الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال
الله سبحانه اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان
صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية
وقرئ بضم القاف المستقيم العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان
عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان
الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه
ايضا في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان خير في الدنيا
اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به

من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم
الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص
بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب • ولا اقفو الحواصن
ان رمينا • ان السمع والبصر والفؤاد • وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل
اولئك • اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة
على اصحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين
جاء لغيرهم ايضا قال • ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام • كان عنه مسؤولا •
اي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور
وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار و
المجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم
الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان
جارا او مجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير
مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل
وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب
وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم
يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه
مسؤولا او مسؤولا صاحبه • ولا تمش في الارض • التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها
مما لا يليق بالمرح • مرحا • تكبرا او بطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل
المرح وقرئ بالكسر • انك لن تخرق الارض • تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة
مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء • ولن تبلغ الجبال •
التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم
الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه • كل ذلك •
اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين • كان سيئه •
الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة • عند ربك مكروها • مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولى
لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة
لتعليل النهي جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة
عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون
توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون
ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية
النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل

من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها
او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة
سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شانه • ذلك • اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة • مما اوحى اليك
ربك • اي بعض منه او من جنسه • من الحكمة • التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والخير للعمل به او من
الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الآيات
الثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في
الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية
واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول
باعادة الجار • ولا تجعل مع الله الها آخر • الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور
منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها و
من عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب
عليه ههنا ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل • فتقعد مذموما مخذولا • ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى
فقيل • فتلقى في جهنم ملوما • من جهة نفسك ومن جهة غيرك • مدحورا • مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد
الالقاء مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها
آخذ بكفه فيطرحها في التنور • افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا • خطاب للقائلين بان
الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره
المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها
كما في قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض
لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات
الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوانية كقوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • انكم لتقولون • بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة
الولد اليه تعالى • قولا عظيما • لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ
عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد
القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين
ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من
ضلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها • ولقد صرفنا • هذا المعنى وكررناه • في هذا القرآن • على
وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف • ليذكروا • ما فيه
ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي
للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق
ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه
جعله مكانا له اوقعنا فيه التصريف كقوله • يجرح في عراقيبها نصلي • وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم

اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار التوابع ونتائجها • وما يزيدهم • اى والحال انه ما يزيدهم
ذلك التصريف البالغ • الا نفورا • عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه
من القبائح • قل • فى اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى • لو كان معه • تعالى • آلهة كما يقولون • اى المشركون
قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبى عليه السلام والكاف فى محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف
اى كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة • اذن لابتغوا • جواب عن مقالتهم الشنعاء
وجزاء للو • اى لطلبوا • الى ذى العرش • اى الى من له الملك والربوبية على الاطلاق • سبيلا • بالمبالغة
والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل
بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب
لقوله تعالى • سبحانه • فانه صريح فى ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون
واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون
بل هو امر يعتقدونه رأسا • اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به • وتعالى • متباعدا • عما يقولون • من العظيمة
التى هى ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات • علوا • تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا • كبيرا
لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه فى اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتى وما يقولونه من ان له شركاء
واولادا فى ابعد مراتب العدم اعنى الامتناع لانه تعالى فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل وان يكون معه آلهة ولا ريب
فى ان ذلك ليس بداخل فى حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه سبحانه فى مراتب الوجود
انما هو بالنسبة الى من من شأنه ذلك • تسبح • بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت • له السموات
السبع والارض ومن فيهن • من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان
المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز • وان من شئ • من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا
الا يسبح ملتبسا بحمده • اى ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم
الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة
على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة • ولكن لا تفقهون تسبيحهم • ايها
المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبنى للمفعول من باب
التفعيل • انه كان حليما • ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن
التدبر فى الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك فى الكفر والاشراك • غفورا • لمن تاب منكم
واذا قرأت القرآن • الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك
وغير ذلك من الشرائع • جعلنا • بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعى الحكم الخفية • بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة • اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة
من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا به من الايمان به فى القرآن و
تمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك • حجابا • يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه
من النبوة ويعرفوا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على التفوه بالعظيمة التى هى قولهم • ان تتبعون الا رجلا

مسحورا • وحمل الحجاب على ما روى عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت
العوراء ام جميل امرأة ابى لهب وفى يدها فهر والنبى عليه السلام قاعد فى المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها قال
يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لن ترانى وقرأ قرآنا فوقفت على ابى
بكر رضى الله تعالى عنه ولم تر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده
النظم الكريم • مستورا • ذا ستر كما فى قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسى او مستورا
فى نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون • وجعلنا على قلوبهم اكنة •
اغطية كثيرة جمع كنان • ان يفقهوه • مفعول لاجله اى كراهة ان يفقهوه على كنهه او مفعول لما دل عليه
الكلام اى منعناهم ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى • وفى آذانهم وقرا • صمما وثقلا
مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جئ بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان الحال
المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان ذلك اقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا
قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو
الاخبار عما اعتقدوه فى حق القرآن والنبى عليه السلام جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من
التصديق والايمان ككون القرآن سحرا او شعرا واساطير وقس عليه حال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب
فى ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام • واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده • واحدا غير مشفوع به
آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده • ولوا على ادبارهم • اى هربوا ونفروا • نفورا •
او ولوا نافرين • نحن اعلم بما يستمعون به • ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن روى
انه عليه السلام كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار • اذ يستمعون اليك • ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار
بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله عز وجل
واذ هم نجوى • لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم
والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذى يتناجون
به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون وكذا الثانى ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اى ذوو نجوى
او هو جمع نجى كقتلى جمع قتيل اى متناجون • اذ يقول الظالمون • بدل من اذ هم وفيه دليل على ان
ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم فى ذلك ظالمون متجاوزون
للحد اى يقول كل واحد منهم للآخرين عند تناجيهم • ان تتبعون • ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا
او ما تتبعون باللغو والهزء • الا رجلا مسحورا • اى سحر فجن او رجلا ذا سحر اى رئة يتنفس اى
بشرا مثلكم • انظر كيف ضربوا لك الامثال • اى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون • فضلوا • فى جميع
ذلك عن منهاج المحاجة • فلا يستطيعون سبيلا • الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون

ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
ما لا يخفى . وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا . استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستبعاد للبعث بعد
ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور
بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد
وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الظاهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أإنا لمبعوثون لا
نفسه لان ما بعد ان والهمزة لا يعمل فيما قبلهما وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور
ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه
اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أإنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار
التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون
ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار
انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل
كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم
في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه . خلقا جديدا . نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان
الخلق بمعنى المخلوق . قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه . كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في
صدوركم . اي يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون
لا محالة . فسيقولون من يعيدنا . مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة . قل لهم
تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى الطريقة الاستدلال . الذي . اي يعيدكم القادر العظيم الذي
فطركم . اخترعكم . اول مرة . من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه . وكنتم ترابا . ما شممتم رائحة [illegible]
الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء
قدير . فسينغضون اليك رؤوسهم . اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا . ويقولون . استهزاء . متى هو
اي ما ذكرته من الاعادة . قل عسى ان يكون . ذلك . قريبا . نصب على انه خبر ليكون او ظرف على
ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة
واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع
على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب . يوم يدعوكم . منصوب بفعل
مضمر اي اذكر او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعماله
الناقصة في الظرف او بضمير المصدر المستكن في عسى ان يكون اي البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر
كما في قول زهير . وما الحرب الا ما علمتم وذقتم . وما هو عنها بالحديث المرجم . فهو ضمير المصدر وقد تعلق
به ما بعده . فتستجيبون . اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة
التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء . بحمده . حال من ضمير تستجيبون اي منقادين
له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة
احكامها . وتظنون . عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون من الامر الهائل

ان لبثتم . اي ما لبثتم في القبور . الا قليلا . كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا . وقل لعبادي . اي المؤمنين
يقولوا . عند محاورتهم مع المشركين . التي . اي الكلمة التي هي احسن . ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن . ان الشيطان ينزغ بينهم . اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على
بعض ليقع بينهم المشاقة والمشاررة والمعارة والمضاررة فلعل ذلك يؤدي الى تأكيد العناد وتمادي
الفساد وهذا تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء . ان الشيطان كان . قديما . للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم . ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم . بالتوفيق
والايمان . او . ان يشأ يعذبكم . بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان
العاقبة مما لا يعلمه الا الله تعالى فعسى يهديهم الى الايمان . وما ارسلناك عليهم وكيلا . موكولا اليك
امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المحاجة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر
بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله . وربك اعلم بمن في السموات
والارض . وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار
منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات
لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم . ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض . بالفضائل النفسانية والتبرؤ
عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع . وآتينا داود زبورا . بيان لحيثية تفضيله
عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين
في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامته وتعريف
الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول
واما لان المراد ايتاء داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله تعالى عليه
وسلم وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور . قل ادعوا الذين زعمتم . انها آلهة . من دونه
تعالى من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام . فلا يملكون . فلا يستطيعون . كشف الضر عنكم
بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك . ولا تحويلا . اي ولا تحويله الى غيركم . اولئك الذين يدعون
اي اولئك الذين يدعوهم المشركون من المذكورين . يبتغون . يطلبون لانفسهم الى ربهم
ومالك امورهم . الوسيلة . القربة بالطاعة والعبادة . ايهم اقرب . بدل من فاعل يبتغون و
اي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى
الحرص كانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة . ويرجون رحمته كما

ويخافون عذابه كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية ان عذاب ربك
كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله عز وجل
ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب
بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان
اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية
والمراد بالقرية القرية الكافرة اى ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة
بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل
وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس في صيغته من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان
الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا
او معذبوها اى معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا لا بالقتل والسبي ونحوهما من
البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه
اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية
العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب
اى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له
ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت
في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق
والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا
بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة
من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا
يكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت [الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من صح] بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج و
خراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب
العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا
من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا
وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب
الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال آخر قرية من
قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يلائمه
السباق ولا السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اى الآيات التي اقترحها قريش من
احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم
الاشياء اى وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم
وعدم ارسالنا لها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او

غيره سبحانه الحجة عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه
لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في
الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستئصال
المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها
ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد
مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر
في ايثار الارسال على الاتيان لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها
يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين
كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم
بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود
الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على
صيغة الفاعل اى بينة ذات ابصار او بصائر يدرك بها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها
مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد
وهي منصوبة على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين
اى لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب
عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث
يشاهدون آثار هلاكهم وردا وصدرا او لانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل
على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا
لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم
ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اى فظلموا بها ولم يخافوا عاقبتها
والحال انا ما نرسل بالآيات التي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل وا
اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اى علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند
مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جانبه تعالى لتصديق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الكل كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة
يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج من
عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق
بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اى وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها
عيانا مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن

بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازي
او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا
ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا
بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل
المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه
قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك ونظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة
المستقبل للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا
ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا
بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر
المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما عسى يعتريه
من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لما ان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن
الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من
الانبياء عليهم السلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة
قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرك به من تبليغ
الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناكها من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما
اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسروا الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي
مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام في
المنام من مصارعهم لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم
وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما
رآه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر
عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين
المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة
وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه السلام في
وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك
الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه عز وجل من
الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى
اولئك الذين يدعون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك
كان محذورا وتعليم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى عليه السلام وعزير عليه السلام في الطاعة وابتغاء
الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي و
اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له

من غير تلعثم امتثالا للامر واداء لحقه عليه السلام الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر
بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله تعالى يا ابليس ما لك الا تكون
من الساجدين وقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر أأسجد وانا
مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول
اي اسجد له وهو اصله طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس
لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى
باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان
بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه
اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف منه
حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني اهذا من
كرمته علي وقيل معنى ارأيتك اتأملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن
اخرتن حيا الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته
اي لاستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت
ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا
تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب منه تلقيا
من جهة الملائكة عليهم السلام او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او
توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشأنك
الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي
جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من
قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم
من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت
منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح
بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل
في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل
ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل
كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه
وحذر وحذث وندس وندس ونظائرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك
ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسليطه على من يغويه فكان مغوارا

وقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم • واجلب عليهم بخيلك • من خيالته و
رجالته حتى استأصلهم • وشاركهم في الاموال • بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا
ينبغي • والاولاد • بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل
بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة • وعدهم • المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل • وما يعدهم الشيطان الا غرورا • اعتراض لبيان
شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه
وبيان حاله للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب • ان
عبادي • الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة تنبيه على ثبوت
الحكم في قوله تعالى • ليس لك عليهم سلطان • اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • وكفى بربك وكيلا • لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن
اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير
ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم • ربكم الذي يزجي لكم الفلك
في البحر • مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك
ويجريها في البحر • لتبتغوا من فضله • من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه
ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس
الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية • انه كان بكم • ازلا وابدا • رحيما • حيث هيأ لكم ما
تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل
وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى
الجليلة والحقيرة • واذا مسكم الضر في البحر • خوف الغرق فيه • ضل من تدعون • اي ذهب عن خواطركم
ما كنتم تدعون • من دون الله • من الملائكة او المسيح او غيرهم • الا اياه • وحده من غير ان يخطر ببالكم
احد منهم وتدعون لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم
يقدر على ذلك الا الله تعالى على الاستثناء المنقطع • فلما نجاكم • من الغرق واوصلكم • الى البر اعرضتم •
عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة • وكان الانسان كفورا • تعليل لما سبق من الاعراض
أفأمنتم • الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم • ان يخسف بكم جانب البر •
الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب
والجهات بالنسبة الى قدرته تعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة • او يرسل عليكم • من فوقكم
وقرئ بالنون • حاصبا • ريحا ترمي بالحصباء • ثم لا تجدوا لكم وكيلا • يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم
فانه لا راد لامره الغالب • ام امنتم ان يعيدكم فيه • في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن
مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه • تارة اخرى • اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود
باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة
الاولى بحيث لولا اعادة الله لما عادوا • فيرسل عليكم • وانتم في البحر وقرئ بالنون • قاصفا من الريح •

وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد فانها تتقصف اي
تتكسر • فيغرقكم • بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى
الريح • بما كفرتم • بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء • ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا • اي ثائرا يطالبنا
بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله تعالى ولا يخاف عقباها • ولقد كرمنا بني آدم • قاطبة
تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع
والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة
القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول برجله التي يطأ بها القاذورات
لا بيده • وحملناهم في البر والبحر • على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من الحمل في
شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وانت خبير بان الاول
انسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك • ورزقناهم من الطيبات • اي فنون النعم وضروب
المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم • وفضلناهم • في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى
المدركة التي بها يميز الحق من الباطل والحسن من القبيح • على كثير ممن خلقنا • وهم من عدا الملائكة
عليهم السلام • تفضيلا • عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل
العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل
على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل
لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان
المراد بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو
الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد
بيان ان ما سوى المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر
لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد
الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ارذل من كل رذل
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند
الله الذين كفروا • يوم ندعو • نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا
يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول
في افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة للجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل
بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره
كما في يدعى • كل اناس • من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل
وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا • بامامهم • اي
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام

جمع اُمّ كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله تعالى
عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه
ابانة لخطر الكتاب المؤتى او تشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة
الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شان جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على
وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم
اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرءون كتابهم الذي اوتوه على الوجه
المبين بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون
من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في
شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين
في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي
الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل
ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر
عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني
وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول
ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا
بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره
بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما في سورة الواقعة وسورة الحاقة وسورة الانشقاق
للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان
كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر
السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
اذ قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات
سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني به وقيل
في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام
الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنونك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا
اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم لكنت
لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا

يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب
الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها
ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وعنايته تعالى اذا لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في
الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة
وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف
الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في
الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض
التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطف على خبر كاد وقرئ
لا يلبثوا بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك
اي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي ولو خرجت لا يبقون
بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته
عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بني
قريظة واجلى بني النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية
اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها
الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم
الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين
زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينيه وقيل لغروبها
من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت
مثلها في قولك لثلاث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس
المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين
لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام
ولعل الاكتفاء ببيان المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان
فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر
فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر
الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل
به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقرآن الفجر اي وصلوة
الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها
كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون

مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها ثم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر . ان
قرآن الفجر . اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به . كان مشهودا . تشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت
او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة
للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر . ومن الليل . قيل هو نصب على الاغراء
اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان
واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي
قم بعض الليل . فتهجد به . اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة
كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض
المفهوم من قوله من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد
بالقرآن بعض الليل على طريقة واياي فارهبون . نافلة لك . فريضة زائدة على الصلوات الخمس
المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها
على وقتها اي تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله تعالى عليه وسلم في
الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في
فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة
زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية
لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك . عسى ان يبعثك
ربك . اي الذي يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعثك من النوم الذي
هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة . مقاما . نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث
معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون
حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام . محمودا . عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام
الليل وروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال المقام
المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه
الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت
لوائك وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك و
بك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت . وقل رب ادخلني
اي القبر . مدخل صدق . اي ادخالا مرضيا . واخرجني . اي منه عند البعث . مخرج صدق . اي اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المحمودة التي لا كرامة

فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد
وقيل ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما
يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني
فاخرج خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم تدع فلم يبق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا . حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له
على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله تعالى والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم
الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض . وقل جاء الحق . اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ
وزهق الباطل . اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل . كائنا ما كان . كان زهوقا . اي شأنه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء
بالسلطان النصير الذي لقنه عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة و
ستون صنما فجعل ينكث بمخصرة كانت في يده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى
به فكسره . وننزل من القرآن . وقرئ وننزل من الانزال . ما هو شفاء . لما في الصدور من ادواء
الريب واسقام الاوهام . ورحمة للمؤمنين . به العاملين بما فيه ... اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه
ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعيه الحكمة نزوله حينئذ فيتبع ذلك من نزل عليهم بسبب موافقته
لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواءات في المصادفة لابانها من المرضى المحتاجين اليها بحسب
الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض
باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا
اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء في غير مواضعها مع
كونه في نفسه شفاء لاسقام الاخبار اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء
الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام
فيهم وازديادهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا
ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء
او الاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد
الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا
لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك . واذا انعمنا على الانسان . بالصحة
والنعمة . اعرض عن ذكرنا . فضلا عن القيام بموجب الشكر . ونأى . تباعد عن طاعتنا . بجانبه .
النأي بالجانب ان يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار

لانه من ديدن المستكبرين وواذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر
بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس
من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شأن بعض آخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ وناء
اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم
يعمل عمله على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم الذي برأكم على هذه الطبائع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا
وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الظاهر ان السؤال
كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر بدن الانسان ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب
عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية قل
الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشأن
والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة
الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد
يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية
بل ما نيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته تعالى قليل ينال به خير كثير
في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة
وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وما له انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وقيل
هذا من قبيل قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين
سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما
الممكن هنا هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما
قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات لذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها
معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وحمل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه
حادث باحداثه بالامر التكويني فمع ملاءمته لحال السائلين لا يساعده النهوض لبيان قلة علمهم فان ما سألوا
عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبرئيل
عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وتنبيك عليه

حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشأنه ووصفا
له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم و
لنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو من
المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما
تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل
كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه
ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا
من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز
ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره
وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتب عليك وابقائه في حفظك
وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه
من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه
العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المتحدى كونه
من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا ان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على
ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان
بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان
وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولا هي لكان جوابا له بغير جزم
لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير، وان اتاه خليل يوم مسغبة، يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان
المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان المتصدي للمعارضة من كل واحد
منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله
لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه
دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور
ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا
يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله ثم لا
تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي
الشيء انما يقرره نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما
لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل الى المكابرين من
قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة

وسع والطغيان للناس • في هذا القرآن • المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة • من كل مثل • من كل معنى
بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفع كالمثل ليتلقوه بالقبول • فأبى أكثر الناس • أوثر الإظهار على الإضمار
تأكيدا وتوضيحا • إلا كفورا • أي إلا جحودا وإنما صح الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زيدا لأنه متأول
بالنفي كأنه قيل ما قبل أكثرهم إلا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في أبوا الإيمان لأن فيه دلالة على أنهم
لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الإيمان والتوقف في الأمر ونحو ذلك وأنهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا
مرتبة الإباء • وقالوا • عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالإعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة
متعللين بما ليس يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الأمور كما هو ديدن المبهوت المحجوج
لن نؤمن لك حتى تفجر • وقرئ بالتشديد • لنا من الأرض • أرض مكة • ينبوعا • عينا لا ينضب ماؤها
يفعول كيعقوب من نبع الماء غب الماء إذا زخر • أو تكون لك جنة • أي بستان أشجار ماكنة من الوصلة
من نخيل وعنب فتفجر الأنهار • أي تجريها بقوة خلالها • تفجيرا • كثيرا والمراد إما إجراء الأنهار خلالها
عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه • أو تسقط السماء كما زعمت • علينا كسفا • جمع كسفة
كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في محل النصب
على أنه صفة مصدر محذوف أي إسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء
• أو تأتي بالله والملائكة قبيلا • أي مقابلا كالعشير والمعاشر أو كفيلا يشهد بما تدعيه وهو حال من الجلالة
وحال الملائكة محذوف لدلالتها عليها أي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله تعالى وإني وقيار بها
لغريب أو جماعة فيكون حالا من الملائكة • أو يكون لك بيت من زخرف • من ذهب وقد قرئ به وأصله
الزينة • أو ترقى في السماء • أي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة • ولن
نؤمن لرقيك • أي لأجل رقيك فيها وحده أو لن نصدق رقيك فيها • حتى تنزل • منها • علينا كتابا •
فيه تصديقك • نقرؤه • نحن من غير أن نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال عبد الله
ابن أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصك منشور
معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة إلا العناد
واللجاج ولو أنهم أوتوا أضعاف ما اقترحوه من الآيات ما زادهم ذلك إلا مكابرة وإلا فقد كان يكفيهم
بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال • قل • تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة
السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها
أو عن طلبك وتنبيها على بطلان ما قالوه • سبحان ربي • وقرئ قال سبحان ربي • هل كنت إلا بشرا • لا ملكا
حتى يتصور مني الرقي إلى السماء ونحوه • رسولا • مأمورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون
لي خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله تعالى على أيديهم حسبما يلائم حال
قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله بشيء منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته
• وما منع الناس • أي الذين حكيت أباطيلهم • أن يؤمنوا • مفعول ثان لمنع وقوله • إذ جاءهم الهدى
أي الوحي ظرف لمنع أو يؤمنوا أي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للإيمان
أن يؤمنوا بالقرآن • وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر • إلا أن قالوا • في محل الرفع

على أنه فاعل منع أي إلا قولهم • أبعث الله بشرا رسولا • منكرين أن يكون رسول الله من جنس البشر وليس المراد
أن هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول
منهم وإنما عبر عنه بالقول إيذانا بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصداق وحصر
المانع من الإيمان فيما ذكر مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها أو لأنه هو المانع بحسب الحال أعني عند سماع
الجواب بقوله هل كنت إلا بشرا رسولا إذ هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى
من شبههم الواهية وفيه إيذان بكمال عنادهم حيث يشير إلى أن الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم
يلجئهم إلى الإيمان يعكسون الأمر ويجعلونه مانعا منه • قل • لهم أولا من قبلنا تنبيها لحكمة وتحقيقا للحق المزيح
للريب • لو كان • أي لو وجد واستقر • في الأرض • بدل البشر • ملائكة يمشون مطمئنين • قارين فيها
من غير أن يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • يهديهم إلى الحق و
يرشدهم إلى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه وأما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة
كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع
وإنما يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل أن يكون
حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى بعث الله بشرا رسولا والأول
أوفق • قل • لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة
ولم يرفعوا إليه رأسا • كفى بالله • وحده • شهيدا • على أني أديت ما علي من مواجب الرسالة أكمل أداء
وأنكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة إلى كونه عليه السلام رسولا بإظهار
المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى • بيني وبينكم • وما بعده من التعليل وإنما
لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وإبانة للمباينة وشهيدا إما حال أو تمييز • إنه كان بعباده • من الرسل
والمرسل إليهم • خبيرا بصيرا • محيطا بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية و
فيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار • ومن يهد الله • كلام مبتدأ
يفصل ما أشار إليه الكلام السابق من مجازاة العباد إشارة إجمالية أي من يهده الله إلى الحق بما
جاء من قبله من الهدى • فهو المهتد • إليه وإلى ما يؤدي إليه من الثواب أو المهتدي إلى كل مطلوب
• ومن يضلل • أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين • فلن تجد لهم • أوثر ضمير الجماعة
اعتبارا لمعنى من عنها أوثر في مقابلة الإفراد نظرا إلى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه
وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال • أولياء من دونه • من دون الله تعالى أي أنصارا يهدونهم
إلى طريق الحق أو إلى طريق يوصلهم إلى مطالبهم الدنيوية أو الأخروية أو إلى طريق النجاة من العذاب
الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لأحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام
الآحاد إلى الآحاد • ونحشرهم • التفات من الغيبة إلى التكلم إيذانا بكمال الاعتناء بأمر الحشر • يوم القيامة
على وجوههم • حال من الضمير المنصوب أي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
أو مشيا فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن

الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على رجلهم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما
وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون
بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفي القوى و
الحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم عقولهم وحواسهم عند ادراكاتهم هذه المشاعر في بعض المواطن ما
لا ريب فيه. ماويهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا وغيرها
فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرير ما جرة بعد اخرى ليروها
عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا
باياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان
يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف
وقالوا منكرين اشد الانكار ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير
لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين. اولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان
الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان المثل
مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قال خلقا جديدا. وجعل لهم اجلا عطف على الم يروا
فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم
من الانس. وجعل لهم لبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة. فابى الظالمون. وضع موضع الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة. الا كفورا اي جحودا. قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن
رزقه الذي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص. اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره
لعوض يفوته فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى. وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل
لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض عما يبذله. ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله تعالى وهي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على
بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلث لم تكن منزلة اذ ذاك و
ان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما اتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال الا تشركوا به شيئا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولايا عنه ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه
الملهم للسائل مع قبوله لما انه كان في التورية مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم الا من جهة الوحي. فاسأل بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم عن فرعون وقل له ارسل معي
بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه السلام اي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة
او ليظهر صدقك. اذ جاءهم متعلق بقلنا وبال على القراءة المذكورة وبآتينا او بمضمر هو يخبروك او اذكر و
على تقدير كون الخطاب للنبي عليه السلام. فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات
البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك. قال لقد علمت ما انزل
هؤلاء يعني الآيات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى للايذان
بانه لا يقدر على ايتاء مثل تلك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما. بصائر حال من الآيات اي بينات مكشوفات
تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه
السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت بيقين ان
هذه الآيات الباهرة انزلها الله فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر. واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان
بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين. فاراد اي فرعون ان يستفزهم ان
يستخفهم ويزعجهم. من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق. وقلنا من بعده من بعد اغراقهم
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها. فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحيوة
او الساعة او الدار الآخرة او قيام القيمة. جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم
من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى. وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا
ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا
وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب. ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام
اثر تحقيق حقية انزال القرآن. وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه. وقرئ بالتشديد لدلالة
على كثرة نجومه. لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه. ونزلناه تنزيلا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات. قل آمنوا به
او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا. ان الذين اوتوا
العلم من قبله اي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل عليك. اذا يتلى اي
القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما
وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها
وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله آمنوا به
او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون

تعليلا للقول على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه قيل تسلّ بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة
ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او من خلف وعده
ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون للأذقان يبكون
كرر الخرور للأذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله عز وجل او للشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم
من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى ويزيدهم اي القرآن لسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما
ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الهاً آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره
الله تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف
الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اوفق لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما
استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في
له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها
على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك اي بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان
ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ
بين ذلك بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا فقصدا فان خير الامور اوسطها والتعبير
عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان
ابا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وهو علم حاجتي وعمر رضي الله تعالى عنه كان يجهر بها ويقول
اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا و
عمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة
نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله و
الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقول الثنوية القائلون
بتعدد الآلهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها
به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك
يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد
في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا افصح الغلام من
بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر
الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم وعليه التكلان

سورة الكهف مكية وآياتها مائة وعشرة آية

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع
القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا في صفة تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة
لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي
العبد
التعبير عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه السلام الى اعلى
معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون
عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم
وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى
فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما يدرك من العوج بحاسة البصر
بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به المشاعر
الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج
غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدنيوية والدينية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار
والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها
ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك
من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شانه والنصب
على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما
على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف
وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن
ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره
اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا بأسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا
من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به الذين
يعملون الصالحات اي الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة
للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول
الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة
وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي في ذلك الاجر ابدا من غير
انتهاء خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر
الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان

بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل
تلك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزير ابن الله و
النصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان
بكفاية ما في حيز الصلة من الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور
تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج
سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر
الضار من غير اعتبار حلول المنذر به كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم
عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة
ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام • ما لهم به • اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا • من علم • مرفوع على الابتداء
او الفاعلية لاعتماد الظرفية ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي
ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقة مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه • ولا لآبائهم •
الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه ربما يقول عن عمى وجهالة من غير
فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما
في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآية وهو المناسب لقوله تعالى
• كبرت كلمة • اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته تعالى الى ما لا يكاد يليق بجنابه الكريم
والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من
النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم و
قرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضمة وقرئ كلمة بالرفع • تخرج من افواههم • صفة للكلمة مفيدة
لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت
الملابسة لها • ان يقولون • ما يقولون في ذلك الشأن • الا كذبا • الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق
اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن
وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا
على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حمالا له عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك • فلعلك باخع • اي
مهلك • نفسك على آثارهم • غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة • ان لم يؤمنوا بهذا الحديث • اي القرآن
الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة
اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله تعالى باسط ذراعيه • اسفا •
مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم على
الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد حقق
في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم • انا جعلنا ما على الارض • استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي
انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • زينة • مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع

والذي في لها • اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين و
ينتفعوا بها نظرا او استدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما العذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل
حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا
من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون
تحت الابتلاء • لنبلوهم • متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم • ايهم احسن عملا • فنجازيهم
بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز
مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود
واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة
بمعنى الذي واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو
الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على
الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب
لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها
وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء
حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء و
ايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن
والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في
تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • وانا لجاعلون • فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا • ما عليها • من المخلوقات
قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه • صعيدا • مفعول ثان
للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذي لا نبات فيه • جرزا • ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض
جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او
جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اي اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل
والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من
فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم
بحسب اعمالهم • ام حسبت • الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته عليه
السلام وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند
الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت • ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا • في بقائهم على
الحيوة مدة طويلة من الدهر • من آياتنا • من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض
زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس • عجبا • اي آية ذات
عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر للمبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال والمعنى ان

تحت الزينة دخ جهة كونهم مكلفين
واهلون تحت الابتلاء

ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق
الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس
بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل
على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم و
قيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار
فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين
التجأ الفتية اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم
كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع
التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف جعلوه مجلسا واتخذوه مأوى فقالوا ربنا
آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا او
بمحذوف وقع حالا من مفعول آتنا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنا من لدنك
رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن فيه من
مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا
اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور الاول
على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بها وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من
احواله المرغوبة فيه كما يورث تشوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة
وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون
المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا فضربنا
على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى
الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما
انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب
على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من
التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله تعالى
فاستجبنا له بعد قوله اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال و
البعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف
ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا
على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة
او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم
عنده تعالى ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء
مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله
على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله عز وجل الا لنعلم من يتبع

الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا اي نظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه
قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه انقسام الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه
تميزهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل عنه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز
واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وتنتظم
نظم شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض
الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم
عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وليس من ضرورة الاختبار صدور
الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى
فأت بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين
المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي
غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم
فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة
لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه تعالى وفيما سيأتي على ما
صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان
يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا في احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك
فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق
المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبر واختر هذا وقد قرئ ليعلم
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول
الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى
وروي عن عطاء عن ابن عباس ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا
بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو
مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث
كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها
الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون المدة عبارة عما سبق من
السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة
الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد
به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المذكور باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد
بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل
باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين وهو
المرتبة المعينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء
في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى

تلك المدة المنقضية البالغة الى السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه
به بالمعنى الثانى فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما فى قوله تعالى لما لبثوا
مصدرية ويجوز ان تكون موصولة حذف عائدها من الصلة اى للذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه فيما
قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعى على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما
ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع فى سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب
لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى لان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث
لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك فمع ادعاء ان مجئ افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسى مدفوع بانه عند
سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب فى ان ما نحن فيه من ذلك القبيل و
امتناع عمله انما هو فى غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا فى المعنى فلما لا ثم ان كمية لصحة ان
يقال انهم احفظ لهذا اللبث زمانا او تقطيعا او يقال ان العامل فى امدا كما فى قوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا وحديث الوقوع فى الحذو بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر مع ما فيه من
الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن
الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه
رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضى
باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع فى تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى
الفتية الخ اى نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه فى مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم
النبأ الخبر الذى له شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له
على رأى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم
ملتبسا به او نبأهم الملتبس به روى انهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم
الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ فى ذلك وعتى عتوا كبيرا دقيانوس
فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح
عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمن رغب فى الحيوة الدنيا الدنية يصنع
ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرائه وعلقها فى سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك
وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله تعالى واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما
هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة
الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا
اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة
نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا فى امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فاتفق
الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا
بالباقى فأووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله تعالى بالانين والجؤار
وفوضوا امر نفقتهم الى تمليخا وكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى

ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم
فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها فى الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى تمليخا ما رأى من
الشر رجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهد من الهول ففزعوا الى الله تعالى
سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون فى امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا
ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس فى طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم
فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى
قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما
قص الله تعالى عنهم انهم فتية استئناف تحقيقى مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة
للفتى كالصبية للصبى آمنوا بربهم وفى الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر
عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم
مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا
على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على
الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد
فى نفسى شيئا ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب
السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقتضى بمقتضاها فان ربوبيته تعالى لهما تقتضى ربوبيته
لما فيهما اى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة
الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده
لن ندعو لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا
للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية
وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اى قولا
ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف
مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود
والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه الها آخر والله لقد قلنا قولا خارجا
عن حد العقول مفرطا فى الظلم هؤلاء مبتدأ وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا
من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا يأتون
عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم
وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا والمعنى انهم اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة
كما مر تحقيقه فى سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم فى الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسمانى
وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اى اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم

صدع اى تكلم

الا الله او عبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة
ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن
الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه. فأووا اي التجئوا. الى الكهف. قال الفراء هو جواب
اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم
اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف. ينشر لكم. يبسط لكم ويوسع
عليكم. ربكم. مالككم. من رحمته. في الدارين. ويهيئ لكم. يسهل لكم. من امركم. الذي انتم بصدده
من الفرار بالدين. مرفقا. ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدر كالمرجع وتقديم
لكم في الموضعين للاهتمام من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده
وترى الشمس. بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على
موجب الامر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى
الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد
ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته
ترى الشمس. اذا طلعت تزاور. اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاء
وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل. عن كهفهم. الذي اووا اليه
فالاضافة لادنى ملابسة. ذات اليمين. اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره. واذا
غربت. اي تراها عند غروبها. تقرضهم. اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم. ذات الشمال
اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله تعالى على منهاج خرق العادة
كرامة لهم وقوله تعالى. وهم في فجوة منه. جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم
يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير
ذلك. اي ما صنع الله تعالى بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع
شعاعها. من آيات الله. العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده تعالى
وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش و
اقرب المشارق والمغارب الى محاذاته رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره
تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع
شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواه ولا تقع عليهم فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم و
لعل ميل الباب الى جانب المغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك
حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى حفظ الله اياهم في ذلك الكهف تلك
المدة الطويلة او اطلاعه تعالى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده
في تضاعيف القصة. من يهد الله. الى الحق بالتوفيق له. فهو المهتد. الذي اصاب الفلاح والمراد اما
الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق
او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها. ومن يضلل.

اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه. فلن تجد له. ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء. وليا مرشدا.
يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه. وتحسبهم. بفتح السين
وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق. ايقاظا. جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار
الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلايمه قوله ونقلبهم. وهم رقود. اي نيام
وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكر ما يدل عليه من الضرب على آذانهم. ونقلبهم. في رقدتهم. ذات
اليمين. نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم. وذات الشمال. اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها
من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على
المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه. وتحسبهم. اي وترى تقلبهم. وكلبهم. قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا
فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله تعالى فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب
راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه
او غنمه واختلف في لونه فقيل كان اسمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير و
قيل ريان وقيل نغو وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا
كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا. باسط ذراعيه. حكاية
حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع
من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى. بالوصيد. اي بموضع باب الكهف. لو اطلعت عليهم. اي لو عاينتهم
وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو. لوليت منهم
فرارا. هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد
واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله. فانما هي اقبال
وادبار. واما على انه مفعول له. ولملئت منهم رعبا. وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر رعبا وهو
اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله من الهيبة والحيثية كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد
ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله تعالى ولا
يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تأخير هذا
عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر
الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن
معاوية لما غزى الروم مر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس
لك ذلك قد منع الله من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم
فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الى الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ
بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد. وكذلك بعثناهم. اي كما انمناهم وحفظنا
اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم. ليتساءلوا بينهم. اي
ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية البعث المعلل فيما سبق بالاختبار

من حيث انه من الحكمة المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره ‌. قال استئناف لبيان تساءلهم
قائل منهم هو رئيسهم اسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قال لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة
قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر
النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب
فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله تعالى ربكم
اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله تعالى وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون
من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم
ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام
جار مجرى المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير
مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل ناوله بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون
الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود
لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما
فليأتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في
الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي
الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي
ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير لاهل المدينة
في ايهم يرجموكم ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها
من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على
كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة
لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل
المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام
الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا
بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم
لما في ذلك من ازدياد بصيرتهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم
بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث ان كان وعده
او محل موعوده فيدخل فيه والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له
لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث
الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه تعالى توفى نفوسهم وامسكها
ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى
حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف

وعد البعث

التفتت التكسر

لقوله تعالى اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكره لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث
بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق
قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح
دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا وقيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل
مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل
ربه ان يظهر الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه
حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة
اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل
لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف
مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم
المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم
امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاهوال والاحوال ويتلقون ذلك من الاساطير و
افواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله تعالى فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا
ثم ماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا
بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم
الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا
للامر الى علام الغيوب او من كلام الله تعالى رد لكلام الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين و
قيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا
كما في اول مرة فالظرف متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن
عليهم مسجدا وقوله فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول
ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم
ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه السائر
تعسف لا يخفى مع انه لا مخلص لاضافته الى التنازع وهو متأخر في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال
الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد
كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه
اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام
الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان
نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن

الى النصرانيا

المسح لبس البلاس

جمع الراعي كشاب وشبان

وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اى راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف
مستأنف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اى يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه
ذلك. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى
ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها
لا بوحي آخر كما قيل. فيه تحقيق للحق ورد على الاولين. ربي اعلم اى اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اى
ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم. الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد
بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله
انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان للمسلمين
اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في
امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم ... فلا تمار الفاء
لتفريع النهي على ما قبله اى اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية
الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض
العلم الى الله تعالى من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق. ولا تستفت فيهم اى في
شانهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال
علماء الاعلى من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المسلمين
الى صحة القول الثالث وفيه تخصيص لما في الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المنظومة في سمط واحد
منها الحكاية مع كون الآخرين بخلافه ووقوع في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ وان وقفت
على ان كلهم ليسوا على حقائق ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان
فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على
اصابة بعضهم فيفضي لا تراجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من
حيث التلقي من الوحي. ولا تقولن لشيء اى لاجل شيء تعزم عليه. اني فاعل ذلك الشيء غدا اى فيما يستقبل
من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب
الكهف وذي القرنين فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان
ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل. الا ان يشاء الله استثناء
مفرغ من النهي اى لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد
وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل
مشيئة اذن فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعموم سواء استثناء اقتران
المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه
ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها ابدا الا ان يشاء الله. واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له

اذا نسيت. اى اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم
صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون
الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في
الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها. وقل عسى ان يهدين ربي
اى يوفقني لاقرب من هذا اى لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة
على نبوتي. رشدا اى ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل تعالى ذلك حيث آتاه من البينات ما هو
اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي. ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين و
ازدادوا تسعا. وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام
اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم كذا وبعضهم ثلثمائة وروي
عن علي كرم الله وجهه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة
القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان
لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة ووضع الجمع موضع المفرد ومما يحسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف
في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع. قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان الذي لبثوا فيه. له غيب
السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني
فانه غير مختص بالغيب. ابصر به واسمع. دل بصيغة التعجب على ان شأن علمه تعالى بالمبصرات والمسموعات
خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف
والصغير والكبير والجلي والخفي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه
وكان اصله ابصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به
والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة
للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل
المبصرات. ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا
ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك
من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القرآن
الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات على انه
وحي معجز امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال. واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع
لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله. لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره. ولن تجد ابد
الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند المام ملمة. واصبر نفسك احبسها
وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اى داعين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في

طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء
المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم رضي الله تعالى عنهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل قيل
انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح
الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم
بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه
حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم
نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعمال العين لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم
من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك
من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف
على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد
الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في
الفعل على القراءتين الاخيرتين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا
لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل
ابله اذا لم يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن
ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك
الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله تعالى وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس
لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه جملة
من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره
تعالى تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان
بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي
ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او
يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او
امسك بغير حساب وقوله الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي اليك حق لا
ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم فمن شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا
يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم و
عدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من
التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك
فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك به فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتأكيد

للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام
بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير
والتهديد اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله تعالى والتعبير عنهم
بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة
عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط
بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب يشوي الوجه لحرارته عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت
النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل
وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق الذي اوحي
اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي
الثانية مع ما في حيزها والعائد محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد
او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما
اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية
صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت
الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من
الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها
على الارائك على السرر كما هو شأن المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا
متكأ واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج
الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المتفاوتة مما ذكر آنفا من ان
للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين
مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين اخوين من بني اسرائيل او شريكين
كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا
وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر
هو الاسود بن عبد الاسد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله تعالى عنها
اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها
بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حففته
القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما

وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا
الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم
منه اي لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر
وكذا بعض الاشجار تأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا
على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان
الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما
في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل
متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة
فقال لصاحبه المؤمن وهو اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في
الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها وهيئاتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما
لاتصال احديهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال
ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي تفنى ابدا لطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة
صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة
كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقول الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من
هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه
تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه تعالى ولم يدر ان ذلك استدراج قال له
صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام
معتنى بشأنه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق
اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ
من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد
الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه
لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق
واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول
للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الآية لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت
الهمزة فتلاقت النونات فكان الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر انا
والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكن بالهاء

ولكن يطرح انا وكلن انا لا اله الا هو ربي وهذا استدراك لقوله تعالى اكفرت كأنه قال انت كافر لكني
مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك
قلت اي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول
من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة
المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف
بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا
بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
انا اما تأكيد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية
فيكون انا حينئذ تأكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر وقرئ
اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان لترني او حال وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد
فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع
الله تعالى ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا
قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل جمع
حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتي للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا
زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء و
الشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي
غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع ابدا له اي للماء الغائر طلبا فضلا
عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة
العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واحيط الخ وانما حذف لدلالة
السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو
كناية عن الندم كأنه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون
ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما
يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى
انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم
على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي
اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم
لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهي من متممتها
واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك
ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله عليها نارا فاحرقتها وغار

ما أنفق فيها. ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره أي وهو يقول. يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قيل ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه. ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية. فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على رد المهلك أو الإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله تعالى يرونهم مثليهم. من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده. وما كان في نفسه. منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه تعالى. هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال. الولاية لله الحق أي النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى. هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو وهي الملك والسلطان أي هنالك السلطان له تعالى لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك الخ كان عن اضطرار وجزع مما دهاه على أسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على أنه صفة للولاية وبنصبه على أنه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة. واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا أي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة أو بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل. كماء استئناف لبيان المثل أي هي كماء. أنزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير. فاختلط به فاشتبك بسببه. نبات الأرض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع الماء في النبات حتى روي ورف فحينئذ فالظاهر فاختلط بنبات الأرض وإيثاره عليه في النظم الكريم للمبالغة في الكثرة فإن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه. فأصبح ذلك النبات الملتف إثر بهجته ورفيفه. هشيما مهشوما مكسورا. تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم تغن بالأمس. وكان الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها الإنشاء والإفناء. مقتدرا قادرا على الكمال. المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الأخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا إثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في الآية المحكية آنفا وفي قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الأبوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين لما أنها مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنها نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التي شأنها أن تزول بزوالها. والباقيات الصالحات هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله

ومعناها

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجه الله وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أوليا فإن صلاحها ظاهر وأما بقاؤها فلبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح إليه النفس من حظوظ الدنيا. خير أي مما نعت شأنه من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الأعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع أن حقهما أن يكونا مقصودي الإفادة لا سيما في مقابلة إثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للإيذان بأن بقاءها أمر محقق لا حاجة إلى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وإنما الذي يحتاج إلى التعرض له خيريتها. عند ربك أي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة إضافة الزينة إلى الحيوة الدنيا لا لأفضليتها من المال والبنين مع مشاركتهما في الأصل إذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة. ثوابا عائدة تعود إلى أصحابها. وخير أملا حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للإشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها. ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر أي اذكر حين نقلعها من أماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أو نسير أجزاءها بعد أن نجعلها هباء منثورا منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وإيذانا بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتعينه وقرئ تسير. وترى الأرض أي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول. بارزة إذ برز ما تحت الجبال فظاهرها وأما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. وحشرناهم جمعناهم إلى الموقف من كل أوب وإيثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك. فلم نغادر أي لم نترك. منهم أحدا يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما يتركه السيل في الأرض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على إسناد الفعل إلى ضمير الأرض كما في قوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت. وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به ما لا يخفى. صفا أي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا. لقد جئتمونا على إضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا أي مقولا لهم أو وقلنا لهم وأما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جلالة التنزيل الجليل كيف ويلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالإصالة دون

سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما
خلقناكم نعت لمصدر محذوف اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اي
كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله
تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم الن نجعل
لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل
لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها و
خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو
موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور
الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر
ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي
اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا
اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه
نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا
يروا اهوالا لاقوة اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية
من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر
سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا
مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق اظهارا
لمعدلة القلم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم
وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى
كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين
كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء
او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية التافية للفسق
لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم
المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون
لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب
علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال
قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة
من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان
ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله هم العدو
وانما فعل ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار

وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اي الواضعين للشيء في
غير موضعه بدلا من الله تعالى ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع
الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استيناف
مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد
والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل
خلقهم ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه
الجمهور حذرا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني
الى الظالمين ويلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الظالمين خلق الذين
يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي
خلق المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض
منهم فليس من مدارية الانكار المذكور في شيء على ان شهادة بعضهم خلق بعض ان كان مصححا
لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي
المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الانكار
المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم
وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم
اولياء عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على
الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث
لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به
وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم
مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود
والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يبلغوا
ذلك المبلغ باحضاره تعالى ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما
اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا
بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين
ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا للرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى ما صح لك
الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا
بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد
كخادم وخدم وراصد ورصد ويوم يقول اي الله تعالى للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي
الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته
فدعوهم اي نادوهم للاستغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ
معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره

بينهم وابذانا بانهم في الحاقة بحيث لا يعمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا
اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون
فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء
الملائكة وعزيرا والمسيح عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك
فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر
مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اى فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها او ظنوا اذ راوها من مكان بعيد انهم مواقعوها في الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا
ينصرفون اليه ولقد صرفنا اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس
لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من
انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه
فلم يفعلوه وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اى اكثر الاشياء التي يتأتى منه الجدل
وهو ههنا الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاوة لان كلا من
المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع
الناس اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا
ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اى القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون
المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق
بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقدير
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او يأتيهم العذاب اى عذاب الآخرة
قبلا اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اى مستقبلا
يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن
الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان
وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال
كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين
كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا
به اى بالجدال الحق اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم
للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر
لها صم الجبال وما انذروا اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا
استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم
فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي
المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن

القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصي
التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عواقبها انا جعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل
عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا كله او مفعول له اى كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم اى جعلنا
فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلن يكون
منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء الشرط وجواب عن سؤال النبي عليه السلام المدلول عليه
بكمال عنايته عليه السلام كانه عليه السلام قال ما لي لا ادعوهم فقيل انه تدعوهم الخ وجمع الضمير
الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة
المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله الغفور خبره وقوله ذو الرحمة اى الموصوف
بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان
المغفرة ترك المضار وهو تعالى قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد
ولا يدخل تحت الوجود الا ما لا يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه
اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله تعالى
لو يؤاخذهم اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم
بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب
لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة
ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه
تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب
لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان الواقع موضع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل
فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان يوم بدر او يوم القيامة والجملة معطوفة
على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا
منجى او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه وتلك القرى اى قرى عاد وثمود واضرابها
وهي مبتدأ بتقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر
مفسر به لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما
لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف
استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء
الظلم وجعلنا لمهلكهم اى لهلاكهم موعدا اى وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا
استشهاد عليه فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ
بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله
عليه السلام لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه
ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان

ان لكل آية موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح
الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر
واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي ذا غاية تؤدي اليها ويجوز
ان يكون اصل الكلام لا يبرح سيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و
ينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون
من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس و
الروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل بحا الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر
الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا ليتحقق معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون
سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا
بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطب خطبة بديعة رقت فيها
القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم
اليه تعالى فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون
قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام
سأل ربه اي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في
عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال
يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي
مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان
المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى ان يأمره فيه بشيء
روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا
رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك
بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله تعالى جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان
لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل
موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى الجوع فعند ذلك قال لفتاه
آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى ما سار بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل
للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار
ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال اي فتاه عليه السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا

[margin] حبه اليه قال الذي يذكرني ولا
[margin] ي قال فاي عبادك

اليها واقمنا عندها وذكر الايواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين
محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان
الايواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة
والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان
مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا
اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله
وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا
على ما يدل عليه من قوله تعالى فاني نسيت الحوت وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع
النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس
من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء
من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيوانات مع زيادة اي نسيت ان اذكر
لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة
عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء
بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق
النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره واثار ان اذكره على المصدر
للمبالغة فان مدلوله نفس الحوت عند وقوعه والحال وان كانت عجيبة لا يعهد نسيانها لكنه
لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليه واتخذ سبيله
في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء
بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا مفعول ثان
لاتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا
وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي اتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام
موسى عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت
ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه لكونه
امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان
قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير
للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس
عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب
الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له
موسى استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال
له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استئذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت

محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا
ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم
الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليه السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع
معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح
لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى انا
على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله تعالى علمكه الله تعالى لا اعلمه وخبرا
تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض
عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر

الاستثناء خ

ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي عد هذا الوجدان من المتاع
ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول اولى
لا عرفته والظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني
اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما فهم من التزام موسى عليه السلام
للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا
عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر
عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني
بالنون المثقلة فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد
صرفه موسى الى بني اسرائيل قيل انهما مرا بالسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا
ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه المواضع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله تعالى
لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من
ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ان لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين
مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد
وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر
اذا عظم قيل الاصل امر فخفف قال اي الخضر عليه السلام الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله
من قبل وتحقيق لمضمونه للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او
بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب
قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان
من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط
عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد
بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني
من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة

وقرئ بخبرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما
فقتله قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان ففتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين
قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل
نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان
لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام
ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته للايذان بان الحقيق
بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها في

النفس م

نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور
الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى
عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة
كما جرى في المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل ولله در شان التنزيل واما
ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فليس من دفع الشبهة
في شيء بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول
خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات
كثرة صدوره عن كل عاقل مع ذلك حاله يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من
الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس
واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو
بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي
بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي
وجدت عذرا من قبلي حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم
الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون
وقرئ بسكون الدال كعضد وعضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد
ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل قرية بالاندلس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا
اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله عز وجل
استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل
لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح وابشع
روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له و
حقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها
جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة لما انها على المبالغة في ذلك

والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير
والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان
ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا. فاقامه. قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع. قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا. تحريضا له على
اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في اجر من النفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء. قال اي الخضر عليه السلام
هذا فراق بيني وبينك. على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقرئ على الاصل والمشار اليه نفس
الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي
هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود. سانبئك. السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة. بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا. التاويل رجع الشيء الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون
التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالاحسن و
استخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال
بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب. اما السفينة. التي
خرقتها. فكانت لمساكين. لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة
منهم زمنى وخمسة. يعملون في البحر. واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء
بمنزلة عمل الموكلين. فاردت ان اعيبها. اي اجعلها ذات عيب. وكان وراءهم ملك. اي امامهم
وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى
الازدي. ياخذ كل سفينة. اي صالحة وقد قرئ كذلك. غصبا. من اصحابها وانتصابه على انه مصدر
مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب
مع ان مدار ها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى
في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب
في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب. واما الغلام
الذي قتلته. فكان ابواه مؤمنين. لم يصرح بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره. فخشينا
ان يرهقهما. فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين. طغيانا. عليهما. وكفرا. لنعمتهما بعقوقه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان
الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي فكره تعالى كراهة من خاف سوء
عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى عز وجل
لاهب لك. فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه. بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان
الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما. زكوة. طهارة من الذنوب

والاخلاق الردية. واقرب رحما. اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى
الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ
يبدلهما بالتشديد. واما الجدار. المعهود. فكان لغلامين يتيمين في المدينة. هي القرية المذكورة
فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح
قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور. وكان تحته كنز لهما. من فضة وذهب كما روي
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وسائر
حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم. وكان ابوهما صالحا. تنبيه على ان سعيه في ذلك
كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء. فاراد ربك. اي مالكك و
مدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه على تحتم كمال الاعتناء و
الانقياد والاستسلام لارادته تعالى ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور
المذكورة. ان يبلغا اشدهما. اي حلمهما وكمال رايهما. ويستخرجا كنزهما. من تحت الجدار ولولا اني
اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية. رحمة
من ربك. مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه تعالى او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده
اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله تعالى. وما فعلته عن امري. اي عن رايي
واجتهادي تاكيدا لذلك. ذلك. اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد درجتها في الفخامة. تاويل ما لم تسطع. اي لم تستطع فحذفت التاء للتخفيف. عليه صبرا
من الامور التي رايته اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون
التاويل معناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب
تنبيه اختلفوا في حيوة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل
الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق
فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة
منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة سنة وروي
ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل
به. ويسألونك عن ذي القرنين. هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سألته قريش بتلقينهم
وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه
الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرزبه من ولد يافث بن
نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله ابن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان

له عليه السلام

ابن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي
قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان
الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان
ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عبير بن افريقيس الحميري وانه ملك بلغ مشارق الارض ومغاربها
وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء
كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن قال الامام الرازي
والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو
الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف
ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية
وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان
قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من
المدن العظام ثم قصد الصين وغزى الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع
الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت
الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه
فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له درع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر
فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن الموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل
ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش
ستا وثلاثين او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان فان ذلك لا ينطبق الا على ذي
القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس
والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه و
ولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة
ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين و
نحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال
اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما
كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت
له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور و
كان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي
وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل عليهم السلام وروي انه حج
ماشيا فلما سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس

ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل عليه السلام فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم
عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل
سئل عنه علي كرم الله تعالى وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله
فاحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل
لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه
كان في رأسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من
النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله تعالى فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله فضرب بقرنه الايسر
فمات ثم بعثه الله وقيل لانه رأى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في
عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من
ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس
ابن مصريم بن هرمس بن ميطون ابن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون
ابن رومية بن ثونط بن نوفيل بن رومي بن الاصغر بن العيص بن اسحق
ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية
الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل
المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل
دارا بن دارا اذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما نبهنا على هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما
واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول
كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان
كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين
هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية
القسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك
عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانية مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع
لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها
ولقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من عجائب الآثار
ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلو عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي
القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله تعالى قيل
سأتلو اي سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق
المناسب لمقام تأييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول
من قال سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع
فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها
ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم

فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله تعالى انا مكنا له في الارض شروع في
تلاوة الذكر الموعود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له
ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى
يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث
القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعل لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض
ما لم نمكن لكم وهذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة
يوسف والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب
حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه
السير في الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة
بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع
بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة
الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني
حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف
على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات
التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة
وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان معاوية
قرأ حامية وعنده ابن عباس فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى
عنهم كيف تقرأ فقال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب فقال في
ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة
بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة عن الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول
ابن عباس بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية
في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح
به قوله عز وجل وجدها تغرب ووجد عندها اي عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان
وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا
اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة
الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلتها اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على
المفعولية اي اما تعذيبك واقع او امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن
لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان
ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه

بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه
من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور
وهو العذاب النكر ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا
وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت
مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما
يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء
على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اي نجزي بها جزاء و
الجملة حالية او اعتراضية بين المبتدأ والخبر المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير
منون على انه سقط التنوين لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر
الجار والمجرور وقيل خيره بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير
بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب
ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فا
فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نأمر به يسرا اي سهلا
متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اي
طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع
عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه
مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر انه سخر له السحاب و
طوي له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل
هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب
او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن
هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي
صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة
الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس اذا هي فوق الماء كهيئة
الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس
فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل
المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوما
اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس
والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعَدد والعُدد خبرا يعني
ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية
فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا

بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما
بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبل ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل
ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه
مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا
فراق بيني وبينك وجد من دونهما اى من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اى امة من الناس لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اى لا يفهمون السامع كلامهم و
اختلفوا في انهم من اى الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج
ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون
قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم
وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج
قالوا اى بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهامهم كلامه اياهم من
جملة ما آتاه الله من الاسباب يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث
ابن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية
صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدهم
نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ
بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اى في ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اى جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض
على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض و
الذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت
به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ
بالفك اى ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير
اى مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة اليه فاعينوني بقوة اى بفعلة وصناع
يحسنون البناء والعمل وبالآلات لابد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه
الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة
الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه
في قولهم بيننا وبينهم ردما اى حاجزا حصينا برزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال
ثوب مردم اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد
جمع زبرة كغرف وغرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن

او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اى جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير و
لان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها
دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد
ووجوده مما اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله تعالى
حتى اذا ساوى بين الصدفين اى آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي
الجبل من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين
ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اى بالكيران
في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اى المنفوخ فيه نارا اى كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل
المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك بمنزلة الآلة قال للذين
يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اى آتوني قطرا اى نحاسا مذابا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اى جيئوني كأنه يستدعيهم للاعانة
باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى
ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين
وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اى
فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا
صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه
ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة
لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن
النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة
عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور
مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة
اصلا قال اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد
وقيل الى تمكنه من بنائه والفصل لما تقدم ان هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من
السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة
من ربي على كافة العباد ولاسيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة
بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية
لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج و
مأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم
وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور
التي ستكون بعد مجيئه حتما جعله اى السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما

ليس في توجيه الإشارة السابقة إلى التمكين المذكور جعله دكاء أي أرضا مستوية وقرئ دكا أي مدكوكا
مستوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك أي المنبسط السنام وهذا الجعل
وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته تعالى بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي
أي وعده المعهود أو كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه
الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكي من
قصته وقوله تعالى وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله عز وجل جعله دكاء وتحقيق
لمضمونه أي جعلنا بعض الخلائق يومئذ أي يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض
آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك
قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين
في البلاد روي أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن
لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى
نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة ثم يرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر
ثم يرسل الله تعالى مطرا فيغسل الأرض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك
بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله
عز وجل فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لأنها داهية عامة ليس فيها حالة مخصوصة
بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأهوال وبين ما يقع منها في
النشأة الآخرة أي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب
والجزاء جمعا أي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم أظهرناها وأبرزناها يومئذ أي يوم إذ جمعنا الخلائق
كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا أي عرضا فظيعا
هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة
الذين كانت أعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن
ذكري عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها عن ذكري على وجه يليق بشأني أو عن القرآن
العظيم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و
هذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار
والموصول نعت للكافرين أو بدل منه أو بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللإشعار بعليته لإصابة
ما أصابهم من عرض جهنم لهم فإن ذلك إنما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض عليهم في الدنيا من
الآيات وإعراضهم عنها مع كونها أسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة أفحسب الذين كفروا أي
كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ أفظن والهمزة للإنكار و
التوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه كما في قولك أضربت أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب
أبي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعا كما إذا قدر

المعطوف عليه في قوله تعالى أفلا تعقلون منفيا أي ألا تسمعون فلا تعقلون لا إلى المعطوف فقط كما إذا قدر مثبتا
أي أتسمعون فلا تعقلون والمعنى أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا أن يتخذوا عبادي من دوني من
الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي أولياء معبودين ينصرونهم من بأسي
وما قيل إنها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت أعينهم الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامي
والتصام وأدخل عليها همزة الإنكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للإيذان بالاستقلال
المؤكد للذم يأباه ترك الإضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على أنهما أخرجا مخرج الأحوال
الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث إنهما من أفعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وأيضا
فإنه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا من تصامهم عن كلام الله تعالى وتخصيص الإنكار بحسبانهم المتأخر
عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز الصلة أن ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة
أي أفحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين
وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله
الثاني محذوف أي أفحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا
به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل
والفاعل فإن النعت إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى إنكار الوقوع إنا أعتدنا
جهنم أي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الإضمار ذما لهم وإشعارا بأن ذلك الاعتداد بسبب
كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا أي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل أي
الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من
قبيل إعتاد العتاد وإعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من
العدة والذخر جهنم عدة وفي إيراد النزل إيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هي أنموذج له وقيل
النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب
الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من أول الأمر وللإيذان بمعلومية النبإ
للمؤمنين أيضا بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة
باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها وفي حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واثقين
بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في
حسبانهم الذين ضل سعيهم في إقامة تلك الأعمال أي ضاع وبطل بالكلية في الحياة الدنيا متعلق
بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس
وسعد بن أبي وقاص ومجاهد رضي الله تعالى عنهم ويدخل في الأعمال ما عملوه من الأحكام المنسوخة
المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة
ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف لأنه جواب للسؤال كأنه
قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه أو منصوبا على الذم
على أن الجواب ما سيأتي من قوله أولئك الآية يأباه أن صدره ليس منبئا عن خسران الأعمال

وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة
في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع
ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر لقضية نون العظمة • وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا •
الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم
يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة
حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره
او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع كما في قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق
ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان
خطائهم • اولئك • كلام مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم
وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر
من ضلال السعي مع الحسبان المذكور • الذين كفروا بآيات ربهم • بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا
والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور • ولقائه • بالبعث وما يتبعه من امور
الآخرة على ما هي عليه • فحبطت • لذلك • اعمالهم • المعهودة حبوطا كليا • فلا نقيم لهم • اي لاولئك الموصوفين
بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء • يوم القيامة وزنا • اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف
عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه
انما يوضع لاجل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه
التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون
الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا • ذلك • بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة
بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل • جزاؤهم جهنم • جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد
محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر • بما كفروا •
تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى • واتخذوا آياتي و
رسلي هزوا • بها فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا • ان الذين
آمنوا • بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد
اي آمنوا بآيات ربهم ولقائه • وعملوا الصالحات • من الاعمال • كانت لهم • فيما سبق من حكم الله تعالى
ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين
نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم • جنات الفردوس • عن مجاهد ان الفردوس
هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار
وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما
وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب
انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس
اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن و
منه تتفجر انهار الجنة • نزلا • خبر كانت ولهم متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه
بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو لهم والجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى
كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان
بانها عندما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان
جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها • نصب على الحالية • لا يبغون عنها حولا • مصدر
كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى
تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال من
صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة • قل لو كان البحر • اي جنس البحر • مدادا •
وهو ما تمد به الدواة من الحبر • لكلمات ربي • لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر
من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك • لنفد البحر • مع كثرته ولم يبق منه
شيء لتناهيه • قبل ان تنفد • وقرئ بالياء • كلمات ربي • من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها
فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره
صلى الله تعالى عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار
البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير • ولو جئنا • كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام
الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة
على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر
من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة • بمثله مددا • عونا وزيادة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام
الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا
قل • لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى • انما انا بشر مثلكم • لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة • يوحى
الي • من تلك الكلمات • انما الهكم اله واحد • لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية
وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد
بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمنين الاستمرار
والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى • فليعمل • لتحصيل تلك الطلبة
العزيزة • عملا صالحا • في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا يشرك بعبادة ربه احدا • اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا
كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع
التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب

الاشتراك فعلا وتركا روى ان جندب بن زهير رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه السلام ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وروى انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى
به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال عليه السلام الرياء وعن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت
له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه
نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم مكية وهي تسع وتسعون آية

كهيعص باماله الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل
الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها
الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء
الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ
بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه
خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار
كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك
اى المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس
ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ
لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح
اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه
الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة ربك الخ او اسم الاشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة
المؤلف منها اى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة
ربك على صيغة الماضي من التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام
تكميل له عليه السلام وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل لذكر على
انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان
اى بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل
لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله
تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه
بالنسبة اليه تعالى كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب
الولد لتوقفه على مبادى لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم
وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قيل كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل

خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة مستأنفة لنداء لا محل
لها من الاعراب رب انى وهن العظم منى اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن و
دعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها
تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن
لكل فرد من افراده ومنى متعلقة بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتأكيد
الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض
والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج
الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما
قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي
فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان
اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا
ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا اى لم اكن بدعائي
اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها
او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من
الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعيه الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال
فانه تعالى بعد ما عوده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا سيما عند اضطراره وشدة
افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع
ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته وانى
خفت الموالي عطف على قوله انى وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن
من مبادي خوفه من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في
امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى من ورائي اى بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن
اى فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اى خفت الذين
يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من
ورائي اى قلوا او عجزوا عن القيام بامور الدين بعدى او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم
الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا مسرعين اى درجوا قدامي ولم يبق منهم من به
تقو واعتضاد فالظرف ح متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا اى لا تلد من حين شبابها فهب
لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا
وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن
في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة
آل عمران اى اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بطريق الاسباب

العادية ﴿وليا﴾ اى ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه
البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده
لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين
الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكر عليه
السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد
بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع
اخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب
عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم
ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر
من النكت التنزيلية وقوله تعالى ﴿يرثني﴾ صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اى
يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال صلى الله تعالى عليه
وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا ﴿و
يرث من آل يعقوب﴾ يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة
او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل
سليمان وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا عم قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل
وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم
وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير
ففيه ايماء الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني
على طريقة التجريد اى يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء
ولا علماء ﴿واجعله رب رضيا﴾ مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي اجعل للمبالغة في الاعتناء
بشان ما يستدعيه ﴿يا زكريا﴾ على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا ﴿انا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ لكن
لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه تعالى
على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب
لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ
بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي
الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من
قضائه تعالى ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت
ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام
تأكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾

اى شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسامي
البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل
والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم
قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من
الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول من
الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله بدعوته ﴿قال﴾ استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال ﴿رب﴾ ناداه الله تعالى بالذات
مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى
والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه
كما ان علم البشر بما يصدر عنه تعالى متوقف على ذلك في عامة الاوقات ﴿انى يكون لي غلام﴾ كلمة
انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما
مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان
يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اى انى يحدث كائنا لي غلام
او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية
وقوله تعالى ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى ﴿وقد بلغت
من الكبر عتيا﴾ حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اى كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها
وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل
والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود
فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار
ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احدهما بالسكون وكسرت العين
اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل
عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر
قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة
الى بيان قصور شأنه انسب وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله
تعالى لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله
تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف الله تعالى وفضله
مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد
المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء
والبشارة ستون سنة وقد كان نسي دعاءه وهو بعيد ﴿قال﴾ استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ
مما سلف والكاف في قوله تعالى ﴿كذلك قال ربك﴾ مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه

وقيل بل كان ذلك منه عليه السلام استعظاما عن كيفية حدوثه صح

مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر
شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين
جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كأنه قيل قال الله تعالى مثل ذلك
القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في
العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه
او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن
الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند
الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته
عز وجل عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان
يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان
بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه تعالى
هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره
قوله هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا
الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة
الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال تعالى الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ
استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن
في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى
الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال الله
تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك
الى آخره استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة
الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته
حال سهولته عليه تعالى وقوله تعالى مع ان المقصود بيان سهولته تعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع
اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق
من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد
بقياس ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من
افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه
بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان
ابداعه عليه السلام على هذا الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط
الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق
المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا عليه السلام ح اظهر عنده واجلى

وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين
في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه كأنه قيل وقد خلقتك من قبل في
تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به
اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي آية اي
علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها
كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة
مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل
عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان
يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام
كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين
او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير
المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى
مبتدأ او خبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي
ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح
بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار
اي يمنع الكلام فلا تنطق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على
قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب
فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا
وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى ان صلوا او
بان صلوا بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر
او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف
طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة
بقوة اي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس الحكم النبوة استنبأه وهو
ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال
ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة
عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اي طهارة من الذنوب
او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او

عاصيا لربه. وسلام عليه من الله تعالى يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم. ويوم
يموت. من عذاب القبر. ويوم يبعث حيا. من هول القيمة وعذاب النار. واذكر في الكتاب. كلام
مستأنف خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك
والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها و
قصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس مريم. اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان. اذ
انتبذت. ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف
عليه وحكي بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد
بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى
ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل الاشتمال لا محالة وقوله عز وجل
من اهلها. متعلق بانتبذت وقوله تعالى مكانا شرقيا. مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان
المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تأخيره عنه اي اعتزلت وانفردت
منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هناك للعبادة وقيل قعدت في مشرقة
لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها
المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها
الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا
اي جبرائيل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد
الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان. فتمثل لها بشرا سويا.
سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف
من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا
لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها فمع مخالفته للمقام باباه آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى. قالت اني
اعوذ بالرحمن منك. فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة
على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها
ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به
تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى. ان كنت تقيا. تتقي الله تعالى
وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعظ
بتعوذي او فلا تتعرض لي. قال انما انا رسول ربك. يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت
من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما. اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في
الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرها للتشريف لها وتسليتها وللاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف
امرني ان اهب لك غلاما زكيا. طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير و

والصلاح. قالت انى يكون لي غلام. كما وصفت. ولم يمسسني بشر. اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل
بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة. ولم اك بغيا. عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية
مفصح عن كون المس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها
بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل فعيل بمعنى الفاعل ولو كان فعيلا لقيل بغية
كما يقال فلانة نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها
الرجال للفجور. قال. اي الملك تقريرا للمقالة وتحقيقا لها. كذلك. اي الامر كما قلت لك وقوله. قال
ربك. الى آخره استيناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك. هو. اي ما ذكرت لك من هبة الغلام
من غير ان يمسك بشر اصلا. علي خاصة. هين. وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب
والوسائط وفي قوله تعالى. ولنجعله آية للناس. اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم و
برهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا
ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة. ورحمة
عظيمة كائنة. منا. عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده. وكان. ذلك. امرا مقضيا. محكما قد
تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لتضمنه حكما بالغة. فحملته. بان نفخ جبرائيل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل
انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال
وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها ثلث عشرة
سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين. فانتبذت به. اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا. فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به. مكانا قصيا.
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل. فاجاءها المخاض. فالجأها
وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر
مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج. الى جذع النخلة. لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من
آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها. قالت يا ليتني مت.
بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت. قبل هذا. اي هذا الوقت الذي لقيت فيه
ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبرائيل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء
من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن
الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال
يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه. وكنت نسيا. اي
شيئا تافها شأنه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان فيه كالوتر والوتر

وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا
من نسأت اللبن إذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا. منسيا لا يخطر ببال أحد من
الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين. فناداها أي جبرائيل عليه السلام. من تحتها
قيل إنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أي من مكان أسفل منه تحت الأكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها
عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم. أن لا تحزني. أي لأن لا تحزني على أن أن مفسرة أو
بأن لا تحزني على أنها مصدرية قد حذف عنها الجار. قد جعل ربك تحتك. أي بمكان أسفل منك وقيل تحت أمرك
إن أمرت بالجري جرى وإن أمرت بالإمساك أمسك. سريا. أي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما إن جبرائيل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى
جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله تعالى فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة
فإنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها إذ ذاك
رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والأول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من
النظم الكريم وقيل سريا أي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة
تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها
وتأكيد التعليل وتكميل التسلية. وهزي. الهز تحريك إلى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا
ما كان بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى. إليك. أي إلى جهتك والباء في قوله تعالى. بجذع النخلة. صلة كما
في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ الخطام وأخذ بالخطام
أو لإلصاق الفعل بمدخولها أي افعلي الهز بجذعها أو هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع
حالا من مفعول الهز أي هزي إليك الرطب كائنا بجذعها. تساقط. أي تسقط النخلة. عليك. إسقاطا
متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الإسقاط بالتاء والياء وتتساقط بإظهار التاءين و
تساقط بحذف الثانية وتساقط بإدغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط
على أن التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى. رطبا. على القراءات الثلاث الأول مفعول وعلى الست
البواقي تمييز وقوله تعالى. جنيا. صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي رطبا مجنيا أي صالحا
للاجتناء وقيل بمعنى فاعل أي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للإتباع. فكلي واشربي. أي من ذلك الرطب
وماء السري أو من الرطب وعصيره. وقري عينا. وطيبي نفسا وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى
قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية
والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك وقرئ و
قري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه
من النظر إلى غيره أو من القر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة
العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه. فإما ترين من البشر أحدا. أي آدميا كائنا من كان وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي. فقولي. له إن استنطقك. إني
نذرت للرحمن صوما. أي صمتا وقد قرئ كذلك أو صياما وكان صيامهم بالسكوت. فلن أكلم اليوم إنسيا.

أي بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة وهو الأظهر قال
الفراء العرب تسمي كل ما وصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا
حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص
قاطع في قطع المطاعن. فأتت به قومها. أي جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفاسها. تحمله.
أي حاملة له. قالوا. مؤنبين لها. يا مريم لقد جئت. أي فعلت. شيئا فريا. أي عظيما بديعا منكرا من فرى
الجلد أي قطعه أو جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب. يا أخت هارون. استئناف لتجديد
التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح كان في زمانهم شبهوها به أي كنت عندنا
مثله في الصلاح أو شتموها به. ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. تقرير لكون ما جاءت به فريا
منكرا وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش. فأشارت إليه. أي إلى عيسى عليه السلام
أن كلموه والظاهر أنها بينت حينئذ نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن
المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به. قالوا. منكرين لجوابها. كيف نكلم من
كان في المهد صبيا. ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وكان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم
صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة
من وصبيا حال من المستكن فيه أو هي تامة أو دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما. قال. استئناف
مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام. إني عبد
الله. أنطقه الله تعالى بذلك أولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى
زكريا عليهما السلام وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت
وروي أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار
إليهم بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان. آتاني الكتاب. أي الإنجيل
وجعلني نبيا وجعلني. مع ذلك. مباركا. نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة إما
باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل أكمله الله عقلا و
استنبأه طفلا. أينما كنت. أي حيثما كنت. وأوصاني بالصلوة. أي أمرني بها أمرا مؤكدا. والزكوة.
زكوة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل. ما دمت حيا. في الدنيا. وبرا بوالدتي. عطف على
مباركا أي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني
وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم. ولم يجعلني جبارا
شقيا. عند الله تعالى لفرط تكبره. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا. كما هو على
يحيى عليه السلام على أن التعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات
جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه
تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى. ذلك. إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من
معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة

المشاهد المحسوس عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج
البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال انى عبد الله
وقوله ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو قول الحق
الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او
خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال فى معنى واحد الذى
فيه يمترون اى يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله تعالى وقرئ بتاء الخطاب
ما كان لله اى ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى
عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى
امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ
فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربى وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه السلام
وقيل هو عطف على قوله تعالى انى عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على
حذف اللام اى ولانه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وقيل معطوف على الصلوة هذا اى الذى ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء
فى قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما
يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام مع كونه نصوصا قاطعة فى
كونه عبده ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى فقالت
النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول
ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب و
الجزاء وهو يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم و
هو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر
آرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى حق عيسى وامه
اسمع بهم وابصر تعجب من شدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا
للحساب والجزاء اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور
على الاول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب لكن الظالمون اليوم اى فى الدنيا فى ضلال مبين
لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم فى ذلك
ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اى يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسئ فعلى اساءته واما المحسن
فعلى قلة احسانه اذ قضى الامر اى فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروى
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح و
الفريقان ينظرون فينادى المنادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل

الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل فى
المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم فى غفلة اى عما يفعل بهم فى الآخرة وهم لا يؤمنون وهما
جملتان حاليتان من الضمير المستتر فى قوله تعالى فى ضلال مبين اى مستقرون فى ذلك وهم فى تينك الحالتين
وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا
نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى احد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها
بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون اى يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا
او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم فى الكتاب اى فى السورة او فى القرآن ابراهيم اى اتل على الناس
قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع
قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق فى كل ما ياتى ويذر او كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان
وصفه عليه السلام بذلك من دواعى ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من
النبيين والصديقين الآية اى كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة فى الاحتراز عن
توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبى صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض
مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث
قد مر سره مرارا اى كان جامعا بين الاثرين حين قال لابيه آزر متلطفا فى الدعوة مستميلا له يا ابت
اى يا ابى فان التاء عوض عن ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء
لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع
ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل فى ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغنى عنك اى لا يقدر على ان
يغنى عنك شيئا فى جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام فى دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج
عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد
حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته
التى هى الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق
المحيى المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا لايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف
العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة
الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق
المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة و
الاستعطاف حيث قال يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان فى
اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه فى صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه
من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعنى اهدك صراطا سويا اى مستقيما موصلا الى اسنى
المطالب منجيا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة

يستنكره كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر
به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله
ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون
النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع
الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته
لآدم وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار
كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة
ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة
بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن
للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله تعالى ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان
وليا
قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل
قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى
نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله
تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه
من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا
طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة
مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي
استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله واغفر لابي بقوله تعالى
انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه
وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا يسوغ عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته
لا مساغ له ح
على الكفر فلا تأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان
هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله واغفر لابي الآية
انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه
كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه مما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لان النهي
انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله
النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يدفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود
الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان

للكافر المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء
واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار
لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر
دون ما وقع ههنا لورودها على طريق التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على
تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف
تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة
بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة
الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق
والسياق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض لشقائهم في عبادة
آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان
الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه تعالى لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب
المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له
اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب
حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين
ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم
من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء ولهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير
هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق و
ولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول
لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا
بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بان
النبوة من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب
والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤته احد من العالمين وجعلنا لهم
لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان
صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى
الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد
الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل
لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان
وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى
وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه
من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من

اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اى مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اى من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا اخاه اى معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به ناهيك انه وعد الصبر بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم السلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس قد سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وجل الذين انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله جل وعلا من النبيين بيان للموصول وقوله عز وجل من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا معه ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه

دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوى فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجوده بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله تعالى عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم اى فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هي او تلك جنات عدن الخ او مبتدأ وخبره وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما انه فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله عز وجل التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان ابدال المشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده

اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها و
انما امنوا بها بمجرد الاخبار او بتصديق هو سبب الموعد اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه
كان وعده اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا او لما كانت
هى مثابة يرجع اليها قيل مأتيا اى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل
وقيل مأتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام
لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغى ان
يجتنب عنه فى هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او
تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث
استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما فى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من
باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين
فى هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشيا تلك الجنة مبتدأ وخبر
جى به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو
رتبتها التى نورث اى نورثها من عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما
نبقى على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل فى التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث
انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار
لو امنوا واطاعوا زيادة فى كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل
عليه السلام حين استبطأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذى القرنين و
الروح فلم يدر كيف يجيب ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه
مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله تعالى هذه الاية وسورة
والضحى والتنزل النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى
على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما
نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره
ومشيته وما كان ربك نسيا اى تاركا لك يعنى ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه
ولم يكن لترك تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفى اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق
مضافا الى ضميره عليه السلام من التشريف والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه
وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه بمحض لطفه وفضله وقوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف
يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء فى قوله
تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات

والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين
عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه
او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على
مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحى وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك فى الدنيا والاخرة وتعدية
الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما فى قوله تعالى واصطبر عليها لتضمينه معنى الثبات فى العبادة فيما تورد
عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل
تعلم له سميا السمى هو الشريك فى الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك فى اسم خاص وقد عبر عنه
تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على
ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها
به تعالى ببيان استقلاله تعالى وقيل المراد هو الشريك فى الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم
فى المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك فى اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق
فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى باستحقاق الها واما التسمية بالباطل فهى كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العباد
ة باعتبار ما فى الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به
اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما
بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذا الحال اى يقول بطريق الانكار والاستبعاد
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اى ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام
لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض فى يا الله
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان
من الذكر الذى يراد به التفكر والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من
دواعى التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر فى اسناده
الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخى والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر
يدل عليه يقول اى ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اى من قبل الحالة التى هو فيها وهى
حالة بقائه ولم يك شيئا اى والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو فى تلك الحالة
المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من
الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك
اقسامه باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه
عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض
احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهانى على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غنى عن التصريح
وانما المحتاج اليه بيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول
معه

مقرونون بالشياطين

روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة
وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول
المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء
عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثو
بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز
اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثم على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به
قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان
الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم
من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد
على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو
عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم
اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة
به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم
الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا و
مرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة
الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل
واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى
للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله
عز وجل ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون
ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة
واعلالا وقرئ بضمهما وان منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب
للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم احد الا واردها
اي واصلها وحاضر دونها تمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا
اي امرا محتوما اوجبه الله تعالى على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي

الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون
الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اي هناك ننجيهم و
نذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها وتلقي الفجرة فيها على هيئاتهم وقوله
عز وجل واذا تتلى عليهم الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم
ووخامة مآلهم اي اذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال
المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات الالفاظ مبينات للمعاني بنفسها او
ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا
اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال
الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله
عز وجل للذين آمنوا للتبليغ كما في قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى
لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين اي المؤمنين و
الكافرين كانهم قالوا اينا نحن او انتم خير مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة و
منزل واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون
ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم وحسنهم
مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو المعيار على الفضل
والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل
وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا و
ذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا ورئيا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود
واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما
فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة
وهو مقدمها وقوله هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز وهو متاع البيت وقيل هو ما
جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا
على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا
بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما لهم من التمتع بفنون الحظوظ
العاجلة امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ
ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين

بهما على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار
بعلة الحكم اى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له
الرحمن اى يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر
للايذان بان ذلك مما ينبغى ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس
واعتبار الاستقرار فى الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله تعالى والتعرض
لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية
للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار
لوقوعه فى حيز جواب اذا وجمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين الاولين
باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب
الدنيوى بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه
من الخزى والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى
فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اى حتى اذا عاينوا من العذاب الدنيوى او الاخروى
فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه
فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اى فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا
يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك
فى الاندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين
اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان فى الضلالة
يمده الله ويزيد المؤمنين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور
حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات
خير على تقديرى الاستيناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين
غير داخل فى حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اى الطاعات التى تبقى فوائدها وتدوم عوائدها
ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير
عند الله والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه عليه السلام ثوابا اى عائدة مما تمتع
به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة الدائمة
والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان
الخيرية وتأكيدها وفى التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية فى العاقبة تهكم بهم افرأيت
الذى كفر باياتنا اى باياتنا التى من جملتها ايات البعث نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب بن الارت
رضى الله تعالى عنه عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد فقال والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت

قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى ثمة مال وولد فاعطيك وفى رواية قال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال انى
لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى اموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت والهمزة
للتعجيب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن
فرق بين الم تر وارأيت بعد بيان اشتراكهما فى الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه
فيقال الم تر الى الذى صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثانى يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارأيت مثل
الذى صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب
عليه قوله تعالى ارأيت الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انظرت فرأيت
الذى كفر باياتنا الباهرة التى حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه
باليمين الفاجرة والله لاوتين فى الاخرة مالا وولدا اى انظر اليه فتعجب من حالته البديعة و
جرأته الشنيعة هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارأيت بمعنى اخبر والفاء على
اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اى الفريقين خير مقاما الاية وانت
خبير بان المشهور استعمال ارأيت بمعنى اخبرنى بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه
من المعانى لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كأسد جمع أسد او على انه لغة فيه
كالعرب والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه
بالتعجيب منها اى قد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى استأثر به العليم الخبير حتى
ادعى انه يؤتى فى الاخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل
الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه
وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة
مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه
بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول اى سنظهر انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى
لئيمة اى يتبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فان نفس الكتبة
لا تكاد تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار
الشيء الخفى منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة
تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثانى تسمية الشيء باسم سببه
فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد
بالمال والولد اى نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه
واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه ما يقول اى
مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتى فى الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق
موجود سوى ما ذكر اى ننزع عنه ما اتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى
الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوى عنه ما زعم انه ينال فى الاخرة ونعطيه من يستحقه والاباه
منه الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا

اذ قيضناه خلنا بينه وبين ان يقوله وباعتبار افضائنا لنفوذه عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور
القول المذكور منه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به لوقوع مضمونه ولاريب في ان ذلك مستحيل ممن
كفر بالبعث وانما قاله ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداوته بالمحال واتخذوا من دون الله
آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود
واستتباعها لنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اى
ليتعززوا بهم بان يكونوا وصلة اليه تعالى كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا
به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى سيجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول
ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما
كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان يكونوا
لهم عزا ضد العز اى ذلا وهوانا او يكونون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او
حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه
باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها
وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وقرئ
كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا يكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
تعجيب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة
الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في
الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة
الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان
له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم
لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة
من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين
او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اى تغريهم
وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها
شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اى بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض
من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب
هلاكهم اى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب
على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من
الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين اى نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي

يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب
التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر
مقدم خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اى اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل
على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان
ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضمير
عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الاقسام المذكورين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى
المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث يحتمل
ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل
من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل والنصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد
ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم
عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي
الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على
البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام
فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل
او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى
لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط
وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة
والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اى فعلتم
امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله
عز وجل تكاد السموات الخ صفة لادا او استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ
يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول
ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اى
تكاد تنشق الارض وتخر الجبال اى تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف
هو حال من الجبال اى تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير لفظه لانه بمعنى التهدم
والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى مهدودة او
مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث
لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان
فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه

غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها
اى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة
بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور فى منه كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا محذوف
اى الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اى هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من
دعى بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا او من دعى بمعنى
نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا حال
من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا
او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى
نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلية الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه
فكيف يتأتى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح
به قوله تعالى ان كل من فى السموات والارض اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتى الرحمن
عبدا الا وهو مملوك له ياوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم
اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا
اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اى كل
واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم
كذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم
احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال
الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم فى
القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض
لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا احب الله
عبدا يقول لجبريل انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادى فى اهل السماء ان الله
احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا
اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربى الاسلام او لان الموعود فى القيمة
حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل الذى كان فى الدنيا
ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع
بينهم يومئذ تباغض وتباعد وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اى القرآن بان انزلناه
على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اى يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء
لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به
وانذر فانما يسرناه بلسانك العربى المبين لتبشر به المتقين اى الصائرين الى التقوى
بامتثال ما فيه من الامر والنهى وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد الذى
هو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم فى ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اى قرنا كثيرا
اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف مقرر لمضمونه اى هل
تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب
طرفه فى الارض والركاز المال المدفون المخفى والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى
منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد
من دعا الله تعالى فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى [illegible]

[illegible]

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائها وامالهما الباقون وهو من الفواتح التى يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين
وقيل معناه يا رجل وهو مروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
والكلبى الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية
وعند الكلبى على لغة عك وقيل عكل وهى لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا
فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه
فى خلائقكم لا قدس الله تعالى اخلاق الملاعين ليس بنص فى ذلك لجواز كونه قسما كما فى حم
لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ على صيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة الفا فى يطأ
لانفتاح ما قبلها كما فى قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه مبالغة
فى المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة
الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طأ فقلبت
همزته هاء كما فى امثال هرقت او قلبت الهمزة فى يطأ الفا كما مر ثم بنى منه الامر والحق به هاء السكت
واما على انه اكتفى فى التلفظ بشطرى الاسمين واقيما مقامهما فى الدلالة على المسميين فانهما اسمان
الدالان عليهما وعلى هذا ينبغى ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما
والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن
لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية
فى الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما
الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى فقط فى التلفظ بشطرى الكلمتين
اى الاسمين فعبر عنهما اى عن الشطرين من حيث هما مسميان علما من حيث هما قائمان مقام
الاسمين واما حمله على انه اكتفى فى الكتابة بشطرى الكلمتين يعنى طا على تقدير كونه امرا وكونه
حرف نداء وها على تقدير كونه كناية عن الارض وكونه حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين فى

التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطه وما عطف عليه بما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين
بل الاول امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من
خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين
المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته صلى الله تعالى عليه وسلم عما كان يعتريه من
جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه
عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على
كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ وقد فعلت فلا
عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة
كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبرائيل عليه السلام ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدائد
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا للرسول عليه
الصلاة والسلام انك تشقى حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك فاما
ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن
محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ كأنه قيل القرآن
ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين
الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن
لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق
الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان
نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة
كما لو اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما
يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ان يترتب الشقاء
السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما كان
يقال هذه السورة ما انزل القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل
لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب
على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون
بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شتمتك بالسو
للتأديب الا زجرا لغيرك فان التأديب في الاول مسبب من الاشفاق والتأديب في الثاني سبب
لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة
المجامع للتذكرة لظهور ان ملابسة ما بينهما بما ذكر من حيث السببية والمسببية انما يتصور ان لو قيل

لكن الا تذكرة لانتفاء التوافق فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى
ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالها بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى
بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وتجرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل به
او لمن من شأنه ان يخشى الله تعالى ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى
انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها قوله تعالى تنزيلا
مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة
لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص
وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية
والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد و
نظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من
تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل
واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده
بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى
ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون
العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير
لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى
له ما في السموات والارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس
واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة
الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل الداعي الى تربية المهابة
وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية
المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة
البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا
حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة للموصول وما قيل من ان
الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر
وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل
القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى الرحمن علم القرآن او اللام للعهد والاشارة
للموصول هو الخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون
معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك لعرابته لا شبهة فيه غنى عن الاخبار به صريحا

وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدإ محذوف كما في قراءة
الجر وقد جوّز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على
الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم
يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها له ما في
السموات وما في الارض سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات
الكائنة في الجو دائما فالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا
كلا ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى اي ما وراء التراب
وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير وروي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين
السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول
بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي
وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته
الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر
ليس لاسماعه تعالى بل لغرض اخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره
وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدإ محذوف والجملة استئناف
مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال الجليلة موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت
بما ذكر من النعوت الجليلة الله تعالى وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله
من اختصاص الالوهية به تعالى فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية
للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بيّنا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية
والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين
حين سمعوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو
يدعو الها اخر والحسنى تأنيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب
اخرى وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه
انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه
السلام حيث قيل له اني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي
لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الايتساء بموسى عليه
السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان
مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى اذ رأى نارا ظرف للحديث
وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته
نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير

الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في
ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد
زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم
امرهم عليه السلام لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع
آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للولد والمرأة والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل
او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم اني آنست نارا اي ابصرتها ابصارا بينا
لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمأمور به لعلي آتيكم منها
اي اجيئكم من النار بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة
القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل
مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني
الى ابواب الدين فان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول
هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها
بخبر او جذوة الاية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله على النار
ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون
عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير متحقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة للفعل قد حذفت
ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها
لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الاية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله عز وجل
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اي النار التي
آنسها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار
بيضاء تتوقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها
ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوئها قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وصنف ياكل ويشرب
وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع نوع له
نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار
موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم يروى ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة
نودي يا موسى اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا
منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي
يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان
فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع
ما ليس من شانه كذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخالق العليم تعالى وتقدس وقيل
تلقى عليه السلام كلام رب العزة روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش
به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب

وهي نار الدنيا وصنف لا ياكل ويشرب
وهي نار الشجر الاخضر

ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا
من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته
تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المأمور به
وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء
الوادي طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه
اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ
وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المأمور به على ما قبلها
فان اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى لما يوحى
متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل
لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد من اعادة الضمير مع الثاني بل لان
قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا بدل مما يوحى لا ريب فيه ولا ريب في ان اختياره عليه السلام
ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على ما قبلها فان اختصاص
الالوهية به تعالى من موجبات تخصيص العبادة به تعالى واقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر
وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به
من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري اي لتذكرني فان
ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او
لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد غرضا
آخر او لتكون لي ذاكرا اي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح
والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات او لذكر صلوتي لما انه عليه السلام قال من
نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري وقرئ
لذكرى بالف التأنيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى ان الساعة آتية
تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا
لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان اقول
انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها
من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه
من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله عز وجل لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما
اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور
بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او
تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة
بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب

والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجب على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل
ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان
الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن
فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط البديع
الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة
يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق
الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والتوغل
في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو
عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ قطعا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل
فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن
موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا
يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مشوقة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة
النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة
نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية
اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد
الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية
ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن
اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه كما في قوله تعالى لا ارينك ههنا فان المراد
نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ما يهواه نفسه من اللذات الحسية
الفانية فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك
لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى وما
تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية
ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو
ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك
والعامل معنى الاشارة كما في قوله تعالى وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان
فالاستفهام استيقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأ نيس
والتنبيه قال هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة
اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكؤ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف
على رأس القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقطه على غنمي وقرئ اهس بكسر الهاء

وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمينه معنى الالحاح والاقبال اي ازجرها مستحثا ومقبلا عليها ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا اقصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وقيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات ظاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال جل شانه فقيل قال القها يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو اللائق بالمقام كما يفصح عنه قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة ووصفت بتسعى صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر وعلله بما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا مسوق لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى بيده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له ليكون على طمانينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها واقعا حالا من المفعول اي سنعيدها عصى كما كانت من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لما ان الطباع

تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى او لها من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية العصا عن وصف الكبر قبلذكر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصله عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه تعالى واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وساله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويلقاها بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكرير ها اظهار مزيد اعتناء بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات ليلة فاخذ لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما سنعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا يستدعي بقاءها اصلا بل يستدعي عدم البقاء لان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك ايضا مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بقطعي بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء

صفة لآياتنا او نرى ... من آياتنا الكبرى على ان الكبرى صح

ومتعلقا به كما تعلق بذلك التيسير ايضا باعتبار الثه عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برأيه على انه من
الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازيرا من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا
كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان
الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي صفة لوزيرا
او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين
بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد
بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ ويخبر عنه بما بعده
اشدد به ازري واشركه في امري امر الرسالة كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر
الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما
فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط
بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من
التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب التقوية و
تأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد و
الانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في
اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد
يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا
يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء
الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا
كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني
عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا
في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا
قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز
والاكل بمعنى المأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة و
تقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر
وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه
بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس
موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب
فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد
انعمنا مرة اخرى اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير و
المرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد

من افراد ما له افراد متجددة تجددها تعلقا في ذلك حتى جعل علما لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة
ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هاهنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن
العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على
لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه
النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد
بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر
ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا
بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او
بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية
حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع واما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء
وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم
بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية جعل البحر كانه ذو
تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل
وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك ياخذه
عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته مع تحققها
لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في
يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع
والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري
ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت
مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه
وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك
من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب
لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك و
لتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتدأة اي و
لتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها والفتح في التاء والنصب اي و
ليكون عملك على عيني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع
فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق
لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنيعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ
اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الآية

فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها بالنفع المذكور وانما كونه ظرفا لا لقيته كما جوز يوما
يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت فتقول لا
لفرعون وآسية حين رأتاه يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع
في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله
ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع
النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل
ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا
دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن لفراقك
بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية مقدمة على التحلية و
قيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه
فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء
عنه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو
اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد و
روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله تعالى عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل
قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من
تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في
قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها
مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه
عليه السلام في تضاعيف مدة السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة
واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي
آنست فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان
بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر
اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر
غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس
اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي
تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير
لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد
تذكير المنن السابقة تأكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما

خوله تعالى من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطفائه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة
والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيد لافراد لفظ
النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى
اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود
بالاصطناع باياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في
كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها
ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا
له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان
بياضها في نفسها آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا
للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة
واكمال امر الدعوة لا لمجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ
لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند
تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات
وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا بذكري العون والتأييد واعلما ان
امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع
غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان
يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله
عز وجل فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة
ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فانه دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله فقولا انا رسولا ربك
الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا
لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر
بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من
ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة
من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه
مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل هو موسى
عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل
ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام
عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع
مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف
باجتماعهم بالخطاب انا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة

والمبادرة بالعجلة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرط إذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي يزداد طغيانا اي ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما عليهما السلام فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها فأتياه امرا باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخيره عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتكم بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في

في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب بآياته تعالى وتولى اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول ولانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال اي موسى عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى خلقه اي مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار اي كل شيء خلقه الله تعالى اعطاه ما يحتاج اليه ثم هدى اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات وطبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى الى الطاغية من جملة هدايته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين بانتظامه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا

لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منه بل دالا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء ما يحتاج اليه صح

الله ربي وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسئول عنه ما ذكر من الشقاوة
والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآية
في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله تعالى بما استحفظه
العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت
ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجة له تعالى اليه في العلم به ابتداء والاظهار
ربي في موضع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال
والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابه مع انه
لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله تعالى لما سيأتي من الالتفات
الذي جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم
كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي
جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية
والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء
هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما
فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لامره
وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون
ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا
سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات
وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة للنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي
فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف
وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل
علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير
فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها
لانتفاعكم بالذات والواسطة آذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى و
افعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات
للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله و
على صحة نبوة موسى عليه السلام وهرون عليه السلام لاولي النهى جمع نهية سمي به العقل لنهيه عن اتباع الباطل
وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي
من جملتها ما يدعيه الطاغية وينقله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار
انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد

البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا
ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة
المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم
بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى
باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد
وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كالمرة في المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية
لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل نعمائه تعالى الداعية له الى قبول الحق
والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى
الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه
في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه آياتنا حين قال له موسى عليه السلام ان كنت جئت بآية
فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة
الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين
في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه
روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث فانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا
وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى
مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن
حدود العادات قد غلب شعاعها شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من
الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كأنه قيل اريناه آياتنا
بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع
منها لانها انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة
الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترتب على هذا وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا للارشاد الى
الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر
سواء اريد به الحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على
يد الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته
اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام فان حكايته عليه السلام اياها لفرعون مما لم يجر ذكره هنا على ان ما سيأتي
من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرنا
قطعا ولو لا ذلك لجاز حمل ما فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة

الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحوداً وعناداً
وأبى الإيمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعاً وأبى أن يقبل شيئاً منها أو أبى قبول الحق
وقوله تعالى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإبائه والهمزة لإنكار
الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال والمجيء إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدي له أي أجئتنا من
مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر فإن ذلك مما لا يصدر عن
العاقل لكونه من باب محاولة المحال وإنما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بإبراز أن مراده عليه السلام
ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه
إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما أظهره عليه السلام من المعجزة الظاهرة سحراً لتجسيرهم على المقابلة
ثم ادعى أنه يعارضه بمثل ما أتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام
جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعداً
أي وعداً كما ينبئ عنه وصفه بقوله لا نخلفه فإنه المناسب له لا المكان والزمان أي لا نخلف ذلك الوعد
نحن ولا أنت وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب و
ضيق المجال وإظهار الجلادة وإراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة
طال الأمد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعته
إلى عدم الإخلاف وأن عدم إخلافه لا يوجب عدم إخلافه عليه السلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب
مكاناً سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف أو بأنه بدل من موعداً على تقدير مكان مضاف إليه فحينئذ
يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان
مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم
وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفاً يستوي مسافته إلينا وإليك
وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم
عيد كان لهم كل عام وإنما خصه عليه السلام بالتعيين لإظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاته بهم
لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الأشهاد
ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وأن يحشر الناس ضحى عطف على يوم الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء
على خطاب فرعون وبالياء على أن الضمير له على سنن الملوك أو لليوم فتولى فرعون أي انصرف عن المجلس
فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وأدواتهم ثم أتى أي الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه
لم يسارع إليه بل أتاه بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى إلخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقضي
بأن المترقب من أحواله عليه السلام حينئذ والمحتاج إلى السؤال والبيان ليس إلا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام
وأما إتيانه أولاً فأمر محقق غني عن التصريح به كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام عند إتيان فرعون بمن جمعه من السحرة
فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذباً بأن تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحراً كما فعل
فرعون فيسحتكم أي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة أهل الحجاز
والإسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى أي على الله كائناً من كان بأي وجه كان فلذلك خاب فيه الافتراء

المنهي عنه خولاً أولياً أو وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
فتنازعوا أي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كأن ذلك غاظهم فتنازعوا أمرهم الذي أريد منهم من
مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا أهداب القول في
ذلك وأسروا النجوى أي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى
قالوا أي بطريق التناجي والإسرار إن هذان لساحران إلخ فإنه تفسير للنجوى ونتيجة لتنازعهم وخلاصة
ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وإن مخففة من إن قد أهملت عن العمل واللام فارقة
وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى إلا أي ما هذان إلا ساحران وقرئ إن بالتشديد
وهذان اسمها على لغة بني الحارث بن كعب فإنهم يعربون التثنية تقديراً وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لا تدخل خبر
المبتدأ وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن التأكيد باللام لا يليق به الحذف وقرئ
إن هذين لساحران وهي قراءة واضحة يريدان أن يخرجاكم من أرضكم أي أرض مصر بالاستيلاء
عليها بسحرهما الذي أظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى أي بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب
وأمثلها بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا
يعتقدونه ديناً وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل لقول موسى عليه السلام أرسل معنا بني إسرائيل
وكانوا أرباب علم فيما بينهم ويأباه أن إخراجهم من أرضهم إنما يكون بالاستيلاء عليها تمكناً وتصرفاً فكيف
يتصور حينئذ نقل بني إسرائيل إلى الشام وحمل الإخراج على إخراج بني إسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون
على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن هذه المقالة منهم للإغراء بالمبالغة في المغالبة و
الاهتمام بالمناصبة فلا بد أن يكون الإنذار بالتخويف بأشد المكاره وأشقها عليهم ولا ريب في
أن إخراج بني إسرائيل من بينهم والذهاب بهم إلى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير
محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم لما أنهم قدوة لغيرهم ولا يخفى أن تخصيص الإذهاب
بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فأجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة أي
إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فأزمعوا كيدكم
واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده
قوله عز وجل فجمع كيده أي فاجمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفاً أي مصطفين أمروا بذلك
لأنه أهيب في صدور الرائين وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين ألفاً مع
كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحراً من القبط والباقي من
بني إسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الإسكندرية وقيل خمسة
عشر ألفاً وقيل بضعة وثلاثين ألفاً والله تعالى أعلم ولعل الموعد كان متسعاً خاطبهم موسى عليه السلام
بما ذكر في قطر من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه
المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الأعياد والصلوات ووجه صحته أن يكون علماً لموضع
معين من المكان الموعود وأما إرادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ له قطعاً وقوله

عزوجل وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم موكد لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطا
من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله قال نعم وانكم لمن
المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم
حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان
قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى
اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ
من فرعون وملائه وحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة
ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتشاجر واستقرت اراؤهم على ذلك وابوا الا المناجبة للمعارضة واما
جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرهم بالازماع والاجماع
واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم
قالوا استئناف مبني على سؤال ناشئ عن حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد
ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف
اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف
لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى
ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بادئ ذي بدء مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلام
ما راوا من مخايل الخير ورزانة الراي واظهارا للجلادة بارادة ان لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير
وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاؤك او القاؤنا قال استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام
كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن من ادبهم حيث
بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء
وليبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى جهدهم ويستفرغوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر
فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء
كما ان في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة و
التحقيق انها ظرفية ايضا تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ
تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ نخيل
فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية الجبلية على النفرة
من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
وليس ذاك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى

تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على اكد وجه وابلغه كما يعرب عنه الاستئناف وحرف
التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك
اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس
العصا المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة
وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع اخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام
على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته
وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من قرنين على ان ذلك الخ انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي
على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه و
التقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوا من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها
والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين
من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها للتعليل موجبة
ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه خوفه عليه السلام لم يكن
مما ذكر من مخالطة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم
له عليه السلام وقوله تعالى انما صنعوا الخ تعليل لقوله تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي
صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل الى تنكير ما اضيف
اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى
ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان و
اين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان
بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليها النظم
الكريم غنية عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود
اي فالقاه موسى عليه السلام فتلقفت ما صنعوا فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية
من ايات الله تعالى روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه
من الالات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته
لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار
والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة
امنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا
هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان
فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم
فرعون قال اي فرعون للسحرة امنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام
التوبيخي قبل ان اذن لكم اي من غير اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان

ما اوجس ما يقطع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان م

اذنه لهم واقع بعد او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر
فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم
ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما
لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد
المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن
ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو فان المبتدأ به غير مبتدأ به من العارض ايضا وهي مع مجرورها
في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين
كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانها اقطع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة
على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب
وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام والهزء به
لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادته لقوله تعالى آمنتم له قبل ان اذن لكم واللام مع الايمان في كتابه تعالى لغيره
تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان
بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث رأوا ابتلاع عصاه حبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل رب موسى
به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين
بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات
من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم
كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان في
ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته
تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله
آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا
مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض
ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما
تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه
او تحكم ما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى
نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا
السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع
اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار
منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي ان
رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على
تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه

عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط
كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في ذاته
وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى
اخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان
للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان
الشأن الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه
وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات
التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف
وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد
في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون
العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحات الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على
عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز
بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وبين النتائج الآتية جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا
علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال
من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى
البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا
تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون
بقوله اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلث ابتداء كلام من الله تعالى قالوا ليس في القرآن ان فرعون فعل باولئك
المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه و
قد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين
سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر
بعبادي اما مفسرة لان الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى
لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده تعالى وفعل بهم
من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون
اي سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف
به الفاعل للمبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة
او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من الامر اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى
لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل تحت حكمه اي ولا تخشى الغرق
وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى الغرق او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا
وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون

بجنوده اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم اتبعتهم اى تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ
فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده
اى ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى
عليه السلام الى الامتثال بالامر اى ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا
وبحرا روى ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره
وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق
على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده
فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم
ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم
من اليم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذى ورطهم للهلكة
ويأباه الاظهار فى قوله تعالى واضل فرعون قومه اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران فى الدين والدنيا
معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد الاخروى وقوله تعالى وما هدى اى ما ارشدهم
قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد الى بعض
مطالبه وفيه نوع تهكم به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية
فى الجملة وذلك انما يتصور فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالدينى منهما يأباه مقام بيان سوقه
لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوى وجعلهما عبارة عن الاضلال فى البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بنى
اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض
عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم فى عهد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتى من قوله تعالى وما اعجلك
الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اى وقلنا يا بنى اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وقرئ انجيتكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار
اى واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اى اتيان موسى عليه السلام للمناجاة
وانزال التورية عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام خاصة او له وللسبعين المختارين نظرا الى
ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب
الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا
عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم فى التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه [illegible] كلوا جملة مستأنفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اى من لذائذه او حلالاته وقرئ ما رزقتكم وفى
البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اى
فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبى جواب للنهى

اى فيلزمكم عقوبتى وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى اى تردى وهلك وقيل
وقع فى الهاوية وقرئ يحل بالضم اى ينزل من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصى التى من جملتها
الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن
وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اى استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه
بمعزل من الغفران وثم للتراخى الرتبى وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام
عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اى وقلنا له اى شئ عجل بك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال
عن سبب موجب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما فى ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد
بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية
للحزم اللائق باولى العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفى الانفراد والمنافى للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء
على اثرى يعنى انهم معى وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فان ذلك مما لا
يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام انه لم يتقدمهم لامر منكر ذكر انه لامر مرضى حيث قال وعجلت
اليك رب لترضى عنى بمسارعتى الى الامتثال بامرك واعتنائى بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة
والابتهال رغبة فى قبول العذر قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر
فى وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق فى الموضعين على صيغة
التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اى ابتليناهم بعبادة
العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم
من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام
بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من
احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روى انهم اقاموا على ما وصى به موسى
عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه
السلام عين ولا اثر واضلهم السامرى حيث كان هو المدبر فى الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه
السلام ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه
الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها فى علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما فى
قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامرى كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام
وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامرى على
صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من
قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا
عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان
اسفا لا باعتباره نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب
الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا

لا يناسب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف الشك لا باعتبار نفس
الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استيناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه
قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى
والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء
في قوله تعا افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك
فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من
ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على الايمان به الى ان ارجع من
الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه
السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من
شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم
فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في
موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السياق والسياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اي
وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا
اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض
الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها
لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل
بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها
اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها و
قد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة
التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان
نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم للقائلين عجلا من تلك
الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعا جسدا اي جثة ذا دم ولحم
او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعا له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن
افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي فغفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية نتيجة
فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعا قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين
والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل
لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه يخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله
مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة

واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان
قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا باختيارنا بملكنا بل تمكنت الشبهة في قلوب
العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة
ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعا
لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو
اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون انه لا يرجع اليهم قولا اي انه
لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان
ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجوعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق
الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعا ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا
او يجلب لهم نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم
واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه
الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام
اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي
اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي
يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على
معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعا وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن
الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر
عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعا فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة
ما عرفتم شأنه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه اي على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها
عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين
تعويلا على مقالة السامري روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا
العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه
هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله عز وجل قال استيناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي
بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعن
اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك
لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعا والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني

فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك زجرا لهم
وفيه ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار
بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل
من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام افعصيت امري اي
بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق
الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا
لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي ولا بشعر
رأسي روي انه عليه السلام اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام
حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله عز وجل اني خشيت الخ استيناف
سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت
لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما
ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي
لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي واصلح الخ يعني اني رأيت
ان الاصلاح في حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما
رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري و
اعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار امر
الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك بما فعلت خاطبه عليه
السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن
خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في
الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم
وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما والرؤية
بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم
يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع
الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا فأخذ من موطئه
حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك
الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسول للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من
الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على
المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم للمقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة
والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي المذابة فكان ما كان

وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في
الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي او نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على
الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا
له اي ذلك التسويل البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه
بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك قال
عليه السلام فاذهب اي من بين الناس وقوله تعالى فان لك في الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة في
الاستقرار في لك اي ثابت لك في الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده
على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حياتك ان
تفارقه مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بطريق الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام
لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح
باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين
الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحش النافر في البرية ويقال ان
قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة
ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت
ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اي في الآخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله
ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا و
قرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت
اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده
قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه
اي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا او مبردا كأنه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام
ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم
الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة
الله الذي لا اله الا هو في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه
التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما اي وسع
علمه كل ما من شأنه ان يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا
اوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية
الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كأنه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد
حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الوعد
الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك من انباء ما قد
سلف من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله

عز وجل من انباء في خبر النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى
تعالى منا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سلف وقد مر تحقيقه في تفسير قوله ومن الناس
من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي
سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين
من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة
من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى
ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه تعالى مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة
فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل
عن الله تعالى ومن اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا
اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يقدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتي من تسميتها
حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من
لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها وساء
لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان
كما في هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر يوم
ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره
وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد
النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته
ونحشر المجرمين يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر
المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب
فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق
العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم
لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل
المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر
الا مدة يسيرة والآخر في الاحتمالات اقطع من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف
عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رأيا وعملا ان لبثتم الا يوما
ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ويسألونك
عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها

ربي نسفا اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها اي فيذر مقارها
الجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهو مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى
سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز او الارض المدلول عليها بقرينة الجبال لانها الباقية بعد
بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح
سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي
الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءه صف واحد من كل جهة
وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية و
بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين
اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا
اي نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل
احد يأتي منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم
الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي
الله تعالى الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها
العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له
لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اي خضعت لهيبته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور
الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا اي ورضي
لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء
المتصدين للشفاعة للناس كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء
من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم
الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم
يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم
قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه
وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي
من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه و
عنت الوجوه للحي القيوم اي ذلت وخضعت خضوع العاني اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين
كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا و
خسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل

منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ
كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سلف
وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال
القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه
وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه
خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد
او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا
واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشئونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر و
النواهي والوعيد والوعد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله
واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملوكيته والوهيته لذاته
او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه اي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ
فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها او
ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اي في نفسك
رب زدني علما اي سل الله تعالى زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان ياتي بيانه وليس بذاك لما ان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد
عهدنا الى آدم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على
العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سلف يقال عهد
اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب
قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي العهد
ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات
قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدو امره
من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزنت
احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنوب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله
عز وجل ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود
المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية
فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله
المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه
وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر

بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور
الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا
ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى
يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا
عن سؤال نشا من الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى محذوف اي ابى
السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره
فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن
سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني
كما في قوله تعالى لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي و
اسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه
من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة
في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد فيما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تمتعا
بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء
فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها
من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من
التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا
حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا
تجوع فيها الخ ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها
باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيه شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة
تمتع به من غير ان يصل اليه اثر الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع في الذكر مع
تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان
نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع
بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات
مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع كل من المتجانسين
وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة مع
المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع
فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه
ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع
خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها
في نفسه فاللازم من وقوع الجملة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها

فهو بدخول المفتوحة جميعا فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان أن زيدا قائم حق
مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو وان لم تكن
نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها
على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى
ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظماء خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظماء
والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع
الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان
اى انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
منه كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد اى شجرة من اكل منها خلد
ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك
لا يبلى اى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس عليهما السلام
عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره
في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المأمور
او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام
بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه اليه
بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه
السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اى قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى
اى الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى
قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اى انزلا من الجنة
الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومتشعب
الاولاد اى متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى
وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اى عن الهدى الذاكر لي فان له في الدنيا معيشة ضنكا اى
ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته و
مطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب
للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وقال تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو ان اهل
الكتاب آمنوا الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر
ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم

القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال
استيناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اى في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط
لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا
واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اى عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا ومثل ذلك النسيان
الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء
الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك عذابا له فوق العذاب وكذا البكم
والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف
بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب
النار اشد وابقى اى من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام
مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول
محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين العاصين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله تعالى اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله تعالى ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا
الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل افلم يفعل
الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه
وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون او من مفعول اهلكنا اى اهلكناهم
وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة
من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم
مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون
من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذا
هو هاد وأي هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه
كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل
لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد
لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اى ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى
الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم
ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التأخير
لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى
مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما

بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم
من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب
عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اي اذا كان
الامر على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات
الكفر فان علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا
بحمد ربك اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه
مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر الملائم
لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي
الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن
آناء الليل اي من ساعاته جمع اني بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح اي فصل والمراد به المغرب و
العشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل
فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير
لصلوة الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالتباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور
الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين
او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء
ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمجهول من ارضى اي يرضيك ربك ولا تمدن
عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم
اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي
الى الذي متعنا به وهو ازواج واصناف وانواع بعضهم على ان من تبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف
كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية
من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة
كالجهرة والجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم
ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة
والهدى خير مما متعهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما متعوا به
وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة
ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا اي
لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى
اي لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه عليه
السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلى هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض

اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوه بلغوا من
المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه
بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد
من جهته تعالى لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات
واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان
ولا ريب في ان اجل الامور الخارقة للعادات هو العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال
ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها
اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى
من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت
عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيرها
لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه
على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل
الم يأتهم سائر الآيات ولم يأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى
منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف
بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية
بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله
متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لقالوا اي يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك اي جاءنا بها من قبل
ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اي كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي
اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوء والسوى تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة
ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء وخبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله
ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل
على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاول محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال عليه السلام
لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

سورة الانبياء مكية وآياتها مائة واثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما
المراد بالناس المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه
لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما

بذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما
يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا للمسرة
لما ان بيان كون المخلوق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل
المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع ان فيه تعسف تام بمعزل مما تقتضيه
المقام واما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنى منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب مع امكان العكس بان
يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم
ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة
السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له
بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار
ح الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه
التجدد والتفاوت حتما واما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه
على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء اخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به
مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر
المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض
والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم
ذلك الحال تذكيرا وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم
او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد
التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على المحل اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء
مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه
وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال
استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان
جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها
او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما اسروا به وهو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع
الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول
لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف
عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتأتون السحر للانكار والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى
ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون
انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر

وفي اسناد الاقتراب المبني على التوجه نحوهم الى الحساب

ثم اختلفوا فقال جماعة منهم الاخفش من حال فاعل جاء على اضمار قد وقدره الشيخ نقل السبكي في شرحه للتلخيص عن شيخه ابي حيان ان الاخفش والجمهور على ان الماضي الواقع حالا لا يقدر معه قد بل يجوز ان يخلو منها لفظا وتقديرا اي الوجها وهذا هو الصحيح

وازيل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة التشريعية فانى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان
على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين
والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما اوحي
اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى
بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء
قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا
في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى
فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى
وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول اخر مضطرب في مسالك البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام
هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه
من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة
لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى
من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه
كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا
مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر كأنه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وتمامه
بقالوا بل هو ليس بسديد فانه يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان
لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا
ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان يكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها
مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية
من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال
في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن
عما ترك في الموطن الاخر حسبما مر في اخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما
ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه
وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله
عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت
كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية
ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة
في قوله تعالى افهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه
عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء
لا يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ان الفاء متقدمة على الهمزة
في الاعتبار مفيدة لترتب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو

عدم

رأي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر المتضمن لزعمهم وما يتلوه من قولهم كما
ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب
قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم
به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب
نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والمعنى ان ما جعلوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى
الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى
وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم
بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي
وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك
وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون
وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه المخلوق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاخبار من الغير فهو
من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر
فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوة لتزول شبهتكم امروا بذلك
لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره ففيه
من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام
اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة
ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك
ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى فجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل
ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام
صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا
خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير
اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة والابدية وهم معتقدون
انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية
مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع
ما في ذلك من الرد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى

اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم
فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو
السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم
كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته
واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه
وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان
وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار جميل الآثار مستجلبا لهم منافع
جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل
فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه
فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون
المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر يستدعيه سياق الكلام اي الا تتفكرون
فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع
تفصيل للاجمال في قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير ومحلها
النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها
بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير
مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم وانشأنا بعدها
اي بعد اهلاك اهلها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر
في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد
ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم
في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم لا تركضوا اما بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق
الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم
تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تعتقدون اذا رأتكم ما حل بكم
خالية وتسألون اين اصحابها او ليسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم
ذلك تهكما الى تهكم قالوا يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه
للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى
اي دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو
المحصود من النبت والزرع ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول
الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او
من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة
اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب

الدلائل والعجائب النازل باهل التقوى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمكذبين
المعتدين بآثارهم ثوابا على ذنوبهم اي خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها
وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين
لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقنا
خلقناهما وما بينهما ليكونا مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية
القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا
استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا
او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش
وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين
جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم
ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء
التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص
شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى
المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه له الدمغ الذي هو
كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال
المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل
ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره
في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل
او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائن مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استئناف مقرر لما قبله
من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات
خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل استقلالا او استتباعا
ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم
عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون
انفسهم كبراء ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة
كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم
مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم
كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات

ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم او كيف يعبدون
فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل
آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق
الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته
ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار
الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير
لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ
فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها
آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكأنهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من خصائص
الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى
أفي الله شك وقوله أبالله وآياته كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به
ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام
الالهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما آلهة الا الله
ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية
مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها
وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدلية لانه متفرع على الاستثناء
ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اي لبطلتا
بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف
فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة
وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما
بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله
فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء
المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به
ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة
الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون
من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته
ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالوهية وهم اي العباد يسألون عما يفعلون نقيرا
وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان
كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد
الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة

ثم تكرير لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى
بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية الهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية
بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه
في الامور الدينية لاسيما في مثل هذا الشان الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب
من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة
وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شأن
التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فيكم فاتوا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى
هذا كتاب نزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا
هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين
والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى
بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان
الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وابطال الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل
فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال
وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للنسبة وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى
على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه
سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض
اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه
مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان
مصدر من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب
وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد
وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم
لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا
اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق
المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محل السبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة تقنيعا
وتجافيا عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار
بان من يسبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم
عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى

في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره
يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال
والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له
مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص
بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر
ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى
فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية
وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة
ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء
في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء
انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية
وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي
الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي
رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس في رواية عكرمة والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض
وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية
عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض
بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة
الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر
والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء
حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط
احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لابد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام
به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ
حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون
انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية
وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون

ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي اى جبالا ثوابت جمع راسية من رسى الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر
بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب
بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اى في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام
الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف
له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه
من التوكيد لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد
والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته
وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما
هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر الذي هما آيتاهما بيان لبعض تلك
الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اى هو الذي خلقهن وحده كل اى كل
واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اى يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك
الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع
وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اى في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية
افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة
لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم نفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما
من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون
حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم
الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون
وتشكرون اولا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا رآك الذين كفروا اى المشركون ان يتخذونك الا هزوا
اى ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا
كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام
اهذا الذي يذكر آلهتكم على ارادة القول اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
الخ وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه السلام
ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال
الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق
بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد
وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق
منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى
انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه
نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل
مغيبها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره وبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد
بالجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا توجيه له ههنا وقوله تعالى ساريكم آياتي
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اى ساريكم نقماتي في الآخرة
كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد
اى وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب
لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اى في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك
في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما
يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي
لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه
ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار
الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة
التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة لذلك للايذان بانه من الظهور بحيث
لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي
يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف
لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم
ينصرون من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم
اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون
ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم
اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الحال في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها بناء على الوعد
بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اى
يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاستهزاء به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلوة
والسلام وتصدير الجملة بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ
برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اى احاط
عقيب ذلك او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان
من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى

ما كانوا به يستهزؤن لمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق
بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور
راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد
منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال
الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور
عرضية تبرز فى النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف
وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى اخرها ﴿قل﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك
وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت ﴿من يكلؤكم﴾ اى يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾
اى من بأسه الذى تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهى اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفى التعرض لعنوان
الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعدما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه
حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم فى الملوين لحل بهم فنون الافات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيتوبوا
عما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف
الخطاب عنهم وهى انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة
حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا النعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار وفى تعليق الاعراض
بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم فى الغاية
القاصية من الضلالة والغى ما لا يخفى وكلمة ام فى قوله تعالى ﴿ام لهم الهة تمنعهم من دوننا﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب
والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خطوره ببالهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم
على الهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم الهة تقدر على ذلك والمعنى بل الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفى توجيه الانكار والنفى الى وجود الالهة
الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم الهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة
المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا ﴿لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم
اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى ﴿بل متعنا هؤلاء
وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ اضراب عما توهموا ببيان ان الداعى الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه
ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بطيبات الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقب بما يدل على انه امل فارغ واطماع كاذب حيث قيل ﴿افلا يرون﴾ اى الا ينظرون فلا يرون ﴿انا نأتى الارض﴾ اى ارض
الكفرة ﴿ننقصها من اطرافها﴾ فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم
على ايدى المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام ﴿افهم الغالبون﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار
ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر فى قوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء وفى التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون
بها ﴿قل انما انذركم﴾ بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك
واعراضهم عن ذكر ربهم الذى يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه

من الساعة ﴿بالوحى﴾ الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اى انما شأنى ان انذركم بالاخبار بذلك
لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهانى لا عيانى وقوله تعالى ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ اما
من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض وقد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل
والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفى
السماع بقوله تعالى ﴿اذا ما ينذرون﴾ مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان
ايثار الدعاء الذى هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة
لهيئة دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك
وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول اى لا يقدر احد
على اسماع الصم وقوله تعالى ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾ بيان لسرعة تأثرهم من مجئ نفس العذاب اثر بيان عدم
تأثرهم من مجئ خبره على نهج التوكيد القسمى اى وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شئ من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس
والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ ﴿ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين﴾ ليدعن على انفسهم
بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط﴾ بيان لما سيقع عند اتيان ما
انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى
والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة
﴿ليوم القيامة﴾ التى كانوا يستعجلونها اى لجزائه او لاجل اهله او فيه كما فى قولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿فلا تظلم نفس﴾ من النفوس
﴿شيئا﴾ حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء
الظلم على وضع الموازين ﴿وان كان﴾ اى العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿مثقال حبة من خردل﴾ اى مقدار حبة كائنة
من خردل اى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان
تامة ﴿اتينا بها﴾ اى احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اى جازينا
بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها ﴿وكفى بنا
حاسبين﴾ اى لا مزيد على علمنا وعدلنا ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين﴾ نوع تفصيل لما
اجمل فى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك
اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمى لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر
اى وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات
الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره
او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم
فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذى اقترح الكفرة
مثله بقولهم فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى ﴿الذين يخشون ربهم﴾ اى عذابه مجرور
المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح ﴿بالغيب﴾ حال من المفعول اى يخشون عذابه تعالى وهو غائب
عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾

اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه ﴿وهذا﴾ اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ﴿ذكر﴾ يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر السورة الكريمة ﴿مبارك﴾ كثير الخير غزير النفع يتبرك به ﴿انزلناه﴾ اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر ﴿أفأنتم له منكرون﴾ انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التورية كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهي لغة كالحزن والحزن ﴿من قبل﴾ اي من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وبابه المقام ﴿وكنا به عالمين﴾ اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى ﴿اذ قال لابيه وقومه﴾ ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ﴿ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون﴾ لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف فحيث لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث ﴿قال لقد كنتم انتم وآباؤكم﴾ الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة ﴿في ضلال﴾ عجيب لا يقادر قدره ﴿مبين﴾ اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة ﴿قالوا﴾ لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد ﴿أجئتنا بالحق﴾ اي بالجد ﴿أم انت من اللاعبين﴾ فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم ﴿قال﴾ عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الامر كذلك ﴿بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن﴾ وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذى به ولا قانون ينتحى ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات ﴿وانا على ذلكم﴾ الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان ﴿من الشاهدين﴾ اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه ﴿وتالله﴾ وقرئ بالباء وهو

الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب ﴿لأكيدن اصنامكم﴾ اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد ﴿بعد ان تولوا مدبرين﴾ من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التاءين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى ﴿فجعلهم﴾ فصيحة اي فولوا فجعلهم ﴿جذاذا﴾ اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى ﴿الا كبيرا لهم﴾ اي للاصنام ﴿لعلهم اليه﴾ اي الى ابراهيم عليه السلام ﴿يرجعون﴾ فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار لمن كسرهم ﴿قالوا﴾ اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا ﴿من فعل هذا بآلهتنا﴾ على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى ﴿انه لمن الظالمين﴾ استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم او لتماديه في الاستهانة بها او بتوريط نفسه للهلكة ﴿قالوا﴾ اي بعض منهم مجيبين للسائلين ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم فلا حاجة الى المصحح ﴿يقال له ابراهيم﴾ صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم ﴿قالوا﴾ اي الذين ﴿فأتوا به على اعين الناس﴾ اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد ﴿لعلهم يشهدون﴾ اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك في الكسر حتى لا يبقى للكافر في البعض منهم مبهم او مجهول ﴿قالوا﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم﴾ اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على انهم اتوا به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود اليه تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا بل هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد بذلك نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك بما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك

وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدوره عن غيره محتمل عنده مع ان تحققه عندك
ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تعريض بانفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره
على الغير عندهم بل المراد منه عليه السلام توبيخهم بجعلهم ما في احوال الاصنام كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع
والعقل ايضا لان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حيث نطق به قوله تعالى
فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل
ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم
الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن
الظالمين او انتم الظالمون لعبادة ما لا ينطق ثم نكسوا على رؤوسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه
عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما
هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت انه ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد
استمرار النفي لا نفي الاستمرار كما توهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون
الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته
قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون
قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا
قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين
اي للنصر او شيئا يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من الكرد من
اسمه هيزون وقيل هدير خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك
قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد
يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه
عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم
القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليه السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا
قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة
واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه
روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه
الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث
الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن
ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فنادى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم فقال قم فاخرج فقام يمشي فخرج منها
فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا

لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله تعالى منك ما دمت على دينك هذا فقال لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من بدائع
المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات
وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا به
كيدا اي مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام
على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات
الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة
يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب
ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم
للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي
يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم
كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام دلالة على فضله واناقته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة
دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا وقيل باذكر
حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
اي اللواطة وصفت بصفة اهلها او اسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين
فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا
اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه
من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب
العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك
قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصر باباه ما ذكر من دعائه فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى
مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان
الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول
لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية
للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل
اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا
لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ
لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان
فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم
هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود

فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض
لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما
قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق
بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود لاظهار ما عنده
بل وجب عليه ان يظهره بداءة وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص
بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عليه
السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي
وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع
بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه
من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع
فاذا ظهر الآبق ترادا ورجع وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود اليه مع ان الحكم المبني
على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لان ذلك من خصايص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود
لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسئلة في شريعتنا فعند ابي حنيفة لا ضمان ان لم يكن معها
سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان بالتفهيم
من عدم كون حكم داود حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطاء
المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توقفهما
على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا
مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل
معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين
لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا
ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال
فالبس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بؤسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو
صفة لبوس لتحصنكم اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة
وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب
عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام
من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام
فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح
والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان
كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام

وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل فيه ما فيه من معنى
الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض
التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر
الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين
من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون
عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها
بعد ما روعي جانب لفظها في قوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى
وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني
الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وايوب الكلام فيه
كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول
او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين
وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص
بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة
عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما
اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة
لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة
سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا من طعامك وشرابك شيئا فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند
ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض
فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت
عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى
وذلك قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب
انه طردني افأتركه حتى يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت
الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال
ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت
بعلي قال اتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين التي من

من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اى واذكرهم وذو الكفل
اليسع وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه بضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان
الكفل يجئ بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اى كل واحد من هؤلاء من الصابرين اى على مشاق التكليف وشدائد
النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم فى رحمتنا اى فى النبوة او فى نعمة الاخرة
انهم من الصالحين الكاملين فى الصلاح الكامل الذى لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر
الفساد وذا النون اى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اى مراغما لقومه لما برم من طول
دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم
يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها
وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا
او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اى نعامله معاملة من يظن ان لن نقدر عليه
فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اى نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة
شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى
الخ فصيحة اى فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى فى الظلمات اى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او فى ظلمات
بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمتى البحر والليل ان لا اله الا انت
اى بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك
تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شئ او ان يكون ابتلائى بهذا بغير سبب من جهتى انى كنت من الظالمين انفسهم بتعريضها
للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اى دعاءه الذى دعاه فى ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل
بعد اربع ساعات كان فيها فى بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك اى مثل ذلك الانجاء
الكامل ننجى المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون
الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذفت الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى ان كانت
فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين
مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه
لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن اخره وزكريا اى واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرنى فردا
اى وحيدا بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين فحسبى ان لم ترزقنى وارثا فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان
كيفية الاستجابة والهبة فى سورة مريم واصلحنا له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت
حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين
اى كانوا يبادرون فى وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم فى اصل الخير وهو السر فى ايثار كلمة فى على كلمة الى المنبئة عن خلاف
المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا
رغبا ورهبا ذوى رغب ورهب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب
والرهب وكانوا لنا خاشعين اى مخبتين متضرعين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال

الحميدة والتى احصنت فرجها اى مريم التى احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها
وتنزيهها عما زعموه فى حقها اثر ذى اثير فنفخنا فيها اى احيينا عيسى فى جوفها من روحنا من الروح الذى هو من امرنا
وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اى قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تأمل
حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية
الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
ان هذه امتكم اى ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها فى الصحة والسداد امتكم اى ملتكم التى يجب
ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشئ منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم
اى غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع
المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما
خبران وانا ربكم لا اله لكم غيرى فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه
من التفرق فى الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الاخرين كأنه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين
الله الذى اجمعت عليه كافة الانبياء عليهم السلام كل اى كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من احاد كل واحدة من تلك الفرق
الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى
فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء اى فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران
لسعيه اى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفى الجنس للمبالغة فى التنزيه
وعبر عن العمل بالسعى لاظهار الاعتداد به وانا له اى لسعيه كاتبون اى مثبتون فى صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام
على قرية اى ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا اهلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم
وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون فى حيز الرفع على انه مبتدا وخبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون
ما قبلها من قوله كل الينا راجعون وما فى ان من معنى التحقيق معتبر فى النفى المستفاد من حرام لا فى المنفى اى ممتنع البتة عدم رجوعهم
الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق
به قوله كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون
بالكسر على انه استئناف تعليلى والجملة حرام خبر مبتدا محذوف اى حرام عليها ذلك وهو ما ذكر فى الاية السابقة من العمل الصالح المشفوع
بالايمان والسعى المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى
بحذف اللام عنها اى لانهم لا يرجعون وحتى فى قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج الخ هى التى يحكى بعدها الكلام وهى على الاول غاية
لما دل عليه ما قبله كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثانى غاية لحرمة
اى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اى لا يرجعون
عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها
يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اى يأجوج ومأجوج وقيل الكل
من كل حدب ينسلون اى نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين
واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هى شاخصة ابصار الذين

كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت دخلتها الفاء الجزائية
كما في قوله تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول
اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي
دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصفهم انفسهم
بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين
لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح
بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة لما عسى يتوهم وما تعبدون عبارة عن اصنامهم
لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن الزبعرى
خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله ما اجهلك بلغة
قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رد بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم
بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل
لكل من عبد من دون الله اذ ليس شيء منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي
شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص لحكم الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام
بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا
تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين
عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية
في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم
الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم
الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا احسن الوجه
في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ
بيانا للتجوز والتخصيص فمما لا يساعده السياق والسباق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه
اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء
اي اصنامهم آلهة كما تزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا
كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية الاصنام لا الهية
الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة باجرار الكلام
اليه عند بيان تحقق النظم الكريم بطريق العبارة حيث سال ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان في الاقتصار على الجواب
الاول ما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون
في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين
فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل
للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة

الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد
الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا [في التقدير الخصلة] الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت
لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر لادخلي في الحكم عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات
المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان
ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله وحرام الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت
الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله تعالى عنه خطب يوما
فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول
عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان
كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة
في ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب
اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع
بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن انه الانصراف الى النار
وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات
ومن في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين
الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون
في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت
لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة
كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب بما ذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة
من العائد المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة
اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى
للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب
او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب
وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي
كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقنا
مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول
مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف

لبيانا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لمضمونه او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه
انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام
من بعد الذكر اى التورية وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعد ما كتبنا فى التورية او كتبنا فى جميع الكتب
المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا فى اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار
وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله
الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا
اى فيما ذكر فى السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة
لبلاغا اى لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اى لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر و
بامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التى هى مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو فى حيز النصب
على انه استثناء من اعم العلل ومن اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة
او ما ارسلناك فى حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام
مصالحهم فى النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط فى نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة
فى حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى
الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلى من البعثة واما ما عداه فمن توابعه
الاحكام المتفرعة عليه فان ما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم
كقولك انما زيد قائم اى ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون به تعالى
والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع
فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحى فقل آذنتكم اى اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم كائنين
على سواء فى الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل
اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير وان ادرى اى ما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة
المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اى ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام وتكذيب
الآيات التى من جملتها ما نطق بمجئ الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادرى
لعله فتنة لكم اى ما ادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
اى وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى
الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب
دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربى احكم على صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام
وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اى المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة
الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته ههنا الى ضمير الجمع
المنتظم للمؤمنين ايضا لان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان
الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب
الله عز وجل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والحمد لله رب العالمين

اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن
[illegible]
يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم بعد من الموجودين العاجزين عن رتبة التكليف
والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان من خطابات المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى حرر فى مطلع سورة
النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فى اتقوا فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة
الاناث عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر
حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد
الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة
شئ عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هى من مباديه ومقدماته من الاحوال
والاهوال التى لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد
والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر
الى فاعلها على المجاز الحكمى كانها هى التى تزلزل الاشياء او الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير فى كما فى قوله تعالى
بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس
زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبى انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفى التعبير
عنها بالشئ ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها
منصوب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اى
مباشرة للارضاع عما ارضعت اى تغفل وتذهب مع دهشة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى القمته ثديها والتعبير عنه بما
دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اى تذهل
عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل على البناء للمفعول وتذهل من الاذهال مبنيا للفاعل مع نصب
كل اى تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اى تلقى جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول
علقمة والشعبى واما على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول
مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها و
الحامل على حملها ولا ريب فى ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء
على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لان المرئى فى الاول هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع
وفى الثانى حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة
فان المراد بيان تأثير الزلزلة فى المرئى لا فى الرائى باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس
سكارى وانما اوثر عليه ما فى التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اى يراهم
كل احد سكارى اى كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب
تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رويتك قائما والناس
منصوب اى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وسكرى اى ترى الزلزلة

الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وحبلى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان
عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر
مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى
بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان
جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولامثاله من العتاة المتمردين
ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد
متجرد للفساد واصله العري المتجرد ومنه الامرد لتجرده من الشعر قال الزجاج المريد والمارد
المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان
صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه
فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة
لمعنى الشرط اي من تولاه فشأنه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل انه معطوف على انه وفيه من التعسف
ما لا يخفى وقيل ما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر من او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو او على
كتب ان الاول يا مر بالقول والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على رأي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة
ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق
ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك
كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون باستحالته وكلمة الشك
مع تقررها لهم في ذلك ايثارا لما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث لما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم
خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر
تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة
من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة اي مستبينة
الخلق مصورة وغير مخلقة والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان
مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم
الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس ذلك في حيز القبول من بعض المراتب مبدأ لخلقهم لا
لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية دالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة
استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره
العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا
بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشأه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار
الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس
نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم

وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متماته ومن مبادي التبيين ايضا لما انه لا دلالة لهما
على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان
نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض
ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط والتعرض للاسقاط لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار
الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وانما هي ما مضى من الاطوار المتواردة على المولود
قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم
فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المتحقق للواحد
والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل
بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين منتظما والمعنى خلقناكم
على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا
ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات
واعادة اللام هاهنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي
الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب
لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالاسترة والقتود وكأنها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد
او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون
الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم
كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه
في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه
على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق
حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام
شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرونه وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب
تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة
المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة
العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر
من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته

وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا
واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة
ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر
واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على احيائها كلها فمما تنبو عنه التعليل اي سبق له النظم الكريم من بيان كون الآثار المذكورة من فروع القدرة
العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع
في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق
اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من المعقول
وقوله لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح
دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف
على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن
لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما
سبب داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكمة البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع
صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين و
ينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من احكام حكمته تعالى في افعاله
وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث
من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور
وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان
الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين
وقيل قوله تعالى وان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدا محذوف لفهم المعنى والتقدير
والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك ليعلموا بان الله هو الحق الآية ومن الناس
من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم
كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا
من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر
الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية
ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل
الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فخلاف ما عليه النظم الكريم كيف لا وان
وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالتعري عن الدليل العقلي السمعي بالكلية ثاني عطفه حال من فاعل
يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا لكشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه
ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه ضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى
الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا

مجازا اذ المفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وحيث كان ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية
له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا
بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر
من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى
بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات
لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر
انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من
ان محله الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان
حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش
فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمان به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمان
به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه
او اهله او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا
وولدت امراته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة
فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون
هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا
عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضرر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك
الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق
المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدا وضره مبتدا
ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدا الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدا الاول
وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان
في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع
اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز
ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول تاكيدا له وتطويلا وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حاله في
عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره
اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة
بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستانفة ان الله يدخل الذين

امنوا وعملوا الصالحات جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل
عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان
معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان
اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر
الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله
وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به
وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام
عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده
وفيه ايجاز واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان
يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ
في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم
انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع
نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه
قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز ان يراد فلينظر الان انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل
المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه
ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها لا تغني عنه شيئا في دفع ما يغيظه ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع
الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم و
حنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون
ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن
ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اي واضحات
الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدي به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد
هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف اللام المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك او الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي والامر ان الله يهدي من يريد هدايته ان الذين آمنوا اي بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل
ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس
والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم
القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في حيز الرفع
على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق المتفقة
على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى

ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة
بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من
في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته
وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء
التي من جملتها احوالهم واعمالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى
منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة
المبنية على تشبيهه بكمال افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا السجود الطاعة الخاص
بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق
القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها
بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء او حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب
والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم
الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة
ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب اي وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا
اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم
يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة
هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي
وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا
في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد
كل من الفريقين لحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور
والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اي قدرت على مقادير
جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق
رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت قطرة منها على جبال الدنيا
لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء
وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان
تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم اي للكفرة اي
لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج
من النار ودنوا منها حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا

من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا
فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا
اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله
عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون
الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الحلي بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره تعالى
وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور ابتدائية او للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة جمع سوار
والتنكير لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان
للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ
بالجر عطفا على اساور وقرئ لولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء ولباسهم
فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة
الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم
ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث
الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة الاية وهدوا الى صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية
الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد
وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحميد يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
لم يرد به حال ولا استقبال وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب
الاليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله اولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا
من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف
مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم
والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد
بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي انزلناه فيه وقال الزمخشري جعل الثاني مباءة للاول وقيل لابراهيم مكان
البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلنا اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه
للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان
ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم
عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة
وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رضي الله عنهما والخامسة بناء الحجاج وقد مر ما في هذا الشأن من الاقاويل في تفسير

في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن
لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة
شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير
عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس
اي ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه
الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم
وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد
الشقة فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون
الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا
متعلق بيأتوك لا بأذن اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة
واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا
وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات
هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل
بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها
على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانبجست اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا
من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا
البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم
اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون
من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء
التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار
سار اليه ليهدمه فعصمه الله عز وجل واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك
اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل
هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام
فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار بعلة
الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء
متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل
والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرم كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام
على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن
التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب
مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه

من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من المحرمات فانها محللة لكم الا ما
يتلى عليكم انه محرم فانه مما يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس
الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب ونحوهما والافتراء على الله تعالى
بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلى هذه الاية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو
قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ﴿حنفاء لله﴾ مائلين عن كل دين زايغ الى الدين الحق
مخلصين لله تعالى ﴿غير مشركين به﴾ اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا
﴿ومن يشرك بالله﴾ جملة مبتداة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك ﴿فكانما
خر من السماء﴾ لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه
بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلها تختطفه ﴿او تهوي به الريح﴾ اي تسقطه وتقذفه
﴿في مكان سحيق﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون
المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك احد الهالكين ﴿ذلك﴾ اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك ﴿ومن يعظم شعائر
الله﴾ اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد
ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار ﴿فانها﴾ اي فان تعظيمها ﴿من تقوى
القلوب﴾ اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب
وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء ﴿لكم فيها﴾ اي في الهدايا ﴿منافع﴾
هي درها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿الى اجل مسمى﴾ هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ﴿ثم محلها﴾ اي وجوب نحرها او وقت
نحرها منتهية ﴿الى البيت العتيق﴾ اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع
دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر
مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج
ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك
فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ﴿ولكل امة﴾ اي لكل اهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل
وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون
بعض ﴿ليذكروا اسم الله﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك
تذكر المعبود ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى
﴿فالهكم اله واحد﴾ للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى
وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى
﴿فله اسلموا﴾ لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها
واحدا فاخلصوا له التقرب والذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك ﴿وبشر المخبتين﴾ تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات في الوظائف الخاصة بهم ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ منه تعالى

لاشراق اشعة جلاله عليها ﴿والصابرين على ما اصابهم﴾ من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب ﴿والمقيمي الصلوة﴾
في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات
﴿والبدن﴾ بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال ككتب وخشبة والتسكين تخفيف بها الابل
لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره ﴿جعلناها لكم﴾ وقرئ بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تعالى
﴿من شعائر الله﴾ اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به ﴿لكم فيها خير﴾ اي منافع دينية ودنيوية
جملة مستانفة مقررة لما قبلها ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك ﴿صواف﴾ اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف
سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف
وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله عز وجل وصوافي على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله تعالى اري باق على الحدثان
﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ سقطت على الارض وهي كناية عن الموت ﴿فكلوا منها واطعموا القانع﴾ اي الراضي بما عنده وبما يعطى
من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال ﴿والمعتر﴾ اي المتعرض للسؤال
وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف ﴿سخرناها لكم﴾ مع
كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى انكم تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها
﴿لعلكم تشكرون﴾ لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿لن ينال الله﴾ اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول
﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾ المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يصيبه تقوى
قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال باوامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء
قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت ﴿كذلك سخرها لكم﴾ تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى ﴿لتكبروا الله﴾ اي لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح ﴿على ما هداكم﴾ اي ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى
الشكر ﴿وبشر المحسنين﴾ اي المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امورهم ﴿ان الله يدافع عن الذين امنوا﴾
كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم
عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة
او للدلالة على تكرار الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في دفع
غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما يجدد منهم
القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى
﴿ان الله لا يحب كل خوان كفور﴾ تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي
المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانة الله تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور
لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد
معنى المبالغة ثانيا ﴿اذن﴾ اي رخص وقرئ على البناء للفاعل ﴿للذين يقاتلون﴾ اي يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف
لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان

يقاتلوا المشركين فيما سياتي ويحيزون عليه فزالته على الحذف اظهر بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية ۞ وان الله على نصرهم
لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين بل تغليبهم و
واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه
وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم ۞ في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان
له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق
متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ لهدمت
بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات اي وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا
بالعبرية ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها
وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله تعالى في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه
ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز ۞ لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ۞ وصف من الله عز وجل الذين اخرجوا
من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة
على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير
ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من
من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله
من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح ۞ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة
وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة
المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي
وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم من ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال
ظهور المراد او لان المراد لغو الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول و
بناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان
كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك

حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته
في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق
من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين
لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين
بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول
والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها
والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها
على وفق قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية
عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فلا محل له من الاعراب كالمعطوف
عليه وعلى ان في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها
على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط
على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى
فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي
على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة
في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص
اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت
وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما
افلم يسيروا في الارض ۞ حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها
ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا
فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب
ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس
فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر
مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة
وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ۞ و
يستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب الموعود به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى ذلك عنهم بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية
جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطئهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال
انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ۞ جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية مسوقة لبيان خطئهم

عظمهم

في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدداً طوالاً عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ولذلك يرون مجيئه بعيداً ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترون على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعاً واخباراً ما عنده تعالى من المقدار وقرأ يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون او نوع لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضاً بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بياناً لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنياً على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا او حمل المستعجل به على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها فما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلاً منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاين من قرية املبت لها فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل املبت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضاً ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعاً لا الى احد غيري لا استقلالاً ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم

قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذاراً بيناً بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما اندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلاً من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفاً قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتاباً منزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة

فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمداً او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضاً لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد ايضاً بانه يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضاً يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن الحق من ربك اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكون ما بعد قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايماناً برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير على الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصاً في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من حقائقهم التي يستمرون اليها الابد المذكور بل انما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده لان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به الساعة ايضاً كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين

[illegible]

ابتاه اجرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانهم لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح
شجرا او لانه لا مثل له في قتال الملئكة عليهم السلام فيه فتأمل عدم مساق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف
الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي يقضي بان المراد به يوم القيمة قضاء
بينا لا ريب فيه ﴿الملك﴾ اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق ﴿يومئذ لله﴾ وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون
فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا
في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل فان القيد المعتبر في اليوم
حيث وسط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدارا للحكم اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب
ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا
وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب
عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة او عذاب الله وقوله تعالى ﴿يحكم بينهم﴾ جملة مستأنفة
وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين
والمماري فيه بالمجازاة وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا﴾ الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا
فيه ﴿وعملوا الصالحات﴾ امتثالا بما امروا في تضاعيفه ﴿في جنات النعيم﴾ اي مستقرون فيها ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ اي
اصروا على ذلك واستمروا ﴿فاولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿لهم عذاب﴾ جملة
اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور
لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة
كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى ﴿مهين﴾
صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ اي في الجهاد
حسبما يلوح به قوله تعالى ﴿ثم قتلوا او ماتوا﴾ اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ﴿ليرزقنهم الله﴾
جواب القسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية خبرا اضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى ﴿رزقا
حسنا﴾ اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما
سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت
الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم
الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة
فتبعهم المشركون فقاتلوهم ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا
اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكرموا به فعلى قال ابن عباس رضي الله عنهما انما يرضونه لانهم
يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ﴿وان الله لعليم﴾ باحوالهم واحوال معاديهم
﴿حليم﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ذلك﴾ خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف
﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم

﴿ثم بغي عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ على من بغى عليه لا محالة ﴿ان الله لعفو غفور﴾ اي مبالغ في العفو والغفران
فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر فان ذلك
اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر
فغيره اولى بذلك وتنبيه على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ اشارة الى النصر وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى ﴿بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ اي بسبب انه تعالى
من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه
ما ينقص عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها ﴿وان الله سميع﴾ بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب
﴿بصير﴾ بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ﴿ذلك﴾ اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى ﴿بان الله هو الحق﴾ الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا ﴿وان ما يدعون
من دونه﴾ الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين ﴿هو الباطل﴾
اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته ﴿وان الله هو العلي﴾ على جميع الاشياء ﴿الكبير﴾ عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه
شانا واكبر سلطانا ﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع في ﴿فتصبح الارض مخضرة﴾ بالعطف
على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ﴿ان الله لطيف﴾ يصل
لطفه او علمه الى كل ما جل ودق ﴿خبير﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا
وتصرفا ﴿وان الله لهو الغني﴾ عن كل شيء ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وافعاله ﴿الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض﴾ اي جعل
ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي
مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ﴿والفلك﴾ عطف
على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿تجري في البحر بامره﴾ حال من الفلك على الاول وخبر على الآخرين ﴿ويمسك السماء ان تقع
على الارض﴾ اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿الا باذنه﴾ اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه
رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ﴿ان الله بالناس لرؤف
رحيم﴾ حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية ﴿وهو الذي
احياكم﴾ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجيء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث
﴿ان الانسان لكفور﴾ اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده ﴿لكل امة﴾ كلام مستأنف جيء به زجرا لمعاصريه
عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطئهم في النظر اي لكل امة
معينة من الامم الخالية والباقية ﴿جعلنا﴾ اي وضعنا وعينا ﴿منسكا﴾ اي شريعة خاصة لامة اخرى منهم على معنى عينا كل
شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ﴿هم
ناسكوه﴾ صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك
الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم
التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل
هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة

فهم امة واحدة منكم الى فان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك
في الامر لترتيب النهي او موجبه على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة
منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان
شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة
مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم
المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام
والمبالغة في تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل
الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل
وادع اي وادعهم او ادع كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم
وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق السوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان
جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل
التي من جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا
بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت
ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ان ذلك
اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك
اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينهم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء
ولا يعسر عليه شيء مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم
وركاكة آرائهم من بناء امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس
الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس
لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلال وما للظالمين اي للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي
يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم في مذهبهم ويقرر رأيهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب
ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات
اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام
او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم و
البسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم آياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم
من ان يعبدوا ما لا يعلمون صحة عبادته شيئا اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالآيات
المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وقد وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم وتقنيطا عما يقصدونه من الاضرار
بالمسلمين افأنبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم
من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ

مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية استئنافا
كما لو جعل الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة
بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك
ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين
تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة
على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا
اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه
ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها
اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع حال كانه قيل لن يخلقوا
ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه
اي ان يأخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر
على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها
ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل
كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب
اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب
كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل
واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت
حال آلهتهم المقهورة لاذل الاشياء العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة
رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب لا يعوقهم التعلق
بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته
في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء بين ان له عبادا اصطفاهم للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم
الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم
بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور
لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اي في صلاتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا
يفعلونهما اول الاسلام او صلوا اعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا
ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة
الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين
باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما

فلا تتولوا وجاهدوا في الله اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام
انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس
واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول
لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم
في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة
في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب
مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد
ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدرية بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء
او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب
المتقدمة وفي هذا اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن
وان لم تكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقديره وفي هذا
بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله
اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم
النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي والله تعالى اعلم

سورة المؤمنين مكية وآيها مائة وثماني عشرة

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي
هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان
متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار به فالمعنى
قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما يتفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي
الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار
به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها
وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قوله من قال ولو ان الاطباء
كان حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما
ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعنى في ضمنه اجمالا او تفصيلا
كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم
روي انه عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع

الايمان

قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ
عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية
الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه
وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم
للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر
لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه وبمعنى الفعل قدم تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان
يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى الا على ازواجهم من نفي
الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وعداه ان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى الكفي وانهم
حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا
اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون
لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل
مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا تتعداهن ثم
قال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد بتكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير
العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن
اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاءوا من الاماء
فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم
بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة
له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له
في الجملة واما ان كل زوجة ترث فلهم ان لا يسلموها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت
فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون
من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم والذين هم على صلواتهم
المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر
وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها
ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما
ذكر من الصفات وايثاره على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي
الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم
الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه

على ان لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في الفردوس وتأنيثه لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو
البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر
وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها
ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون
ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا
اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان
الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها وايا ما
كونه مخلوقا من سلالة جعلت نطفة بعد ادوار واطوار فبعيدة من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة
اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل
الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة
اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان
آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة
لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة
وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرز
ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة
ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيآت
واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها
اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت
الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيها اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم
انشأناه خلقا آخر اي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة
على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في علمه
الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل
العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع
الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست
لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف
المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه السلام
ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روي ان عبد الله
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى قوله تعالى خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق
به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلاة خلف
المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع
فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما
قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في اعجازه لان الخارج
عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر
بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون
الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدث الذي يفيده صيغة وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم
القيامة اي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج
اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم
سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة
او لانها طرائق الملائكة والكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق اي عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات
التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ
منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وتصل اليها في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات
نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل
فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر
بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه
ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا
قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة
تتفكهون بها ومنها من الجنات تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته
ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس
وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشئ
لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج
من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور
اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة
او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء
من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الفتح فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى

تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي تنبت
بمعنى تتضمنه وتحمله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول
زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء
للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان ﴿وصبغ للآكلين﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه
عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي
يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ ﴿وان لكم في الانعام لعبرة﴾ بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان
اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى
عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا
بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما
في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون
على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ﴿ومنها
تأكلون﴾ فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها ﴿وعليها﴾ اي على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها
بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن
البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن ﴿وعلى الفلك تحملون﴾
اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة
مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ﴿ولقد ارسلنا نوحا الى قومه﴾ شروع في بيان
اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون
العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك
تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد
ارسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود ﴿فقال﴾
متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله
وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء راسا وقوله تعالى ﴿ما لكم من اله
غيره﴾ استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع
على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار
لفظه ﴿افلا تتقون﴾ اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون
ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أتغفلون
ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى
اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين
فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية ﴿فقال الملأ﴾ اي الاشراف ﴿الذين كفروا من قومه﴾ وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك
الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ اي في الجنس والوصف من غير

فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة ﴿يريد ان يتفضل عليكم﴾
اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم ووصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلاة والسلام
واغراء لهم على معاداته وقوله تعالى ﴿ولو شاء الله لانزل ملائكة﴾ بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق
بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون
الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ﴿ما سمعنا
بهذا﴾ اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى
النبوة ﴿في آبائنا الاولين﴾ اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم
في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته
عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين
الذين مضوا قبلهم في زمن نوح وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه
عليه السلام وقولهم ﴿ان هو﴾ اي ما هو ﴿الا رجل به جنة﴾ اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول ﴿فتربصوا به﴾ اي احتملوه
واصبروا عليه وانتظروا ﴿حتى حين﴾ لعله يفيق مما به فيحول حينئذ على تراخي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه
عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه بما ترى وهم يعرفون انه ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض
مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام
بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم
بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿رب انصرني﴾ باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخره ﴿بما كذبون﴾ اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم ﴿فاوحينا اليه﴾ عند ذلك
﴿ان اصنع الفلك﴾ ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول ﴿باعيننا﴾ ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه تعالى
حفاظا وحراسا يكلأونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ﴿ووحينا﴾ وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء
في قوله تعالى ﴿فاذا جاء امرنا﴾ لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم
من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى
﴿وفار التنور﴾ عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور
آدم عليه السلام فصار الى نوح فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه
عن يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود ﴿فاسلك
فيها﴾ اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر ﴿من كل﴾ اي من كل امة
﴿زوجين﴾ اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿اثنين﴾ فانه نص في الفردين دون الجمعين او الزوجين وقرئ بالاضافة
على ان المفعول اثنين اي من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا اصرح فان
الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل
اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي وارد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك
هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث
عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿واهلك﴾ منصوب بفعل معطوف على فاسلك

راجع الصورة هود
٢٢٧ / ٢٢٦

فالعطف على الزوجين [illegible] ... العطف على ... [illegible]

لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اى واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه وتاخير الامر
بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام
بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره
فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اى القول بالاهلاك لكونه ظالما وانما جىء بعلى لكون السابق
ضارا كما جىء باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم
مغرقون تعليل للنهى او لما ينبى عنه من عدم قبول الدعاء اى انهم مقضى عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا
شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اى من اهلك واشياعك
على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وقل رب انزلنى فى السفينة او منها منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اى موضع نزول و
انت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة
الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان فى ذلك الذى ذكر مما فعل
به عليه السلام وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان
واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اى وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين
بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم
قرنا آخرين هم عاد حسبما روى عن ابن عباس وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم
اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة ونحوه لا غاية له
كما فى مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين
اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان فى قوله تعالى ان اعبدوا الله
مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المامور
بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف
كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى نطق به حكاية ارسال
الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة ولذلك لم
تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه الذين
كفروا فى محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتاخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا
بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الصفات
والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين امره عليه السلام وتوهينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما
ذكر من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث
اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران
وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف وقيل ان الشرطية المصدرة

المصدرة باللام الموطئة اى وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم
عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها
من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها
عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم
عظاما وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى مخرجون اى من القبور احياء كما كنتم
وقيل انكم مخرجون مبتدأ وقوله اذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم
اذا متم الخ هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت
لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره
لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون
على لفظ الوقف وبالتاء [illegible] ان هى الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت وحيث
كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه
من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو
اى ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين
فيما يقوله قال اى هود عليه السلام عندما يئس من ايمانهم بعدما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل
رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم [illegible] تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى عن زمان قليل وما مزيدة بين
الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى عن شىء قليل ليصبحن نادمين
على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا
فى تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنى منها بعث
الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا او القتل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هى العذاب المصطلم قال قائلهم صاح
الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دفاع له او
بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اى كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار
ودعاء وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع
الظاهر موضع المضمر للتعليل ثم انشانا من بعدهم اى بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجىء اجلها
وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء
القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم
قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم
اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى تترى اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو
الفرد والتاء بدل من الواو كما فى تولج وتيقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل

وجيء محالًا وقوله تعالى كلما جاء أمة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد
بالمجيء إما التبليغ وإما حقيقة المجيء للإيذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وإضافة الرسول إلى الأمة مع إضافة كلهم فيما سبق إلى نون
العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمة إنما جاء بما أمر به لا أن كلهم جاءوا كل الأمم وللإشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت
كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الإرسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك
حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم أحاديث لم يبق منهم إلا حكايات
يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منه
أي جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الإيمان حسبما اقتصر
على حكاية تكذيبهم إجمالا وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما مر من العتو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم
ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم والرم ونقص الثمرات
والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين أي حجة
واضحة ملزمة للخصم وهي إما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آياته عليه السلام وأولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير
مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام وإما نفس الآيات كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك
على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي إلى فرعون وملائه أي أشراف
قومه خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما
عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا قوما عادتهم الاستكبار
والتمرد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة أنؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق
على الجمع كما في قوله تعالى فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل نظرا إلى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل
على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شئون الحقيقة البشرية وتباين
طبقات أفرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب
ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأولئك الجهلة
الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون أي خادمون منقادون لنا كالعبيد
وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام
في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم
الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنيوية من المال والجاه
كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن
مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما
أي فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا أي بعد إهلاكهم
وإنجاء بني إسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب أي التوراة وحيث كان إيتاؤه عليه السلام إياها لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن

الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل لعلهم يهتدون أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد
آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم أي من آل فرعون وملئهم
ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك
بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فمما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى
ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة
القصص وجعلنا ابن مريم وأمه آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب
إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة
الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها أمه للإيذان من أول الأمر بحيثية كونهما
آية فإن نسبته عليه السلام إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحده من غير أن يكون له
أب وأمه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه السلام لأصالته فيها كما أن تقديم أمه في قوله تعالى
وجعلناها وابنها آية للعالمين لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ وآويناهما إلى ربوة أي أرض مرتفعة قيل
هي إيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وإنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق
وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فإن قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر
من الأرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين أي ماء
معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في المشي أو من الماعون وهو النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه
إذا أدركه بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للإيذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب
وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة إيذانا بأن
ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا
به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند
الحكاية إجمالا للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى وأمه
عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي
والكلبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله
وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق
النظم الكريم فالأمر للترفيه واعملوا صالحا أي عملا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون من الأعمال الظاهرة
والباطنة عليم فأجازيكم عليه وإن هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة
الإسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل والأمم وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها
بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة أمتكم أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل أمة واحدة أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع
التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وقيل هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة بالرسل والمعنى أن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان
والتوحيد في العبادة وأنا ربكم من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون أي في شق
العصا والمخالفة بالإخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والأمم جميعا على أن الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب

وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى والاتحاد
فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
اي ان تتقوا فاتقون كما مر في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل على حذف
فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان على انها مخففة من ان فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل
بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم
على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي فتقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي
قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان
له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف
الباء كرسل ورسل كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون
انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم و
الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه و
اصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم
فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفي التنكير
والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين
بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف وخبر ان قوله تعالى نسارع لهم
في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم
على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك
بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخير وقرئ يمدهم
على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف
عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا
ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم
الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما
كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل
يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون
اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد
رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها
من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية
ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة
على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل

الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك
نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم
متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الاخرة حيث
عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل
الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا
من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة
اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم
بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء
وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب
والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه
اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما
هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويترتب عليها اجزيتها
ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتبه الاعمال اي
لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون
تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين
بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع انتفائها
ههنا لبيان بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها
نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع و
كتب الاعمال السيئة مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه
وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة
لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه
ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة
من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم
في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة
وفيه انه لا قرينة في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان
ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي
متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون

المترفين اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع
الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد ولعل انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون
بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم وذلك اذا هم يجأرون
اي فاجأوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ
بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم
مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم
اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوق لردهم وتبكيتهم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة
من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي
في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار
ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم
الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم الخ
صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالايات ولو كان المعنى المنفي منعهم من الغير لقيل بعجزه وذلة
او بعزة الله تعالى وقوته اي قد كانت اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض
فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به اي بالبيت الحرام وباطرهم والاضمار قبل الذكر لاشتهار
استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم
على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجميع
وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى القطيعة او الترك
اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش
فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه سياق الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز
النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى ام
جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار
الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت اباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه
من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وان مجيء القرآن على طريقته
فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذاب الله تعالى ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه
ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه السلام بالا

بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم
السلام فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء
المبني بطلان ما بني عليه اي فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله ام يقولون به جنة انتقال الى توبيخ اخر
والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا
واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقي
من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء
لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك
يتحقق بعدم المعرفة بخيره وشره ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما
يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم عليه السلام بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا
ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار
في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا
عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين
فتأمل وقيل نسبة الحكم الى الاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق
وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم
استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق
الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح
والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق الذي جاء به عليه السلام اهواءهم وانقلب شركا
جاء الله تعالى بالقيمة ولا هلك العالم ولم يؤخر قيل فيه انه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب
المقام وانما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالوهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة
الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم
وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال
فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء
به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم
لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد
الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة
منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية
والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه
واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا
ذكرا من الاولين وقيل وعظهم والاول هو الذي يؤدي اليه التشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس بمثابة
اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام
يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه اخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك

لا يؤمنون بك وقوله تعالى «فخراج ربك خير» اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي
لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة
على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخراج اخص من الخرج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم
وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج «وهو خير الرازقين» تقرير لخيرية خراجه تعالى «وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم»
تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا
وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها عدا كراهتهم للحق وقلة
فطنتهم «وان الذين لا يؤمنون بالآخرة» وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا
حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي
الى طلب الحق وسلوك سبيله «عن الصراط» اي عن جنس الصراط «لناكبون» لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط
المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق
عليه اسم الصراط ولو كان معوجا «ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر» اي قحط وجدب «للجوا» لتمادوا «في طغيانهم»
افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين «يعمهون» اي عامهين عن الهدى روي
انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء
ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك
وقوله تعالى «ولقد اخذناهم بالعذاب» استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر
من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها
القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب «فما استكانوا لربهم» اي فلم يخضعوا
ولم يتذللوا على انه استفعال من الكون لان المفتقر ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت
فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى «وما يتضرعون» اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى «حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد» هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه
التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد «اذا هم فيه مبلسون» اي متحيرون آيسون من كل خير اي
محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان
فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه في شيء وانما هو نوع خضوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا
شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد
من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع
واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعتاهم واشدهم
شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول «وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار» لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية
والتكوينية «والافئدة» لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا «قليلا ما تشكرون» اي تشكرون شكرا قليلا غير معتد به تشكرون

تشكرون تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم
تخلون بذلك اخلالا عظيما «وهو الذي ذرأكم في الارض» اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل «واليه تحشرون» اي تجمعون
يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه «وهو الذي يحيي ويميت» من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء
«وله» خاصة «اختلاف الليل والنهار» اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما «افلا تعقلون» اي الا تتفكرون
فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث
وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس
بذاك «بل قالوا» عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا «مثل ما قال الاولون» اي آباؤهم ومن دان بدينهم «قالوا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون» تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه «لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا» اي البعث «من قبل» متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي ووعد آباؤنا من قبل [illegible]
وقع حالا من آبائنا اي كائنين من قبل «ان هذا» اي ما هذا «الا اساطير الاولين» اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة
كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر «قل لمن الارض ومن فيها» من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم «ان كنتم تعلمون»
جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة
في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابها
قبل ان يجيبوا حيث قيل «سيقولون لله» لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها «قل» اي عندما اعترفوا
بذلك تبكيتا لهم «افلا تذكرون» اي تقولون ذلك او تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء
قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل
«قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم» اعيد الرب تنويها بشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا
وذكرا ولعله روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى «سيقولون لله» باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه
ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال «قل» الزاما لهم وتوبيخا «افلا تتقون» اي الا تعلمون
ذلك فلا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية
«قل من بيده ملكوت كل شيء» مما ذكر وما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه «وهو يجير» اي يغيث غيره اذا شاء
«ولا يجار عليه» اي ولا يغيث احد منه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه «ان كنتم تعلمون» اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق
«سيقولون لله» اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه «قل فانى تسحرون» اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد
مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك «بل اتيناهم بالحق» الذي لا محيد عنه من التوحيد
والوعد بالبعث «وانهم لكاذبون» فيما قالوا من الشرك وانكار البعث «ما اتخذ الله من ولد» كما يقوله النصارى والقائلون
ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا «وما كان معه من اله» يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم
«اذا لذهب كل اله بما خلق» جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب
كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك
«ولعلا بعضهم على بعض» فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد
جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات «سبحان الله عما يصفون» اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد
«عالم الغيب والشهادة» بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء

الشريك بناء على توافقهم في تعدد مبتغي بذلك موجب لتغالبه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لابد من ان
تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب الاخروي فلا يناسب المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي
قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن
الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير
النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون
ولكن نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما
اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا
لا يظهر على يديه عليه السلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث
يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع
بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون
اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وارشاد له عليه السلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية
على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس
على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان
يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل
مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستعاذة اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي
في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي
عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منهم حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة
الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين
ان يزلوه عليه السلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انها العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك
وتعلقها بيكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت
الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا
والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي
تركته لم ينظم في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلي او من فاعمل الخ للاشعار بانه امر محقق الوقوع غني عن الاخبار
بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال
او من الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله
رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار
المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية

فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها
على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم
والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها
يومئذ كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقائد
والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون
بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى
وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك
الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة
عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر
ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء
فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا
لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا
اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا
ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهو كما ترى اعتراف
منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه
باطل في نفسه لانه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع
للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا
بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر
عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة
وان الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسؤوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان
وذلة وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته مستهينا به اي انزجروا ولا تكلمون اي باستدعاء
الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر
كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات
الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشأن وقرئ بالفتح اي لان الشأن كان
فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في الدنيا
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم
كنتم تستهزؤون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري
من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استئناف
لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون

ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية
ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه
على استحالته بقوله اخسؤوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين
تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا
من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المتعدين فانهم ايضا
يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسبون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم
ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك
لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم
فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة
بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون
عطف على انما اي حسبتم انا خلقناكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء
من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تجري عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب
بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم
والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا
واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به
من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم
الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل
فكيف بما شهدت بداهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان
فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشان الخ وقرئ بالفتح على التعليل
او الخبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع
وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم
الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات
من اولها واتعظ باربع من اخرها نجا وافلح

سورة النور مدنية وآيها ستون واربع

سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد
وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما
كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه

السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي عليه السلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم
ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفة وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل لها من الاعراب
او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اي
اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد
لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض ولكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي في تضاعيف السورة
آيات بينات ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فظرفيتها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات
وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال
السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه
وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص
انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند
وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها
الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما
ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع
ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام
بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنا كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما
انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن
وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب
نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب
وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة
التلاوة الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تأخذكم
بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او
تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب
التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب
في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل
اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا
بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما
والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط

التنفير عن الزانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة • وحرم ذلك • اي نكاح الزواني على المؤمنين • لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد مما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان • والذين يرمون المحصنات • بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تأخر نزول الاية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا • ثم لم يأتوا باربعة شهداء • يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخر الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي رحمه الله فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء • فاجلدوهم ثمانين جلدة • لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن • ولا تقبلوا لهم شهادة • عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهلية السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذفهم الكافر من الشين والعار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار تعليل في مقابلة النص والحقّ حاله فالمعنى لا تقبلوا لهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي • ابدا • اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله • واولئك هم الفاسقون • كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى • الا الذين تابوا • استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الاتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى • من بعد ذلك • لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل • واصلحوا • اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف • فان الله غفور رحيم • تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق ابو حنيفة رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه فاسقا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها • والذين يرمون ازواجهم • بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهم لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية السابقة خلية عن الاية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لا بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل • ولم يكن لهم شهداء • يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل • الا انفسهم • بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى • فشهادة احدهم • اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى • اربع شهادات • خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات • بالله • متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انها اما خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة • انه لمن الصادقين • اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد • والخامسة • اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره • ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين • فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن • ويدرأ عنها العذاب • اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب • ان تشهد اربع شهادات بالله انه • اي الزوج • لمن الكاذبين • اي فيما رماني به من الزنا • والخامسة • بالنصب عطفا على اربع شهادات • ان غضب الله عليها ان كان • اي الزوج • من الصادقين • اي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا • ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم • التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري

عليها لاشتراكهما في الفضيحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهادته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهادتها
موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما
حتما دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك
من أحكام الحكم البالغة وآثار الفضل والرحمة ما لا يخفى أما الصادق فظاهر وأما الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء
الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته ﴿إن الذين
جاءوا بالإفك﴾ أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب
لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم
أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أقرع
بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني
المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودنونا
من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري
فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
فحملوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت
منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت أنهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا أنا جالسة في منزلي
غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي
والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود
بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك
كذلك إذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى ﴿عصبة منكم﴾ خبر إن أي جماعة وهي من العشرة إلى الأربعين
وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقوله تعالى ﴿لا تحسبوه شرا لكم﴾ استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم تسلية
لهم من أول الأمر والضمير للإفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإنزال ثماني عشرة
آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا ﴿لكل امرئ منهم﴾ أي من أولئك
العصبة ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ بقدر ما خاض فيه ﴿والذي تولى كبره﴾ أي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه ﴿منهم﴾ من العصبة
وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه
بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما ﴿له عذاب عظيم﴾ أي في الآخرة أو في الدنيا أيضا فإنهم جلدوا
وردت شهادتهم وصار ابن أبي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه
بالذي وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ توبيخ للخاطب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذويه أي هلا حين سمعتموه بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه إلى الغيبة
في قوله تعالى ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم
لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضوض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده
زجرا بليغا فإن كون وصف الإيمان مما يحملهم على إحسان الظن ويكفهم عن إساءته بأنفسهم أي بأبناء جنسهم النازلين منزلة

منزلة أنفسهم كقوله تعالى ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ مما لا ريب فيه فإخلالهم بموجب ذلك الوصف أقبح
وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به إلى التصريح بتوبيخ الخائضين ثم إن كان المراد بالإيمان الإيمان الحقيقي فإيجاب
ما ذكر والتوبيخ على تركه خاص بالمؤمنين وإن كان مطلق الإيمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضا فإيجابه له من حيث إنهم كانوا
يحترزون عن إظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه إلى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان
سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الإتيان بالمحضوض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الإتيان به رأسا غاية ما يكون
من القباحة والشناعة أي كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم
وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا ﴿وقالوا﴾ في ذلك الآن ﴿هذا إفك مبين﴾ أي ظاهر مكشوف كونه إفكا فكيف بالصديقة
ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ إما من تمام القول المحضوض عليه مسوق لحث السامعين
على إلزام المسمعين وتكذيبهم إثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا إفك مبين وتوبيخهم على تركه أي هلا جاء الخائضون بأربعة
شهداء يشهدون على ما قالوا ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء﴾ الزيادة للتقرير ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى الخائضين
وما فيه من معنى البعد للإيذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر أي أولئك المفسدون ﴿عند الله﴾ أي في حكمه وشرعه المؤسس
على الدلائل الظاهرة المتقنة ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليهم
دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة وإما كلام مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده
الدليل أصلا ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ﴿ورحمته في الدنيا﴾ من فنون النعم التي من جملتها الإمهال
للتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة ﴿لمسكم﴾ عاجلا ﴿فيما أفضتم فيه﴾ بسبب
ما خضتم فيه من حديث الإفك والإبهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع وهضب
بمعنى ﴿عذاب عظيم﴾ تستحقرون دونه التوبيخ والجلد ﴿إذ تلقونه﴾ ظرف لمسكم أي لمسكم ذلك العذاب العظيم
وقت تلقيكم إياه من المخترعين ﴿بألسنتكم﴾ والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال
وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر
حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا
طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ أي تقولون قولا مختصا بالأفواه من غير أن يكون
له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم في قلوبكم كقوله تعالى ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ﴿وتحسبونه هينا﴾
سهلا لا تبعة له أو ليس له كثير عقوبة ﴿وهو عند الله﴾ والحال أنه عنده عز وجل ﴿عظيم﴾ لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب
﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ من المخترعين أو المشايعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا ﴿أن نتكلم
بهذا﴾ وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة أو الاستقامة والانبغاء
وهذا إشارة إلى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير
القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفتقر إلى التحضيض على تركه وأما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى
يحضض على فعله ويلام على تركه وقيل معناه ينبغي أن يجيء [illegible] المعنى أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا
بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها
لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما إذا وقع الظرف موقع
المظروف بأن جعل معمولا صريحا للفعل مذكور كما في قوله تعالى ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ أو مقدر كعامة الظروف المنصوبة بإضمار

اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجيه التخصيص اليه وذلك محقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله
تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها • سبحانك • تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنايعه تعالى
تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة
فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى • هذا بهتان عظيم • لعظم المبهوت عليه واحالة
صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها • يعظكم الله • اي ينصحكم • ان تعودوا لمثله • اي كراهة ان تعودوا
او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه • ابدا • اي مدة حيوتكم • ان كنتم مؤمنين •
فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع • ويبين الله لكم الآيات • الدالة على الشرايع ومحاسن الآداب دلالة واضحة
لتتعظوا وتتادبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتفخيم شان البيان • والله عليم • باحوال جميع مخلوقاته جلايلها ودقايقها • حكيم • في جميع تدابيره وافعاله فانى
يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم
الجليل ههنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلة الالوهية للعلم والحكمة • ان الذين يحبون • اي يريدون ويقصدون
ان تشيع الفاحشة • اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون
شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة • في الذين آمنوا • متعلق
بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة
اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شانهم • لهم • بسبب ما ذكر • عذاب اليم في الدنيا • من الحد وغيره
مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان
حسانا ضربة بالسيف وكف بصره • والآخرة • من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل • والله يعلم • جميع الامور التي من جملتها
ما في الضماير من المحبة المذكورة • وانتم لا تعلمون • ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم
على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسراير فيعاقب في الآخرة على ما تكنه
الصدور هذا اذا جعل العذاب الاليم في الدنيا عبارة عن حد القذف او ما يتصل له كما اطبق عليه الجمهور اما اذا ابقى على اطلاقه
يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها
على ان من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت
العذاب العظيم لهم وتعليلا له • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة • وان
الله رؤف رحيم • عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة
وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة
فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله
عليه • يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان • اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل
التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا • ومن يتبع خطوات الشيطان •
وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير • فانه
يامر بالفحشاء والمنكر • علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع

خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشان على راي من
لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يامره وقيل هو عايد الى من اي فان ذلك المتبع يامر
الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد
ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها • ما زكى
اي ما طهر من دنسها وهي ما ذكر • منكم • اي ما طهر الله تعالى • ومن في قوله تعالى • منكم • بيانية وفي قوله تعالى • من احد • زايدة واحد
في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية • ابدا • لا الى نهاية • ولكن الله يزكي • يطهر
من يشاء • من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم • والله سميع • مبالغ في سمع الاقوال
التي من جملتها ما اظهروه من التوبة • عليم • بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار
الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي • ولا ياتل • اي لا يحلف
افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح
بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرا ولا يتال • اولوا الفضل منكم
في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه • والسعة • في المال • ان يؤتوا • اي على ان لا يؤتوا وقرئ
بتاء الخطاب على الالتفات • اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله • صفات لموصوف واحد جي بها بطريق
العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني
لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا • وليعفوا • ما فرط منهم • وليصفحوا • بالاغضاء عنه وقرئ الامران بتاء الخطاب
على وفق قوله تعالى • الا تحبون ان يغفر الله لكم • اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم • والله غفور رحيم • مبالغ
في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته
كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر
الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا • ان الذين يرمون المحصنات • اي العفايف مما رمين به من الفاحشة الغافلات
عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا لما فيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات
اي السليمات الصدور والنقيات القلوب عن كل سوء • المؤمنات • اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات
وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها
المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عايشة
الصديقة رضي الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لساير امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة
دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء
الامة فيابا ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين
ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين ساير المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا
لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ
من ساير افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة
رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه لتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ • لعنوا • بما قالوا في حقهن • في الدنيا

والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً ولهم مع ما ذكر من اللعن الأبدي عذاب عظيم هائل لا يقادر
قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الخ إما متعلق بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت
حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم
ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار للعذاب وإن أغضينا عن وصفه لإخلاله بجزالة المعنى وإما منقطع عنه
مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحاً للإيذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع
فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يكون من الأحوال
والأهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة
فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن
كلاً منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن أحدهما خاصة
ففيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على
الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لأمر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم
على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مراراً وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم لا محالة وافياً كاملاً
كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال وقد جوز أن يكون
يوم تشهد ظرفاً ليوفيهم ويومئذ بدلاً منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير
للفصل ويعلمون عند معاينتهم الأهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم أن الله هو الحق الثابت الذي يحق أن
يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها
المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها
وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذي الحق المبين أي العادل الظاهر عدله
كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئاً منها فوق هاتيك
القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة و
إبراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الإلهية
الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله تعالى ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال
أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم على أن اللام للاختصاص والخبيثون أيضاً للخبيثات لأن المجانسة
من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون أيضاً للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن وحيث
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب
الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى أولئك مبرؤون مما يقولون على أن الإشارة
إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاماً أولياً وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الإشارة
من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرؤون مما يقوله
أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة
بهم لا ينبغي أن يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم

للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤون
مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضاً وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال
والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين
من الفريقين مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا تصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤون مما يقوله الخبيثون من الخبائث أي
لا تصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب
ورزق كريم هو الجنة يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي
العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن و
في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة
بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل واحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن
وقرئ بيوتاً غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء حتى تستأنسوا أي تستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس
بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستيناس
الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس وتسلموا
على أهلها عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن
له دخل وإلا رجع ذلكم أي الاستئذان مع التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان
الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول حييتم صباحاً حييتم مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف
وروي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها
كلما دخلت قال عليه السلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق
بمضمر أي أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فإن لم تجدوا فيها أحداً أي ممن يملك الإذن
على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو أحداً أصلاً على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهي
عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً و
أما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند
انضمام ما هو أقوى منه إليه أعني الاطلاع على العورات أولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم أي من جهة
من يملك الإذن عند إتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد أبرز القطعي في معرض
الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالإذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقاً بل في تكرير الاستئذان ولو بعد
الرد دفع ذلك بقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك
الإذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلجوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن
كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح هو أي الرجوع أزكى لكم أي أطهر
لما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون
وما تذرون فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا أي بغير استئذان بيوتاً غير مسكونة أي غير
موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها مسكناً
كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فإنه

صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة
والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها
من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم
ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل
هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت
لا انها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات
قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا
وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف
متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر
امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل
المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان
الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس
وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض
لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء
مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان سترها
حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو
الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع
الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن
وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء
فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد
ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن
حتى الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة
القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن
عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا
يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد
لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا
غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهرم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين

يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما يخفينه من الرؤية من زينتهن اي لا يضربن
بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان
لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابدائها عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى
وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية
بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقية بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد
من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود
لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه
في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايه المؤمنون
تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك
سعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه
مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج
له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما ينفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم
اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات
واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه
ويتكلف في نظم مصالحه بما لابد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح
في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح
فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد
هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر
احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح
يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط
بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء
الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة
الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال
حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى
اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعد ما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح
امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة
وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلت ونحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا
معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت

على العتق عنده والتحقيق ان الكتابة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب
والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان
باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله
الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان الزام
العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك
المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء
فكما ان قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا
متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع
لما يتم من قبله من الزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل
تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه
للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا
منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي
الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال
الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند
الشافعي رحمه الله للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي درهم اذ لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون
العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان
ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به
كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى
الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين
المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان
حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة
كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله عليه السلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة
في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء
لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص
النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني
ولخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا
يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن
الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان
من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف
فتأمل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي

للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا
مع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت
محققة الوقوع كما هو الواقع وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه
مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير
اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء
الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب
السابق الباعث عليه ومن يكرههن الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص
المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم
وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان
وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن
والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية
كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فخلو الجملة عنه مع تعلقها بهم بشرط التوبة استقلالا او مع اخلال
بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن
مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا
عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد
في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن
فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات
السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام
لابراز كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه
من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات
واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي
عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان
يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف
على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم
في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف
عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات
المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة للمتقين
يتعظون به وينزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات
والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي
وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شان الآداب واما قيل للمتقين مع شمول الموعظة
للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حث للمخاطبين على الاتعاظ بالانتظام في سلك المتقين وبيان
انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد
من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض الخ حينئذ استيناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان
مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد
في السورة الكريمة بل هو شامل للكل مما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة
وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب
البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه
ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان
المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه
لجميع ما يتبعه ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما مظهران لمعاني الجمال الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول
البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا
او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان
باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون
هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل
في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين
الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما
فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة
به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا
في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم رضي الله عنهم وجعله عبارة عن الحق
وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين
مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر
في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة كمشكاة
اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط
القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاي
وكسرها في الموضعين الزجاجة كانها كوكب دري متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري
الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دريء بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل
من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضوئه لبعض عند البريق واللمعان
وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما
بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع
مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف

الوصف المنبئ عن الاشارة الى الثبوت في الجملة كما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة
لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري يوقد من شجرة اي ابتداء ثقوب المصباح
من شجرة مباركة اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى
فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم
مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف
احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول
النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير
وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها الشمس عند طلوعها وعند
غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل
في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها
دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء
والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا لقصد الى بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا
بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما
في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع
ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي
ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا
ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن
في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه
نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن
بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله
ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور
المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع
لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون
شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى
عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل يهدي الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة

الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير للاوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر عنه بالقرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال المسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم مفعولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمنافاته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه حالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان في التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل تسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل بالتمام ويراد ويعرف ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو ما بين الاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على ان عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات او في تضاعيفها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لنبيهما معاما كلها لكونهما العلامة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لاستمرارها من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فتتحق تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير

التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ للاسناد الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان باناقته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عدى الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها وكمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخير ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما ان مناط ما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور كما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل

مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المعرب عن نور القرآن الكريم بطريق
الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل
عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين
كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد والآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري
بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع
جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها
الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان
والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اي اذا جاءه العطشان
ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا
عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب
بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال
ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة
من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان
اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا
جاؤها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها
شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم
المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير من الضميرين
الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا
وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او
كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل
واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون
بظلمات كائنة في بحر لجي اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة
اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة
هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج
متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك
الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ
محذوف اي هي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمة كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية
قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة
السحاب اليها اذا اخرج اي من ابتلي بها واضمار من بغير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة

قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلي
جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول
للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن
هداية خالقة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر
الخ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له
من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة
بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل
من نقص او خلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية
منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده
واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال
قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال
منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما فان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق
ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق
الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى
كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة
التي يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية
والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرف جهاتها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها
في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح
انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها صافات
اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها
الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية
حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل
حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادرج في تضاعيفه الاشارة
الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده
وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود
وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته
ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة
المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر
لتقدمها عليه في الرتبة هذا وقد جوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد بحقائق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير واحوالها
او افرادها وبالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا

على كلمة من من حيث عمومها لافرادها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد
عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اي يسبح التسبيح المخصوص من الطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخهم
فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهام
لكل نوع من انواع المخلوقات علوما حقيقية لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ
مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية
قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امورهم وغيرها
وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لان اصواتها اظهر
وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول
عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني
اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض
ح مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه للكل اي
قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض ح مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون
ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا
اوليا وله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا
واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان
لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة و
الاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه
البضاعة المزجاة فيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض
وقرئ يؤلف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى
يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة
في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل
وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام
تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية
بدل من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال
اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل و
قيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي شبيهة بالجبال
في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء
المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
فلم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد
فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر

اشتمال ح

او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما ينزل من البرد من يشاء
ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء
برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور
امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة
وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها
وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل
على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر
من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل انفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو
رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ
مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض
وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان
من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها
مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم
لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء
مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل
مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله
على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي لقد انزلنا ايات مبينات
اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده
الى التأمل في معانيها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول شروع
في بيان احوال بعض من لم يشاء الله تعالى هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه
وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك
اي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان
بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء
نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم
في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان

والثبات عليه وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أي الرسول بينهم لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان ذلك حكم الله تعالى
حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى إذا فريق منهم معرضون أي فاجأ
فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه وإن يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا إليه مذعنين منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم وإلى صلة
ليأتوا فإن الإتيان والمجيء يعديان بإلى أو لمذعنين على تضمين معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون
والتقديم للاختصاص أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشائه بعد استقصاء عدة من القبائح
المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشائية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو
منشئيتها له كأنه قيل أذلك أي إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته عليه السلام
مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بأن المنشأ
شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء
منهما لأعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ
أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام في الأمانة و
الثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلمهم بأنه
عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط مع تحققهما في
وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد جعل الارتياب حالة منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا
منه تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشائيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك
ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل إنما كان قول المؤمنين بالنصب على أنه خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع
على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى بالاسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو المصدر إذ لا سبيل إليه للتنكير
بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اختزلت عنه الإضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفق لمقتضى المقام لما أن مصب
الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة
بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذن هو الأحق
بالخبرية وأما ما يفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان
حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله
ورسوله ليحكم أي الرسول عليه السلام بينهم أي وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا
أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر أصلا وأما قراءة النصب فمعناها إنما كان قول المؤمنين أي إنما كان قولا لهم
عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا في الأذهان وأحقهما بالبيان
مفروغا عنها عنوانا للموضوع وإبراز ما هو بخلافها في معرض القصد الأصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا إلى مصدره
مجاوزا بالقول تعالى إذا دعوا أي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم أي وقع التقطع بينكم وأولئك إشارة
إلى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل أولئك
المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون أي هم الفائزون بكل مطلوب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله
ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم أي ومن

أي ومن يطيعهما كائنا من كان فيما أمر به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والأول
أنسب بالمقام ويخش الله ويتقه بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وبإسكان الهاء
أي ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء
هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم وأقسموا بالله حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكد بالأيمان الفاجرة
وقوله تعالى جهد أيمانهم نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أي أقسموا
به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى
وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أي أقسموا
أقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن أمرتهم أي بالخروج إلى الغزو لا عن ديارهم
وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا
وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لأقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية
قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل قل أي ردا عليهم وزجرا لهم
عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا أي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى
طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة
نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل
أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل
مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة
مما لا يساعده المقام إن الله خبير بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة
بالأيمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد
والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه
تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به
والإشعار باختلافهما من حيث إن المقول في الأول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني
أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه
على أنها ليست من الطاعة في شيء أصلا وقوله تعالى فإن تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها و
المبالغة في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك
ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا
لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن في خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بواسطته عليه السلام
وتصديه لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولي عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم
أنه داخل تحت القول المأمور حكاية من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت تكلف لا أمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام
للمأمور به إليهم وعدم التصريح به للإيذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أي إن تتولوا
عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فإنما عليه أي فاعلموا إنما عليه عليه السلام ما حمل أي أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم أي ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم

بعد ما كانوا قبل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اى فيما امركم
من الطاعة تهتدوا اى الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم
الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله
من ان غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اى ما على جنس
الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى
بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما تضمنه قوله تعالى وان
تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى
هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا الكل من اتصف بالايمان بعد
الكفر على الاطلاق من اى طائفة كان وفى اى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية
الكريمة فقط ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات
عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى امر بها ورتب عليها ما انتظم فى سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط
الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار من الاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم
ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية
والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما
فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولامة عموما على ان من تبعيضية
او له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد عن تبيين
[illegible] عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم فى الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة
اى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف
الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى
اشير اليهم فى قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى مؤكد بالفعل بعد تأكيده بالقسم
وما مصدرية اى ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل فى الكاف
حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى للمفعول جار مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة
كأنه قيل ليستخلفنهم فى الارض فيستخلفن فيها استخلافا اى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد جوز تعلقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل
ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اى فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى فلم يبق الا مسحت الخ وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه
اجل الرغائب الموعودة واعظمها لان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم
ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل
الشئ مكانا لآخر يقال مكن له فى الارض اى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الارض ونظائره وكلمة فى للايذان
بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه
بالارض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة

الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده ولان فى توسيطها بينه وبين
وصفه اعنى قوله تعالى الذى ارتضى لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين
الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الابدال من بعد خوفهم اى من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين
ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال عليه السلام
لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار
بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة يعبدوننى حال من الموصول الاول مفيدة
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد لا يشركون بى شيئا حال
من الواو اى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا ومن كفر اى اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب
والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة
العظيمة والاول انسب بالمقام بعد ذلك اى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام
بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون فى تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون
فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه
النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريقة الترهيب من التولى بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم
فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف
وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكانه
قيل فآمنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم
واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التى هى طاعته تعالى
فى الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية
ايضا اى واطيعوه فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة
على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اى واطيعوه فى سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول
بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثانى بالاوامر الثلاثة اى افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين
ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عليه السلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة
الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام ومآل امره فى الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لامر الترغيب
والترهيب والخطاب اما لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن
من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن
ذلك منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى فى الارض ظرف لمعجزين لكن
لا لافادة كون الاعجاز المنفى فيها لا فى غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها
اى لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم فى قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب
وقرئ لا يحسبن بالياء التحتية على ان الفاعل كل احد او النبى كما ذكر اى لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه فى الارض

اوهو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض واما
جعل معجزين مفعولا اول وفي الارض مفعولا ثانيا فمعزول من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني
ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى ومأواهم النار معطوف
على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم
النار او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم النار وقيل الجملة
المقدرة بل هم مقهورون مدبرون ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة
ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال
بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال
خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو
عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت
عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون
عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اي من الاحرار ثلاث مرات اي ثلاثة اوقات
في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين
بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلاث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون
ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار
بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل
القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل حادث متقضي وقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود
والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق
التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل طرفين منهما لعراقي ذلك الوقت
الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلاث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف
هو صفة لثلاث عورات اي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان اي هن ثلاثة اوقات يختل فيها
التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها
مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان
جناح اي اثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة
من تلك العورات الثلاث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات

قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور
في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز
على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير اذ لو جعلت
صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم في ثلاث عورات لا اثم في ترك الاستئذان
بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة
الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان
وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها
عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوفا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا
اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالة عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان
لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص
الآيات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم
معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال في انه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا
الاوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب
اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا اي اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن
الذين من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود
بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع
ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل
ذكرهم اي فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل
لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد
والمبالغة في الامر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اي العجائز اللاتي قعدن
عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب
الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات
لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع
فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم
اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين الاكيل وهو لا يشعر به والاعرج

ج

يتفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل
لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة
فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل
من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو وخلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان
يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل
لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تأكلوا اي تأكلوا
انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت
التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان
اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف
فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او
صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن
او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا
كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون ان يأكلوا
طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل
والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا
امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك
وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف شاؤا
وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وامثاله طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى
جميعا او اشتاتا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على
انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها
عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما
بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية
فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الاحكام
المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة
الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يجب بهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض

بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا
لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه وقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الخ معطوف
على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع
الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب
الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية
الى اجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب
حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه عليه السلام في [illegible] ان
نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب الى به مع ان الاذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم
وهو المعتبر في كمال الايمان ولا الاذن المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه
التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم
المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان وفي ذلك من تفخيم شأن
المستأذنين ما لا يخفى فاذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان
الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين
في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت منهم لما علمت
في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على الآخرة
ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن
الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاهتمام
بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم
على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استيذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب
لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه السلام موجب امتثالهم باوامره
عليه السلام ومتابعتهم له في الورود والصدور لما تحلى بالايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي
الى ما يوجب هلاككم من دعائه عليه السلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع
الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت
فلا يناسب المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد لمخالفي امره عليه السلام فيما ذكر من قبل فتوسيط
ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب تجيء للتكثير حسبما في مطلع
سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج
او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين
او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره
لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون

بما خالف سمته وعن الالتفات بمعنى الاعراض وحمله على معنى يصد وعن امره دون امر المؤمنين من خالفه عن الامر
اذا صد عنه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه
وسلم لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اى محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اى فى الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع
وفى اعادة الفعل صريحا لاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يوجب عنه
التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما الا ان لله ما فى السموات والارض من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا
واعداما بدأ واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التى من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق
ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اى يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى
بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ
وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا
بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة الامر
فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة فى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء
عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد
كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى والله تعالى اعلم ۞ سورة الفرقان مكية وآيها سبعون وسبع

تبارك الذى نزل الفرقان ۞ البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل
على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله التى من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز
الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل وصيغة التفاعل
للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى
الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية
والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال واختصاصها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها فى حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اى فصل بينهما
سمى به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض فى نفسه
او فى انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام فى اقصى
مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اى نزله عليه ليكون
هو عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اى منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض
للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة
التى حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوته وظهوره
وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذى له ملك السموات والارض اى له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا
السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة
وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على

او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبى لانه من تمام صلته ومعلوميته مغنية للكفرة مما لا ينبغى
لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظائره او مدح له بالرفع او بالنصب ولم يتخذ
ولدا كما يزعم الذين يقولون فى حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة
الظرفية ونظمه فى سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله
ولم يكن له شريك فى الملك اى ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص
ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد فى نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ
الولد بينهما للتنبيه على استقلاله والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شيء اى احدث كل موجود من الموجودات
احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور
معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام فقدره اى هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به
تقديرا بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى امور المعاد و
المعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل
اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس الامر فالمعنى اوجد
كل شيء فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه
التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره
فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة
جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع
كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضى انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا
يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه او شريكا فى ملكه واتخذوا من دونه آلهة
بعد ما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى
بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه
على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفى الشريك عليهم اى اتخذوا لانفسهم
متجاوزين الله تعالى الذى ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه
وخلق جميع الاشياء وتقديرها البديع تقديرا آلهة لا يخلقون شيئا اى لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم
يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين
عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف فى ضر ما ليدفعوه عن انفسهم
ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم فى نفسه اول مراتب
النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اى لا يقدرون على التصرف فى شيء منها
باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح
بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم
وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفى عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين

كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا والطاعنة والموصول اما عبارة
عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن الكلبي ومقاتل
ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز
الصلة وللايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه
يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا
اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل
وقيل هو عائش وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاءوا ظلما منصوب بجاءوا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان
تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث
جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق
وطرازه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم
الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر
وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما
امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتب
بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاءوه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان
مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين
بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع
اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي
او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه
اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها
منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لاسناد الكتابة في ضمن
الاكتتاب اليه عليه السلام بكرة واصيلا اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين ياوون الى مساكنهم انظر
الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون قل ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول
البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة
قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الذي لا يعزب عن علمه
شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته
وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه
افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما
تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتاخير
فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا مال هذا

الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء
خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته رسولا بطريق الاستهزاء به كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون وقوله تعالى ياكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي
يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب
فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله مالكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم
الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق
قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان الاستبعاد للمسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء
بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون
بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله
حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور
نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون
معه نذيرا تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل
والشرب معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسره لقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من تلك
المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون
له جنة ياكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب منه لو قرئ وقرئ ناكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة
وقصرا لحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه
لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون
الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو اللائق
بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترءوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا
في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة
البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم ياتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا
يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي
اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك
جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك
كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على جعل
لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان
عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل و
استغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة
بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتي في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية

جناياتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اى
اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما تشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب
بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير
لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة
لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك
حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد
لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات
في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا
تحيون من نؤى واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة
وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك
وقوله تعالى اذا رأتهم الخ صفة للسعير اى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث
تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير
منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعدها عنهم
من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي
من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت
المتغيظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن عندنا مشروطة بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى
فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا
نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب
مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر
رضي الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي
نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم
الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اى اذا القوا منها مكانا ضيقا
حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه
وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اى في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اى يتمنون هلاكا
وينادون يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب
على انه حال من فاعل دعوا اى دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون
الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول
ولا خطاب اى دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون
عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا عما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء
الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اى بحسب كثرة الدعاء
المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كأنه

كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته
وطول مدته مستوجب لتكرر الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب
بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير
اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا
يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلابد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته
ودوامه بما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام
المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم أذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال
الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اى قل لهم أذلك الذي ذكر من السعير التي
اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اى
وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى
لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة
لتحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه من فنون
الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات
النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال
من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤن كان اى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه
بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسؤلا اى موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون
او مسؤلا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة
بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار
بانه عليه السلام هو الفائز بآثاره ذي اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى
قل أذلك الخ اى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور
العبارة عن بيانه اى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة
الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ
عنه انك اذا رأيت شيئا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها
تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال
والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اى الله عز وجل للمعبودين
اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ بهما بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة أأنتم
أضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله تعالى
ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول
كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعل لان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل

لانفسه. قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا
مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء أو إشعارا بأنهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف
يتأتى منهم إضلال عباده أو تنزيها له تعالى عن الأنداد. ما كان ينبغي لنا أي ما صح وما استقام لنا. أن نتخذ من دونك
أي متجاوزين إياك. من أولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك
فضلا أن نتخذ نحن وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أي أتباعا فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى
يطلق على الأعلى والأسفل ومنه أولياء الشيطان أي أتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي إلى مفعولين كما في قوله تعالى
واتخذ الله إبراهيم خليلا ومفعوله الثاني من أولياء على أن من للتبعيض أي أن نتخذ بعض أولياء وهي على الأول مزيدة
وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام. ولكن متعتهم وآباءهم استدراك مسوق لبيان
أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن إضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة
أي ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها
حتى نسوا الذكر أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم
ذريعة إلى الغواية. وكانوا أي في قضائك المبني على علمك الأزلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال
السيئة. قوما بورا هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر
كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله. وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أي
فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة. بما تقولون أي في قولكم إنهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء أضلونا
ويأباه أن تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وإنما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم
أنهم آلهتهم وناصروهم وأيا ما كان فالباء بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء
أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية. فما تستطيعون أي ما تملكون صرفا أي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه
التنكير أي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف في أموره أي يحتال فيها وقيل توبة. ولا نصرا أي فردا من أفراد
النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولاه
لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون
على صيغة الغيبة أي ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو حيلة لو الكم ولا أن ينصروكم وترتبه بالفاء على ما قبلها
كما مر بيانه. ومن يظلم منكم أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد
وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد. نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله
سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في إذاقة العذاب الكبير فإن الشرط في اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا. وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق جواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والجملة
بعد إلا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى
ما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير إلا وإنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون
على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم أو الناس. وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد

والمراد بهذا البعض كفار الأمم فإن اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضا منهم وبما في قوله لبعض رسلهم
لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الأول. فتنة أي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض
الأول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الأولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة
أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون لمجموع الأمم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الأمم ولا بعض مبهم من الآخرين ببعض
مبهم من الأولين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الأمم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الأمم
الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث إليها وإنما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين
وإبقاء البعضين على العموم والإبهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى أتصبرون
فإنه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل أحد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاقتصار
على ذكره من غير تعرض لمعادله مما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمفتون قبح صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون
المراد بهم الرسل فتعين [illegible] تسلية عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم
العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعلم صبركم. وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم
للرسول عليه السلام بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات إلى اسم الرب مضافا إلى ضميره صلى الله عليه
وسلم. وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها إثر إبطال أباطيلهم
السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة
على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير إلى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير
أن يمنع مانع من إدراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى إما الرجوع إليه بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى
إني ظننت أني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم إياه عدم توقعهم له أصلا لإنكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم حسن
اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب
رأسا أي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أو حسابنا المؤدي إلى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم. لولا أنزل
علينا الملائكة أي هلا أنزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه السلام وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الأنسب
لقولهم. أو نرى ربنا من حيث إن كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى
لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء. وعتوا أي تجاوزوا الحد
في الظلم والطغيان. عتوا كبيرا بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك
كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات الباهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب
حتى منتهم أنفسهم الخبيثة أماني لا تكاد ترنو إليها أحداق الأمم ولا تمتد إليها أعناق الهمم ولا ينالها إلا أولو العزائم
الماضية من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة
على غاية قبح ما هم عليه والإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى. يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان
ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وإنما قيل
يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة إيذانا من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه
بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما دل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه في معنى لا يبشر يومئذ
المجرمون والعدول إلى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام

التهويل فان منع البشرى وتعقد انها حسوا ان بان هناك بشرى يعطونها او بعقد ونحا وابن هذا من نفيها بالكلية وحيث كان
نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت المنذرى
لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يدل عليه بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه
اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي
البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم
عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه
في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبي
عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء
عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل
الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم
والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا
يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها
الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن
على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة
بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق ومزقها
كل ممزق بحيث لم يبق لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شئ
يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة
في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يكون نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا
قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون يومئذ اي يوم اذ
يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات
للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك
لان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما
لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين
في الدنيا او الى ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الاية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت
احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد
وقرئ ونزلت الملائكة ونزل وتنزل على صيغة التكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف

النون الذي هو فاء الفعل من ننزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة
ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت
الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف
صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ
معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد
الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى
بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ
في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل
الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه
عليه السلام يوما الى ضيافته فابى عليه السلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تأتيه
فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد
في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول حال من فاعل يعض وقوله
يا ليتني محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته عليه السلام طريقا
ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل لان الالف بدل من ياء المتكلم كما في صحارى ومدارى وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالى واحضري
فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث
والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثاني
عن فلق وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد
بالظالم عقبة فالمراد بفلان ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن
وهذا التمني وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى
لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته
بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال
الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام
بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الاخرة وهو اوفق بحال ابليس وقال

الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة
من الأهوال والخطوب وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام
أي قالوا إثر ما شاهدوا منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل يا رب إن قومي يعني الذين
حكي عنهم ما حكي من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه
كلمة الإشارة مهجورا أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا إليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون
كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روي عنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجورا
فيه إما على زعمهم الباطل وإما بأن هجروا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون
المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فإن الأنبياء عليهم السلام إذا اشتكوا
إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما
يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا
وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك
ومبلغك إلى الكمال هاديا لك إلى ما يوصلك إلى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى يوم
القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه
والقائلون هم القائلون أولا وإيرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والإشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن أي هلا نزل عليه والتنزيل ههنا مجرد عن معنى
التدريج كما في قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه أي هلا
أنزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل
كونها من عند الله إعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء
من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال ومن ضرورة
تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فإنه استئناف
وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لفعل مقدر معلل
بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا
له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فإن فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها
من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلها بالنسخ من أحوال المكلفين
وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الأقاويل والأفاعيل ومن قضية تجددها
تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة
على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة
وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكل وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك
نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس بيناه بيانا
فيه ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في إثر بعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل

القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك
بمثل من الأمثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي لا يأتونك
بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن إلا جئناك في مقابلته بالحق أي بالجواب الحق الثابت
الذي ينحي عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحقة القالعة لعروق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية
وقوله تعالى وأحسن تفسيرا عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسيرا أو على محل بالحق أي آتيناك بالحق وأحسن تفسيرا أي بيانا
وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون به حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ
محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا
به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذه العبارة ناطقة ببطلان جميع الأسئلة وصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبئ عن بطلان
السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لو نزل القرآن جملة لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده
من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة
الملك والاستغناء عن الأكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة
يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه
وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي أنت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور
فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما أتوا به من الأباطيل والأمثال ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى
من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لأجل دفعها وإبطالها الذين يحشرون
على وجوههم إلى جهنم أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم
إلى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون
نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات
أو توجه إليها في الجملة ومحل الموصول إما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى أولئك بدل منه أو بيان له وقوله تعالى
شر مكانا وأضل سبيلا خبر له أو اسم الإشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الإسناد
المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل
سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد
ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء عليهم السلام
وبين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناها عليه
بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى أخاه مفعول أول له وقوله تعالى هارون بدل من أخاه أو عطف بيان له
على ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير أي جعلناه في أول الأمر وزيرا
له فقلنا لهما حينئذ اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات
الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها
المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى
بعده من التدمير أي فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم إثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا

ابلالايات ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم
مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء
الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في اهلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام
غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام
اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم و
ليس من ضرورة ترتيب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل
اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود
لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يعمل فيما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم
ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او
قصتهم للناس آية اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق
بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان
بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه
من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا
ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين
اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحي
او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس
وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي صلى الله عليه وسلم
ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او
دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم
قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا اي اهل قرون قيل القرن
اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور من الطوائف الامم وقد
يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المذكور
وذلك المحسوب كثيرا لا يعلمها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شأن تلك القرون بهذا البيان الاجمالي
لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل
في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل
فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا
كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل
وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا

وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم
بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت
بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمسا ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي
فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته
الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم
على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير لها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم
ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع
تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى
من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه
اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني
عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون
لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي
في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك
وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور
واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك عليه السلام
هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد
قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزؤون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز
بعثه لله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة عليه السلام مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه السلام
بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد
ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي انه كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث
يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا
ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق
من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد
في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية
عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته
عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه
كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ
الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان لما لهم

من المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أي أرأيت من جعل هواه إلهه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجب منه وقوله تعالى أفأنت تكون عليه وكيلا إنكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعا أو كرها والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الإيمان شاء أو أبى وقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إضراب وانتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة واهتمامه بالإرشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالأول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في إيمانهم وضمير أكثرهم للمن وجمعه باعتبار معناه كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها [illegible] وقوله تعالى إن هم إلا كالأنعام جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم أضل منها سبيلا لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي إلى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو أعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولأنها إن لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولأن أحكام جهالتها وضلالتها مقصورة على نفسها لا تتعدى إلى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية إلى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولأنها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها إلى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال وأما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال ألم تر إلى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد إثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام وللإيذان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أي ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل أي كيف أنشأ ظلا أي ظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود ففيه أنه لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكروه وإن كان في الحقيقة ظلا للأفق

الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية إليه سبحانه مع أن المراد تقرير رؤيته لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا أي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وإنما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الأوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه تعالى بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كإقامة الشمس في مقام واحد على أنها أعظم من إبقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من خوارقها وستتبعها ما هي أدنى وأحق بالإيراد في معرض البيان وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه أي جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما أن في بيان كون القبض والمد مرتبين ومترتبين على تغير مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن يكون للتراخي الرتبي أي أزلناه بعدما أنشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلا وإنما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى إلينا للتنصيص على كون مرجعه إليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا أي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع الشمس على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل إن الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الأرض تحتها ألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير وذلك مده تعالى إياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوله للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذي هو ظل الأرض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه أي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا أي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الأفعال المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع أحكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها

وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث
على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ
كذلك تموت وتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرات
وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة
وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء
طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة
الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى
وينزل عليكم ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهور او اسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن وقد
من السماء
جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور ووصف الماء
به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم
لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا بانبات
النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض
عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمناقع او الابار
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر
لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الاية الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد
انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم
عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه من اسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي
جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل
كانعام في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات
الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا
بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيامه وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله
في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او على صفة تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة و
رهاما والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او الجحود بها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء
فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك
بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة
معهم والتلطف في الدعوة لانه عليه السلام كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم
اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال

الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير لترك الطاعة
المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد
الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم
بالشدة والعنف لا بالملايمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل
عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا
لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك
ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير
بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وان الاليق بالمقام بيان سبب كبرها
وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته
اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف
مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان
كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير
طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة
في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق
من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد
لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب
اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا
في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين
متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر
ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف
ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين
قل لهم ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور
ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان واستثني منه قلعا لكلية شائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة
عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه
الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح
بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب
عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات

والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة
الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم التام [illegible] لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده
فان من انشا هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة
مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض
الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف اخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب
التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث
لم يتبعاه في الاعراب ولذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع
روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله
عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الاية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى
فاسئل به خبيرا اي فاسئل عما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بتفاصيلها فقط اذ بعد بيانها لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في
تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسئول امرا خطيرا مهتما بشانه غير حاصل
للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسئل به خبيرا
على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسئل معتنيا به
خبيرا عظيم الشان محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسئل به من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى
فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا وما بعده
خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى
او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان
نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم
اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به
وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها
سراجا اي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل
وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولعل الليالي بالقمر يكون قمرا اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف
اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون
بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر
بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة
والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي يتذكر الاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد
له من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا
وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن
كلام مستانف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته
والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدا خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في اخر السورة الكريمة

من الجمل المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع
وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون هينين لينين من غير غلظة
او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل
الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم
ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة
حتى يقال نسختها اية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم
مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرا شيئا من القران في الصلوة
وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل
والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا
دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب
ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون
تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا
ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها وقد جوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان و
مستقرا حالا او تمييزا وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والتقتير
منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبضمها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك اي بين
ما ذكر من الاسراف والتقتير قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام
به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه
مبني لاضافته الى غير متمكن وانت خبير بضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها
اخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتعريض
بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه
وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب
الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال
كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم
به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما
ذكر كما هو داب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلقى بالتشديد بزنة يحمد اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال
وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب
يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع
على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه اي في ذلك العذاب

المضاعف مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلّد مبنيا للمفعول من الإخلاد والتخليد
وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي إلى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى إلا
من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال
السابقة فأولئك إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه أي أولئك
الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها
لواحق طاعاتهم أو يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية وقيل بأن يوفقه
لأضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة
وإحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والإثبات ومن تاب أي عن المعاصي بتركها بالكلية
والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فإنه بما فعل يتوب إلى الله أي يرجع
إليه تعالى متابا أي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا إلى الله تعالى الذي يحب التوابين
ويحسن إليهم أو فإنه يرجع إليه تعالى أو إلى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور أي لا يقيمون
الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه وإذا مروا على طريق الاتفاق باللغو
أي بما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك
الإغضاء عن الفحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين إذا ذكروا بآيات ربهم المنطوية على المواعظ
والأحكام لم يخروا عليها صما وعميانا أي أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وإنما عبر عن ذلك
بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرة أعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه
فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ
وذريتنا وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لأن المراد أعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا إلى غيرها واجعلنا للمتقين
إماما أي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس
كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماما أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا
قالوا وأنت خبير بأن مدار الكل صدور هذا الدعاء إما عن الكل بطريق المعية وإنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك
باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة وإما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الإمامة وإنه ليس بثابت
جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين إماما خلا أنه حكيت عبارات
الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقي إماما على حاله وقيل
الإمام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر
الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له
شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف
العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم أولئك إشارة إلى المتصفين
بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك
الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة

مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الأبدية إثر بيان ما لهم في الدنيا من الأعمال السنية
والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أي يثابون أعلى منازل الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم
في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من أسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما أي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الآفات أو يعطون التبقية
والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون
حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين
بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلا أي قل لهم كافة مشافها
لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم أي أي عبء يعبأ بكم وأي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم
له تعالى حسبما مر تفصيله فإن ما خلق له الإنسان معرفته تعالى وطاعته وإلا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه
أي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة
ويجوز أن يكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أي
فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم
كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الإيذان بأن مناط
فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس إلا اختلافهما في الأعمال فسوف يكون لزاما أي
يكون جزاء التكذيب أو أثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير
ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره والتنبيه على أنه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر
وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان
لقي الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير حساب والله أعلم

سورة الشعراء مكية وآياتها مائتان وعشرون وسبع

طسم بتفخيم الألف وبإمالتها وإظهار النون وبإدغامها في الميم وهو إما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على أحد الوجهين
المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة كما عليه إطباق الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وهو أظهر
من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وكذا
في قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين إشارة إلى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبما
مر تحقيقه هناك وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ ثان أو
بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر إعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للأحكام الشرعية
وما يتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة مترجمة باسم مستقل والمراد ببيانها بعضا منه وصفها
بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك أي قاتل وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الإضافة ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها
حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين أي لعدم إيمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة
أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى إن نشأ إلخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور
ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه

معطوف على الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء آية • اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه • وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر • فظلت اعناقهم لها خاضعين • اى منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت
مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اى
فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى • وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين • بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان
الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم
بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اى ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن
تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها تنفس الذكر من جهته بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
اى ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه • فقد كذبوا • اى كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا
صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء
في قوله تعالى • فسيأتيهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسيأتيهم البتة من غير تخلف
اصلا • انباء ما كانوا به يستهزءون • عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما
كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات
العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن
كما يقفون على الاحوال الخافية باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى فسيأتيهم
لا محالة مصداق ما كانوا يستهزءون به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها • اولم يروا • الهمزة للانكار التوبيخي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء ولم ينظروا الى الارض
اى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى • كم انبتنا فيها من كل زوج
كريم • استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها
وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اى صنف • كريم • والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اى كثيرا من كل
صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة
معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة
كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون
ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون • ان في ذلك • اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وما
كان فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل • لآية • اى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية

سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر • وما كان اكثرهم • اى اكثر قومه عليه السلام • مؤمنين • قيل اى
في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر و
لا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة اى زائدة منه والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام
بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه
فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء والمتفننين كانه قيل ان في ذلك
لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة
عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن • وان ربك لهو العزيز • الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام
من هؤلاء • الرحيم • المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يأخذهم بغتة بما اجترءوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى • واذ نادى ربك موسى •
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من
الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه
عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باخوانهم
المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم
عليه بعد سماع الوحي الناطق بفضيحتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب
كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا • ان ائت • يعني اى ائت على
ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار • القوم الظالمين • اى بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل
وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا
الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف
عند قوله قال انظرني • قوم فرعون • بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم • الا يتقون • استئناف جيء به اثر ارسال
رسالته عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبي
عن زيادة الغضب كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء
به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى
كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل • رب اني اخاف ان يكذبون • من اول الامر • ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني • معطوفان على اخاف • فارسل • اى جبريل عليه السلام • الى هارون • ليكون معي واتعاضد به
في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه
عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين
يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء
وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان مما
يخاف منه • ولهم علي ذنب • اى تبعة ذنب بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي

وتسمية ذنبا لكسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فأخاف اي ان ابهم وحدي ان يقتلون
بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبئ وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا
باياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الردع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق
التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا
رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ
والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بحضر من فرعون اعتبر تعالى في المعية وقيل اجرى مجرى الجمع
وباياه ماقبله ومابعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر
مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة واستعير الاستماع الذي هو بمعنى
الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد الامر بالذهاب لان معناه
الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر
وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول والمعنى
ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به
يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن
له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا اي في حجرنا ومنازلنا وليدا
اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام
بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي
عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله تعالى اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت
نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي وانت ممن تكفرهم الآن وقد افترى
عليه عليه السلام وجهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين يقول عليه السلام من مشاركتهم في الدين
فالجملة حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهية او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت
لهم الهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال عليه السلام مجيبا له
مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من
الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي
اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم لما خفتكم ان يقتلوني بمعرة و
تؤاخذوني بما لا استحق بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك
ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك
كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيد
بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي
او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار

باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون
لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع
في الاعتراض على دعواه عليه السلام مبتدئا بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته
عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي تدعي انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى و
قوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض
وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على
ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك وان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا
اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم
له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون
مغريا لهم ان يسمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله
فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا
تحت جوابه السابق ربكم ورب ابائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما سمع
موسى عليه السلام ما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما يصدر عن العقلاء صيانة لهم عن قبوله
فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليبعثهم بذلك ويعيرهم عن قبول الحق وسماه
رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب
وما بينهما قال عليه السلام تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى
للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات
وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة
ربوبيته تعالى فذكر المشرق والمغرب المنبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على
نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات
والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم صادقين شيئا من الاشياء
او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة و
تلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه
عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى
في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونادى بجاهليته الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان
يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقنع منه عليه السلام بترك دعوى
الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا
صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية
الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجيبه من كان جوابه غير مطابق له لكونه بذكر احواله فلا يساعده
النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان

بطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك
بشيء مبين أي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة
على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل والواو في أولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
أي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره
فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد
الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة
له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من
الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال
ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم
على جميع الأحوال فإنك إذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الإعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق
الحكم بأبعدها منه ليظهر تحققه مع ما عداه من الأحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصحح للاكتفاء بذكره عن
عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا أي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة
كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على أن الواو للحال بما ذكر من كلمة لو ومعناها ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة
إلى فرعون والمعنى أتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين﴾ أي فيما يدل عليه كلامك
من أنك تأتي بشيء مبين موضح لصدق دعواك أو في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿فألقى
عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي ظاهر ثعبانيته لا أنه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب أي
فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الأعراف وسورة طه ﴿ونزع يده﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾
قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال فرعون ما هذه فقال يدك ثم أدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد
يغشى الأبصار ويسد الأفق ﴿قال للملإ حوله﴾ أي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ فائق في
فن السحر ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية
إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير وأظهر
استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾
أخر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ أي شرطا يحشرون السحرة ﴿يأتوك﴾ أي الحاشرون ﴿بكل سحار عليم﴾
فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن
يحشر الناس ضحى ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة إليه ﴿لعلنا نتبع
السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ أي نتبعهم في دينهم إن كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا
دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا الكلام مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة
﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا﴾ أي أجرا عظيما ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لا موسى عليه السلام ﴿قال نعم﴾ لكم ذلك ﴿و
إنكم﴾ مع ذلك ﴿إذا لمن المقربين﴾ عندي قيل قال لهم تكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما
لغتان ﴿قال لهم موسى﴾ أي بعد ما قال له السحرة إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ ولم يرد به الأمر
بالسحر والتمويه بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا﴾

أي وقد قالوا عند الإلقاء ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم
بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف﴾ أي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف إحدى التاءين
من تتلقف ﴿ما يأفكون﴾ أي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات
تسعى أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿فألقي السحرة ساجدين﴾ أي إثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير
متمالكين كأن ملقيا ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه
دليل على أن قصارى ما ينتهي إليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾
بدل اشتمال من ألقي أو حال بإضمار قد وقوله تعالى ﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم إرادة
فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللإشعار بأن الموجب لإيمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة ﴿قال﴾
أي فرعون للسحرة ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ أي بغير أن آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي لا أن الإذن
منه ممكن أو متوقع ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك
التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا على بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين ﴿فلسوف تعلمون﴾ أي
وبال ما فعلتم وقوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ بيان لما أوعدهم به ﴿قالوا﴾ أي السحرة
﴿لا ضير﴾ لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ تعليل لعدم الضير أي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل
لنا في الصبر لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب
إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ أي
لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ أي من أتباع فرعون أو من أهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير أي لا ضير علينا في ذلك إنا نطمع أن
يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرئ إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة قول
المدل بأمره في قول العامل لمستأجره إن كنت عملت لك فوفني حقي ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ وذلك بعد بضع
سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الأعراف بقوله تعالى
ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ أن سر من السير
﴿إنكم متبعون﴾ تعليل للأمر بالإسراء أي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فأسر بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول إلى البحر
فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم ﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بمسيرهم ﴿في المدائن حاشرين﴾ جامعين للعساكر
ليتبعوهم ﴿إن هؤلاء﴾ يريد بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون﴾ استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة إلى جنوده
إذ روي أنه أرسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة
ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث ﴿وإنهم لنا
لغائظون﴾ أي فاعلون ما يغيظنا ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ يريد أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم
يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج
علينا خارج سارعنا إلى إطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره
وسلطانه وقرئ حذرون فالأول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون
بالدال المهملة أي أقوياء وأشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في صدورهم وأجسامهم ﴿فأخرجناهم﴾
بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ كانت لهم جنات

كذلك أما مصدر تشبيهي لأخرجناهم أي مثل ذلك الإخراج العجيب أخرجناهم أو صفة لمقام كريم أي مقام كريم كائن كذلك أو خبر لمبتدأ
محذوف أي الأمر كذلك وأورثناها بني إسرائيل أي ملكناها إياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج
أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها فأتبعوهم أي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
أي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون
جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الإدراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء
إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فإنهم لا يدركونكم إن معي ربي بالنصرة والهداية
سيهدين البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية روي أن يوشع عليه السلام قال يا رسول الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا
قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروي أن مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي
موسى عليه السلام فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله
تعالى فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق الفاء فصيحة أي فضرب فانفلق فصار اثني عشر مسلكا
بعدد الأسباط فكان كل فرق حاصل بالانفلاق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط
في شعب منها وأزلفنا أي قربنا ثم الآخرين أي فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين
بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك أي في جميع ما فصل مما صدر عن
موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب
والنكال وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتهويل المشار إليه وتفظيعه والتنكير للآية في قوله تعالى لآية أي آية وآية
عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام
وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله
تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم ما حل بأولئك أو أن فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام إياها على ما هي عليه من غير
أن يسمعها من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للإيمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام
وما كان أكثرهم أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصصهم منه عليه السلام مؤمنين لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام
وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصصهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون
كل من الطريقين مما يؤدي إلى الإيمان قطعا ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر
من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان
واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين
مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الإخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على
كمال التحقق والتقرر كقوله تعالى أتى أمر الله الآية وإن ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الأمور التي من جملتها
الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية
العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة إلى آخر
القصص السبع بل إلى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه وأما ما قيل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط وغيرهم أي
المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسا التي دلت على تابوت يوسف

عليه السلام وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من
التحقيق كيف لا وما من قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة إبراهيم عليه السلام إلا وهو بيان لحال
طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسوله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما جاءوا
بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الإيمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم
الله تعالى لذلك العقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لا سيما بعد
الإخبار بإهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولا وإخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات أصلا
مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله واتل عليهم عطف على المضمر العامل في إذ نادى أي واتل على المشركين نبأ إبراهيم
أي خبره العظيم الشأن حسبما أوحي إليك لتقف على عدم إيمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد الطريقين إذ قال منصوب على
الظرفية للنبأ أي نبأه وقت قوله لأبيه وقومه أو على المفعولية لاتل على أنه بدل من نبأ أي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون
على أن المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بأن يقولوا أصناما كما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أطنبوا فيه بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصدا إلى إبراز
ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على
وإيراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضا من جملة إطنابهم قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم أي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك
سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى إذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الإسماع أي هل يسمعونكم شيئا من
الإجابة أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع إذ على حكاية الحال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا
هل سمعوا أو أسمعوا قط أو ينفعونكم بسبب عبادتكم لها أو يضرون أي يضرونكم بترككم لعبادتها إذ لا بد للعبادة لا سيما
عند كونها على ما وصفتم من المبالغة من جلب نفع أو دفع ضر قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بأنها بمعزل عما ذكر
من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أي ما علمنا أو ما رأينا منهم ما ذكر من الأمور بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أي أنظرتم فأبصرتم أو أتأملتم
فعلمتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون حق الإبصار أو حق العلم وقوله تعالى فإنهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه
بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما
يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو أعدى عدو الإنسان لكنه
عليه السلام صور الأمر في نفسه تعريضا بهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول
والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو وشبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع و
الحنين والصهيل إلا رب العالمين استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال
يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود
كان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل
وإنما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم التي خصه بها عليه السلام وتفصيلا
لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى

• فهو يهدين • أي هو يهديني وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار
كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن
بها من جلب منافعه ودفع مضاره إما طبعاً وإما اختياراً مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية
إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم • والذي هو يطعمني ويسقين • عطف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة مع كفاية عطف
ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب
الحكم حقيق بأن يجري عليه تعالى بحياله ولا يجعل من روادف غيره • وإذا مرضت فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة
لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن
الأدب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى
كالإحياء بدءاً وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سلك واحد في قوله تعالى • والذي يميتني ثم يحيين •
على أن الموت لكونه ذريعة إلى نيله عليه السلام للحياة الأبدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه السلام • والذي أطمع أن يغفر
لي خطيئتي يوم الدين • ذكره عليه السلام هضماً للنفس وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم و
تلافياً لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيهاً لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال في درجة لا يقادر
قدرها فإن حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال أولئك المغمورين
في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي مما لا سبيل إليه لأنها
مع كونها معاريض ليست من قبيل الخطايا المفتقرة إلى الاستغفار وإنما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه أما
الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام إلى الشام وأما الأوليان فلأنهما وقعتا مكتنفتين بكسر الأصنام ومن البين أن
جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الأمر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يومئذ
يتبين ولأن في ذلك تهويلاً له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر • رب هب لي حكماً • بعدما ذكر عليه السلام لهم فنون الألطاف
الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي
هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق • وألحقني بالصالحين • ووفقني من العلوم والأعمال والملكات
لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها ينبئ بهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث
قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين • واجعل لي لسان صدق في الآخرين • أي جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره إلى يوم الدين
ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له مثنية عليه أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه من التوحيد
وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام • واجعلني في الآخرة من ورثة جنة النعيم •
وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم • واغفر لأبي • بالهداية والتوفيق للإيمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى • إنه كان من الضالين •
أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه • ولا تخزني • بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص
رتبتي عن بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً كل ذلك مبني على هضم النفس عليه السلام أو بتعذيب والدي
أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للإيمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء • يوم يبعثون • أي الناس كافة
والإضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم • يوم لا ينفع مال ولا بنون •
بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيداً للتهويل وتمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي لا ينفع مال وإن كان مصروفاً إلى وجوه
البر والخيرات ولا بنون وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحداً • إلا من أتى الله بقلب سليم • أي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط

نفع كل منهما بالإيمان وفيه تأكيد لكون استغفاره عليه السلام لأبيه طلباً لهدايته إلى الإيمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافراً
مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لأنه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أي إلا مال من أو بنون من أتى الله
الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع أي إلا حال من أتى الله
بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى و
هو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة
قلبه تنفعه • وأزلفت الجنة للمتقين • عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون
المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها • وبرزت الجحيم للغاوين • الضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى أي جعلت بارزة
لهم بحيث يرونها مع ما فيها من الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً • وقيل لهم أين ما كنتم في
الدنيا • تعبدون من دون الله • أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف • هل ينصرونكم • بدفع
العذاب عنكم • أو ينتصرون • بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل • فكبكبوا فيها • أي ألقوا
في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها • هم • أي آلهتهم • والغاوون • الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير
ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالهم فيزدادوا غماً إلى غمهم • وجنود إبليس • أي شياطينه
الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا
في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والأول هو الأوجه • أجمعون • تأكيد للضمير وما عطف
عليه وقوله تعالى • قالوا • إلخ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل
فقيل قال العبدة • وهم فيها يختصمون • أي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لأنفسهم والحال
أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة
للاختصام بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق • تالله إن كنا لفي ضلال مبين • إن مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي
هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال مبين واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح
للإشباع في إظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعر
بالتعجب وقوله تعالى • إذ نسويكم برب العالمين • ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أي ضللنا وقيل
للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث إن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم أيها الأصنام
في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم • وما أضلنا إلا المجرمون • بيان لسبب
ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الإضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه
بسبب إضلالهم من غير أن يستقلوا في تحققه أو يكون بسبب إضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش إلا بسبب
إضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
السبيل وعن السدي هم الأولون الذين اقتدوا بهم وأياً ما كان ففيه وفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي • فما لنا من شافعين •
كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام • ولا صديق حميم • أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

من الذين كنا نعدهم شفعاء والصديق فاعلى انه علم بهما كناية عن عدم اولهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد
كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعا في مكانه لا تخلصنا منها شافع ولا
صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على
الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمني كليت لما ان بين معنييهما
تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اى رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل
فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب
ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريق للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على
اصلها اذ لا يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع ان المقصود ذلك
ان في ذلك اى فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما
يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا
من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم من الوان العذاب وانواع
العقاب لاية اى اية عظيمة لا تقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة
ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب
بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلوا
عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اى اكثر هؤلاء الذين يتلو
عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا
فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوا به
عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله تعالى الى الشام وقد مر بقية الكلام في قصة موسى
عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة
ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى
الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار و
اما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب
على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين دعوته عليه
السلام الى انتهائها اخوهم اى نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره انى لكم رسول من جهته تعالى امين مشتهر
بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسئلكم عليه اى على ما انا متصد له من
الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد و
والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون اى الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم
كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكلاب واكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع
كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل واصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي

كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا
والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل
من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اى ما وظيفتي الا اعتبار
الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اى ما محاسبة اعمالهم والتفتيش عن
كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اى بشيء من الاشياء ولو
كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهم كلامهم
من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى
ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء والاذلاء فكيف يتسنى
لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الاخرين
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى
في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة
المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا
وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اى من قصدهم او من شوم عملهم
فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اى المملوء بما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اى بعد انجائهم الباقين اى من قومه
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم
نوح ابعد من السداد وابعد كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم
اخوهم هود الا تتقون الكلام فيه ان المراد بتكذيبهم ما وقع فيه من الزمان حسبما ذكر في صدر قصة نوح عليه السلام
اى الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة
فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع
الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون
بكل ريع اى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم
في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون
مصانع اى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اى راجين ان تخلدوا في الدنيا اى
عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين مسلطين غاشمين بلا
رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع
لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الالاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين
باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم
ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم
لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن
نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ و مباشرته

اصلا ان هذا اما هذا الذى جئتنا به الا خلق الاولين ° اى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذى نحن
عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحيوة الا عادة قديمة
لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اى اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم
نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ° وما نحن بمعذبين ° على ما نحن عليه من الاعمال ° فكذبوه ° اى اصروا على تكذيبه
° فاهلكناهم ° بسببه بريح صرصر ° ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ
قال لهم اخوهم صالح الا تتقون ° الله تعالى ° انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على
رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين ° انكار ونفى لان يتركوا فيما هم عليه او فيه من النعمة او تذكير للنعمة فى تخلية الله تعالى اياهم و
اسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله تعالى ° فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ° تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف
اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدلى
منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار ° وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين °
بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ ° فاتقوا الله و
اطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين ° استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الامر مجازا
° الذين يفسدون فى الارض ° وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ° ولا يصلحون ° على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم
عن مخالطة الاصلاح ° قالوا انما انت من المسحرين ° اى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوى السحر اى الرئة اى من
الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له ° فأت باية ان كنت من الصادقين ° اى فى دعواك ° قال هذه ناقة °
اى بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما تفصيل فى سورة الاعراف وسورة هود ° لها شرب ° اى
نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ° ولكم شرب يوم معلوم ° فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا
على شربها ° ولا تمسوها بسوء ° كضرب وعقر ° فيأخذكم عذاب يوم عظيم ° وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو
ابلغ من تعظيم العذاب ° فعقروها ° اسند العقر الى كلهم لان عاقرها عقر برايهم ولذلك عمهم العذاب ° فاصبحوا نادمين °
خوفا من حلول العذاب لا توبة عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة ° فاخذهم العذاب °
اى العذاب الموعود ° ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ° قيل فى نفى الايمان عن اكثرهم
فى هذا المعرض ايماء الى انه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم
وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم ° كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين °
اى اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس ° وتذرون ما خلق لكم ربكم ° لاجل
استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى ° من ازواجكم ° للبيان ان اريد به جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد به العضو المباح
منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا ° بل انتم قوم عادون ° متعدون متجاوزون الحد فى جميع المعاصى وهذا
من جملتها او قيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات ° قالوا لئن لم تنته يا لوط ° اى عن تقبيح
امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التى من جملة احكامها التعرض لنا ° لتكونن من المخرجين ° اى من المنفيين من قريتنا و
كانهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال ° قال انى لعملكم من القالين ° اى من المبغضين غاية البغض كانه يقلى

الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال انى لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من جملة الراسخين فى بغضه المشهورين
فى قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم
وتوجه الى الله تعالى قائلا ° رب نجنى واهلى مما يعملون ° اى من شومه عليهم وعائلته ° فنجيناه واهله اجمعين ° اى اهل بيته ومن
اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم ° الا عجوزا ° هى امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة
لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج ° فى الغابرين ° اى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم
وقد اصابها الحجر فى الطريق فاهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط عليه السلام
° ثم دمرنا الاخرين ° اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه ° وامطرنا عليهم مطرا ° اى مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم
حجارة فاهلكتهم ° فساء مطر المنذرين ° اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
° ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين ° الايكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر
وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل ° اذ قال لهم شعيب الا تتقون °
ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك
مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ ° انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ° اوفوا الكيل ° اى اتموه ° ولا تكونوا من المخسرين ° حقوق الناس بالتطفيف
° وزنوا ° اى الموزونات ° بالقسطاس المستقيم ° بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرئ بضم القاف ° ولا تبخسوا الناس اشياءهم ° اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص
بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ° ولا تعثوا فى الارض مفسدين ° بالقتل والغارة وقطع الطريق ° واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين ° اى وذوى الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وكسر الجيم وسكون
الباء كالخلقة ° قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ° ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير
والبشرية مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب ° وان نظنك لمن الكاذبين ° اى فيما تدعيه من النبوة ° فاسقط علينا كسفا من
السماء ° اى قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد
بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ° ان كنت من الصادقين ° فى دعواك ولم
يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان اخطروه ببالهم لما طلبوه ° قال ربى اعلم بما تعملون ° من
الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم فى وقته المقدر له لا محالة ° فكذبوه ° اى فتموا على تكذيبه واصروا
عليه ° فاخذهم عذاب يوم الظلة ° حسبما اقترحوا ان اراد بالسماء السحاب فظاهر وان اراد المظلة فلان العذاب
نزول من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك
بان سلط الله تعالى عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا
الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا
عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب
يوم الظلة ° انه كان عذاب يوم عظيم ° اى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ° ان فى
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ° هذا آخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى

مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة
من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على
التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان
ولا بان يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد
اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه
السلام ● وانه ● اى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذي هي من جملته ● لتنزيل رب العالمين ● اى
منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورأفته الكل كقوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ● نزل به الروح الامين ● اى جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله انبيائه عليهم
السلام وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به ● على قلبك ● اى روحك وان اريد به العضو
فتخصيصه لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش
بها الروح المتخيلة ● لتكون من المنذرين ● متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه
النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر
● بلسان عربي مبين ● واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بامر الانذار
وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه السلام لا انزاله باللسان العربي وجعله
متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من
هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد
الزواجر تأثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عليه السلام ● وانه لفي
زبر الاولين ● اى وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد
وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وليس بواضح ● اولم يكن لهم آية ● الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل أغفلوا عن ذلك
ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او
بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ● ان يعلمه علماء بني اسرائيل ● لما
مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن
بالتأنيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان
يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ ان تعلمه بالتاء ● ولو نزلناه على بعض ● كما هو بنظمه الرائق المعجز ● الاعجمين ● وفي لفظ
البعض اشارة الى كونه ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان ● فقرأه عليهم ● قراءة خارقة للعادات ● ما كانوا به مؤمنين ●
مع انضمام اعجاز القرآن الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة
العجم وليس بذلك لانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد ● كذلك سلكناه ● اى مثل ذلك السلك المذكور
سلكناه اى ادخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز
ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه وصفته

فقوله تعالى ● لا يؤمنون به ● جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون
على ما هم عليه ● حتى يروا العذاب الاليم ● الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان ● فيأتيهم بغتة ● اى فجأة في الدنيا والآخرة
● وهم لا يشعرون ● باتيانه ● فيقولوا هل نحن منظرون ● تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه
وقيل معنى كذلك مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب به وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به
في موقع الايضاح والتلخيص له اى في موقع الحال اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام غاية عنادهم
ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتأخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه
للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد رحمهما
الله تعالى ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين ● أفبعذابنا يستعجلون ● بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من
التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان
بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل ● أفرأيت ● لما كانت الرؤية من
اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان
والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على
الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي الجمهور اى فاخبرني ● ان متعناهم سنين ● متطاولة
بطول الاعمار وطيب المعايش ● ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ● من العذاب ● ما اغنى عنهم ● اى شيء او اي غناء اغنى عنهم
● ما كانوا يمتعون ● اى كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا
على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول
في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه
وآكده كان كل من شأنه الخطاب قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ما ذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان
يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع ● وما اهلكنا من قرية ● من القرى المهلكة ● الا لها منذرون ●
قد انذروا اهلها الزاما للحجة ● ذكرى ● اى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل
مذكرون تذكرة وعلى انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى والرفع على انها صفة
منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى
المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر ● وما كنا ظالمين ●
فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من
قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم اصلا وقد
مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد ● وما تنزلت به الشياطين ● رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن
الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين ● وما ينبغي لهم ● اى
وما يصح وما يستقيم لهم ذلك ● وما يستطيعون ● ذلك اصلا ● انهم عن السمع ● لكلام الملائكة ● لمعزولون ● لانتفاء المشاركة بينهم
وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف

النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية مستشرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يكاد يتلقاها الا الملائكة عليهم السلام ﴿فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين﴾ خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ اي الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ اي جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان ﴿فان عصوك﴾ ولم يتبعوك ﴿فقل اني بريء مما تعملون﴾ اي مما تعملونه او من اعمالكم ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ اي الى التهجد ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه السلام ﴿انه هو السميع﴾ بما تقوله ﴿العليم﴾ بما تنويه وتعمله ﴿هل انبئكم على من تنزل الشياطين﴾ اي تتنزل بحذف احدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل ان يحذف حرف الاستفهام ويستعمل على حذف كما حذف من هل والاصل اهل ﴿تنزل على كل افاك اثيم﴾ قصر تنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام ﴿يلقون﴾ اي الافاكون ﴿السمع﴾ اي الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى ﴿واكثرهم كاذبون﴾ اي فيما قالوا من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد اكثر من مائة كذبة ويلقون السمع الى المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني وانما اكثره فهم كاذبون وما اكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لا ان يلقون حينئذ اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل لالقاء او استئناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من ان يقارنه التنزل او يكون غرضا

منه لتفرده عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير حقيق بجزالة النظم الكريم واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخباريا بحالهم على كلا التقديرين لان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل ويجوز ان يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال ان اكثر اقوالهم كاذبة فتدبر ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى ﴿الم تر انهم في كل واد يهيمون﴾ استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه الصلف والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط بالمدح والهجاء ﴿وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الظاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل ما قال محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع

ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن
ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد ووعيد اكيد لما سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق
والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل ما لا يخفى وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت
ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به و
هود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة النمل مكية وآيها تسعون وثلاث

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو
الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس و
غيرها والنصب او رفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها الا انها
لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها في اضافتها الى القرآن كما سياتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن والجملة مستانفة مقررة لما افادته التسمية
من نباهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك
السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان مبين مظهر
لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب ولسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل
والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه
بيعاني بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما ينبئ عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على
صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر
نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط ما فيه هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده
اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة
الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات
كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانها نفس
الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الآيات او خبران لتلك او لمبتدا محذوف
ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها
اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله
تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة
حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية
او عاطفة على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة

بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات
حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار
بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها
عليهم فهم يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع
وضر او في الضلال او الاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك
وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدا خبره الموصول
بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون
اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن كلام مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن
الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين
من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته و
الاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم و
الحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم على تفاوت العقل والاشعار بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو
حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا
لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له
من جانب الطور نار اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد
في المسافة وتاكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امراته لما كنى عنها بالاهل والتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم
بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من
اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء
لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي و
الترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده
حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك
معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لان الدعاء يخالف غيره من الاحكام
من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الواد
الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الواد
وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولاسيما
تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد
قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وتكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده
عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استيناف

مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير إما للشأن وإنا الله جملة مفسرة له وإما راجع إلى المتكلم وأنا خبره والله
بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد إظهاره على يده من المعجزة أي أنا القوي القادر على ما لا
يناله الأوهام من الأمور العظام التي من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين وألق عصاك
عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء أي نودي أن بورك وأن ألق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وأن ألق عصاك
بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة
تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه بعد قوله اخرج عليهن
كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان أي حية خفيفة سريعة
الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في
الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر وإنما اعتراه
الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف أي من غيري ثقة بي أو مطلقا لقوله تعالى إني لا يخاف
لدي المرسلون فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم كوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون
في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما في سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون
لهم عندي سوء عاقبة فيخافوا منه إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى
يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الأنبياء عليهم السلام فإنهم وإن فرط
منهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه
السلام من وكزة القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه السلام رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وأدخل
يدك في جيبك لأنه كان عليه مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة
كبرص ونحوه في تسع آيات أي في جملتها أو معها على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لأنه
لم يبعث به إلى فرعون أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به إلى فرعون وقومه وعلى الأولين
يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا إنهم كانوا قوما فاسقين تعليل للإرسال أي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما
جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى عليه السلام مبصرة بينة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعارا بأنها لفرط وضوحها وإنارتها
كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث تهدي العمي إلى الهدى فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر إليها
ويتأمل فيها وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها أي كذبوا بها واستيقنتها
أنفسهم الواو للحال أي وقد استيقنتها أي علمتها أنفسهم علما يقينيا ظلما أي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا
يظلمون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لأنفسهم وليس بذلك وعلوا
أي استكبارا عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا بها أو
على الحالية من فاعله أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الإغراق على
الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا
داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما
عليهما السلام من جملة القرآن الكريم الذي تلقاه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لإظهار كمال

الاعتناء بتحقيق مضمونه أي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل
منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علما سنيا غزيرا وقالا أي قال كل منهما شكرا لما أوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا
بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم
مع الغير إيجازا فإن حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس
بعزيز ومن الأقوال قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا كما مر في سورة قد أفلح المؤمنون وبهذا ظهر
حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو
إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما
علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت
علما وقد بين الكثير بالمؤمنين فإن خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الأكثر بالذكر رمز إلى أن البعض
مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما
أوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله وأن يتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن
فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه كل الناس أفقه من عمر وورث
سليمان داود أي النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى
وتنويها بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء
المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد
وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو
ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله
ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا و
صاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي
ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وصاحت رخمة فقال
تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء
تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد بقوله علمنا وأوتينا نفسه والنون التي يقال لها
نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لا للتكبر أو تجبرا بل تمهيدا لما أراده منهم من حسن الطاعة والانقياد
له في أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير والمراد من كل شيء كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء
ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شيء وقال ابن عباس كل ما يهم من أمر الدنيا والآخرة وقال
مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الإنس والجن والشياطين والريح إن هذا إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء لهو الفضل
والإحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على أحد وإن هذا الفضل الذي أوتيه لهو الفضل المبين على أنه عليه السلام
قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا فخرا
ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس إلى الغزو فإن إخبارهم بإيتاء كل شيء من الأشياء التي من جملتها آلات الحرب
وأسبابه انتهض هممهم ويبني على ذلك فيغني قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والإنس والطير بمباشرة

محل الطيبة فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان
للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر فان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة من الحشر والتسخير
فهم يوزعون اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك
للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم
بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع
وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة
سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله
ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله
ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في
سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل الى الحراث ومشى اليه وقال انما مشيت
اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هي
التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور وقد مر تحقيق الآية وهي ايضا غاية
لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله
مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق
واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي
اذ حينئذ يخاف حطمهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت
منهم مخافة حطمهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل مرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم
حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله
تعالى فيها النطق وفي ما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وهو الاصل كالرجل والتسكين تخفيف منه كالسبع
في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها
من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر
في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من
الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخل في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة
وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد
الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بحال سليمان
وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته النملة والقوم لا
يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهادتها
بحاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعد ما يكون من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا
بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام

الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه
بحيث لا ينفلت عني ولا ينفك حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح الياء التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما
تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كأنه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب و
اضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص
وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على
احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه السلام لما اتم بيت المقدس تجهز للحج بحشره
فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما
يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان
عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر صاحبه
ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى
فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع
الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت
فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله
قد حلف ليعذبنك قال او ما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها
على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد
سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت
بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وفي اخباره انه لم يدرك الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق
المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة على علم رصين وفصل مبين حتى يكون اخبارها
لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره وتنبيها عنه عليه السلام جناية على
جنابه فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة
والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم
من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد
به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد الحس الذي
يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج
كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبئ عن امر بديع
اقبل وهي الى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام
انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والافادة
صدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الا طلبه تنبيهه عليه السلام

علي تركه وسبأ منصرف على أنه اسم لحي سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقال اسمه عبد شمس لقب به
لكونه أول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم القبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث و
على هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وعلى القراءة الأولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام
على نبائهم قبل إنباء الهدهد ليس بأمر بديع لأن له من حكمة بالغة داعية إليه البتة وإن احتجب خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن
النبأ في بابه وفي محطه عليه السلام وبين مأرب وإن كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر أيضا
قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبني على حكمة بالغة تبنى عليها علام الغيوب وقوله تعالى إني وجدت
امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل إثر الإجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك
أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها مجوسا
يعبدون الشمس وإيثار وجدت على رأيت لما أشير إليه من الإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بإبراز نفسه في معرض
من ينفعه أحواله ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على أنه اسم الحي أو لأهلها
المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها وأوتيت من كل شيء أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان
ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر
وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام إما
بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياما كان ففي وصفه بذلك بين يدي
نبي الله عليه السلام ما فيه من ترغيبه عليه السلام في الإصغاء إلى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب
غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى
وزين لهم الشيطان أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل أي سبيل
الحق والصواب فإن تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق إلى العوج فهم
بسبب ذلك لا يهتدون إليه وقوله تعالى ألا يسجدوا لله مفعول له إما للصد أو للتزيين على حذف اللام منه أي فصدهم لئلا يسجدوا
أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أي زين لهم أن لا يسجدوا أو قيل هو في موقع
المفعول ليهتدون بإسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى لا يهتدون إلى أن يسجدوا له تعالى وقرئ
ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كما في قوله ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ونظائره وعلى
هذا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله عز وجل أو من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة
ذما على تركه وأياما كان فهو واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب الذي يخرج
الخبء في السموات والأرض أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى
باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها
ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض وأشار بعطف قوله تعالى ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج
إلى أنه تعالى يخرج ما في العالم الإنساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الأحوال
فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون
على صيغة الغيبة بلا التفات وإخراج الخبء يعم إشراق الكواكب وإظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وإنزال الأمطار
وإنبات النبات بل الإنشاء الذي هو إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع الذي هو إخراج ما في الإمكان والعدم

٣١١

إلى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي هو أول الأجرام و
أعظمها وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء إلى هنا ليس داخلا تحت قوله
أحطت بما لم تحط به وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بيانا لما هو عليه وإظهارا لتصلبه
في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام إلى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال سننظر أي فيما ذكرت من
النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي سنعرف بالتجربة البتة أصدقت أم كنت من الكاذبين وكان مقتضى الظاهر أم كذبت
وإيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق
هذه الآية وإن المتفقة على ترتيب أنيق يستعطف قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي
عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم استئناف مبين
لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة
دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن والأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا
يبقى له عذر أصلا ثم تول عنهم أي تنح إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر أي تأمل وتعرف ماذا يرجعون أي ماذا يرجع بعضهم
إلى بعض من القول وجمع الضمائر لأن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام قالت أي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه
إليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وإنما طوى ذكره إيذانا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة وإشعارا باستغنائه عن التصريح
به لغاية ظهوره روي أنه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها
بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية
وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب
في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها
يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ووصفها بالكريم لكرم مضمونه أو لكونه من ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه
ووصوله إليها على منهاج غير معتاد إنه من سليمان استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت
إنه من سليمان وإنه أي مضمونه أو المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم
وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب
وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة أن لا تعلوا علي أن مفسرة ولا ناهية أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة
الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام أي مضمونه
أن لا تعلوا أو النصب بإسقاط الخافض أي بأن لا تعلوا علي وقرئ أن لا تغلوا بالغين المعجمة أي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني
مسلمين أي مؤمنين وقيل منقادين والأول هو الأليق بشأن النبي عليه السلام على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما روي
أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين
وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة
معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها
يا أيها الملأ أفتوني في أمري أي أجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي

لهم الجواب في الحوادث المشكلة غالبًا تهويلًا للأمر ورفعًا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة
أمرًا أي من الأمور المتعلقة بالملك حتى تشهدون أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في
الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن أولو قوة في الأجساد
والآلات والعدد وأولو بأس شديد أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك فانظري ماذا
تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك وإن أردت الحرب من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة
وإليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت
في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى على
منهاج المقاتلة والحرب أفسدوها بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر والإجلاء
وذلك من فنون الإهانة والإذلال وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير بأن ذلك عادتهم
المستمرة وقيل تصديق لها من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وإني
مرسلة إليهم بهدية تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة
على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسلة إليهم رسلًا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى أعمل بما يقتضيه
الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجًا مكللًا
بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن
عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيًا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبًا مستويًا وسلك في الخرزة خيطًا ثم قالت
للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشًا لطيفًا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك
فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطًا شرفاته من الذهب
والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا
على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفًا فراسخ والإنس صفوفًا فراسخ والوحوش
والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم
ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم
فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت
في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه
يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان أي الرسول قال أي مخاطبًا للرسول والمرسل تغليبًا للحاضر
على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاؤوا والأول أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس
وقومها ويؤيده الإفراد في قوله تعالى ارجع إليهم أتمدونن بمال وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه
وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله أي مما آتاني من النبوة والملك الذي لا
غاية وراءه خير مما آتاكم أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله
عليه السلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام
خاطبهم بها أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالإدغام وبنون واحدة وبنونين مع حذف

الياء وقوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه السلام
فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب
التنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعده مع أنه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ
به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حبًا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا
ارجع إفراد الضمير هاهنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه للكل أي ارجع أيها الرسول
إليهم أي إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم أي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها
وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ أذلة أي حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع
الذلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون أي أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء
وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقًا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين
وإلا فلنأتينهم الخ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس إليه عليه السلام يروى أنه لما رجعت
رسلها إليها بما حكي من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان عليه السلام
إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت إليه في اثني
عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها و
غلقت الأبواب ووكلت به حرسًا يحرسونه ويحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها
بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر
عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به بقوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة
وأدل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها وقيل لأنها إذا
أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها قال عفريت أي مارد خبيث من الجن بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر
لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخر أنا آتيك به أي بعرشها قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار
وآتيك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أي وإني لآتيك
به في تلك المدة ألبتة وإني عليه أي على الإتيان به لقوي لا يثقل علي حمله أمين لا أختلس منه شيئًا ولا أبدله قال الذي عنده
علم من الكتاب فصل عما قبله للإيذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الإتيان به من كمال التباين أو لإسقاط الأول
عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به
أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد
بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود من لدنه أنا آتيك
قبل أن يرتد إليك طرفك الطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمرًا طبيعيًا غير منوط
بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وإنجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغني عن التأكيد وطوي عند
الحكاية ذكر الإتيان به للإيذان بأنه أمر متحقق غني عن الإخبار روعي في الفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة
دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه
مستقرًا عنده أي رأى العرش حاضرًا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه أكبرنه للدلالة على كمال ظهور من تحققه واستغنائه
عن الإخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه واستغنائه أيضًا عن التصريح به إذ التقدير فأتاه

به قراره فلما رآه اي الخذف ما حذف للايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شيء
ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا
عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على
سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده هذا اي حضوره بين يديه في هذه المدة القصيرة او التمكن
من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني ءاشكر بان اراه محض
فضله تعالى من غير حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن
ساير النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عب الواجب
ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر
ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق
من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر
بالجزم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان
بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها المتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
والحجاب وبناه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين
لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها كذلك
عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام
اي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة
اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض
الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كأنه هو فاجابت عن كمال رجاحة
عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة
لحسن الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عليه السلام اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها
بما سمعناه من المنذر من الايات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة عقلها ورأيها
ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته
من الاسلام الى الان اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها
المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت
ملكة سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صدها او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا
العلم الى اخره من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا
لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الايات المتقدمة وبما عاينت من هذه الاية
الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته
وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها
ظهرا لما الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام

امر قبل قدومها فبني له قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه
الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه
باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وا
فظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فلما رأته وهو حاضر بين يديه كما يعرف عنه الامر مدخولها واحاطت بتفاصيل احواله حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء فقيل السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها
واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع
ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سوق
واسوق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من
قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الان من عبادة الشمس
وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله
تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته للعالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده
باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على
قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه
القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
صالحا وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية بحذف حرف الباء وقرئ بضم
النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين
قال عليه السلام للفريق الكافر بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له
عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة
اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا
عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول
قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لانهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان
مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى و
قسمته او من عمل العبد اي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم نزل في
اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب
عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة اي تسعة اشخاص
وبهذا الاعتبار وقع تمييز التسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من
الثلثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع بن مهرج و
عمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا
عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض اي في المدينة فقط او في الارض كلها فسادا لا يخالطه شيء من الصلاح

كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون أي لا يفعلون شيئا من الإصلاح أو لا يصلحون شيئا من الأشياء قالوا استئناف لبيان بعض
ما فعلوا من الفساد أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا
في داركم ثلاثة أيام الخ تقاسموا بالله أمر مقول لقالوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله بإضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه
وأهله أي لنباغتن صالحا وأهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا
فعل ماض ثم لنقولن لوليه الطالب بدم صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك أهله أي ما حضرنا إهلاكهم أو وقت
هلاكهم فضلا عن أن نتولى إهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وإنا لصادقون من تمام القول أو حال أي نقول لهم ما ذكر
والحال إنا لصادقون في ذلك لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك
ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا أي أهلكناهم إهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون
أو جازيناهم مكرهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه
من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي فتفكر في أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى أنا دمرناهم
إما بدل من عاقبة مكرهم على أن كان تامة وكيف حال أي فانظر كيف حصل أي على أي وجه حدث تدميرنا إياهم وإما خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الإبهام أي هي تدميرنا إياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت
أجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ وإما تعليل لما ينبئ عنه الأمر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف
الجار أي لأنا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فلا وجه لأن يكون قوله تعالى أنا دمرناهم الخ
تعليلا لما ذكر وقرئ إنا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح
أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم
فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت عليهم الصخرة فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية أي
خالية أو ساقطة متهدمة بما ظلموا أي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الإشارة وقرئ خاوية بالرفع على أنه
خبر لمبتدأ محذوف إن في ذلك أي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون أي لمن من شأنه أن يعلم
من الأشياء أو لقوم يتصفون بالعلم وأنجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون أي الكفر
والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم
أي وأرسلنا لوطا وقوله تعالى إذ قال لقومه ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه
من الأحوال والأقوال وقيل انتصاب لوطا بإضمار اذكر وإذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطا وهو بعيد
أتأتون الفاحشة أي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى وأنتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة
لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ فإن تعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أي تعلمونها والحال أنكم
تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها أئنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية
للإنكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للإيذان بأن مضمونها مما لا
يصدق وقوعه أحد لكمال بعده من العقول وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين
الشهوة التي علل بها الإتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل أنتم قوم تجهلون تفعلون

فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة والجهل بمعنى السفاهة والمجون أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم
لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن أفعالنا أو
عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه استهزاء وقد مر في سورة الأعراف أن هذا الجواب هو الذي
صدر عنهم في المرة الأخيرة من مراتب مواعظ لوط عليه السلام بالأمر والنهي لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فأنجيناه وأهله
إلا امرأته قدرناها من الغابرين أي الباقين في العذاب وأمطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان
كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أمر منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
بعد قصص الأنبياء المذكورين عليهم السلام وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وما خصهم به من الآيات القاهرة
والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم عليهم السلام حقية الإسلام والتوحيد وبطلان الكفر والإشراك
وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك
القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما
نطق به قوله عز وجل وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على ما أفاض عليه من تلك
النعم التي لا يطمع في أمثالها طامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه
أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوحيت إليه عليه السلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو أمر للوط
عليه السلام بأن يحمده تعالى على إهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى
بعده آلله خير أما يشركون أي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير أم ما يشركونه به تعالى من الأصنام ومرجع الترديد إلى
التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم إذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما
حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير إلا خيره ولا إله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه
إلى الكفرة وهو الأليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى
فأنبتنا الخ فإنه صريح في أن التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه السلام لما أمر به بعبارته
كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع إليه وأم في قوله تعالى أمن خلق السموات والأرض
منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الأولى للإضراب والانتقال من التبكيت تعريضا إلى التصريح به خطابا على وجه
أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الإلزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقرير
أي حملهم على الإقرار بالحق على وجه الاضطرار فإنه لا يتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن يعترف بخيرية من خلق جميع
المخلوقات وأوجدها بل بأن الأخيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا
على ما سبق في الاستفهام الأول خلا أن تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وكذا في المواضع الأربعة الآتية والمعنى
بل أمن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأي منافع ما بينهما وأنزل لكم التفات إلى خطاب الكفرة على القراءة الأولى لتشديد
التبكيت والإلزام أي أنزل لأجلكم ومنفعتكم من السماء ماء أي نوعا منه هو المطر فأنبتنا به حدائق أي بساتين محدقة
ومحاطة بالحوائط ذات بهجة أي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم أي ما صح وما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها فضلا
عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير أم ما تشركون وقرئ أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتي الإنزال على مفعوله لما مر
مرارا من التشويق إلى المؤخر والالتفات إلى التكلم في قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والإيذان بأن إنبات
تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارع

والبهاء الرائع بما واحدا مما لا يكاد يقدر عليه الا الله وحده جسمانيا عنه تنبيها بقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها سواء كانت صفة لها او حالا او جملة
وصفها الاول اعني ذات بهجة لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نحو قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها ءاله مع الله
اي اله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم
بنفي الالوهية عما يشركونه تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز
في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها
عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه
لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل اءله مع الله آخر
في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى
بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر وبالنفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الظاهر الموافق
لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق بمقتضى المقام لافادته نفي وجود اله آخر غيره معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق
وفروعه فقط وقرئ ءالها بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ الها بالنصب على اضمار فعل يناسب المقام
مثل اتدعون او اتشركون بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية
لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون
ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون
به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة ام من جعل الارض قرارا قيل هو بدل من امن خلق السموات الخ وكذا ما بعده
من الجمل الثلاث وحكمها حكم ما ابدل منه والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر
ادخل في الالزام بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا
ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى وجعل
بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواضع
الثلاثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق ءاله مع الله اي في ابداع هذه البدائع على ما مر
بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره ام من يجيب المضطر
اذا دعاه وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجأته الى اللجاء والضراعة الى الله تعالى اسم مفعول من الاضطرار الذي هو
افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب
اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه
ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك
والسلطنة ءاله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون
وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم
ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ يتذكرون
على الالتفات وتذكرون بالادغام ويذكرون بالياء مع الادغام ام من يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما

على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وهي المطر ولعمري ان السبب الاكثري لتكوين الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها
للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا ءاله مع الله
يقدر على مثل ذلك ولا يكون معه الغير وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار بعنوان الحكم اي
تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته
تعالى عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له
تعالى او عن اشراكهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء
والارض اي باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بنى امر التكوين خير ام ما تشركونه
في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء ما اصلا ءاله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى
قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء
مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان
عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك ان كنتم صادقين
اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة
الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من
امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه
بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من
تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او
موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان
مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتي
من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض
منهم بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده
وتقريره بما اضرب عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد
اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث من
احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى
شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها
عن درجة اعتبارهم كلا فشيئا مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ
منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها اي في شك مريب في نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه
دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون
بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره
الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل وتحكم واتم اسباب علمهم بان القيامة
كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك كقوله تعالى

بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب عن وصفهم
بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم
على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفهم بالجهل مبالغة والاضراب على ما ذكر
واصل ادارك تدارك كما قرئ به فابدلت التاء دالا واسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك واصل افتعل وبل ادرك
واصله افتعل وبل ادارك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك
على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادارك وام ادارك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار
ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب
عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا
بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة الحكم
الباطل في قولهم ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي المخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون
العامل في اذا الاجتماع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان
كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام
الفصل بالخبر مقام التأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لتأكيد الحكم كما يوهمه
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر لقد
وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر
وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ان هذا الا
اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم الرسل عليهم السلام
فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار
وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في
حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان مصدر ويجوز ان يكون المفتوح
مخففا من ضيق وقد قرئ بذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين
في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة
للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه
بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار
واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وانما اثرنا على النظم الكريم على ان
يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس و
من جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون
حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء
من كننت الشيء اذا سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان
بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى او لا يعلمون

ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة
كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ
وقيل القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا
في شان المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والعناد والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه ووقع بينهم التناكر في
اشياء حتى بلغ المناكرة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه
لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل
بحكمه بما يحكم وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من
جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شئونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية
الى الامر به اي فتوكل على الله الذي شأنه ما ذكر فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك
على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين والفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل
فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظ الله تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى تعليل
آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا
بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني كونه
عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة
ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم
راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من
القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما
ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم
بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين
لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا
يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن
متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية
وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اي من شأنهم
الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لان طريق
الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله
تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون
من بقية ما تستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال
التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد
بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اي

اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعبير
عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان
طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها
راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين
اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه انه قال
ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء او
يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله
عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد وافضل
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون
نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل
وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا
فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها
وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من
بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون
بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي خروجها بين يدي الساعة
والاول هو الحق كما تحيط به علما وقرئ بان الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين
عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا و
بلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا
جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر
على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف من جهته تعالى لتعليل اخراجها
او تكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس
اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون
وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا مبنية على
التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها
ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه
الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا
من كل امة من امم الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى
مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم

حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ابو جهل والوليد ابن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم
بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اي الله عز وجل موبخا لهم على
التكذيب والالتفات لتربية المهابة أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما جملة حالية مفيدة
لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي
الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية
لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا فيها لا نفس الساعة
وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها ام ماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملون
بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان
والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو
مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا الذي هو تكذيبهم بآيات الله فهم لا ينطقون لانقطاع عذرهم بالجواب بالكلية
وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل و
النهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل
الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك
لما ان تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة
الخ في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل لآيات اي عظيمة كثيرة لقوم
يؤمنون وانه على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل في تعاقب الليل والنهار و
اختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد في الآفاق تبدل
ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي
هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا
انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة به حق وكون الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات
كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف
عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على
فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم و
الذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة احد غير من شاء
الله تعالى وذلك قوله تعالى فنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى
معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم وسياقه ان
المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند البعث
والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروري الجبلي

وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل المراد بها ما يعم الاحوال الواقعة
عند ابتداء النفخة من بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتهويل النفخة بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة
كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة وقد امر بذكرها كما مر في
قصة البقرة الا من شاء الله اي ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة و
حملة العرش وكل اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اي حاضروه داخرين
اي صاغرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها
اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها
العين ساكنة والحال انها تمر في الجو مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين
حركتها وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية
عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل
المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع
الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة
على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع
هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان
حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجواز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له
لا ريب ان في ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل
نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر
السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر وكالقنديل المعلق ترجحه الارواح
فانه مما لا ارتباط له بالمقام اصلا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من
فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ
في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق
اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي من
قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي
الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله
تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما
يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات

والارض

والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى
من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك
الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير
حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات
من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات
والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج
حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ
في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في
الارض غير من شاء الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا
يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله
وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ
ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت
وجوههم في النار اي كبوا على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل
تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على
انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل و
الاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا ام فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا
من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك
احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة
الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز
الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير
صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر الفجور واحاد الالحاد حيث تركوا عبادة
ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء
اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم و
التشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من
جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وان اتلو القرآن اي اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على الناس بطريق تكرير
الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى
قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول
فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل

بالكفر والاعراض عن العمل بما فيه وبمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال
ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية
ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور
به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه
قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعرفون كون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم
في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ
عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما
تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد
محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى
اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح
وابراهيم وشعيب عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله صدق رسول الله

سورة القصص مكية وآياتها ثمان وثمانون ٨٨

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه نتلو عليك اي نقرأ بواسطة
جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي بعض نبأهما
بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبأهما ملتبسين او
ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم
المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء
بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها
شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في الخدمة
يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية
او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا يتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة
اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك
لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذلك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب
فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من
اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور
بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع
في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من
ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة لمن تعلق استقبالي على ان منة
الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع
الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة نقتدي بهم في امور الدين بعد ان
كانوا اتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة

فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها
عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الخ اي نسلطهم على مصر
والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤون واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم
وقرئ ويرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك
اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه ونموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه
ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل
للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده
وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام
موسى فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها
ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى
الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه
آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال
سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعدما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء
به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم
الناس اليه وكان بها برص شديد وعجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا
وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له
على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق
عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى
جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن واحضروه
بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته
ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت
ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون
انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركته كما سيأتي واللام
في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتيب عليه بالغرض
الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الف وليد او كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى
بان ربى عدوهم على ايديهم والجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه بمعنى

متعمدين عن الصواب الى الخطاء ۝ وقالت امرأة فرعون ۝ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لى ولك ۝ اى هو قرة عين لنا
لانهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء بنته من البرص بريقه وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا
تقتلوه ۝ خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى ان ينفعنا ۝ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من
العلامات المذكورة او نتخذه ولدا ۝ اى نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون ۝ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه و
التبني له وقوله ان فرعون ۝ الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميرى نتخذه على ان الناس اى وهم لا يعلمون
انه لغيرنا وقد تبنيناه ۝ واصبح فؤاد ام موسى فارغا ۝ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله
تعالى وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها
بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمزة اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمها فى همزة كما فى وجوه ۝ ان كادت
لتبدى به ۝ اى انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها ۝ بالصبر والثبات
لتكون من المؤمنين ۝ اى من المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته ۝ مريم والتعبير عنها باخوته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر
قصيه ۝ اى اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به ۝ اى ابصرته عن جنب ۝ عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون ۝
انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ۝ اى منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى
ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعنى الثدى من قبل ۝ اى من قبل قصها اثره فقالت ۝ عند رؤيتها لعدم قبوله الثدى واعتناء
فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ۝ اى لاجلكم وهم له ناصحون ۝ لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته
روى ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بامره فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى
بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى
كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فقرره فى يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ۝ بفراقه ولتعلم ان وعد الله ۝ اى جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين
حق ۝ لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد
علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده ۝ اى المبلغ الذى لا يزيد عليه
نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين واستوى ۝ اى اعتدل قده او
عقله آتيناه حكما ۝ اى نبوة وعلما ۝ بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه
وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ۝ ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين ۝ على
احسانهم ودخل المدينة ۝ اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها ۝ فى وقت
لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ۝
اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه ۝ اى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى
من شيعته ۝ اى سأله ان يغيثه بالاغاثة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه على الذى من عدوه فوكزه موسى ۝ اى فضرب القبطى
بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه ۝ فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال
هذا من عمل الشيطان ۝ لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته

لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات
الصغائر انه عدو مضل مبين ۝ ظاهر العداوة والضلال قال ۝ توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من
حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب انى ظلمت نفسى ۝ اى فاغفر لى ذنبى فغفر له ۝ لذلك انه هو الغفور الرحيم ۝
اى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت على ۝ اما قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على
بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين ۝ واما استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا
لمن تؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه السلام لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وهذا يؤيد
الاول وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب ۝ يترصد
الاستقادة او الاخبار فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه ۝ اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين ۝
اى بين الغواية لتسببك لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما ۝ اى لموسى وللاسرائيلى اذ لم يكن
على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال ۝ اى الاسرائيلى ظانا انه عليه السلام
يبطش به لما سمع تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ۝ فلما سمع القبطى قول الاسرائيلى
علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله
القبطى ان تريد ۝ اى ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض ۝ وهو الذى يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر فى
العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين ۝ بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل
من اقصى المدينة ۝ اى كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى ۝ اى يسرع صفة لرجل او حال منه على ان من اقصى صفة له لا متعلق
بجاء فان تخصيصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك ۝ اى يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج ۝ اى من المدينة انى لك
من الناصحين ۝ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها ۝ اى من المدينة خائفا يترقب ۝ لحوق الطالبين قال
رب نجنى من القوم الظالمين ۝ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين ۝ اى نحو مدين وهى قرية شعيب
عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى
ربى ان يهدينى سواء السبيل ۝ توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ
فى الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا فى الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه
وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين ۝ اى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون
منها وجد عليه ۝ اى فوق شفيرها امة ۝ اى جماعة كثيرة من الناس يسقون ۝ اى مواشيهم ووجد من دونهم ۝ اى
فى موضع اسفل منهم امرأتين تذودان ۝ اى تمنعان اغنامهما عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم
مع عدم الفائدة فى التقدم قال ۝ عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه التأخر والذود ما خطبكما ۝ ما شأنكما فيما
انتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ۝ اى عادتنا ان لا نسقى
حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لانا لا نسقى اليوم الى تلك
الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هى التى دعت
موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم
على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقى من اسقى ويصدر من اصدر

والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وأبونا شيخ كبير ابتداء منهما
للعذر إليه عليه السلام في توليهما السقي بأنفسهما كأنهما قالتا إنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال و
مزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من
الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر روي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة
رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم
في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فإن الظاهر أنه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع إلى السقي لهما وقد روي
أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروي أنه عليه السلام سألهم دلوا من ماء
فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما
ثم تولى إلى الظل الذي كان هناك فقال رب إني لما أنزلت إلي أي أي شيء أنزلته إلي من خير قليل أو كثير وحمله الأكثرون على
الطعام بمعونة المقام فقير أي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء باللام لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت إلي من
خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لأنه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام للتبجح والشكر على ذلك فجاءته إحداهما قيل
كبراهما واسمها صفوراء أو صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء أي جاءته عقيب ما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال
لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءته وقوله تعالى
على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي أي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه أنها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء
معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخمرة شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها إياه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت إن أبي يدعوك ليجزيك
أجر ما سقيت لنا أي جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال
العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي أنه عليه السلام أجابها فانطلقا وهي أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص
أي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
الذي يلوح به ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام إنما أجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام
ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه أجرا حسبما صرحت به الأبدي إلى ما روي أن شعيبا لما قدم إليه طعاما قال إنا أهل بيت
لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت
النبوة من أولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من أنبياء الله تعالى عليهم السلام
وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام أن يقبل الأجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام
رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك إلخ ولعله عليه السلام إنما فعله ليكون ذريعة إلى استدعائه لا إلى استيفاء
الأجر إن خير من استأجرت القوي الأمين تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل
خيرا اسما لأن وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب روي أن شعيبا عليه السلام قال لها وما أعلمك
بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته و
أمرها بالمشي خلفه قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني أي تكون أجيرا لي أو تثيبني من أجرته كذا إذا

ابنتيه

ابنتيه إياه وقوله تعالى ثماني حجج على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول على تقدير مضاف أي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد
أنه يقال أجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا والأول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى
على أن تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الأول فإن أتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك أي فهو من
عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الإلزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليه السلام واستدعاء
منه للعقد لا إنشاء وتحقيق له بالفعل وما أريد أن أشق عليك بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات
واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك
في مزاولته ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام
بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدأ وخبر أي ذلك الذي
قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت على نفسك وقوله تعالى أيما
الأجلين أي أكثرهما أو أقصرهما قضيت أي وفيتك بأداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لأمر التخيير أي لا
عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الأجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الأجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان
في أكثرهما رأسا للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء أي كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثماني
وأيما الأجلين قضيت تامة على تعميم قضاء الأقصر فقط وقرئ أي الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها
في القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إبهام أي وشياعها وقرئ أيما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين أيهما
علي من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى
الخروج عنه أصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما
بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين
في تلك الشريعة تفصيلا روي أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي
وكانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى
وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل
أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيبا
ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها و
ديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ
فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي
رحمه الله تعالى الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه موسى عليه السلام ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله تعالى
عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم
فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على إثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب
عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليهما السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا
شأنا وقال إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بالشرط والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الأجل فصيحة أي فعقد

العقدين وما شرط موسى بالتزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين
ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي
تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء
كانت في رأسه نار او لا قال قائلهم باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر قال والقى على قبس من النار جذوة
شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي
تستدفئون بها فلما اتاها اي النار التي آنسها نودي من شاطئ الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة
الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة
على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا ما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد و
ان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد
حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت كانها جان
اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء
من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد
الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخر هو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة و
مبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه
اذا خاف نشر جناحيه فاذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك
تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد
وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا
من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة
لبرهانان كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حد الظلم و
والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بمقابلتها واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ
ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني
عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني
بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور
ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذلك
فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة بآياتنا متعلق بمحذوف وقد صرح به في مواضع أخر اي اذهبا بآياتنا او
بنجعل اي نسلطكما بآياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعان منهم بها وقيل هو قسم وجواب لا يصلون وقيل هو بيان
للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا

واليد

واليد اذ هي اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى
اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا
بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز
صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها
خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات
الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون
يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان
على الطين اي اصنع لي آجرا فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما
في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل
فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها
ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من
تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث الى الجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا وهو انسب بلفظ فاخذناه
وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من التفخيم لشأن الآخذ و
واستحقار المأخوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس
ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الى النار اي ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة
يقتدي بهم اهل الضلال بما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقد سميناهم ائمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب ان يكون الجعل فيما بين الاسم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى
الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن
سلف ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون
وسواد الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين
ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم
القيامة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح
ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه
من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات
اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعي
للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة

للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة إلى إيتائها بصائر للناس أي أنوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق
وتميز بها بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والإدراك بالكلية فإن البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور
العين الذي به تبصر وهدى أي هداية إلى الشرائع والأحكام التي هي سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل بها رحمته
تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى
منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع
في بيان أن إنزال القرآن الكريم أيضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه
وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الأحوال لا يتسنى إلا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها
وحيث انتفى كلاهما تبين أنه من علام الغيوب بلا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم
الآية وما كنت بجانب الغربي الجبل أو المكان الغربي على إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع إذ قضينا إلى موسى الأمر
أي عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة وما كنت من الشاهدين أي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون
المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة في الألواح فتخبره للناس ولكنا أنشأنا قرونا أي
ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الأمد فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم
الأنباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى
وما كنت ثاويا في أهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها أي وما كنت مقيما في أهل
مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم أي تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة
إما حال من المستكن في ثاويا أو خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين إياك وموحين إليك تلك الآيات الناطقة ونظائرها
وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أي وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبائنا إياه وإرسالنا إياه إلى فرعون
ولكن رحمة من ربك ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل
عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات إلى اسم الرب للإشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالإضافة وقد
اكتفى عن ذكر المستدرك هنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الأول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما
تنصيصا على ما هو المقصود وإشعارا بأنه المراد فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق
بالفعل المعلل بالرحمة أو بما ذكرنا من إرساله عليه السلام بالقرآن حتما لما أنه المعلل بالإنذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع
على أنه مبتدأ خبره محذوف وقوله تعالى ما أتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك و
بين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل
لعلهم يتذكرون أي يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء
للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوائه
عليه السلام في أهل مدين ثم نفي حضوره عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد
على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا أن تصيبهم مصيبة أي عقوبة بما قدمت أيديهم أي بما اقترفوا من الكفر والمعاصي
فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف
عليه وإنما ذكر في حيزها للإيذان بأنه السبب الملجئ إلى قولهم ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أي هلا أرسلت إلينا رسولا
مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب

لولا محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان ذلك
محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعا للمعاذير بالكلية فلما جاءهم أي أهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة
والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا أوتي يعنونه عليه السلام مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا
فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل رد عليهم وإظهار لكون ما
قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم إلى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق و
قوله تعالى قالوا استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى سحران خبر مبتدأ محذوف
أي يعنون بما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك
أنهم بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته
فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا إنا بكل أي بكل واحد من الآيات كافرون تصريح بكفرهم
بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون محمدا
وموسى صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى إلى قوله تعالى
قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فإنه نص فيما ذكر وقوله تعالى أتبعه
جواب للأمر أي إن تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو أهدى
من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام إن كنتم صادقين أي في أنهما سحران مختلقان
وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يفعلوا ما كلفتهم من الإتيان بكتاب أهدى
منهما كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة إيذانا بأنه عليه السلام كان على بينة من أمره كأن أمره عليه السلام لهم بالإتيان
بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا و
لا يكاد يقال استجاب الله دعاءه فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلا إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به
ومن أضل ممن اتبع هواه استفهام إنكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أي أضل من كل ضال وإن
كان ظاهر السبك لنفي الأضل لا لنفي المساوي كما في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير
والإشباع في التشنيع والتضليل وإلا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف
أي أنزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا و
عبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل إيتاء
القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر
من الحبشة وثمانية من الشام وإذا يتلى أي القرآن عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أي الحق الذي كنا نعرف
حقيته وهو استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به وقوله تعالى إنا كنا من قبله أي من قبل نزوله مسلمين بيان لكون إيمانهم
به أمرا متقادما عهده لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أولئك الموصوفون
بما ذكر من النعوت يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم
على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم والمشركين ويدرؤن بالحسنة
السيئة أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل

الخير وإذا سمعوا اللغو من اللاغين أعرضوا عنه تكرماً كقوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراماً وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم إنك لا تهدي هداية موصلة إلى البغية
لا محالة من أحببت من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود
ولكن الله يهدي من يشاء أن يهديه فيدخله في الإسلام وهو أعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب
فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق
ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت عينك بها عند الفراق لما أرى من
شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم عبد مناف وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا
العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى أولم نمكن لهم حرماً آمناً أي ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرماً
ذا أمن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون يجبى إليه وقرئ تجبى أي تجلب وتجمع إليه ثمرات كل شيء من كل أوب
ويجلب صنف آخر لحرمها دافعة ما عسى يتوهم من تضررهم من انقطاع الميرة رزقاً من لدنا فإذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة أصنام
فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن أكثرهم لا يعلمون أي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون
ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما
خافوا غيره وانتصاب رزقاً على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى أو حال من الثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة
ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكثيراً من أهل
قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الأمن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية
بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم إلا قليلاً أي زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم أو لم يسكن من
مساكنها إلا قليلاً من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات
أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليها أو بجعلها
مفعولاً لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية إثر بيان إهلاك القرى المذكورة أي وما صح
وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة وما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الإنذار بل كان
عادته أن لا يهلكها حتى يبعث في أمها أي في أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها لكون أهلها أفطن وأنبل رسولاً يتلو عليهم
آياتنا الناطقة ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً
فنتبع آياتك والالتفات إلى نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك
وقوله تعالى إلا وأهلها ظالمون استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي وما كنا مهلكين لأهل القرى بعدما بعثنا في أمها رسولاً
يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم
صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة
بني إسرائيل وما أوتيتم من شيء من أمور الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها أي فهو شيء شأنه أن يتمتع به ويتزين
به أياماً قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الألم وبهجة كاملة عارية
عن سمة الهم وأبقى لأنه أبدي أفلا تعقلون ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو
خير وقرئ بالياء على الالتفات المنبئ على اقتضاء سوء صنيعهم والإعراض عن مخاطبتهم أفمن وعدناه وعداً أي

وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه أي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة
الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطف بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب
بالآلام منغص بالأكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الأولى ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل
الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى أي أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى
بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيامة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لإنكار التشابه و
مقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة النار أو العذاب وإيثار الجملة الاسمية للدلالة
على التحقق حتماً وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء
تشبيهاً للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنواناً أو بإضمار
اذكر فيقول تفسير للنداء أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معاً ثقة
بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم فقيل قال الذين حق عليهم القول
وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى بأن أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم
ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين و
غيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للأتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب كما
يشعر به قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة إما لتفطنهم أن
السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا وإما لأن العبدة
قد قالوه اعتذاراً وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم إلا أنه لم يحك قول العبدة إيجازاً لظهوره ربنا هؤلاء الذين
أغوينا أي هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر
منهم وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده وقوله تعالى أغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له أي ما أكرهناهم
على الغي وإنما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء فغووا باختيارهم غياً مثل غينا باختيارنا
ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الإشارة وأغويناهم الخبر تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي
هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا إيانا يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا
وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا وقيل
ادعوا شركاءكم إما تهكماً بهم أو تبكيتاً لهم وتسوءاً لحالهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم
على الإجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب
أو إلى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين
عطف على الأول سئلوا أولاً عن إشراكهم وثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الأنباء يومئذ
أي صارت كالعمى لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض
عليه ويصل إليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء
والمراد بالأنباء إما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل أو جميع الأنباء وهي داخلة فيه دخولاً أولياً وإذا كانت
الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول
فما ظنك بالضلال من الأمم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم

بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون
من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى
فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء اي يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة
اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه
ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
والمعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله
اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه
به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله
اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها
على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه
ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقرير لما ذكر ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة
والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله
تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وقوله من يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة
ولم يقل هل اله الخ لابراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع
تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط
السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل
تجريد الضياء من ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة
الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمة الله تعالى وتشكروه عليها
ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء
اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وتعالى ونزعنا
عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز
كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا
يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترونه في الدنيا
من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام
بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل
للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فمالي وروي
انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهارون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى

الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل
ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا
بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل
عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر من بغيه في حق موسى
وهارون عليهما السلام وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني
مفعولي آتي وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف
اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت
وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله
تعالى قال انما اوتيته على علم ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها
والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي هنا بكونه
مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار
الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل
بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي
عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما اوتيته على علم عندي كأنه يريد
به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي
فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم
بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة او متعلق
باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا
توبيخ له من جهته تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من
حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر
او رد لادعائه العلم وتعظيمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن
ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب سائر المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا
في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم
المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين على ما هو عادة الجبلة البشرية من
الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله عز وجل وينفقوه
في سبيل الله وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال
الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى

والاقبال على الطاعة صبرا وان تمنى المتمني وليس الا العدم علمهم بما كان ينبغي ويلكم دعاء بالاهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب
الله في الآخرة خير مما تمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تمنوه غير مكتفين بثواب الله تعالى ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي
تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على
الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل
لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حلوة ذهبيا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا
فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت انت فقال ولو كنت انا قال
ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك
بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان
الله بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه معي ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم
الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم
وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى
عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة
ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه ويقال نصره من
عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمقتضى مشيئته تعالى لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان
يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان عند البصريين ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين
من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على
خطائهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنينا والخطاء تمثيل ما اعطاه اياه وقرئ
لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف
بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب
الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الوعد
بترك ارادتهما لا بتركهما انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاعمال والافعال من جاء
بالحسنة فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه
الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون
فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به
لرادك الى معاد اي معاد يمتد اليه اعناق الهمم ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعد ان يبعثك فيه
وقيل هو مكة المعظمة على ان الله تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعد ظاهرا وسلطانا
قاهرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل

عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر
ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون
استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل
عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ نزلت اليك
وفرضت اليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا
تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع
المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم
للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وآيها ستون وتسع

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلق الاخبار احسب
الناس الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء للشيء او انتفاء شيء
عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولا اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة
صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولان لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا آمنا وان يقال احسبوا
تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق
التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وقبول المصائب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه وليجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن
خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن
الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل بقوله تعالى احسب وبقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين
الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد
مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع على راسه المنشار
فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه

۞ فليعلمن الله الذين صدقوا ۞ اي في قولهم آمنا ۞ وليعلمن الكاذبين ۞ في ذلك والمراد بترتيب بعد ذلك على ما ذكر عنه ما قبلها من
وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد
والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون
فيه مستمرون على الكذب ويترتب على اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من
الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ۞ ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا ۞ اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله
على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار ما بطل من حسبان الاول وهو حسبان
ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في
العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ۞ ساء ما يحكمون ۞ اي بئس الذين يحكمونه حكمهم ذلك او بئس
حكما يحكمونه حكمهم ذلك ۞ من كان يرجو لقاء الله ۞ اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو ثواب
الله تعالى وصلا في الجنة وقيل يخاف جوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث
والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال العبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر
وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخطه ۞ فان اجل الله ۞ الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على
كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب
لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوؤه الى سوء العذاب
كما في قوله تعالى من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى
وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى ۞ وهو السميع ۞ لاقوال العباد ۞ العليم ۞
باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد ۞ ومن جاهد ۞ في طاعة الله عز وجل ۞ فانما يجاهد لنفسه ۞ لعود منفعتها اليها
۞ ان الله لغني عن العالمين ۞ فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته ۞ والذين آمنوا و
عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ۞ الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ۞ ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون ۞ اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ۞ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ۞ اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا
ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه
يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب
حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهم او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه
وقرئ حسنا واحسانا ۞ وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم ۞ اي بالالهية عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم
صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه ۞ فلا تطعهما ۞ في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها
من التكليف الاولوية ۞ الي مرجعكم ۞ اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق ۞ فانبئكم بما كنتم تعملون ۞
بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة
بنت ابي سفيان بن امية ان لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذلك التي في سورة

لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى
نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام
وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة و
الغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه
فقال عمر رضي الله عنه اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل
ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت
لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم ۞ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ۞ اي في زمرة
الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين و
هي الجنة ۞ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله ۞ اي في شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان ۞ جعل فتنة الناس ۞
اي ما يصيبهم من اذيتهم ۞ كعذاب الله ۞ في الشدة والهول فيرتد على الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا ۞ و
لئن جاء نصر من ربك ۞ اي فتح وغنيمة ۞ ليقولن ۞ بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح
۞ انا كنا معكم ۞ اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار و
وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ۞ اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين ۞ اي باعلم منهم بما في
صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة
وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى ۞ وليعلمن الله الذين آمنوا ۞ اي بالاخلاص ۞ وليعلمن المنافقين ۞ سواء
كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق ۞ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ۞ بيان لحملهم للمؤمنين على
الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر هنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان
جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم ۞ اتبعوا سبيلنا ۞ اي اسلكوا طريقتنا
التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا
في طريقتنا ۞ ولنحمل خطاياكم ۞ اي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له
على امرهم بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى ۞ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ۞
وقرئ من خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة
للاستغراق والجملة اعتراض او حال ۞ انهم لكاذبون ۞ حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجازه وعدوا فان الكذب
كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ۞ و
ليحملن اثقالهم ۞ بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن
الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم محذوف اي والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة
۞ واثقالا اخر ۞ مع اثقالهم ۞ لتسببهم بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما
اصلا ۞ وليسألن يوم القيمة ۞ سؤال تقريع وتبكيت ۞ عما كانوا يفترون ۞ اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل
التي من جملتها كذبهم هذا ۞ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ۞ شروع في بيان افتتان الانبياء
عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان

بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن
يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ودعا قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على
كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة
تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون
انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة ﴿فأخذهم الطوفان﴾ اي عقيب تمام المدة المذكورة
والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء ﴿وهم ظالمون﴾
اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي
هذه المدة المتمادية ﴿فأنجيناه﴾ اي نوحا عليه السلام ﴿واصحاب السفينة﴾ اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه
قيل كانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿وجعلناها﴾ اي السفينة
او الحادثة والقصة ﴿آية للعالمين﴾ يتعظون بها ﴿وابراهيم﴾ نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على
تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿اذ قال لقومه﴾ على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال
وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم ﴿اعبدوا
الله﴾ اي وحده ﴿واتقوه﴾ ان تشركوا به شيئا ﴿ذلكم﴾ اي ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿خير لكم﴾ اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل
مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ﴿ان كنتم تعلمون﴾ اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان تعلمون شيئا من
الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿انما تعبدون من دون الله اوثانا﴾ لبطلان
دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة
لكم ليس فيها وصف غير ذلك ﴿وتخلقون افكا﴾ اي تكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها
وتنحتونها للافك وقرئ تخلّقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص
وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب ونعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ان الذين تعبدون من دون الله﴾ بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجدي بهم
نفعا ﴿لا يملكون لكم رزقا﴾ اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين
﴿واعبدوه﴾ وحده ﴿واشكروا له﴾ على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد ﴿اليه ترجعون﴾ اي
بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا ﴿وان تكذبوا﴾ اي وان تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم ترجعون اليه
بالبعث ﴿فقد كذب امم من قبلكم﴾ تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح
عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ اي التبليغ الذي
لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا ﴿اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق﴾ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب
لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير
مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ ﴿ثم يعيده﴾ عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع
الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابتداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة
من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ﴿ان ذلك﴾ اي ما ذكر من الاعادة ﴿على الله يسير﴾ اذ لا يفتقر فعله الى شيء خلا

﴿قل سيروا في الارض﴾ امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ بعد
النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شأن
واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ
النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي
ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم
الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد اعتناء بتحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شيء
قدير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في
وقوعها بعد ما اخبر به ﴿يعذب﴾ اي بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ اي تعذيبه وهم المنكرون لها ﴿ويرحم من يشاء﴾ اي رحمته وهم المصدقون
بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب ﴿واليه تقلبون﴾ عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب
والرحمة ﴿وما انتم بمعجزين﴾ له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم ﴿في الارض ولا في السماء﴾ اي بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها ولا
بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع
الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يحرسكم مما يصيبكم من بلاء
يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل
فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ﴿ولقائه﴾ الذي
ينطق به تلك الآيات ﴿اولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي﴾ اي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه
او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء ﴿واولئك لهم عذاب اليم﴾ وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير العذاب ووصفه بالاليم
من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم
بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام ﴿فما كان جواب قومه﴾ بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى ﴿الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه﴾ وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بعد الحجج التي ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو
المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الآخرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى
﴿فانجاه الله من النار﴾ الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع آخر وقد مر في سورة
الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ﴿ان في ذلك﴾ اي في انجائه منها
﴿لآيات﴾ بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها ﴿لقوم يؤمنون﴾ واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون
ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون ﴿وقال﴾ اي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم ﴿انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة
منصوبة منونة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة
صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئ بالرفع منونة بنصب بينكم كما قرئ لقد تقطع
بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان الذي اتخذتم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة الدنيا وقد اجريتم احكامها حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجلها
انتصارا منكم كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم ﴿ثم يوم القيامة﴾ تنقلب الامور وتتبدل التوادد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث ﴿يكفر بعضكم
ببعض﴾ وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾ اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ﴿ومأواكم النار﴾

اي هي مقركم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منها ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر
لوقوعه في مقابلة الجمع اي الاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها
عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي اليها الا اهل
الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني
من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة
ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة من عجوز عاقر
وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء
الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين
في الصلاح ولوطا منصوب بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم عليه السلام انكم لتأتون
الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على
التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة
حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل
بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من
الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل
الازار والسباب والفحش والمزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط
عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه
المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب
الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك
مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم في تضاعيف الكلام
حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال
ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من اتباعه
المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين
اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم اعتراه المساءة
بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشأنهم وتدبير
امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله
قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت
به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم
انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك مخففين واياما كان فمحل الكاف الجر
على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق

لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرئ منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها آية اي من القرية بينة وهي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة
فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق
اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته و
قيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة
اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها الهواء
وما يجاوره من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا
منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمودا بتأويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة
مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذاهبين الى الشام وآيبين منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن
السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم
باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف
نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه
ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين
اخذنا بذنبه اي عاقبنا بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا
فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح
وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب
ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء في اتخاذهم معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن
والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعكاب وعكبة واعكب والعكب
فاسم الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء لعلموا ان هذا
مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم
ما تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بتدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة
فان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم البحت وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم
وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها اي على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون
الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية
والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك

اتل ما أوحي إليك من الكتاب تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق
وأقم الصلوة منتظما للصلوة المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه السلام بإقامتها متضمنا لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
كأنه قيل وصل بهم إن الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته
وإعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد
بصلوته من الله تعالى إلا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى أنس رضي الله تعالى عنه أن فتى من الأنصار كان
يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال إن صلوته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله و
لذكر الله أكبر أي وللصلوة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله للإيذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة
على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته
والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا تجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة
التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالأناة على وجه لا يؤدي إلى الضعف ولا إلى إعطاء الدنية وقيل منسوخ
بآية السيف إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فإنه يجب الموافقة بما يليق بحالهم وقولوا
آمنا بالذي أنزل إلينا من القرآن وأنزل إليكم أي وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وقد مر تحقيق كيفية الإيمان بهما في خاتمة سورة البقرة و
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم
وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في الألوهية ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون
الله تعالى وكذلك أنزلنا إليك الكتاب تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه
في الفضل أي مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب أنزلنا إليك الكتاب أي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة
بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب
حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بإيتاء الكتاب
للإيذان بأن من عداهم بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم
به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء أي ومن العرب وأهل مكة على الأول أو ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به أي بالقرآن
وما يجحد بآياتنا مع كونها في غاية الوضوح عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع
من يجحد بها إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الأشرف و
أضرابه وما كنت تتلو من قبله أي ما كنت قبل إنزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على أن تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد
أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه إذا لارتاب المبطلون أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا
لعله التقطه من كتب الأوائل وحيث لم يكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين
في اتباعهم للضلال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو أي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين أوتوا
العلم من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر إلا الظالمون المتجاوزون للحدود
في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية
إنما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعا وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات أولم يكفهم
كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية
مغنية عن سائر الآيات إنا أنزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارسة أهلها يتلى

عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت
دينك إن في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة أي نعمة عظيمة وذكرى أي تذكرة لقوم يؤمنون أي لقوم همهم الإيمان
لا التعنت كأولئك المقترحين وقيل إن ناسا من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة
قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والأرض أي من
الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله
مع تعاضد موجبات الإيمان به أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية و
الأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على
منهاج الإبهام كما في قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم
أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا أجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم
حسبما استعجلوا به وقيل المراد بالأجل يوم القيمة لما روي أنه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال و
أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لأنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا
يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الأجل أي وبالله ليأتينهم العذاب الذي
عين لهم عند حلول الأجل بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي بإتيانه ولعل المراد بإتيانه كذلك أن لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم
والإجابة إلى مسؤولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة
على بعض الأمم بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب
وإن جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أي يستعجلونك بالعذاب
والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وإن العذاب لمحيط بهم أي سيحيط بهم وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة
على تحقق الإحاطة واستمرارها وتنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي
هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقد مر تفصيله في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن
يومئذ الحق واللام في الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا يوم يغشاهم العذاب
الذي أشير إليه بما ذكر من إحاطة جهنم بهم يكون من كمال الأحوال ما لا يفي به المقال قيل كيف الإحاطة من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي من جميع جهاتهم
ويقول أي الله عز وجل أو بعض الملائكة بأمره ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار
من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي
لمانع من جهة الكفرة وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون أي إذا لم تتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم
فهاجروا إلى حيث يتيسر لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام
والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول
مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالأمر أي
كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكريه فراقها الوطن وجانبها الحب والإلف فكأنه هذه عاقبة فليس له بد من التزود والاستعداد لها
ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الإقامة
فانتصاب غرفا إما بإجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم تجري
من تحتها الأنهار صفة لغرفا خالدين فيها أي الغرف أو في الجنة نعم أجر العاملين أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة

ما قيل عليهم وقرئ فنعم الذين صبروا لأذية العالمين ونصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق

وعلى ربهم يتوكلون. أي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى. وكأين من دابة لا تحمل رزقها. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين

الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره

وإنما تصبح ولا معيشة عندها. الله يرزقها وإياكم ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن

رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة. وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا. العليم. فيعلم ضمائركم

ولئن سألتهم. أي أهل مكة من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله. إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه. فأنى يؤفكون

واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده في الألوهية مع إقرارهم بتفرده فيما ذكر من الخلق والتسخير. الله يبسط الرزق

لمن يشاء من عباده ويقدر له. أي يقتر لمن يشاء أن يقدر له منهم كأنه من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه ويقتر لمن يبسط له على التعاقب. إن الله بكل

شيء عليم. فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ومن يليق بقدره له فيقدر له ويعلم أن كلا من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا

منهما في وقته. ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله. معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها

ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء ما أصلا. قل الحمد لله. على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده

وأن أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من مثل هذه الضلالة ولا يخفى بعده. بل أكثرهم لا يعقلون. أي شيئا من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى

قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك. وما هذه الحياة الدنيا. إشارة تحقير وازدراء

للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء. إلا لهو ولعب. أي إلا كما

يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه. وإن الدار الآخرة لهي الحيوان. أي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع

طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحياة

لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة. لو كانوا يعلمون. أي لما آثروا عليها

الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال. فإذا ركبوا في الفلك. متصل بما دل عليه شرح

حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان

بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر في سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في البحر ولقوا شدة. دعوا

الله مخلصين له الدين. أي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدة إلا هو. فلما نجاهم إلى البر

إذا هم يشركون. أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك. ليكفروا بما آتيناهم. وليتمتعوا. أي ليتقاصوا بالإشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة النجاة بالتي

حقها أن يشكروها. فسوف يعلمون. أي عاقبة ذلك وغائلته حين يروا العذاب. أولم يروا. أي ألم ينظروا ولم يشاهدوا. أنا جعلنا. أي بلدهم. حرما آمنا.

مصونا عن النهب والتعدي سالما أهله من كل سوء. ويتخطف الناس من حولهم. أي والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب

أفبالباطل يؤمنون. أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق. وبنعمة الله يكفرون. وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره

وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا. بأن زعم أن له شريكا أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم

دالا على نفي الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا. أو كذب بالحق لما جاءه. أي بالرسول أو بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا

حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه. أليس في جهنم مثوى للكافرين. تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا أي ألا يستوجبون الثواء

فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا

أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجرأة. والذين جاهدوا فينا. أي في شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة

لنهدينهم سبلنا. سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث

من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. وإن الله لمع المحسنين. بالنصر والمعونة. وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل

321

سورة الروم مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم. الكلام فيه كالذي في أمثاله من الفواتح الكريمة. غلبت الروم في أدنى الأرض. أي أدنى

أرض العرب منهم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العرب

على أن اللام عوض عن المضاف إليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ في أداني الأرض. وهم. أي الروم. من بعد

غلبهم. أي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالحلب والحلب. سيغلبون.

أي سيغلبون فارس. في بضع سنين. روي أن فارس غزوا الروم فوافقوهم بأذرعات

وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا

أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم

فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين

فقال أبي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل

منهما وجعلا الأجل ثلث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث

إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح

رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم

الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات

الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله تعالى حيث أخبرت عن الغيب

الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول

والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة

التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم وإضافة الغلب حينئذ إلى الفاعل. لله الأمر من قبل ومن بعد.

أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو

وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم

مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس

وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا

ويومئذ. أي يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم. يفرح المؤمنون

بنصر الله. وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل

غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم

على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا ونقص

كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه وافق ذلك

يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والأول هو الأنسب لقوله تعالى

ينصر من يشاء. أي من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون

قوله تعالى الامر من قبل ومن بعد • وهو العزيز • البالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء
ان ينصر عليه كائنا من كان • الرحيم • المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق
كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لان كلا الفريقين لا يستحق
الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد
ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار • وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا • لا يخلف الله وعده • اي وعد
كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم
وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف
كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • اي ما سبق من شؤونه تعالى • يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا • وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم
الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما
قيل فانها ليست مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة
كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا • وهم عن الاخرة • التي هي الغاية القصوى والمطلب
الاسنى هم غافلون • لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها
ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار
غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين
مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور
ادراكاتها من العلم بامور الاخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان • او لم
يتفكروا • انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الاخرة والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى • في انفسهم • ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها
لتحقيق امره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى • ما خلق الله السموات والارض وما بينهما • اما
متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر
عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها
ملتبسة بشيء من الاشياء • الا ملتبسة بالحق • او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما
علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح
الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها تعالى
ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء
بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات
والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء

ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى
واجل مسمى • عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة
وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى او لم يتفكروا
في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا
ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها
من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا
عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك
الوقت وانت خبير بان امرها والانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود
بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات ما عداه مع كونه بمعزل من اجزاء تعكيس للامر
فتدبر وقوله تعالى • وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون • تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم
غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق
السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه
بالبعث • اولم يسيروا • توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم
والهمزة لتقرير النفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض
وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار
الارض وشاهدوا • كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى
كانوا اشد منهم قوة • بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا
حيث كانوا اشد منهم قوة • واثاروا الارض • اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وغير ذلك • وعمروها • اي عمروا الارض اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء
وغيرها مما يعد عمارة لها • اكثر مما عمروها • اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها
وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها
مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب
في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات • فما كان الله ليظلمهم • اي فكذبوهم فاهلكهم
فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم
بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران •
ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بان اجترؤوا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة • ثم كان عاقبة
الذين اساؤوا • اي عملوا السيئات ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار
بعلة الحكم • السوأى • اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ

كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوءى وهي مرفوعة
على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى أن كذبوا بآيات الله
علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة
على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله وكانوا بها يستهزئون عطف على كذبوا
داخل معه في حكم العلية وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده وهذا أنسب
بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدأ الخلق أي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم إليه
ترجعون إلى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم
الساعة التي هي وقت إعادة الخلق ورجعهم إليه يبلس المجرمون أي يسكتون متحيرين لا ينبسون
يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج وقرئ بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته ولم
يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة
الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا وكانوا بشركائهم كافرين أي بإلهيتهم وشركتهم لله سبحانه
حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم و
ليس بذاك إذ ليس في الإخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه
وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له إثر تهويل وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير
يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد
بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم إلى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق
في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم
في روضة يحبرون تفصيل وبيان لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء
ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة ويحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له
وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار
فعن ابن عباس رضي ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع
السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله
هل في الجنة من سماع فقال عليه السلام يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية
يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء
رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل
الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات
لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها هذه الآيات الناطقة
بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى
فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء
الآخرة للإيذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم في الشر أي أولئك الموصوفون بما فصل من

من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه أبدا فسبحان الله حين تمسون و
حين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون إثر ما بين حال
فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أرشدوا
إلى ما ينجي من الثاني ويفضي إلى الأول من تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى
على نعمه العظام وتقديم الأول على الثاني لما أن التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها أي إذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أي نزهوه عما ذكر سبحانه أي تسبيحه اللائق به في هذه الأوقات واحمدوه
فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض في معنى الأمر
على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما
كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين
يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام
من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد
قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث وتخصيصهما بتلك
الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه
تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه
على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لأنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي
كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك أنه ليس من الأوقات التي يختلف فيها أحوال الناس
وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالأوقات المذكورة فإن كلا منها
وقت يتغير فيه الأحوال تغيرا ظاهرا أما في المساء والصباح فظ وأما في الظهيرة فلأنها وقت يعتاد فيه
التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالحمد والتسبيح الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روي
عن ابن عباس أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة
الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن إلى أنها مدنية إذ كان يقول إن الواجب
بمكة ركعتان في أي وقت اتفقتا وإنما فرضت الخمس بالمدينة والمشهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج
وفي جزء من خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز
الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن
قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أي تمسون فيه وتصبحون فيه
يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي
النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الأرض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الإخراج
تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق
ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم

اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها
عليها ان خلقكم اي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق
ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم
وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض
وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
الاية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم
ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عم متضمن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من
جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها
فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل
بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف
على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس
اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا
اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة
للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة
كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال الله تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب
وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف
تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما
ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة
على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما
بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان
خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد وسواده
وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص
حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في حالة التخليق يختلفان
في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية
من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك ما سبق من خلق
انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك
اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة

في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام
وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم
بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما
فان كلا من المنام والابتغاء يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول
والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات
الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان واقع
فيه كشيء واحد مع اعادة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي شأنهم
ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون
بذلك على شؤونه تع ومن آياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى اي ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وهو
على حاله صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب يريكم البرق
خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور
فان اراءتهم البرق مستلزم لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تأويل
الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل
من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها
وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تع لقيامهما والتعبير عنها
بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد
بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك
من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية
بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله السموات
والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة
بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما
مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض
على هيئاتهما بامره تع الى اجل مسمى قدره الله تع لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض
وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى
يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل
الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله من في السموات والارض
من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون

اى منقادون لفعله لا يمتنعون عليه فى شأن من شؤونه تعالى ● وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده
بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى ● وهو اهون عليه اى بالاضافة الى قدركم
والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة
لما انها مأولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل
الذى يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لا بد من فعله حتما فكان
اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل
اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية
تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت فى ذلك بين ان يكون ذلك
التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار ● وله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة
والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التى ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية ● فى السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف
به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل
او من ضميره فى الاعلى ● وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عنه بدء ممكن واعادته ● الحكيم الذى يجرى الافعال
على سنن الحكمة والمصلحة ● ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك ● من انفسكم اى منتزعا من احوالها
التى هى اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية
وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل اى هل لكم ● مما ملكت ايمانكم ● من العبيد والاماء ● من شركاء ● فى ما رزقناكم
من الاموال وما يجرى مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفى
المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى ● فانتم فيه سواء ● تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين
فى التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب
اى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم فى البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار
لكم فانتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم ● تخافونهم ● خبر آخر لانتم او حال
من ضمير الفاعل فى سواء اى تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم ● كخيفتكم انفسكم ● اى كخيفة
كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفى مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اى لا ترضون
بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم فى البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به
سبحانه فى المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه
● كذلك ● اى مثل ذلك التفصيل الواضح ● نفصل الآيات ● اى نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل
تصوير للمعانى المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات فى هيئة المأنوس فيكون فى غاية البيان
والايضاح ● لقوم يعقلون ● اى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات
للكل لانهم المنتفعون بها ● بل اتبع الذين ظلموا ● اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل
وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات
المفصلة بل اتبعوا ● اهواءهم ● الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم فى ذلك الاتباع ظالمون

نبيا

ظالمون واضعون للشئ فى غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ● بغير علم ● اى جاهلين
ببطلان ما اتوا منكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه
● فمن يهدى من اضل الله ● اى خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه اى لا يقدر على هدايته احد ● وما
لهم ● اى لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى ● من ناصرين ● يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته
وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع ● فاقم وجهك للدين ●
تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشئ محسوس
بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه اى فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى ● حنيفا ● حال من المأمور او من الدين ● فطرة الله ● الفطرة الخلقة
وانتصابها على الاغراء اى الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد
فى اقم لما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة وعليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان
على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اى فطر الله فطرة وقوله تعالى
● التى فطر الناس عليها ● صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته
التى هى عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها
قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء
شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب العزة كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى ● لا تبديل لخلق الله ● تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى
او لوجوب الامتثال به اى لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى
وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة
بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل
بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة فى كل احد فلا بد من رعايتها
بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ● ذلك ● اشارة
الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة
والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر ● الدين القيم ● المستوى الذى لا عوج فيه ● ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيصدون عنه صدودا ● منيبين اليه ● حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله او فى اقم لعمومه
للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اى راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى
● واتقوه ● اى من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى ● واقيموا الصلوة ولا تكونوا
من المشركين ● المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا ● من الذين فرقوا دينهم ● بدل من المشركين باعادة الجار
وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب
من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اى تركوا دينهم الذى امروا به ● وكانوا
شيعا ● اى فرقا تشايع كل منها امامها الذى اضلها ● كل حزب بما لديهم ● من الدين المعوج المؤسس

على الرأي الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر
هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي
كانوا دعوا منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم
ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره
في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت
فيه للمبالغة وقرئ ليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات
الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق
المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى
او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا
واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم
يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه
من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم
اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم
المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه
من اعطاء ربوا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله اي لا يبارك فيه
وقرئ لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي تبتغون به
وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي
والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم
الكريم والالتفات من جزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له
من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه
تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل
من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس
الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب
ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة

المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندى
كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الآخرة
واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين
استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي
في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا
يقدر احد على رده من الله متعلق بيأتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر
فعليه كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا
في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي
كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية
وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى
انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة
ومن آياته ان يرسل الرياح اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح
الذي هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها
وليذيقكم او بمحذوف ينبئ عنه ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر
لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
كما ارسلناك الى قومك فجاؤوهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت
قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم
وانما وضع موضع ضميرهم علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد
تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام
من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض
بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب
الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم
مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل
فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا

مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون
السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي من بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون فاجؤوا
الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتأكيد والايذان بطول
عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة
بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة
تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس
بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين
فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة
على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز
النصب بنزع الخافض وكيف معلق بانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل
واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه
من امر البعث وقرئ تحيي بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض
شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء
الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل
مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل
سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل
والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد
مسد الجوابين اي وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن
من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا
يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجؤوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر
ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم
فانك لا تسمع الموتى لانهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم
عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما
يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم
منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا

فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا
فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتدأكم ضعفاء و
جعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد
ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم
السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء
التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير البالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر
من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور
او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام
وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك
كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان
في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو
قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين لانهم من فرط حيرتهم
لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويعتدون
لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوه حقيقة فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا
يسمعونها وينكرونها وبكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا
ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قوله فقالوا
خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم
وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم
اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها
مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل
بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط
عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي
مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون
الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب
المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك
بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم

التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك
وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك
من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه ولكنه
في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته والله اعلم

سورة لقمان مكية وآياتها ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بصفته تعالى
او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة
وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة
بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة
او لمبتدأ محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة قوله الالمعي
الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث
بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة
للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع
سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى
من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس
الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية
ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك
وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت
الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلام
يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى
او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير
علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا
على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن اي ويتخذها هزوا مهزوا به
وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما
ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم

في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم
الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افراد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر
الثلاثة الاول باعتبار لفظة من كما ان الجمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم
وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا او الاصل كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن وجعلت
الجملة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية
والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كأنك لم تجزع
على ابن طريف كأن في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع
من السماع ويجوز ان يكونا مستأنفين وقرئ في اذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه
بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها اي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم
بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل
لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات
النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني
لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى
الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده
او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد استئناف مسوق
للاستشهاد بما فصل فيه على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره
وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كأهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اذا
دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى
لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي
عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي
القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة
اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين
ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر
فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين
لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة
خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم له شركاء سبحانه في العبادة حتى استحقوا
المعبودية وماذا منصوب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون
في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات
المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام
والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه

ومستعدون عن الحق وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمن الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان ابن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله تعالى في عامين اعتراض بين المفسَّر والمفسِّر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا يزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمهما الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الى آخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقريرها في

تضاعيفها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعلاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا واللام بمعنى الى اي سخر لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو
جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سابغ صابغ وقرئ
نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة
الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار
المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم
اي اباهم لا انفسهم كما قيل لان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك
اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب
دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته
وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن اي في اعماله آت بها جامعة
بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق
به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق
عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض
الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر
الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل
للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم
الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح
الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون
ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك
يلزمهم لله ما في السموات وما في الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد
المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اي من بعد
نفاده سبعة ابحر اي ولو ثبت ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من امده وبالياء والتاء وايثار المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه
اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب
الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله
عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليها ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق

ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث
الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق
وما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل
كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف
على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما التسخير فامر
لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي
بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا
الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ
والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه
به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريهما الى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام
هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة
الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الآخر
وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس
تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ
المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة
الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي هي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض
اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدي
وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص
الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه
عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته
فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اي ولاجل بيان بطلان
الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالياء والتصريح بذلك
مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء
بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا
وان الله هو العلي الكبير اي وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف
الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى بها بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته
او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيقته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام
المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للكلام

الحقية

ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا انها بطلانها يقتضيها • الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة
الله • باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة
بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات
يجوز فيه الكسر والفتح والسكون • ليريكم من آياته • اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى • ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور • تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر
على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل
لكل مؤمن • واذا غشيهم • اي علاهم واحاط بهم • موج كالظلل • كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال
جمع ظلة كقلة وقلال • دعوا الله مخلصين له الدين • لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواعي
والشدائد • فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد • اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره
في الجملة • وما يجحد بآياتنا الا كل ختار • غدار فانه نقض للعهد الفطري ورفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر وقبحه
كفور • مبالغ في كفران نعم الله تعالى • يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده • اي
لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه • ولا مولود
عطف على والد او مبتدأ خبره • هو جاز عن والده شيئا • وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان
لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة • ان وعد الله • بالثواب والعقاب
حق • لا يمكن خلافه اصلا • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • اي الشيطان المبالغ في الغرور
بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة • ان الله عنده علم الساعة • علم وقت قيامها لما روي
ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى
السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا
هذه الآية • وينزل الغيث • في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال • ويعلم ما في الارحام
من ذكر او انثى او تام او ناقص • وما تدري نفس • من النفوس • ماذا تكسب غدا • من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل
خلافه • وما تدري نفس باي ارض تموت • كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل
ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند
ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند
وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل في التعرف وسعه لم يعرف
ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث
كل في كلتهن • ان الله عليم • مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر • خبير • يعلم
بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي
من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر •

سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم • ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت
سرها وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى • تنزيل الكتاب • على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على
المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم
اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم
الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى • لا ريب فيه • خبر ثالث على الوجه
الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى • من رب العالمين • متعلق بمضمر هو
حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل فان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب
فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي
في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى • ام يقولون افتراه • فان قولهم هذا انكار
منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه
وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه
مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل • بل هو الحق من ربك • باضافة اسم الرب
الى ضميره عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم اكد ذلك ببيان غايته حيث
قيل • لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون • فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما
عند كونها غاية جميلة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة
ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول
قبله عليه السلام اي ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام
اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون
تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع
على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة
لا قيد لحكم آخر فتدبر • الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش •
مر بيانه فيما سلف • ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع • اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم
ويشفع لكم ويجيركم من بأسه اي ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن
النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير • افلا تتذكرون •
اي لا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول
متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع • يدبر
الامر من السماء الى الارض • قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها واحكامها الى الارض
ثم يعرج اليه • اي يثبت في علمه موجودا بالفعل • في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون • اي في برهة
من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل
يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف
سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به
الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند
قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة

هذا سهو ظاهر لا يليق بصدره من مثل هذا الفاضل فان مراد السجاوندي رحمه الله ان قلة المخلصين سبب لوقوع مثل هذا العمل الصالح فى الف سنة فتكون عروجه في تلك المدة

متعلقا وله لقلة المخلصين والاعمال المخلصة وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطء عروجها
الى السماء بل خفته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله تعالى باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات
والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع
وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة
العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى يتفضل فى جميع ما ذكر
فاعل بالاحسان الذى احسن كل شىء خلقه خبر آخر او نصب على المدح اى حسّن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق
خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما
قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى يحسن معرفته ويعرفه
معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على انه بدل الاشتمال من كل شىء والضمير للمبدل منه اى حسن خلق كل شىء
وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه
معنى اعطى اى اعطى كل شىء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شىء مفعوله
الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه
كل شىء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرّف مخلوقاته كل شىء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى اعطى
كل شىء خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول
فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم
جعل نسله اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المنى الممتهن ثم سوّاه
اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم وتصويرها على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق
عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا
القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول لكل نعمة بجلالة المنعم الكريم اى خلق لمنفعتكم
تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها فى نفسها نعمة جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية
الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة
بالتوحيد والبعث وبابصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا
ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلى على ان القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده اى تشكرون
شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة
وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه
وقالوا كلام مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك
النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ءاذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا
مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة

من صلّ

من صلّ اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهى الارض اى صرنا من جنس الصلة قيل القائل ابىّ بن خلف واسناده
بقوله اسند القول الى الكل والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى ءانا لفى خلق جديد وهو نبعث او يجدد
خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تأكيد الانكار
لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على انّ فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها عليها
لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان
ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل
بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية
العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشدّ ما
يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذى وكل بكم اى بقبض ارواحكم واحصاء
آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ءاذا
ضللنا فى الارض الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رءوسهم عند ربهم من الحياء والخزى
عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن
يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما
لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا
موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله
ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة
الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة
الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه
ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار
لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب
لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه
تعالى لهم حينئذ يكون باظهار ما مر لوقوع ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون
منك رؤية فى ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضى فيها وفى لو باعتبار ان الثابت فى علم الله تعالى
بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرأيت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا
من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها
براءٍ دون راءٍ ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية
يتعجب من سوء حالها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور
الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب
فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال
ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على قدر

قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول لو شئنا اى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اى سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد وعند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى انه لا يصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدها وقيد ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اى تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن باياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اى وعظوا خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اى سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اى والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اى ترتفع وتتنحى عن

عن المضاجع اى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اى داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جزوا جزاء او اخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اى بعدما ظهر ما بينهما من التباين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأويهم في الدنيا نزلا اى ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما الذين فسقوا اى خرجوا عن الطاعة فمأواهم اى ملجؤهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأويهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم

تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار
في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر
دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن
ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها
بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة
الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل
من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد
آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي
هو الفرقان كقوله تعالى وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك
من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام
وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة و
جعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل
عليه السلام وجعلنا منهم ائمة يهدون بتبيينهم بما في التورية تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق
او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا اي لما التي فيها
معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي
جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا
وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر
والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية
ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز
بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف
على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة
المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية
لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون
العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضمير ربه فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الى آخره بيانا
مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون
آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم
الخالية العاتية في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر
واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن

فن

فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض
الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون
اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون كان المسلمون يقولون
ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا
واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل
بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح
يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم
فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا
غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم
الانظار كأنه قيل لا تستعجلوا به فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما
على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان
الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم
انهم منتظرون قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم
كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا
انهم منتظروه فان استيجابهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب
عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه
عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام والله تعالى اعلم

سورة الاحزاب مدنية ثلاث وسبعون

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد
بالتقوى المأمور بها الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع
الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية
فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عم
في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس
فقالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك
فشق ذلك على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد
ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله
كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة
ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب
الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات
التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية

لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل
على ضرب من التغليب وايا ما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب
والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما
على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح
حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها
وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله
وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي
امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا
اي بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف
واحد وقيل صدرت لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد
الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة وابوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة
ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام
الدعوة واحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام
البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول
لزوجته انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان
طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر
الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون
اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي والاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون
بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون
من ظهر ظهورا والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء
كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما ينهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو
المقصود من سياق الكلام اي دعاءكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة
في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو
يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم
بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط
افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى
وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم
فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك

من ذلك مخطئين بالسهو والنسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم
بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان
عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم
يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به
الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم
من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس
بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته
من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن
في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ
لما كان في مبدأ الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله
وهو هذه الاية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام
او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن
وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وتخصيصهم
بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب
الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه
واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى
ليسأل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ
الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ
عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين
موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه
اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق
وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما
عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى

ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون
بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات ثم لا يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين وقيل
كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الاية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة
مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس
النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش
وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره
والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا الى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون
كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب
الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود
وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب
قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخة بين الخندق
وسلع فخرج على بن ابى طالب فى نفر من المسلمين رضى الله عنهم حتى اخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها فاقبلت
الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له على رضى الله تعالى عنه يا عمرو انى ادعوك الى الله
ورسوله والاسلام قال لا حاجة لى اليه قال فانى ادعوك الى النزال قال يا ابن اخى والله لا احب ان اقتلك
قال على رضى الله تعالى عنه لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة
واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على على فتنازلا وتجاولا فضربه على ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت
خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
المخزومى قتله ايضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتى بقيتها فى آخر القصة
وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله تعالى عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية
فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران
واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال
طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون
من حفر الخندق وترتيب مبادى الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمل
الكفار اى من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصى بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة
اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من جهة المشرق
وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اى من اسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم
من الاحابيش وبنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف واذ زاغت الابصار
عطف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير اى حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا

وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة
الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان
لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون
به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله ينجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب
عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زيدت
فى القوافى هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اى فى ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلى المؤمنون
اى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاى واذ يقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر
من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين فى قلوبهم مرض اى ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اى وعد غرور وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير
واضرابه رضون به قال يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظى واتباعه وقيل عبد الله بن ابى واشياعه يا اهل يثرب هو اسم المدينة
المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة فى ناحية منها وقد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال
هى طابة او طيبة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله تعالى عليه وسلم وندائهم اياهم بعنوان اهليتهم
لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم او لا اقامة ههنا يريدون
المعسكر وقرئ بفتح الميم اى لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر
بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا مقام لكم فى دين
محمد عليه السلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه اليه لعدائه او لا مقام
لكم فى يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله ويستأذن فريق
منهم النبى معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه
فى الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف
مبنى على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اى غير حصينة معرضة للعدو والسراق
فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة فى الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون
تخفيف عورة من عورت الدار اى اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما ينبئ عنه
تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هى بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون بالاستيذان
الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها
وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو
المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور من اقطارها اى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت
بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند

عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الان من الايمان
والطاعة لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهيا والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر
اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوا وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال
والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الان وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد
الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم
المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لان مساق النظم الكريم لبيان
انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة
الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون
على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد
حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله تعالى اهل بدر
من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا
مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
فانه لا بد لكل شخص من حتف انفه او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا ن
لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلعم
وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت سمي به فعل متعد
نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون
نحو المدينة ولا يأتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون
ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
معناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من
المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي
يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون
نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كائنين
كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيز

وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية
او الذم ويؤيده قراءة الرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص
فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة
دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى
يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ
بدى جمع باد كغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد
عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفي بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره
عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء
وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات
في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها
هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه
او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
اي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة
وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص
المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما
وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره
وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب
او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم تجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله
فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب
وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب
سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر
الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما
رأوه الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص
مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام
والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة
ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني
اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الجار عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره
اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكو مائة نحر بني الاعداء
ان لم تتحري وقالوا له سنفي بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا
فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان
شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء
على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الاية اي فبعضهم
او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم
الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا
لالتزامه على ما سيأتي ومنهم اي وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان
وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا
بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقتال الى حين نزول الاية الكريمة ومنتظرون لقضاء
بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام
اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه
وهو الانسب بمقام المدح واياما كان فقد وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم
الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها
واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما
غيروه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين
قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم
للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان
حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
عليه السلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد
يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض حي
وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر
مسوق بطريق الاستئناف لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كانه قيل
الى قوله لبيان الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق
والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم
او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى

وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى
برؤية ذلك الخطب ليجزي الاية فتأمل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض
فيه بعث الى التوبة ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا
بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل
اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون
ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل
ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها
الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين
كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول
اي ملتبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين بخير اصلا والثانية بيان للاولى واستئناف
وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا
على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم
جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي شوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف
الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال
اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله تعالى يأمرك ان تسير الى بني قريظة واني عامد اليهم فاذن في الناس
ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة
وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله و
تقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم
ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جعل
عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست
يوم بدر فقال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها
اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر
وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها
فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني
امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير
ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي انهن سألنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة

خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل
لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار
اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخيير لهن بين الارادتين
على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب آخرون
الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير
فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو
اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان
وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء
الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا
وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها
ولم يفرض لها مهر عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار
الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن
الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله تعالى للايذان بجلالة محله عنده تعالى والدار الآخرة اي نعيمها
الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر
قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى
التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر في تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل يا نساء
النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هنا وفيما بعده بالاضافة اليه
لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهرة القبح من بين بمعنى
تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ بالفوقانية يضاعف لها العذاب
ضعفين اي ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل
المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ
يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن
يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء
حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضميرا اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما
مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة

[illegible] حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة
الرجال اي لا تجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة
وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول
الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا عن الريبة والاطماع
بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر يقر من باب علم
واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع
وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا او قر اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد
او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا
تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين
آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام
كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان
عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية
الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية
اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي
الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في سائر ما امرن به ونهين
عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف
ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء والمدح اهل البيت مرادا بهم
من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية
والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى اية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله تعالى عليهم
واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود
فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو
فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس
بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة
الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن
حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص
على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه
الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكر
بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما
وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خير ما خير من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة

ومن يستنكف ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اى الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله تعالى
من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين
والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات فى القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم
والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات
والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى ان ازواج النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ورضى الله عنهن قلن يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله الرجال فى القران بخير افما فينا خير
نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروى انه لما نزل فى نساء النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهن ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون
ضروريا ولذلك ترك فى قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين
هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اى ما صح وما استقام لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى
الله ورسوله امرا اى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره او للاشعار بان قضاءه عليه السلام
قضاء الله تعالى لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهبت نفسها
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
ان يكون لهم الخيرة من امرهم اى ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه السلام
واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما فى سياق النفى وقيل الضمير الثانى
للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله فى امر من الامور ويعمل فيه برايه
فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اى بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اى واذكر وقت
قولك للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بما وفقك
له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة
حاله لما صدر عنه عليه السلام من اظهار خلاف ما فى ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا
يتصور فى حق زيد امسك عليك زوجك اى زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت
فى نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد
ففطن لذلك فوقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى
فقال مالك ارابك منها شئ قال والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال امسك عليك زوجك
واتق الله فى امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان
طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو

والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الاولى فى امثال
ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد
الامر بتزويجها منه عليه السلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة فى ازواج ادعيائهم اى فى حق
تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم فى رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه عليه السلام وحكم
الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اى ما يريد تكوينه من الامور او مأموره اى مكونه مفعولا لا
مكونا لا محالة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ما كان على النبى من حرج اى ما صح وما استقام فى الحكمة ان يكون له
ضيق فيما فرض الله له اى قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم
سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفى الحرج اى سن الله ذلك
سنة فى الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم فى باب النكاح وغيره ولقد
كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله
وكان امر الله قدرا مقدورا اى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى
الواحد للمسارعة الى تقرير نفى الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم
بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه فى كل ما ياتون ويذرون لاسيما فى امر تبليغ الرسالة حيث
لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم فى ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله فى وصفهم بقصر الخشية
على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام [illegible] لائمة الخلق بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغى ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة
والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى على الحقيقة حتى يثبت بينه
وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم
وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله اى كان رسول
الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وزيد الا واحد
من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للتبنى والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص
وخاتم النبيين اى كان اخرهم الذى ختموا به وقرئ بكسر التاء اى كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
رضى الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه السلام
خاتم النبيين كما يروى انه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده
عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل
انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شئ عليما
ومن جملته هذه الاحكام والحكم التى بيناها لكم وكنتم منها فى شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به

بكرة واصيلا اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات
بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه
فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم
استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى
وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل
لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين
متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو
الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف
المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار
الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره بمعزل من الجمع
بين المعنيين المتغايرين ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته
ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما الذين انتم من زمرتهم
رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة
اي ما يحيون به على ان المصدر مضاف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم
عليهم من الله تعالى تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما بيان لاثار رحمته الفائضة
عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة
لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان
الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما
صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة اداء مقبولا
فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا
الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره
اطلق عليه مجازا لانه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال
لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق
في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد
والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس
وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور

اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال
لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه
في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال
باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر من الشئون التي من جملتها هذا
الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه
خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما
ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققته وقوبل الداعي
اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج
المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي
الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة
بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها
لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى
فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة
في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح
الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر
في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة
فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن
عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها
اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة
انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام
كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق
بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده
قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تعالى هذه الاية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه
انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره
محذوف اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ان ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق
ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد

ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث
لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة
ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس لم يكن عنده عم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات
اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام
في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عم حسب اختصاصها
به كما ينطق قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز
كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى
من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك
الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود
على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة
او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى
قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه
ما لم يفرض عليه عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم
وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا
يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار
اختصاصه به عم لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها
وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء
منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت
بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك
ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة
وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة
وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة
فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر
الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن
ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول
وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تأكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا
في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا
بتأخيرها فانه امهال لا اهمال لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد

اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن
فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل
اي تتبدل بحذف احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنكح مكانها
اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن
وهن التسع اللاتي توفي رسول الله عم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان
وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت
جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح
ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون
معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف
البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو
من ازواج لتوغله في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير
من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه اي ممن اعجبهم
حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه مات عليه السلام على التحريم الا ما
ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل
شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اثر بيان ما يجب
مراعاته عليه من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي
لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوا في وقت من الاوقات
الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون
المؤول لا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق
بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما
يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان
الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون
جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر اني الطعام
اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد
بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا
يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اي ولا

بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ان
ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله
بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه
يستدعي ان يكون المستحيي منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك
حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا
اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي ان عمر رضي
قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان
يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله تعالى عنها فكره النبي عليه السلام ذلك
فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع
من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي وما صح وما
استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه
من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا
عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله عليه السلام وايجاب حرمته حيا
وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم
او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة
وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت
آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما
لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن
وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات
لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اي
نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور
واتقين الله في كل ما تأتين وتذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا
لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع على محل اسم ان
عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة
من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون
له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم
له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما

محل ان

فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء
والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما
قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة
والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه
وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده
الله ويروى انه عليه السلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان
غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة
وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال
بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم
النخعي ان الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها
شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام فتجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل
ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء ما
فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود
والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن
مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما
وايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه
ايذاؤه سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها
واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الآخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون
بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه
فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل
في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا
لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس
والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا
لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر
والتمييز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب
ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما

يتقنعن بها اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود
التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين ذلك اي ما
ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم
فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما
بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه
الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة
من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة
للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة
لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك
عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها اي
في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم
او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل
الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة
الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام
وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة
التي عليها يدور فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام
عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما
علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل
تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي
لا يعلمك به شيء اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية
ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين
والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين
على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد
يقاسونها في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم
في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها
من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة ومن حال الى حال
او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون
العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لانها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر
وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة عن كل الجسد يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو الناصب ليوم وقالوا عطف على يقولون

والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اضطرار ادوا به ضربا من التشفي
بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان
السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل
والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم
ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا اي كثير العدد وتكرير النداء للمبالغة في الجؤار
واستدعاء الاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب
وما سمع فيه من قالة الناس فبرأه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اي من مضمونه
ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها
مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين
قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عليه السلام عند خروجه
معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل
قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه
عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي
رسوله وقولوا في كل شان من الشئون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال
سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل
والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات
فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها
من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف
الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد
القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم
عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال
بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد
الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل
امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي
يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم
الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور
وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة

تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه • وحملها الانسان • اى عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة
الى استعداده او بتكليفه يوم الميثاق اى تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة
القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطرى او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى • انه
كان ظلوما جهولا • اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله
اى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل اى بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم
السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله تعالى
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات • اى حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده
الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل
لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز فى معرض الغرض اى كان
عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة
بالكلية والى الفريق الثانى اشير بقوله تعالى • ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات • اى كان عاقبة
حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم
بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات
الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار فى موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر
المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التى شانها ان تكون
من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى هى من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام
على تقرير الوعد الكريم الذى ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم
شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان
يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل
المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار
وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء عبارة عن الامتناع عن الخيانة واتيانها
بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى
اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات
لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما
لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها
بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا وجيه من التحقيق
فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف • وكان الله غفورا رحيما • مبالغا
فى المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم
قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر •

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبا مكية وآيها خمسون [illegible]

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض • اى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر فى آية الكرسى
ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى
على ما بين فى فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التى
من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفات كمال ذلك
نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر
بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى • وله الحمد فى الآخرة • بيان لاختصاص الحمد الاخروى
به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوى به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما يتعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه
عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه
فى الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الجنة
وقوله تعالى الذى احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما فى قوله تعالى الحمد لله
الذى هدانا لهذا اى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والآخرة
بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثانى على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد فى الخبر انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس • وهو الحكيم • الذى احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة • الخبير • ببواطن الاشياء
ومكنوناتها وقوله تعالى • يعلم ما يلج فى الارض • الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التى نيطت بها مصالحهم
الدينية والدنيوية اى يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات
وماء العيون ونحوها • وما ينزل من السماء • كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد والنون
والمطر • وما يعرج فيها • كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة • وهو الرحيم • للحامدين على ما اولاهم من نعمه
الغفور • للمفرطين فى ذلك بلطفه وكرمه • وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة • ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر
قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفى اتيانها نفى وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر
وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان
لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد
قل بلى • رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى • وربى لتاتينكم • تاكيد له على اتم الوجوه
واكملها وقرئ ليأتينكم على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى • عالم الغيب • الخ امدا للتاكيد و
تشديد له اثر تشديد وكسر لسورة تكبرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق
يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك فى حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب فى ان
المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما
اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه كان وصفه بعلم الغيب الذى اشهر افراده
وادخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بضم
التزمه من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا لانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب

فصلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيوب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع
على المدح لا يعزب عنه اى لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض
اى كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اى مثقال ذرة ولا اكبر اى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى
الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بالفتح الراء على نفي الجنس
ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء
يمنعه الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان
لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اى اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط
منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا
بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اى مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اى مثبطين
عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال
قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم بالرفع صفة عذاب اى اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء
العذاب اشد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اى يعلم اولو العلم من اصحاب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهما الذي انزل اليك من ربك اى القرآن هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان
ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى
وهو قوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب
عطفا على يجزي اى وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتجوا به على المكذبين
وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اى ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما
ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تأويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اى وقابضات
كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدأ اى وهو يهدي كما في قوله
من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل يعنون به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الهزء والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم
اى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبيكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اى اذا متم وفرقت اجسادكم كل
تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة
الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك
تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى
فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى
على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان

بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد
على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع
عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال
العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون
ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة
ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون
العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام
وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع
من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع
للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم
نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون او نسقط عليهم كسفا اى قطعا من السماء كما اسقطناها
على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه
ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم
من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى
افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اى فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر
من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شأنه الانابة الى ربه فانه
اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة
وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اى آتيناه بحسن انابته وصحة توبته فضلا
على سائر الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته
الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد لها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه
من التأويب اى رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته
كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اى ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان
كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين
وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا

والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتائها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل
عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف
لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز
انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى
المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته
من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبريائه سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد
اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه
بالنسبة الى قوته التي اتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان
ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات
وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام
حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى
له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود عليه السلام فسأله
فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه
صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء
وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل
معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة
وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا تعميم للخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله اني بما
تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي
ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها
بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو اي
من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه ببابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى
ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه و
مبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له
عين القطر اي النحاس المذاب اسلناه من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء
من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى ومن الجن
من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة باذن ربه بامره
كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ
يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة وروي عن السدي
كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما
ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب

عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت
تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد روي انهم عملوا
اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء
فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور
راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال
اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا الشكر وقليل من عبادي الشكور اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي
ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عليه السلام ما
دلهم اي الجن على موته الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة
من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فأكلت
اكلا تأكل منسأته اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف
ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءة على مفعالة كميضاءة
في ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ
اكلت منساته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما
بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا يعلمون
الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر
وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى آخره
وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ
تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود عليه السلام اسس بنيان بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن و
الشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم
علم الغيب من عادتهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه
وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان
فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان
يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة

وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى
اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم
القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراجها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ
بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال آية دالة
بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة
المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل
من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما
جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك
الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله
كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق
به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين
لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر
رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هواء واخصبها
وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيها بين الاشجار فيمتلئ المكتل فتعمل بيديها
وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شيء
فاعرضوا عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله
وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب
من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة
المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي
بنتها الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها خروقا
على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال
له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم بسكون
الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم
اي اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ
طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض المر من كل شيء وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة
الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف الاكل واثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا
وشيئا عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس
في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة
عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره

فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى
جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب
على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم
لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا
مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في
الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله تعالى وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور
وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما حل
بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم
ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا
لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم
او باجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي
باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة
متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة بعضها
الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى
الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها
على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين
من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت
ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها لياليَ اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم
من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل
مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم
وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله
لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد
بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد
بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو
استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم
يتشاجرون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا
النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين
بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان
تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير
والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق

غسان بالشام وانمار يثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو
بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب
سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا راى جرذ الحفر السد فعلم انه لا بقاء له
بعده وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة
المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم
ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اقطاع البلاد يطلبون
له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام
ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده
فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس
والخزرج ابنا حارثة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة
بن حارثة ابن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم
السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس ان فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي صلى الله
عليه وسلم عن سبأ فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة
والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان
ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا
بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو
قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام
وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل
كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية
شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم
ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شأنه الصبر عن الشهوات
ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز
تعديته للفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا
ومع التخفيف بمعنى قال له بالصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه لسبأ حين
راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه
عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم
ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما
كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن
بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق

علی

علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك
او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم متعلقه مبالغة وربك على كل شيء
حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين اظهارا لبطلان
ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا
لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا
ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما من الامور
وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او
لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اي لالهتهم
فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من ظهير يعينه
في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد رأسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها
وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا
كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان
الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة
لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين
لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل
من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له
اي لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض
وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم
عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول
حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف
الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع
واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع المستدعي للترقب والانتظار
للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل
وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع لهم
اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شأن الاذن قالوا اي الشفعاء
لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه تعالى بالشفاعة الحق اي قال ربنا
القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير

من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفى الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن بتخفيف الراء واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يوصف حال التوزيع وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجمادات النازلة فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كانه منغمس فى ظلام لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ فى الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم اى الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمراى منه عليه السلام اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اى ارونيها لانظر باى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شيء فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير لله عز وعلا او للشان كما فى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود به بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم اى وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعنى للتعظيم لا تستأخرون عنه عند مفاجاته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة

من المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفى الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه اى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اى فى موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع اى يقول الاتباع للذين استكبروا فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى والضلال لولا انتم اى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين فى الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اى بل صدنا مكركم الاغواء فى الليل والنهار على ما سبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اى بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اى مكرا دائبا وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اى بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله واى نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم والاظهار فى موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة فى حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوه عليه السلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم اولم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الرأى الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروى راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذى عليه يدور امر التكوين ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء

يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير ويربيهم على الصلاح ويحثهم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آمن الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي يوسعه عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة ح فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك تبرأهم من الرضى بعبادتهم

ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرئ مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عن عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله تعالى ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بالتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يؤمنوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الى آخره بطريق التفصيل

والتفسير كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الآية • فكيف كان نكير • اي انكاري لهم بالتدمير
فليحذر هؤلاء من مثل ذلك • قل انما اعظكم بواحدة • اي ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه
قوله تعالى • ان تقوموا لله • على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هو ان تقوموا عن مجلس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضين عن المماراة والتقليد
مثنى وفرادى • اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار
بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوفق واقرب من الاطمئنان • ثم تتفكروا • في امره صلى الله تعالى عليه وسلم
وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيقته وقوله تعالى • ما بصاحبكم من جنة • استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه
على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون
لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة واثق بحجته
وبرهانه وقد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما
واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها
صم الجبال ويجوز ان يتعلق بتتفكروا على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوزوا ان تكون ما
استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون • ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد • هو
عذاب الآخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسم الساعة • قل ما سألتكم من اجر • اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة
فهو لكم • والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد
بها ما سألهم بقوله تعالى • ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا • وقوله تعالى لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه نفعهم ومنفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم • ان اجري الا على الله
وهو على كل شيء شهيد • مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء • قل ان ربي يقذف
بالحق • اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه • علام الغيوب • صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف
او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور
مبالغة غائب • قل جاء الحق • اي الاسلام والتوحيد • وما يبدئ الباطل وما يعيد • اي زهق الشرك بحيث لم يبق
اثره ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه
قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده
او لا يبدي خير الاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها • قل ان ضللت • عن الطريق الحق • فانما
اضل على نفسي • فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار
قابل الشرطية بقوله تعالى • وان اهتديت فبما يوحي الي ربي • لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح
الياء • انه سميع قريب • يعلم كل قول من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما • ولو ترى اذ
فزعوا • عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة
ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا هائلا • فلا فوت • فلا يفوتون الله عز وجل
بهرب او تحصن • واخذوا من مكان قريب • من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب

او من

او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا
فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله اي فلا فوت هناك واخذ • وقالوا
آمنا به • اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم • وانى لهم التناوش • التناول
التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا • من مكان بعيد • فانه في حيز التكليف
وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت
الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه
قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور • وقد كفروا به • اي بمحمد صلى الله عليه
وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه • من قبل • اي من قبل ذلك في اوان التكليف • ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور
من بت القول بنفيه • من مكان بعيد • من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه الى الشعر والسحر
والكذب وان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي
الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ
ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية
او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا • وحيل بينهم وبين
ما يشتهون • من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء • كما فعل باشياعهم من قبل • اي
باشباههم من كفرة الامم الدارجة • انهم كانوا في شك مريب • اي موقع في الريبة او ذي ريبة والاول
منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر
شاعر والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا و مصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها اربعون وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض • مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل
الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها
غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق • جاعل الملائكة • الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله
وقوله تعالى • رسلا • منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك
عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا
معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته الى الاول
تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل
عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة • اي جاعلهم وسائط
بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة
او بينه تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا
اما على تقدير كونه ابداعا فرسلا منصوب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين • اولي اجنحة • صفة لرسلا

واولو اسم جمع لذو كما ان اولا اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى
وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم
من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا
لكل منهم ثلاثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون
اجسادهم وبجناحين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله
تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليهما السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه
سال عليهما السلام ان يريه في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه السلام ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه
على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام
فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله
وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير. يزيد في الخلق
ما يشاء. استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام
مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء
ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة
بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى. ان الله على كل شيء قدير. تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور
فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا. ما يفتح الله
للناس من رحمة. عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون
واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة كانت من نعمة
وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به. فلا ممسك لها. اي لا احد يقدر على امساكها. وما يمسك
اي اي شيء يمسك فلا مرسل له. اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع الاول مفسر بالرحمة
ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه. من بعده. اي من بعد
امساكه. وهو العزيز الحكيم. الذي يفعل كلما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها
ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه
انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما
بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال. يا ايها الناس اذكروا نعمت
الله عليكم. اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها
بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها
منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق
الاستفهام الانكاري المنادي باستناده ان يجاب عنه بنعم فقال. هل من خالق غير الله. اي هل خالق
مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدا محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار

باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى. يرزقكم من السماء والارض. اي بالمطر والنبات كلام
مبتدا على التقدير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق
مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض
لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدا ولا لما قيل من انه تفسير لمضمر رافع لقوله
من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناه نفي رازقية خالق مغاير له تعالى
من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف
مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستئناف صورة فحيث كان مدلوله الناطق
بنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى. فانى تؤفكون. لترتيب انكار
عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى. وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك. تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة
الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان
يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل في الصبر
على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب
لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير. والى الله ترجع الامور
لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار
على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى
وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل. يا ايها الناس. رجوع الى خطابهم وتكرير النداء
لتاكيد العظة والتذكير. ان وعد الله. المشار اليه بمرجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء. حق. ثابت
لا محالة من غير خلف. فلا تغرنكم الحياة الدنيا. بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك
ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم
شقاقي. ولا يغرنكم بالله. وحلمه وكرمه تعالى. الغرور. اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم
المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن
لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة
ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد. ان الشيطان
لكم عدو. عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به. فاتخذوه عدوا. بمخالفتكم له في عقائدكم
وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى. انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير.
تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون
الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة
بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون. الذين كفروا لهم. بسبب كفرهم
واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته. عذاب شديد. لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه. والذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان
مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما * افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا * اما تقرير لما سبق من التباين
البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار
ترتب ما بعدها على ما قبلها اي ابعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان
فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف
لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى * فان الله يضل الخ * تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى
اي فانه تعالى يضل من يشاء * ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل
سافلين * ويهدي من يشاء * ان يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما
يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب
عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى * فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات * ولا له بينة واما تمهيد لعذره عليه السلام فيما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم
والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من تزيين
له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته
فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الى آخره عليه من شاء الله تعالى
ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات
اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام على احوالهم او على كثرة
قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو
بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت
حسرات وقوله تعالى * ان الله عليم بما يصنعون * اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلثة مع ما فيه
من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة * والله الذي ارسل الرياح *
مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى * فتثير سحابا * لحكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك
اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة * فسقناه الى بلد ميت * وقرئ بالتخفيف * فاحيينا به الارض *
اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب
السبب * بعد موتها * اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون
العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث
الذي شبه به بقوله تعالى * كذلك النشور * في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع
على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتي من غير تفاوت
بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه
اجساد الخلق * من كان يريد العزة * هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما

كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فالمعنى من كان يريد
للدلالة على دوام الارادة واستمرارها * فلله العزة جميعا * اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة
اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها
به تعالى وقوله تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح * شروع في بيان ما تطلب به العزة وهو التوحيد والعمل
الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار لتحقيق القبول وكمال
الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة
لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يجزي صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فانه
مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية
الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب
يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ما من عبد يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن
ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه
رب العالمين ومصداقه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الى آخره * والذين يمكرون السيئات * بيان لحال
الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها
صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم
الرأي في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه
عنده لما يمكرون * ومكر اولئك * وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد
عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم
في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام * هو يبور * اي هو يهلك ويفسد
خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى ابارة بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب
بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن * والله خلقكم من تراب * دليل آخر على صحة البعث
والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا * ثم من نطفة *
اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا * ثم جعلكم ازواجا * اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل
بعضكم زوجا لبعض * وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه * اي ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته * وما يعمر من معمر * اي
من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد * ولا ينقص من عمره * اي من عمر احد على طريقة
قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل
من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب
فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة تعمران
الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة
ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره

يكون من المعمر الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان
ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك
البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات
ودلالة على كمال قدرته العظيمة الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ
بالتخفيف وملح كحذر وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون اي
من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل
والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما تفاوتا فيما هو المقصود بالذات
من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله
اللائق دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من النفع
بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية
دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله
من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي
فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا
عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء
كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر
متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري
اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا
لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روي عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين
بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة
لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده
اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشأن الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة
على ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ
في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية
وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع ولو سمعوا
على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم
فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم
اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه

فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة
في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة
الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال الله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني
على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم
بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بكم والاتيان باخرين
على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى
بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا
غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شيء وان
تدع مثقلة اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه ولو كان
اي المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول
نفي له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون
ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غائب
عنهم واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك
هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والفساد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار
والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا
يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة فانهما من معظم
مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوي
الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد
النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال
لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل
السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل
تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت
بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان
انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه
في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان
يتعلق بقوله تعالى بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة
من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء
بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام
وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية

جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير
كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بها واحد والعطف
لتغاير العنوان ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والروية قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك
الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات
مختلفا الوانها اي اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها او
الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد
اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة
وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف
على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد
لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع
المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار
باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعضهم
مختلف الوانه على طرز قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال
والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات
المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الروية بطريق
الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة
غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالروية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله مختلف
اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ والوانه وقرئ
والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف
طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح
توفية لكل واحد منهما حقها اللائق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل
وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم
به كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم
فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور

للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت
سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القران وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية
تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال
الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقران
الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها
لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ
منها بالحمل قطعا لما ان الباقي مشروعية ما ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القران
واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تكسد ولن تهلك
بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه
اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم
اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور
اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم
المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور
تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو
خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القران
ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه
اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقايد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك
ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان
العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير
عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه الذين
اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم
فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم
بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم الصلوات والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق
رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو
المرجا لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه
علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة

مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح
بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا
انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة
الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف
هو الفضل الكبير من الله تعالى لا ينال الا بتوفيقه عز وعلا جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل
السبب منزلة المسبب او مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق
الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول
الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنة عدن
وجنات عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال
مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة من ذهب من الاولى
تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كأنه افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب
عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم
فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض
والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر
انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله
الا الله وحشة في قبورهم ولا في حشرهم ولا في مسيرهم وكأني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون
التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين
الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان
يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب
نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل
المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور
مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ نجازي
وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ المستعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما
عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين
خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي

والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه
من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي
ذلك عن علي رضي الله تعالى عنهم وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ
اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى
قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الى آخره لانه في معنى قد شرحنا الى آخره والمراد
بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات
والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم
انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها
هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء
والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها
او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة
فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته
وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده
شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين القبيحين
بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم
والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء
لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال
من ارأيتم كأنه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا
ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الى آخره وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال
الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة ان تزولا
او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد
من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد
العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما

وكانا جديرين بان تهدا هدا قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو
زالتا • واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم • بلغ قريشا قبل مبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها
احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة • فلما جاءهم نذير • واى نذير اشرف الرسل عليهم السلام
ما زادهم • اى النذير او مجيئه • الا نفورا • تباعدا عن الحق • ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اى المكر
السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس فظن سكونا او وقفة
خفيفة وقرئ ومكرا سيئا • ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون • اى ما ينتظرون • الا سنة الاولين •
اى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم • فلن تجد لسنة الله تبديلا • بان يضع موضع العذاب غير العذاب • ولن تجد
لسنة الله تحويلا • بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه
ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد
انتفائهما • اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • استشهاد على ما قبله من جريان
سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم
الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اى اقعدوا في مساكنهم ولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم • وكانوا اشد منهم قوة • واطول اعمارا فما نفعهم
طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى • وما كان الله ليعجزه من شيء •
اى ليسبقه ويفوته • في السموات ولا في الارض • اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة
وقوله تعالى • انه كان عليما قديرا • اى مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها
تعليل لذلك • ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا • من السيئات كما فعل باولئك • ما ترك على ظهرها • اى
على ظهر الارض • من دابة • من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو
المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضد الاول قوله • ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • وهو يوم القيامة
• فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا • فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وآياتها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

• يس • اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه
وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين
بالنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول
ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف
في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة
لمفرد مثل طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتاتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب
اسماء السور من كتابه وقيل هي حركة بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح

والكسر تحريك لطلب الخفة في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله • و
القرآن • بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم •
الحكيم • اى المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون
الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان • انك لمن المرسلين • جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه
السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه تعالى من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص
القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه
المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون
الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى • على صراط مستقيم • خبر اخر لان
او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان
ان شريعته عليه السلام اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عليه
السلام من جملة المرسلين بالشرائع • تنزيل العزيز الرحيم • نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه
منزلا من عند الله تعالى كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه
بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترهيبا
وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل
النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اى نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة
شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تاكيد لمضمون الجملة القسمية • لتنذر • متعلق بتنزيل على الوجوه الاول
وبعامله المضمر على الوجه الاخير اى نزله لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين اى انك
مرسل لتنذر • قوما ما انذر اباؤهم • اى لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون
صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره اباؤهم الابعدون على انها موصولة
او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد
اى لتنذر انذارا كائنا مثل انذار ابائهم • فهم غافلون • على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه
والضمير للفريقين اى لم ينذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله لتنذر
او بما يفيده انك لمن المرسلين واردا لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم
خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اى عما انذر اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى • لقد حق القول
على اكثرهم • جواب القسم اى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه
بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان
وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بالقول
قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى

لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما تقرر قد اوقع فيه الحكم بادخال
جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم
انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم
اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول
وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين
غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون
الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما
تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا
بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين
بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم
محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان
من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم
وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو عليه السلام يصلي
ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم
بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بيان
لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما فصل في سورة البقرة
وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل
منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر
من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب
اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار
كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره
بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر
والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم
احياء او هو اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال
الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من
من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان
وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم
من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول
ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر
لجميع الاشياء مما كان وسيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب

ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة
نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا
لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب
القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب
واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل
وقوله تعالى اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال
من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء
على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم
الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا
غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اي جميعا
انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة
اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ
سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما
حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية
الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس
له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعي بغلام مطموس
العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له البصر فاخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون ارايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان
الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع وهم يحسبون
انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت
في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان
قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن
لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة
في الحجاج ولم يتعرض فيه لمن آمن منهم احد سوى حبيب ولولا ان الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر
ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه
من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا
بعذر من الاعذار قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير
مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء

فيما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام
المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته
تبليغا ظاهرا مبينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء
نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك
قالوا اي لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث
كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها
وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق
بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا ذلك لئن
لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم
اي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اي وعظتم
بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف
بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى
طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير
سببا للشؤم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم
الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة
سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام احد قبل مبعثه وقيل كان
في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم
حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى اتبعوا
من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض
الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم
الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ
من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني
شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة
بل استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست
كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اني اذا اي اذا اتخذت
من دونه آلهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي
لا قادر غيره ولا خير الا خيره في ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين

قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال
الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم
الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى
وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم
لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة
قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله
الحسن وعن قتادة ادخله الله تعالى الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها
وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي
بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية
فقيل قال الخ وانما تمنى علم الكفرة والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم
على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة
وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة
بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه
من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا
منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا
بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك
في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار
شديدة وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام
وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال
لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان
المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم المتحسرون
او تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى
بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق
بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة
على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم
من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك

الم تر ان زيدا المنطلق وان لم يعمل في لفظه ۞ انهم اليهم لا يرجعون ۞ بدل من اهلكنا على المعنى اي الم يروا
كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف
وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل الاشتمال ۞ وان كل لما جميع لدينا محضرون ۞ بيان لرجوع الكل
الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون
معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما
مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ ۞ وآية لهم الارض الميتة ۞ بالتخفيف وقرئ بالتشديد قوله تعالى
آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض
مبتداء والميتة صفتها وقوله تعالى ۞ احييناها ۞ استيناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتداء ولهم خبر
والارض الميتة مبتداء موصوف واحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتداء واحييناها خبره والجملة
خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب
الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض ۞ واخرجنا منها حبا ۞ جنس الحب ۞ فمنه ياكلون
تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ۞ وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ۞ اي
من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الكل
وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ۞ وفجرنا فيها ۞ وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ۞ من العيون ۞ اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على راي الاخفش ۞ لياكلوا من ثمره ۞ متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون
لانه من مبادي الاثمار اي وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادي اثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات
والنخيل واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى
وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون ۞ وما عملته ايديهم ۞ عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه
من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد
الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها ۞ افلا يشكرون ۞ انكار
واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم
او ايتنعمون بها فلا يشكرونها ۞ سبحان الذي خلق الازواج كلها ۞ استيناف مسوق لتنزيهه تعالى
عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته
وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح
الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء
اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه
اي اسبح سبحان اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقيا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق
من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة
لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران

اريد

اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى
تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق
به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه
ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع ۞ مما تنبت الارض ۞ بيان لها والمراد
به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ۞ ومن انفسهم ۞ اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى
۞ ومما لا يعلمون ۞ اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياتها تعالى لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما
لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه ۞ وآية لهم الليل ۞ جملة من خبر مقدم
ومبتداء مؤخر كما مر وقوله ۞ نسلخ منه النهار ۞ جملة مبينة لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار
من السلخ وهي ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب
من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة ۞ فاذا هم مظلمون ۞ اي داخلون في الظلام مفاجاة وفيه
رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض ۞ والشمس تجري لمستقر لها ۞ لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق و
المغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود
اليها الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون
لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ۞ ذلك ۞ اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار
في فهمها العقول والافهام ۞ تقدير العزيز ۞ الغالب بقدرته على كل مقدور ۞ العليم ۞ المحيط علمه بكل معلوم
۞ والقمر قدرناه ۞ بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له ۞ منازل ۞ وقيل قدرنا
مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل
القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو
المؤخر الرشا وهي بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله
وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس ۞ حتى عاد كالعرجون ۞ كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون ۞ القديم ۞ العتيق وقيل هو ما مر عليه
حول فصاعدا ۞ لا الشمس ينبغي لها ۞ اي يصح ويتسهل لها ۞ ان تدرك القمر ۞ في سرعة السير فان ذلك يخل
بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتسنى لها الا ما قدر لها ۞ ولا الليل سابق
النهار ۞ اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره ۞ وكل ۞ اي وكلهم

على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض
لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها
في فلك يسبحون • يسيرون بانبساط وسهولة • واية لهم انا حملنا ذريتهم • اولادهم الذين يبعثونهم
الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم
بالذكر لان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع • في الفلك المشحون • اي المملوء وقيل هو فلك
نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص ذرياتهم بالذكر
دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه اية • وخلقنا لهم من مثله • مما يماثل الفلك
ما يركبون • من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى
مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته
وحكمته حسبما يعرب عنه قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب
لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار • وان
نشأ نغرقهم • اما من تمام الاية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجبه من جرائمهم
ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل كلام وقع
في خلال الاية بطريق الاستطراد او لكمال التماثل بين الابل والفلك وكانهما نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق
فلا صريخ لهم • اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم
الصريخ • ولا هم ينقذون • اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى • الا رحمة منا ومتاعا • استثناء
مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء
الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحيوة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة
ما يقابل التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع • الى حين
اي الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولو سلم الكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام • واذا قيل لهم اتقوا • بيان
لاعراضهم عن الايات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الايات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم
فيها اي واذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الايات او بغيره اتقوا • ما بين ايديكم وما خلفكم • من الآفات
والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع
النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر • لعلكم ترحمون • اما حال من واو اتقوا او غاية
له اي راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى
وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين •
انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبالدلالة لانهم حين اعرضوا
عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه
وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع

مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا
عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرآنية التي من جملتها
هذه الايات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها
الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات
وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الايات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور
تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده
بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال
الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض
حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على انها حال
من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم
من اية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم اية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم
عنها • واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله • اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك
تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك
الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله
على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره • قال الذين كفروا • بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا
بمكة • للذين آمنوا • تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى • انطعم • حسبما تعظوننا به
من لو يشاء الله اطعمه • اي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين
قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي زعموا
انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق
بذلك وما هو الا فرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء و
توفيقهم لذلك • ان انتم الا في ضلال مبين • حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا
لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين •
اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين لانهم
ايضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار
قرب العهد بالوعد • ما ينظرون • جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون • الا صيحة واحدة • هي النفخة الاولى تأخذهم
مفاجأة • وهم يخصمون • اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى
فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا يزعموا انها لا تأتيهم واصل يخصمون
يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء
على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان
لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله • فلا يستطيعون توصية • في شيء من امورهم ان كانوا
فيما بين اهليهم • ولا الى اهلهم يرجعون • اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا

ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اى ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها
فاذا هم من الاجداث اى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق ينسلون
يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اى في ابتداء
بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب
من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز
واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم ان الله تعالى يرفع
عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون
ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اى من رقادنا او اسم مكان اريد
به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة
العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه
وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم
ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسالوا عن الباعث وقيل هو من كلام
الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة
لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت
اى ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فاذا هم
جميع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب (اى مجموع)
ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
اى الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه
على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اى بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين
يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب
المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ
زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي
في هذه الحكاية مزجرة لمن الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذي
يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد
ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ
التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة
الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا
يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم
فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام

مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر لها اى انهم مستقرون في شغل واى شغل في شغل
عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب
المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل
بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف
وهي لغة كنطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم
لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبره والجاران صلتان
له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلق به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف
الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون
مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالنصب على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن
في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او هو بضمير هو حال من المعطوفين
والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة
وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة
الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان
ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اى لهم فيها فاكهة كثيرة
من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم
الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه نحو خرج به زيد ما الزيادة التقرير بالتحقيق بعد
التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما كان
فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم
كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما
يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة
والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل
بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وقال
الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعو اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال
بمعنى الرحل ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل مما
يدعون او خبر لمبتدأ محذوف وقوله قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو
صفة له كانه قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اى يسلم عليهم
من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون
عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد
الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اى ما يدعون سالم لهم
خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص

وقيل هو مبتدأ الخبر محذوف أي ولهم سلام أي تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا
مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى وهو منتهى
وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا أو قيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية أي لهم مرادهم
خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف إما على الجملة السابقة
المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لكن لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح
عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف
ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين
وحاليهما وإما على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل إثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم
بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم أيها المجرمون إلى مصيركم وعن قتادة
اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر
فليمتازوا فمعزول من السداد لما أن المحكي عنهم ليس مصيرهم إلى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الأمر المذكور
عليه بل إنما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المرتقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لأن مناط
الأمر انسياق الأفهام إليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لا انتقال
المقام من الملكة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه وأسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية
يكون التصدي لإضمار شيء يتعلق به إخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا
الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والإلزام والتبكيت بين الأمر بالامتياز وبين الأمر
بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا
ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم السلام من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين
وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور
بني آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة
عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة
التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ إعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحهد
بالحاء مكان العين وأحد بالإدغام وهي لغة بني تميم إنه لكم عدو مبين أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب
الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وأن اعبدوني عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعهد
الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان
وفي عبادتي وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى
هذا صراط مستقيم فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى
هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن
جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الخالية بسبب طاعتهم

للشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم
والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبفتحتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين
وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا
بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم
بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها
والفاء في قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم
تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب
وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت
عند إشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم أي ادخلوها وقاسوا
فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم أي نمنعها عن الكلام التفات
إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيذان
بأن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا أيديهم و
تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم
فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني
لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الأركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور
آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم
على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الطمس تعفية
شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لطمسناها وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن عدم الطمس
على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل
بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط
أي فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو بتضمين الاستباق
معنى الابتدار أو بالظرفية فأنى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وإبطال قواهم على مكانتهم أي مكانهم إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم أي لمسخناهم
مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون أي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة وعن ابن عباس قردة وخنازير
وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد

بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما
شاهدوا من اثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما يفعل بهم في الاخرة عقوبة الختم وان
المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على سنن
الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس
ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة
شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس
افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم
ايقاعهما لعدم تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال
لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام من انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران على معنى ان القران
ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على
خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام
الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله
انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتاتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له كما جعلناه
اميا لا يهتدي للخط ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد
اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقران اي وما ينبغي للقران ان يكون شعرا ان هو اي القران الا
ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال الله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقران مبين اي
كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرا في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل
بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا لينذر اي القران او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ
لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان حيا اي عاقلا متاملا فان الغافل
بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول
اي تجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم
عن اثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة
منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة انا
خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل
اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتاخيره
عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم
منبئا عن كون المؤخر امرا نفاعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني
المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه
المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون الاية اي فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية لدلالة على

على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها
لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها
متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك راس البعير ان نفرا والاول هو الانسب ليكون قوله تعالى وذللناها لهم تاسيسا لنعمة على حيالها
لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق
قوله تعالى فمنها ركوبهم فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم
اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه
كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها ياكلون اي وبعض منها ياكلون
لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها
وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون اي
ايشاهدون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اي متجاوزين
الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة الهة من الاصنام
واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا
لهم في الاخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم الخ استئناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم
وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر الهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم اي لالهتهم جند محضرون
يشيعونهم عند مسيرهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده
سياق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون
عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه
لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم فبمعزل من ذلك
والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهي له عليه السلام عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه
المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب
كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم
الاصنام الهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء الهتنا وانهم شركاء لله تعالى في المعبودية
وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن المنقول من حزن اللازم
وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار
فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا
شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى
لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق
حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب

قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بالحالة الاولى متقدم على تعلقه بالحالة الثانية حقيقة ۝ اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة ۝ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل
شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام
واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة
للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي الم يتفكر
الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الخ اوهي عين الجملة السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق و
تمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا
عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل
فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى للاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى
لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني
ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم
الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما راى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار
متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى
فاذا هو خصيم مبين ۝ اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجيب
كانه قيل اولم يروا انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته
شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة
من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم
ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد عليه السلام ان الله تعالى يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد ان الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم
نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا
رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت
الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى ۝ وضرب لنا مثلا ۝ معطوف حينئذ
على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار والتعجيب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ
خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل
وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار
وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى
ونسي خلقه ۝ اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار
والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى ۝ قال ۝ استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا
من حكاية ضرب المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال ۝ من يحيي العظام ۝ منكرا له اشد النكير
مؤكدا له بقوله وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى
للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار

الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني في هو احياؤه تعالى لها فانه امر
عجيب في زعمه فهو استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع
لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار
او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك
بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحيوته كالشعر
ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل
تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشادا الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشاها
اول مرة ۝ فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها ۝ وهو بكل خلق عليم ۝ مبالغ في العلم بتفاصيل
كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها
وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا
من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب
او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت
وقوله تعالى ۝ الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ۝ بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته
على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجار ان
متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل
منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى
فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله ۝ فاذا انتم منه توقدون ۝ فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر
مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرا عليه
اليبوسة والبلى وقوله تعالى ۝ اوليس الذي خلق السموات والارض ۝ الخ استيناف مسوق من جهته عز وجل
لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يجابهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي
خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم ۝ في الصغر والقماءة بالنسبة
اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى ۝ بلى ۝ جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام
الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى
وهو الخلاق العليم ۝ عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا
وكما انما امره ۝ اي شانه ۝ اذا اراد شيئا ۝ من الاشياء ۝ ان يقول له كن ۝ اي ان يعلق به قدرته
فيكون ۝ فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الامر المطاع
الى المامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول ۝ فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء ۝ تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شانه تعالى وقد مر

تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شئونه تعالى موجبة لتنزيهه وتنزيهه اكمل ايجاب
كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك
كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والية ترجعون لا الى غيره وقرئ
ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي
في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما
قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل
حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان
وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس والله تعالى اعلم

سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع
نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها
المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله وانا لنحن الصافون
وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما ينيط
بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر
الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما
اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم
الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو
ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة
على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن
على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف
الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه واحكامه
وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص او طوائف قوادهم الصافات
لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله وذكره وتسبيحه في تضاعيف
ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة
على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف
المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير

من قو

من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات
القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق
الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب
السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود
الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان
لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد
بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا
تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين
ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة
الكواكب بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاعها
بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب
بيانا لها ويجوز ان يراد بالزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب
بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب
اياها والاصل بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها والاصل بزينة الكواكب
والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر
متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك
الثامن وما عدا القمر من السيارة في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى
كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد اي خارج عن الطاعة برمي الشهب
واما بجعله مفعولا له واما بتقدير فعل مؤخر متعلق به كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى
انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام
مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب
ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان
يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذفت ان
وبقي رفع الفعل كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده
فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ
الاعلى الملائكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء
اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود
اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد
وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم
عذاب واصب اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا
لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد

والخلس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلها اختطف فاتبعه شهاب اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضيء
في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا
وانما يعود من يسلم منهم طمعا في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة اهم اشد خلقا
اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما
والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك
لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم
وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم
سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على خلق الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث
ويسخرون من تعجيبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث
عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله ويسخروا ممن يجوزه والعجب
من الله تعالى فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا اي دابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل
على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا راوا اية اي معجزة تدل على صدق القائل به
يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان
هذا اي ما يرونه من الاية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان
بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل
عليه مبعوثون في قوله تعالى ائنا لمبعوثون اي نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد واحد
منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة
في ان للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور
فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح
الثانية فقط اوآباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون
ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية
مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا واياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم
فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او آباؤنا قل نعم تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون
لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء
وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي ما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة
جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي او لا تستصعبوه فانما هي والزجرة
الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء
ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق

على التحقق والتقرر يا ويلنا اي هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم
الويل بطريق الاستيناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا
انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم
الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فريق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله
عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم
ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم
من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة
في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان
الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم
اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به
من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسؤولون ايذانا من اول الامر بان ذلك
ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان
ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع
والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت
تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ
اشد وقعا وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون
خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر
واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم
بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تاتوننا في الدنيا
عن اليمين عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم
فضللنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن
بالسانح او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون
انهم على الحق قالوا استيناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تتصفوا بالايمان
بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر
وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اي
لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون
اي العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم
الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا
امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين

في الغواية ۞ انا كذلك ۞ اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية ۞ نفعل بالمجرمين ۞ المتناهين
في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى ۞ انهم كانوا اذا قيل لهم ۞ بطريق الدعوة والتلقين
لا اله الا الله يستكبرون ۞ عن القبول ويقولون اينا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق
المرسلين ۞ رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة
الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة ۞ انكم ۞ بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول
عليه السلام والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم ۞ والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب
العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل ۞ وما تجزون
الا ما كنتم تعملونه منها ۞ الا عباد الله المخلصين ۞ استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به
مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء
من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا
مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه يسوغ ضمير
الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك
اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا
بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبر له وقوله تعالى رزق ۞ مرتفع على الفاعلية
بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء
اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم ۞ اي معلوم
الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه ۞ اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق
فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة عن
التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها ۞ وهم مكرمون ۞
عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم
بغير تعب وسؤال كما هو شأن ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد ۞ في جنات النعيم ۞ اي في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر ۞ يحتمل الحالية
والخبرية فقوله تعالى متقابلين ۞ حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين وقد جوز
كونه صفة لمكرمون بكأس ۞ باناء فيه خمر او بخمر فان الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت
على لذة واخرى تداويت منها بها ۞ من معين ۞ متعلق بمضمر هو صفة لكأس اي كائنة من شراب معين او من نهر
معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به
الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر ۞ بيضاء لذة للشاربين ۞
صفتان ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه

ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم ۞ لا فيها غول ۞ اي غائلة
كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ۞ ولا هم عنها ينزفون ۞ يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه
فيما قبله من نفي الغول عنها لانه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص
او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما ۞ وعندهم قاصرات الطرف ۞
قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم ۞ عين ۞ نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين
كأنهن بيض مكنون ۞ شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك
احسن الوان الابدان ۞ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ۞ معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون
على الشراب كما هو عادة الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون
عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع
حتما ۞ قال قائل منهم ۞ في تضاعيف محاوراتهم ۞ اني كان لي ۞ في الدنيا ۞ قرين ۞ مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ
بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ۞ ائنك لمن المصدقين ۞ اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
والاول هو الاوفق لقوله تعالى ۞ ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون ۞ اي لمبعوثون ومجزيون من الدين
بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه
الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك
من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم
ترابا وعظاما لتأكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث ۞ قال ۞ اي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه
في الدنيا ۞ هل انتم مطلعون ۞ اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى
او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم
قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار ۞ فاطلع ۞ اي عليهم ۞ فرآه ۞ اي قرينه ۞ في سواء الجحيم ۞ اي في وسطها وقرئ
فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وقرئ فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال
طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع
ففعلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن
الملك فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي ۞ قال ۞ اي القائل
مخاطبا لقرينه ۞ تالله ان كدت لتردين ۞ اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة
من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشأن كدت لتردين ۞ ولولا نعمة ربي ۞ بالهداية
والعصمة ۞ لكنت من المحضرين ۞ اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك وقوله تعالى ۞ افما نحن بميتين ۞ رجوع
الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم
والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي

بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال
قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة انهم لا يموتون
فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمون فيقولون
ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة
مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل
تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون
اي لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام
وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير
للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم
التي حاصلها الالم والغم وقيل النزل ما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق
المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة
مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة
وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان
يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها
في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع
النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤس
الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه وان
كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها
وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم
وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها
او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون
منها الى ان يتملوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به اصلا
اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير
ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون
ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين
من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد كثير وذوي

وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء
بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار
ولم يرفعوا اليه رأسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث
كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثني عنهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم
الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى
ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء
عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط
وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء
كقوم يونس عليهم السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا
ما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا
ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف
ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل
من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم وهم الذين بقوا
متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام
وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك
ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد
على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة
وقيل ثمة قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور
ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة
وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان
وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل
ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا المؤمنين
تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا
الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه
في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي
او اكثري وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة
المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة
واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم

اي من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله تعالى ومعنى مجيئه ربه اخلاصه له كأنه جاء به
متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي
اي شيء تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك
تقديم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم
ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك
في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين
اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم به اختص مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء
حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة
في النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة
فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب
لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين
ارادوا ان يخرجوا به الى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم
على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا
منه الى معيدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ اي
الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اي من الطعام
الذي كانوا يضعونه عندها للتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى
ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا
او هو حال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى
الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله اذا ما راية رفعت
لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوي الكلام ويؤكده وقيل بسبب
الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي المامورون باحضاره عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم
الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فاقبلوا اليه يزفون حال من واو
اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف
اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون
من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اي بعد ما اتوا به عليه السلام وجرى بينه وبينهم
من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون
مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها
وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب
وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث
نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام

الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما
مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل المعنى وان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف
على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة
التاجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء فارادوا
به كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين
الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني
الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث امرني ربي بالتجرد فيه لعبادته
سيهدين اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او للبناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع
رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة
على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا
ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات
ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح
فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم
بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعدا تعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى
فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح
به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا
عنده اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي
لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه
وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابراهيم عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى
هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان
فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة
الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد
وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب
اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل
الله تعالى له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير
رضي الله عنهما ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا

وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اُرى بضم الياء فيهما فانظر
ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت
قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله
وقرئ ماذا تُرى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار او لا
على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او افعل
امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان
الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح
او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم
واستسلم بمعنى واحد وقرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان
ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه
على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة
تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر
الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته
وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك
وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعده وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق
البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق
احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي
المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام
كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين اي الابتلاء البين الذي
يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم
به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين
قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى
في الجنة حتى فدي به اسمعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم
عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض
له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبرائيل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى
هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم قد سلف بيانه في
قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما

فيما سبق فلا تكرار وعدم تصديره بانا لاكتفاء بما مر آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين في الايمان
على وجه الايقان والاطمينان وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين
وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط
وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود
اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر
الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها
لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا
ومن ذريتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر
ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب
ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما
وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم من تغلب ال فرعون وتسلطهم عليهم بانواع الغشم والعذاب كما في قوله تعالى
واذ انجيناكم من ال فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما
وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما
في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود
مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي
يتحقق مدلوله بحصول نجاة المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل
مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها واتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ
في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل
الشرائع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الاخرين
هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه
انهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون
اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ وان ابليس وقرئ الياس
بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير
منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون
ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون
بعض البعول وتذرون احسن الخالقين اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح
به بقوله تعالى الله ربكم ورب ابائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء
والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لابائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان اراء ابائهم ايضا فكذبوه فانهم

بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص
بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين هو
لغة فى الياس كسيناء وسينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا
جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف منفصلان فيكون ياسين ابا الياس
انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اى اذكر وقت
تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين اى الباقين فى العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الآخرين
فان فى ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم فى متاجركم
الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى
ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون
افتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ
بكسر النون اذ ابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه
الى الفلك المشحون اى المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله
المزلق عن مقام الظفر روى انه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به فركب
السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم
بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى الظلمات
ببطن الحوت
وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة
فى الرخاء للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه
فى السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه
سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل
اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى
التقم فيه روى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم
مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما
ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا
اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل
باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه
الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اخبر اولا بانه من المرسلين
على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه الى الفلك وما بعده بينهما
لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعليقهم

وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذى يحكى بعد لم يكن
عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال اخر اليهم وقيل
الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد
هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اى بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم
اى بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر
القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل
المذكورين فى آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم
بتبكيت قريش وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة
بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عنده ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين
وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين
على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها انهم من عباده تعالى
واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء
عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد
الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله
والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان
ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة
بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك
علوا كبيرا ولم ينظم فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك اى فاستخبرهم الربك البنات التى
هى اوضع الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شئ من العقل
وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا الخبر
اى بل خلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع
اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم
كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور
لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل
بانوثتهم شاهدوا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اى بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون
حينئذ او عطف على خلقنا اى بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه
ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون
فى قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف اى الملائكة ولده تعالى عن ذلك
علوا كبيرا والولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين

والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن
عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى البنات تعسف بعيد ما لكم كيف
تحكمون بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ
تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل
كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم بالادخال
تحت الوجود واصلا اي بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له
من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم
صادقين فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد
لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من
تأمل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم
عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس
واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك
وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا لهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين المخلوق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي
اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة
ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان
ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون
لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس
هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي
اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا
بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم
لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى
او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه
الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا
عباد الله المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة
ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء
من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر
ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون
عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه الايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن
وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعليه متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه

والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال
الجحيم منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم
فانهم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم براء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه
به وقرئ صالُ بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا
له مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا
وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له مقام
معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا
لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس
ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي انه عليه السلام قال اطت السماء وحق
لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى
وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن
الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون
التأكيد لابراز صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر
في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا
من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا
العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء
في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر اي ذكر
سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته و
لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق
مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون
وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك
انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف
ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا
نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها
في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين اي مدة يسيرة وهي مدة الكف
عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على اسوأ حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر
والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف
للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل
فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هزمهم فاناخ بفنائهم بغتة
فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح و

وقرئ نُزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نُزِّل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب • فساء صباح المنذرين • فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكان فيه اخار رجعين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين • وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية من التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى • وسلام على المرسلين • تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى • والحمد لله رب العالمين • اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من فنون النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآياتها ثمانون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ص • بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان

ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى • والقرآن ذي الذكر • للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا او كون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى • بل الذين كفروا في عزة وشقاق • اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة لان ثمة ريبا فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه • كم اهلكنا من قبلهم من قرن • وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية • فنادوا • عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى • ولات حين مناص • حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ووقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس • وعجبوا ان جاءهم منذر منهم • حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا

من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا
خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه ¤ وقال الكافرون ¤
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر ¤ فيما يظهره من الخوارق ¤ كذاب ¤ فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال ¤ اجعل الآلهة
الها واحدا ¤ بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ¤ ان هذا لشيء عجاب ¤ بليغ في العجب وذلك لانه خلاف
ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون
وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار
تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا
في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجّاب بالتشديد وهو ابلغ ككرّام
وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب
فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال
صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله
عليه وسلم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ¤ وانطلق الملأ منهم ¤ اي وانطلق الاشراف
من قريش عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه
عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب
من المصالحة على الوجه المذكور ¤ ان امشوا ¤ اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا ¤ واصبروا
على آلهتكم ¤ اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان مفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت
المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار
القول وقرئ يمشون ان اصبروا ¤ ان هذا لشيء يراد ¤ تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا
الذي نشاهده من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته
عليه السلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر
يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته
وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء
المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه
الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب
ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ¤ ما سمعنا بهذا ¤
الذي يقوله ¤ في الملة الآخرة ¤ اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز

ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة
ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ¤ ان هذا ¤ اي ما هذا ¤ الا
اختلاق ¤ اي كذب اختلقه ¤ أأنزل عليه الذكر من بيننا ¤ ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال
هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي ¤ بل هم في شك
من ذكري ¤ اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم
ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق ¤ بل لما يذوقوا عذاب ¤
اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع
والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ¤ بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى
يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان
النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ
الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ¤ ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ¤
ترشيح لما سبق اي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير
الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى ¤ فليرتقوا في الاسباب ¤ جواب شرط محذوف اي ان
كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر
العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو
الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها ¤ جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ¤
اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة
للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم
من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى ¤ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ¤ الى آخره
استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب
وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير
لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل
ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب
اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان
يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب
بها بين يديه ¤ وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة ¤ اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله
¤ اولئك الاحزاب ¤ اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه
وفيه فضل تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ¤ ان كل الا كذب الرسل ¤

استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من احاد اولئك الاحزاب
الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدا
اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه
بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب
على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتنويع تكذيبهم وبالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة
عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع
على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها وانا مبتدا وقوله
ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اي ان كل منهم والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما
فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدا وخبر والمعنى
ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه
خبر والمبتدا قوله تعالى وعاد الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر
هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر عنهم بما سبق بانهم
جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه فعلى وفي الاشارة اليهم
بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم والاجمالية اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم
في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق
من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم
امر منتظر واما الذين في عهد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد
العقوبات مثل ما ارتكبه الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين
هم امثال اولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها
بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد
لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله
عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا
عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم
ما لها من فواق اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق
الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة
والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها
اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة
فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم
يدعون ذلك بمقال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر عبدنا داود

اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه السلام مع علو
شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما اتى بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملك بالتمثيل والتعريض حتى
تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء
الكفرة الاذلين من كل ذليل المنكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته عليه السلام وصن نفسك
ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا الايد اي ذا القوة يقال
فلان ايد وذو ايد واد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل
لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم
نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة
بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض
التصرف الكلي فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام
والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء
يسبحن اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن
معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال
او استئناف مبين لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله
عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت
صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير عطف على الجبال محشورة حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها
محشورة عن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير
محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له اواب استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح
الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع
التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله
تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وعلا اي كل من داود والجبال
والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة
فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذني بهذا
الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه
وعظمت هيبته في القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع
وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص
الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة
وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر

وهل اتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء
البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد
وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور
الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم
الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه
على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم
روى انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه
جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء
قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال
بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام
كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اى
نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب
فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط
ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط
طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي استيناف لبيان
ما فيه الخصومة اى اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته
اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اى نصيبي وعزني في الخطاب اى غلبني في مخاطبته اياي محاجة
بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اى غالبني
في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اى غالبني وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب
كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة
في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك
بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته
الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم
ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كحذف الياء الخلطاء بالكسر بعضهم على بعض
غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان
وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن
مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما

الى صاحبه فضحك ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص
الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما
هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها
كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا
بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يغايره من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يغايره ويقيده وهو اثره
في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد
القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة
لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه
ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه
وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيا من التصريح
به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على ان
اوريا بصدد المخاصمة فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اى ساجدا على تسمية
السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اى مصليا لانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اى رجع الى الله
بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها
فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا
فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان
الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع
مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس
له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه
ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها
وكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات
يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة
من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة
قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى
يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه
خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه
الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله
عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء

صلوات الله تعالى عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده
اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهمّ بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر
ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة
لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه
دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له
يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له
عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف
على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين
اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بيّن على ان حاله عليه السلام
بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية
له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب
على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا
لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله
تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة
الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع
على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون
تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه
اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى
لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله
سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا
السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى
فتدبر وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب
والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا
اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين
ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات
العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها
القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها
كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا
لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم
فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة

عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة
ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعليته له
ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما
كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم
اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم
خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه
وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب
عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال
فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى
ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين
على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار
على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار
وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى
في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله
انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف
الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية
وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة
عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ
ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا
الالباب اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته
لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه
مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى انه اواب اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له
تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا
واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي هو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه
يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتحقق
الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع
جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان
جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت

رباعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر
على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر
وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى وبقي ما لم يعقر فما في ايدي الناس
من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت
حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة
وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه
والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه
بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي
ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها
قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقرئ اني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله احببت
باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت
اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل
الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام
ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا
قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا
فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها
عليه فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته
اي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو
لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع
لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام
ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله
فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل
على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن
الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا
لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف
بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى
باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه
وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه

فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم
فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين
صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب
صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر
سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ
التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي
اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون معجزة لي مناسبة
لحالي فانه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي
لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمه كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان
يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا
على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ من بعدي بفتح الياء انك انت
الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية
قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة
وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها رخاء حال اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة
لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد واراد وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف
على كل بناء داخل في حكم البدل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص
ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة
فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور
بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده و
اصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى هذا الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة
لعظم شأن ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال
من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك
العظيم والبسطة والتسلط على ما لم نسلط عليه غيرك عطاؤنا اي الخاص بك فامنن او امسك فاعط
من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض
التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما
اعتراض على التقدير الاول وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد
وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان

يكون هو

عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود
الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام
الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد
الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء
المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه عليه السلام مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى
وغزى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم • واذكر عبدنا ايوب • عطف على اذكر عبدنا داود
وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو
ابن عيص بن اسحق • اذ نادى ربه • بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له • اني مسني الشيطان
بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها • بنصب • اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل
وعذاب • اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو
حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل
بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه
واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء
والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق
لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله • وانت ارحم الراحمين • فاكتفى ههنا عن ذكره
بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا • وقوله تعالى • اركض برجلك • الى آخره
اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى
هذا مغتسل بارد وشراب • فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف
على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك
وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم • وقوله تعالى • ووهبنا له
معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به
من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم
كما قيل • ومثلهم معهم • عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل • رحمة منا • اي لرحمة عظيمة
عليه من قبلنا • وذكرى لاولي الالباب • ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم
كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة • وخذ بيدك ضغثا • معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا
اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته
رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال • فاضرب به • اي بذلك الضغث • ولا تحنث • في يمينك فان البر
يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب

ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب • انا وجدناه
صابرا • فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني
العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان
نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان
ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت
يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه • نعم العبد
اي ايوب • انه اواب • تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى • واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب • عطف
بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل بدل وقيل نصب باضمار
اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع • اولي الايدي والابصار • اولي
القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها
تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين وانهم كالزمنى والعماه وتوبيخ
على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع
الجمع • انا اخلصناهم بخالصة • تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى • ذكرى الدار • بيان للخالصة
بعد ابهامها للتفخيم اي تذكيرهم الدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح
انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون ويذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك
الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى
اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق
الذي ليس لغيرهم • وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار • لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير
والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت • واذكر
اسمعيل • فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير • واليسع
هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع
كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع ودخل
عليه حرف التعريف وقيل هو علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع • وذا الكفل • هو ابن عم يسع
او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل
بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة • وكل • اي وكلهم • من الاخيار • المشهورين بالخيرية • هذا
اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم • ذكر • اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر
الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء • وقوله تعالى
وان للمتقين لحسن مآب • شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب

التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك
مدحا بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما
تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح
وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب
مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف
واللام القائمة مقامه كما هو راي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما
خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين
والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل
المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لداتهم
فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه
يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء
ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات
لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى
وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها
اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي
فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدا خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين
خبر مبتدا محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب
ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين
وآخر من شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ
واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق
او هو راجع الى الغساق ازواج اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة
او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة
قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء
على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقول او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت
بهم الدار رحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم
الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا
من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند

عند سماعهم ما قيل في حقهم وجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الوجهين الاخيرين
ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة
بل هم لا مرحبا بهم الى آخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا
في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى
انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم
ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا
باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية
الرؤساء عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين
ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا
اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب
وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم
سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب
قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم
على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم او الازدراء بهم وتحقيرهم وان
ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها
منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عمرو وعلى معنى
توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم
بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم
في النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة
مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لا بد
من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام
اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب
على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف
باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله
الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض
وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار
المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد والوعيد للموحدين والوعيد
للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة والتوفيق مقام

مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لابد من الاعتناء به
امرا وايتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف
بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة
الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله انتم عنه معرضون
استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه
مع عظمه وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى
ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الخ استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر
نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك
حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى
هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه
المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه
بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم وتقديم الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام
غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار
ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلابد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام
وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم
ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم
الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا
لقوله تعالى قل انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى
اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية
التي من جملتها حالهم الا لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي
اليه وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير
الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه
من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني خلا عما يساعده
سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام
وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل
ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد
الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي
اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتشريفه والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر
لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى آخره

دون حال المأمور واليه تعالى لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة
المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما
كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي
لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين
لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة
الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح
الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة
بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري
فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين
تحية له واكراما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم
احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى
بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب
على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه
من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما ينبئ عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي
كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة
طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس
استثناء متصل لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه
ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى
استكبر على الاول استيناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان
يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس
استكبر وكان من الكافرين اي صار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم
الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام
والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد
التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين
المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار
بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون
وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطأ
اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى
لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية
وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة

في الارض وان له خواص ليست لغيره ﴿قال فاخرج منها﴾ الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة
للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اى فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط
لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين
كيفيته وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التى كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته
فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله
﴿فانك رجيم﴾ تعليل للامر بالخروج اى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب ﴿وان عليك لعنتى﴾ اى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان
عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه
بلعنة الله وابعاده من الرحمة ﴿الى يوم الدين﴾ اى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال
فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى انموذج مما سيلقاه مستمر الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ
كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة
وتصير كالزائل الا يرى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن
بعضهم بعضا ﴿قال رب فانظرنى﴾ اى امهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذ جعلتنى
رجيما فامهلنى ولا تمتنى ﴿الى يوم يبعثون﴾ اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة
لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث ﴿قال فانك من المنظرين﴾
ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك
دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان
استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة
اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ﴿الى يوم الوقت المعلوم﴾
الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤول فالفاء ليست
لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترحم فانت لذاك اهل
فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار
بتلك الاهلية بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ذكرهما ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من الوجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام
تقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار
ان اقتضى احد الوجوه الحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة
الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز
فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه ﴿قال فبعزتك﴾ الباء للقسم والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله تعالى رب بما اغويتنى فان اغواءه تعالى
اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل
اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر فاقسم بعزتك ﴿لاغوينهم اجمعين﴾ اى ذرية

اى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته
وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى
﴿قال﴾ اى الله عز وجل ﴿فالحق والحق اقول﴾ برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر لمبتدأ محذوف ونصب الثانى
على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى فالحق قسمى
﴿لاملأن جهنم﴾ على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولى
الحق وقوله تعالى لاملأن الخ جواب لقسم محذوف اى والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول
على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة
المتقدمة اعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن
وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق
اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول
على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية ﴿منك﴾ اى من جنسك من الشياطين ﴿وممن تبعك﴾ في الغواية
والضلال ﴿منهم﴾ من ذرية آدم ﴿اجمعين﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه اى لاملأنها من المتبوعين والاتباع
اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن
حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان
اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشياطين بسوء
اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر ﴿قل ما اسألكم عليه﴾ على القرآن او على تبليغ
ما يوحى الى ﴿من اجر﴾ دنيوى ﴿وما انا من المتكلفين﴾ اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة
واتقول القرآن ﴿ان هو﴾ اى ما هو ﴿الا ذكر﴾ من الله عز وجل ﴿للعالمين﴾ للثقلين كافة ﴿ولتعلمن نبأه﴾
اى ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق ﴿بعد حين﴾ بعد الموت او يوم القيامة
او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت
وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن
كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا وقال ابو امامة
رضى الله تعالى عنه عصمه الله تعالى من كل ذنب صغيرا وكبير والله تعالى اعلم

سورة الزمر مكية وآيها سبعون وخمس

﴿تنزيل الكتاب﴾ خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر
المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا
ذكر للعالمين وقوله تعالى ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها
معنى الاشارة او من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه
الاول اوفى بمقتضى المقام الذى هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان
ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار
فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه

ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبإتقانه جميع ما فيه على مقاييس الحكم الباهرة وقوله تعالى
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل
وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضا لتعظيم
ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالإنزال أي بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه
للإنزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه إليك محقين في ذلك أو أنزلناه
ملتبسا بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا
له الدين لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه عليه السلام بالحق أي فاعبده تعالى ممحضا
له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه
مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا
للأمر بإخلاص العبادة وقوله تعالى ألا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص
الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أي ألا هو
الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة لأنه المتفرد بصفات الألوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر
والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء إلخ تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين
الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك إخلاصه والموصول عبارة
عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بإن والأولياء عن الملائكة وعيسى
عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا
مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ
المصدر ملاق له في المعنى أي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم
لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله تقريبا إن الله يحكم بينهم أي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين
وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أي بين أحد منهم
وبين غيره وعليه قول النابغة: فما كان بين الخير لو جاء سالما ٭ أبو حجر إلا ليال قلائل. أي بين الخير وبيني وقيل
ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل
فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي
يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد إليه
وإضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون
أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تعالى إن الله يحكم بينهم أي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه
يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الإغضاء عما فيه من التعسف بمعزل من السداد
كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل
وإنما ذلك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة
وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل إذ ليس في الإخبار بذلك مزيد مزية
وقرئ ما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء إن الله لا يهدي

أي لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار
أي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين
للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى
لو أراد الله أن يتخذ ولدا إلخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى
ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الإطلاق ليندرج فيه استحالة ما
قيل اندراجا أوليا أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لاصطفى أي لاتخذ مما يخلق أي من جملة ما يخلقه أو من جنس
ما يخلقه ما يشاء أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد
جميع ما عداه إليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه
حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد وإليه أشير حيث وضع الاصطفاء
موضع الاتخاذ والذي يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض إرادة
وقوعه انتفاءه أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء أصلا بل
إنما هو اصطفاء عبد ولا ريب في أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو أراد الله
أن يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقق الإرادة بل على أنه متحقق عند
عدمها بطريق الأولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة
اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به
على أن السبحان مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحا لائقا به على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد
أو سبحوه تسبيحا حقيقا بشأنه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
إثر بيان تنزهه تعالى بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان
والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق مما يقضي بتنزهه
تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة
للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء
الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة
على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة
على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد
بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار في الأرض منوط بتحريك السموات أي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه
يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لأمره تعالى
وقوله كل يجري لأجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما أي كل منهما يجري لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر
تفصيله غير مرة ألا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار
المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير
الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة

على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة وتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق
الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان
بحاله اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف
هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها
فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى
لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير
عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة
على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة
وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه بلا اب وام
وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ
او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي
الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لنفعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما
انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطوارهم المختلفة
الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق
مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغة مخلقة من بعد مضغة غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات
ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة
اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله
الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم
فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة
ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى
فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها
ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان
تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان
الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده
الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به وان
تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه
تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة
وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم

مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان
اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو
تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه
في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان
الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل وهو التعهد
اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار
اي جعله يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله فيما سبق الى كشفه
من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى
وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف
مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرفه من هو كما في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة
ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت
عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور
حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين
بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا
قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل
لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان
والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام
المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تأكيدا للتهديد
وتهكما به أانت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا
بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه
خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية
حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه
فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب
للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل
بل امن هو قانت الخ افضل امن هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق
وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت
المذكور والذين لا يعلمون ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام
للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد

يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون
لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور
به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب
الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي
واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك
وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيفصح
به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به
فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى
للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه
الدنيا متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه
بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر
عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء
والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى
المأمور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة
الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة و
المجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده
ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة
الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب اي بحيث لا يحصى
ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به
اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي من كل ما ينافيه من الشرك
والريا وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تعالى
الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما
يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اي وامرت بذلك لاجل ان
اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف
لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه

لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل قوله تعالى
وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي
او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل
الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظم لعظم ما فيه من الدواهي
والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام
اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير
العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم
الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة
على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين
اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم
باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب
السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده
وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم
لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو امنوا واياما
كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم الذين الموصول عبارة عنهم و
كانهم منفردون فيه اندراجا اوليا كما في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استيناف الجملة وتصديرها
بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه
بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل
من النار الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم
متعلق بمحذوف هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة
لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا
ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم ايضا عند رسوخهم في دركاتها ذلك العذاب
الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بايات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة
وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه
بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه
كان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا
عليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور
الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون
بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار

اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل
فالأفضل أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد
للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول أي
أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق وأولئك هم أولوا الألباب
أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه
دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار
بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت
ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها قوله تعالى لإبليس لأملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام
أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة لإنكار مضمونها ثم الفاء لعطفها
على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الإنكار والنفي بمضمونيهما معاً أأنت مالك أمر الناس فمن
حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام
ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب
بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز
أن يكون الجزاء محذوفاً وقوله أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف
منها وتشديد الإنكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير اجتهاده في دعائه إلى الإيمان
بصورة الإنقاذ من النار كأنه قيل أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد الإنكار فقيل أفأنت
تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في النار الذين
قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك منهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم
لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات
الفاضلة وهم المخاطبون أيضاً فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين
أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أي لهم علالي بعضها
فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والإحكام تجري من تحتها من تحت
تلك الغرف الأنهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فإنه
وعد وأي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء استئناف
وارد إما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيباً عن زخارفها
وزينتها وتحذيراً من الاغترار ببهجتها كما في نظائره قوله تعالى إنما مثل الحيوة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق
الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من إنزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته
تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم
يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض أي عيوناً ومجاري كالعروق في الأجساد
وقيل حياضاً نابعة فيها فإن الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الأول بنزع الجار أي

أي في ينابيع ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من الألوان
والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج أي يتم
جفافه ويشرف على أن يثور من منابته فتراه مصفراً من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفاراً ثم يجعله حطاماً
فتاتاً متكسرة كأن لم يغن بالأمس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالإخراج
إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر تفصيلاً وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد
بيانه لذكرى لتذكيراً عظيماً لأولي الألباب لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيهاً لهم على حقيقة
الحال يتذكرون بذلك أن حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا
يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء وإجرائه في ينابيع
الأرض قادر على إجراء الأنهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل إن في ذلك لتذكيراً وتنبيهاً على أنه لا بد من صانع
حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك
بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والأفعال الجميلة من غير إسناد لها إلى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة إلى الله عز وجل
تعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى
أفمن شرح الله صدره للإسلام الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي
الألباب وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل القلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق
بها النفس القابلة للإسلام فانشراحه مستتبع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روي أنه عليه السلام
قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب
وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أي خلقه متسع الصدر
مستعداً للإسلام فبقي على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور
عظيم من ربه وهو اللطف الإلهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء
بها إلى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة
فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي
من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أي إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته
اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً وقرئ عن ذكر الله أي عن قبوله
أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد من الحق مبين ظاهر كونه
ضلالاً لكل أحد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي
الله عنه وأبي جهل وذويه الله نزل أحسن الحديث هو القرآن الكريم روي أن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا حديثاً وعن ابن مسعود وابن عباس قالوا لو حدثتنا
فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم
أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره
عن غيره والتنبيه على أنه وحي معجز ما لا يخفى كتاباً بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء الكتب من المضاف إليه تعريفاً

او لان مساغ مجئ الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله
متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق
والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه
في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه
وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه مثنى في التلاوة وقيل
هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة
ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها
كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه
بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر جلد الرجل اذا تقبض
تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى
زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان
افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى
انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا
رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله اى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند
ذكره تعالى ذلك اى الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه لصرف
مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل
الله اى يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعده
ووعيده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية
والرجاء اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة
قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد يؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه الخ استيناف جار مجرى التعليل
لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير
اكل الناس سواء فمن شأنه ان يقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب
اى العذاب السيء الشديد يوم القيمة لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة
الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت
في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وبال ما كنتم
تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق
لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اى كذب

اى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون
من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اى الذل والصغار
في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اى لو كان من شأنهم ان يعلموا لعلموا ذلك
واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم
يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدار التأكيد هو
الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ
من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اى اراد المثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة
في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها
وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق
اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل
كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه صفة رجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع
به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء
كل من معبوديه عبوديته عبدا اشترك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحير
وتوزع قلبه ورجلا اى وجعل للموحد مثلا رجلا سلما اى خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا
وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اى خلص نعت بها
مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما
يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده
وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما
ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاعل والمفضول وانتصاب
مثلا على التمييز اى هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين
كقوله اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان
الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي
الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة
موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى
وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى
بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس
وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا
يتربصون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اى مالككم

امورکم تختصمون • فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها
ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد
وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى
فمن اظلم ممن كذب على الله فانه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان
لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب
بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
اي في اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تامل أليس في جهنم مثوى للكافرين • اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه
وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار
لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا • والذي جاء بالصدق وصدق به • الموصول
عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون هو وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق
اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التي
هي اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار
صادقا به اي بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء
للمفعول • لهم ما يشاؤن عند ربهم • بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن
الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه
من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة • ذلك الذي ذكر من حصول
كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة • وقوله تعالى
ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا • الخ متعلق بقوله لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير
المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار
فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله
وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله تعالى غرفا فانتصب
به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك
الوعد اسوء الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون • اعطاء لمنافعهم واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل
اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه
وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني
مروان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام
سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار
الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوء

بالله

بالذكر لبيان تكفيره بدونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوء لتكفير السيء لكن لا يمكن ذلك
في الاحسن لان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة
الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة • أليس الله بكاف
عبده • انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده فان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد
ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم
له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة
من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة
فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف
ان تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن آلهتنا او ليصيبنك
منهم خبل او جنون كما قالت قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال • ومن يضلل
الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد • يهديه الى خير ما
ومن يهد الله فما له من مضل • يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته
كما ينطق به قوله تعالى أليس الله بعزيز • غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام •
من اعدائه لاوليائه وفي اظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار تحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لوضوح الدليل ووضوح السبيل قل تبكيتا لهم
أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره • اي بعدما تحققتم
ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن
عن ذلك الضر او ارادني برحمة او ان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعها عني وقرئ
كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة
بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه مضرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة
قل حسبي الله • اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل
ذلك عليه يتوكل المتوكلون • لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم • على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من المعنى
للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم • اني عامل • اي على مكانتي
فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده
ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم اي دائم هو عذاب النار • انا انزلنا عليك الكتاب للناس • لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش
والمعاد بالحق • حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه
اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها • لما ان وبال ضلاله مقصور عليها

فيمنعها

وما انت عليهم بوكيل تجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها
وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند
التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد
منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى
النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك
في احدهما والارسال في الآخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم
يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية
لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها
حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى
شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع
واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه
فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا
ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لان ذلك فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمعنى حينئذ اتخذوا
اولا وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا
يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد
تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان
يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض
تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه
ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد
واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت
كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه
فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ في بيان
حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة
الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية
ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت
من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب

الدنيوي

الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستانف
مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو
ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص
وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره
في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات
اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي احاط بهم
جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب
ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار
عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر
دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه
اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه
كسبه او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى باستحقاقي والهاء ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهذا رد
لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء اعني لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ
بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها
الذين من قبلهم المقالة وهي انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون
وقومه قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات اعمالهم او اجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها
في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان
او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك
والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم
بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد
مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لآيات
دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد وتخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن العظيم لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تيأسوا
من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد
حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله

لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل
عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم
وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله
بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق
والتأكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص
الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم
فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا
الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الاية تدل على
حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القران او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا ان تقول نفس اي كراهة ان
تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم
وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت
وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي يا حسرتي فهذا اوان حضورك
على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي في جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما
تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تزفر وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان
الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى
العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة
على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله
عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد
الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو او على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية
اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك
وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من

فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم
من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو
الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة
لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء
للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي
بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم
كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي
دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر
لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابهما وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد
السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه
لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده
مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ
كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي
مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله تعالى خالق لجميع الاشياء
ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بايات الله التكوينية
المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا
لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تأمروني
اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة
على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز
ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله
تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل
وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان
بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه
وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف
المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن

من الشاكرين . انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وتقديمه . وما قدروا الله حق
قدره . ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤنه
جليلة وقرئ بالتشديد . والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه . تنبيه على غاية عظمته
وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان
تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم
شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية
بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان
المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها . سبحانه وتعالى عما يشركون . ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء . ونفخ في الصور . يعني النفخة الاولى . فصعق من
في السموات ومن في الارض . اي خروا امواتا او مغشيا عليهم . الا من شاء الله . قيل هم جبرئيل
وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش . ثم نفخ فيه اخرى . نفخة اخرى هي النفخة
الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع . فاذا هم قيام . قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب
على ان الخبر . ينظرون . وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل بهم . واشرقت الارض بنور ربها . بما اقام فيها من العدل المستعير له النور لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير
الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل . ووضع الكتاب .
الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى
باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف . وجيء بالنبيين والشهداء . للامم وعليهم
من الملئكة والمؤمنين وقيل المستشهدون . وقضي بينهم . بين العباد . بالحق وهم لا يظلمون . بنقص
ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد . ووفيت كل نفس ما عملت . اي جزاءه . وهو اعلم بما يفعلون .
فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى . وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا . الخ تفصيل للتوفية وبيان
لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب
طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه
حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها . ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة وقرئ بالتشديد . وقال لهم خزنتها
تقريعا وتوبيخا . الم ياتكم رسل منكم . من جنسكم وقرئ نذر منكم . يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا . اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث
انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب . قالوا بلى قد اتونا وانذرونا . ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين . حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه
وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون . قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها .
اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل ما يقال . فبئس مثوى المتكبرين . اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم

محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم
جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم
وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة . وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة . مساق اعزاز
وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين . زمرا . متفاوتين
حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة . حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها . وقرئ بالتشديد وجواب
اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى
اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها . وقال لهم خزنتها سلام عليكم . من جميع المكاره والآلام . طبتم . طهرتم من دنس
المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم . فادخلوها خالدين . كان ما كان مما يقصر عنه البيان . وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده . بالبعث والثواب . واورثنا الارض . يريدون المكان الذي
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها
تمكين الوارث فيما يرثه . نتبوأ من الجنة حيث نشاء . اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده
من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها . فنعم اجر العاملين . الجنة
وترى الملئكة حافين . محدقين . من حول العرش . اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف . يسبحون بحمد
ربهم . اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له
بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق
في شئونه عز وجل . وقضي بينهم بالحق . اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملئكة
باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم . وقيل الحمد لله رب العالمين . اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل
كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملئكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين
وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر .

سورة [illegible] مكية وآيها ثمانون وخمس

حم . بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف واخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء
الساكنين او نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة
قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه . تنزيل الكتاب . كما قد سلف في الم السجدة . وقوله تعالى
من الله العزيز العليم . كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التخصيص لنعتي العزة والعلم
ما ذكرناه . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول . صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب
والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد
العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده
بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنب وقبول التوبة
او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب
وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول

الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها
لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا
استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله اي بالطعن
فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها
واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج
الحق في مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات
ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء
في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم
بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك
لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم
حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا
على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك
الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا منه ما ارادوا من تعذيب
او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا
به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان
عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم
في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب
وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل
لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا
كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب
عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون
الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب
بحذف لام التعليل اي لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها
ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل
من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما
وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل
الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله
وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم
وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء

خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان
اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما
يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه
التي لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار
فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون
للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة
وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان
بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم
في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا
في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية
من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة
الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام
على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين
القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف
صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قياما قد
وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف
قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول
اي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم
الرحمة لانها المقصود بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين
علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب
الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط
النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون
صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف
ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء
على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا اعلى درجة من ذرياتهم قال سعيد بن
جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك
فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق
لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار
زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال صريح وفي الثاني ضمني

وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
اى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل
لما قبلها وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو
تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن تاب او المعاصى فى الدنيا لقوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ
فقد رحمته ومن تق المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة لانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب
وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذى لا مطمع وراءه لطامع
ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم
اصحاب النار ينادون اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء
التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس
الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة
بالسوء او مقته اياكم فى الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون
اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر
من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر
لما فى الظرف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول
هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى
لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة
كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان
لمصدرى الفعلين المذكورين اى اماتتين اثنتين واحياءين اثنتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا
بحذف الزوائد او للفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما
كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة
دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل ارادوا
بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشئ عادما كصغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين الاحياء الاولى واحياء البعث وقيل ارادوا
بالاماتة الاولى التى بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين ما فى القبر وما عند البعث وهو الا
بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم
اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما
كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا
بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا
موقنون وهو الذى ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس

منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه
فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه
فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموت الاولى مع كونهم معترفين
بها فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف
بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل
للابهام اى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه
ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود
كما قيل بانه اى بسبب ان الشأن اذا دعى الله فى الدنيا اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى
بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذ وصيغة الماضى فى الشرطية
الاولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك
فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا ما تقتضيه الحكمة العلى الكبير الذى ليس كمثله شئ فى ذاته
ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للشرك ولا نهاية
لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذى يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة
الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة
وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب رزق وهو المطر و
افراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار
رحمته وجلائل نعمه الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل
واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها
الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمه
الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا
الله مخلصين له الدين اى فاذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها
المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم
اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل
الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد
اى رفيع درجات ملائكته اى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اى مالكه وهما خبران
آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به و
اخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش
العظيم المحيط باكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شانه وعظم سلطانه
فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش
وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقى الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الروحانى
الذى هو الوحى بعد بيان انزال الرزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح

من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال
كونه ناشيا ومبتديا من امره او صفة له على رأي من يجوّز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن
من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الروح بسبب امره
على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او
الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او الروح لانها قد
تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى
فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله
وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون
بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون
الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة
حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء
استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما
باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم
الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال
والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد
لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق
يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط فاول ما يتكلم به
ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب
التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق
او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت
من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا
يشغله تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس انه تعالى اذا اخذ في حسابهم
لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك
اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا
للانذار وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب بخبران فيه اشعار به بضيق الوقت
وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت
وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى
اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت

اعناقهم

اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم
او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع
مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لا حب لا يهتدى بمناره والضماير
ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم
به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة
الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضماير والاسرار والجملة خبر اخر مثل
يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون
من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي
وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى
بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون
من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي
مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة
قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة
افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض
مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا
ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من
واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد
غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي
معجزاته وسلطان مبين اي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين
واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لما انها افراد جبريل
وميكال مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق
من عندنا وهو ما ظهر على يديه من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه
اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع
اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يديه وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع
وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد
والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا

والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه
من الابراق والارعاد وصحلا له بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان ملاؤه اذا هم
بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض
السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة
وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان
ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله
هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا
ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه
اخوف ما يخافه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو
عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه وان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم
من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء
ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال
موسى اي لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تاكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء
بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانها الذي يستدعيه واضافه اليه
واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة
القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل
كان قبطيا ابن عم فرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا يكتم ايمانه اي
من فرعون وملائه أتقتلون رجلا أتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان
يقول ربي الله اي وحده من غير روية وتأمل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم
بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال
وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء
وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصيبكم
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا
بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض
نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج اخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا
كذابا لما هداه الله الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه
فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وعرض به

لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت
فمن ينصرنا من بأس الله اي من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض
اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح
لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما
سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الرأي
الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان
مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة
من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة
الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف
عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب
مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه
من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير
ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لان فيه اراد ظلما
فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم
بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل
والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار
ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض
اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف
الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى
من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعون فرعون موسى عليه السلام او على نسبة احوال
الاباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل
موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك
بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده
او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم
يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد
الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه

قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان ، متعلقة بيجادلون اى بغير حجة
صالحة للتمسك بها فى الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا
فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال
المستفاد من يجادلون كذلك اى مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر
والتجبر لانه منبعها وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا اى بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا
ظهر لعلى ابلغ الاسباب اى الطرق اسباب السموات بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم
لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجى وقرئ
بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب
التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه
او ان يرى فساد قول عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله
سبحانه وكيفية استنبائه وانى لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اى ومثل ذلك
التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى منه بحال وصد
عن السبيل اى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح
وبتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات
والشبهات ويؤيده قوله وما كيد فرعون الا فى تباب اى خسار وهلاك او على انه من صد
صدودا اى اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على
عمله وقرئ وصدوا اى هو وقومه وقال الذى امن اى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام
يا قوم اتبعون فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اى سبيلا يصل سالكه الى المقصود
وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع
اى تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد
اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال
وان الاخرة هى دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل فى الدنيا سيئة فلا يجزى فى الاخرة الا
مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اى بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا
للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة و
تدعوننى الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم
على ما يقابلون به نصحه وعطف النداء الذى بلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة
كانه قيل اخبرونى كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لى اراك حزينا

اى ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعوننى لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته علم
والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض
بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق ووجب
عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم
بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد
والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم
انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اى
بالموت عطف على ان ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اى فى الضلال والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اى ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اى فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امرى الى الله فانهم كانوا
توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون
اى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك قيل طلبه
المؤمن من قومه لانه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله
فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء
العذاب فقيل هو النار يعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من
او من الآل ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون
لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك
ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا
به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما
للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
اى عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اى يقال
لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار اى واذكر لقومك وقت تخاصمهم
فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع

او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا الخ
او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب على المصدرية كشيئا
في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غنى فكذلك نصيبا
قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم كل اسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف
اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء
متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت
حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد
دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة
لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف
لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب
في مقدار قصير من دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز
الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا
ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات
الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله قالوا فادعوا فصيحة كما في قوله
من قال فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره
عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم
ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم في الاجابة
بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان
وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا الخ كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب
الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم
في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات
ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم
الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والاخرين بشهادة
الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم
نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم
ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا
عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين

العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك
او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون
واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة
دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى
وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك
بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في ايات الله ويجحدونها
بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر
الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة
وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الارادة
الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا او بغيا حسبما قالوا
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا
ان فيها موقع جدال ما وان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه
صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال
يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى فيرجع الينا
الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من
يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على
منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر
والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين
الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود
نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى
والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق
الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لاتية لا ريب فيها
اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اي اثبكم
لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر
الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل

لتسكنوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدو الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار
والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا أي مبصرا فيه أو به إن الله لذو فضل عظيم
لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية الله ربكم خالق كل
شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص
فيكون لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن أي وجه
تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي مثل ذلك
الإفك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آية كانت لا إفكا آخر له وجه ومصحح
في الجملة الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله
المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية
فإن الإحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات أي اللذائذ ذلكم الذي نعت
بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله أي تعالى بذاته رب العالمين
أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه
عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا إله إلا هو إذ لا موجود يدانيه في ذاته
وصفاته وأفعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك
الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين أي قائلين ذلك عن ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل
على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فإن الآيات
التنزيلية مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي بأن أنقاد له
وأخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب أي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة
أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا أي أطفالا والإفراد لإرادة
الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده ثم لتبلغوا أشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة
لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم
لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل الشيخوخة
بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت أو يوم
القيامة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي ويميت
الأحياء أو الذي يفعل الإحياء والإماتة فإذا قضى أمرا أي أراد أمرا من الأمور فإنما يقول له كن فيكون
من غير توقف على شيء من الأشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة
ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك آمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج
ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون تعجيب من

من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع
وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم بيان لابتناء
جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر إلى هؤلاء المكابرين
المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد
الدواعي إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب
أي بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول
بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما
أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب
أو مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف
على الأغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون
بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى
الأغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الأغلال أو إضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون
أي يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه يسجر بالحب أي يملأ والمراد بيان أنهم
يعذبون بألوان العذاب وينقلون من باب إلى باب ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا أي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل
أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي بل تبين لنا
أنا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك
أي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو كما ضل
عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الإضلال بما كنتم تفرحون في الأرض أي
تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والأشر والالتفات
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا أبواب جهنم أي أبوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم
فيها فبئس مثوى المتكبرين أي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر
إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب إن وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فإما نرينك أي فإن
نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع إن وحدها بعض الذي نعدهم
وهو القتل والأسر أو نتوفينك قبل ذلك فإلينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى إن نعذبهم في حياتك
أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل عدد الأنبياء

عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرائيل
واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن
الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة
كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا
والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير
للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا
الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها
ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل
منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب
والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح
لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد
الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله
عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هي
الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها
ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان بعضها يتعلق
به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها
يعم البقر ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي ايات الله اي فاي اية
من تلك الايات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له
عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الايات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي
هو الشائع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة
غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان
مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي اثار
اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة
باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او بالايات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد
الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم
الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما
اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما

فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع
قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم
وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار
جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها
على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة للجزاء والتعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها
واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال
فكفروا ثم لما راوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان
الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف
انفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة مكية واياتها خمسون واربع

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا او مبتدا
خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله
من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر اخر
او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر اخر او خبر لمحذوف
ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة
الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت اياته ميزت بحسب النظم
والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد
ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني
من قولك فصل من البلد فصولا قرانا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة
او من اياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام
متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له
او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرانا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان
من كتاب او من اياته وقرئ بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره
مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القران قلوبنا في اكنة اي اغطية
متكاثفة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف
ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ من الجانبين بحيث
استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله

ومنع اسماعهم له كان بهما صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام فاعمل على دينك
وقيل في ابطال امرنا انا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون
بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما
انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم
محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي
الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وتأمل والفاء في قوله تعالى
فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى
بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى
وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون
الزكوة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث
قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما
بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون
الزكوة بقوله تعالى لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد
وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا ينقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب
لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار
وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء
وقوعه فيحتاج الى التأكيد واما علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم
شأنه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار
يومين او في نوبتين على ان يوجد في كل نوبة ما يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود
وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل
في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي و
تجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد
الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم
الشأن الذي فعل ما ذكر رب العالمين اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف
يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل

والجعل ابداعي وحيث لزم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة
بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة
التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق
ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر
اي خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى
من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها
معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اي قدر
ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم
وقدر فيها اقواتها اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها
على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا
بتقديرها اي قدر حصولها في يومين وانما قيل في اربعة ايام اي تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر
مؤكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء او استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها
او في فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق
الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين
وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص
البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل
خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان
اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء
كما سيأتي وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى
فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها
ووجود ما فيها ائتيا اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته
بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومأمور كما في قوله تعالى
كن وقوله طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى
قالتا اتينا طائعين اي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به
وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره
موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله فقضاهن
سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينهما اي خلقهن
خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول
تمييز على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند
بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل سماء

امرها عطف على قضاهن اى خلق فى كل منها ما فيها من الملئكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تع
كما قال قتاده والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى
الى اهل كل منها اوامره وكلفهم بما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان
فعلى ما قررناه التفصيل لا دلالة فى الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين
التقدير والايجاد واما على تقدير كون تخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وما
فى سورة البقرة من قوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات
تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى
ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع
منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما
الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها
وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم عليه السلام
فى اخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات
وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض
فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمها
مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها
من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ما ينبغى ان تاتيا عليه ايتى يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة اتيا واتينا
من المواتاة وهى الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى
ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل
الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك
التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله
ولا يقدح فى ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يحمل الارض فى قوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع
سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول فى الدلالة على القدرة الباهرة
كما قيل واما على انه ادخل فى الالزام لان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك
اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روى عن الحسن نصا فى تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط
الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة فى ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل
الامام الواحدى عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما
ح ايضا على ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم سوق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه
تقدم خلق الارض على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم

كلمة ثم للتراخى الزمانى واما على تقدير كونها للتراخى الرتبى كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة فى الاية الكريمة
على الترتيب كما فى الوجه الاول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض
جميعا الاية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه
وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات
الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا
اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا ذلك الذى ذكر بتفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ فى القدرة والعلم فان اعرضوا
متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اى فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن
او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اى انذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق
الانذار المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة اى عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد
ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اى الكائنة اذ جاءتهم
ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم
واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون
على تنزيل مجئ كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجئ انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان
بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد
جاؤهم وخاطبوهم بقوله سبحانه الا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية اى لا تعبدوا على انها
مفسرة قالوا لو شاء ربنا اى ارسال الرسل لانزل الملئكة كما قيل فانه عار عن افادة ما اراده من نفى
رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملئكة اى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا
بما ارسلتم به اى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انتم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى ان ابا جهل
قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد عليه السلام فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه
ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا
فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى
بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة
قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام
وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا
يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة
ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا

لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فأما عاد فاستكبروا في الأرض شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة من
الطائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أي فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا
واستولوا على أهلها بغير الحق أي بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم
من أشد منا قوة حيث كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده أولم يروا أي أغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان
أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي قدرة فإنه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي
على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق
السموات والأرض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا بآياتنا المنزلة على الرسل
يجحدون أي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها فهو عطف على فاستكبروا وقوله تعالى وقالوا إلخ اعتراض للرد
على كلمتهم الشنعاء فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذي يصر أي يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في أيام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض
سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال
من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وقرئ لتذيقهم
على إسناد الإذاقة إلى الريح أو إلى الأيام وإضافة العذاب إلى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على أنه وصف
له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة أخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه وأما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات
التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى
في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى أي اختاروا الضلالة على الهداية فأخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية
العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه بما كانوا يكسبون
من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء الله
شروع في بيان عقوباتهم الآجلة إثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والإيذان
بعلة ما يحيق بهم من فنون العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في
أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم
الشين وكسرها إلى النار أي إلى موقف الحساب إذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب
وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها وإما لأن حشرهم
يكون على شفيرها ويوم إما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف إيذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة
عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى حتى إذا ما جاؤوها أي جميعا غاية ليحشر أو ليوزعون
أي حتى إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثارا دالة على ما اقترفوا بها وعن ابن عباس

رضي الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال
بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فإن ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب
للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح
أي يسألونها سؤال توبيخ لما روي أنهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أجادل
وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء لوقوعها
في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع
فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي
أنطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطرار في الإخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس
نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون فإن من قدر على خلقكم
وإنشائكم أولا وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ثانيا لا يتعجب من إنطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع
مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب
عليه من العذاب الخالد المترتب عليه عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى
بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن
تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين
بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح الخفية فلا يظهرها في الآخرة
ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح بإعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت
به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي
أو قرشيان وثقفي فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا
بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري
مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعم ما حكي من الحال جميع أصناف الكفرة
فتدبر وذلكم إشارة إلى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ
وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا فأصبحتم
بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم من الخاسرين إذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا
لشقاء النشأتين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي محل ثواء وإقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها
والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للإشعار بإبعادهم
عن حيز الخطاب وإلقائهم في غاية دركات النار وإن يستعتبوا أي يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه
جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين إليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص
وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم
أي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين أي أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض

وهو القشر وقيل اصل التقييض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا و
اتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم
القول اى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهى قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لأملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا
فى امم حال من الضمير المجرور اى كائنين فى جملة امم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى ان المراد باعداء
الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة
لامم اى مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل
لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال
بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اى لا تنقادوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر
والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارى وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى
كلقى يلقى ولغى يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اى فوالله لنذيقن
هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره
ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون اى جزاء سيئات اعمالهم التى هى فى انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن
اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم
بدر واسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اى ذلك
من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف اى الامر
ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها
دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هى خبره اى هى بعينها دار اقامتهم على ان فى للتجريد وهو ان
ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى
على معناها والمراد ان لهم فى النار المشتملة على الدركات دار مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون منصوب بفعل مقدر اى يجزون جزاء والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه
لمراعاة الفواصل اى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين
كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقى شياطين
النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقيل معناه اعطنا وقرئ باختلاس كسرة الراء
نجعلهما تحت اقدامنا اى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اى ذلا و
مهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع فى بيان حسن احوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد
بيان سوء حال الكفرة فيهما اى قالوا اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اى ثبتوا
على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء
الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل
عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم

الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح
وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت
وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان
الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول
ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه
ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل انه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اى
يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اى سروا بالجنة التى كنتم توعدون
فى الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم فى احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا
الخ من بشاراتهم فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة
عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة
عليهم السلام وفى الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى
والخصام ولكم فيها اى فى الآخرة ما تشتهى انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اى تدعونه لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم فى الموضعين
خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للاشباع فى البشارة
والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما
يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اى الى توحيده تعالى
وطاعته عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة
وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه تعالى وقال اننى من المسلمين ابتهاجا بانه منهم
او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اى مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انى بنون
واحدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد
اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر
على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن الآية استئناف مبين لحسن عاقبة
الحسنة اى ادفع السيئة حين اعترضتك من بعض اعاديك بالتى هى احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان
الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع
احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به
اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقاها اى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التى هى
مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اى شأنهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير و
كمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو

شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع العليم باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل
ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة
الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخرة لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لانهما كجملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل
حكم الانثى او الاناث او لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر
للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها
وهو السر في نظم الكل في آياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد
من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى
فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة
يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت
بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت
بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء
قدير من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
وقرئ يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم
وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال
المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم
وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون الخ وخبران هو خبر ان الاولى وقيل
مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز
اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب
وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان
الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الى آخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح
من الصفات على الصريح وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الا تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك
ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت
آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ااعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للكلام وللمتكلم به والياء

للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى اكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل
اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا
وقرئ اعجمي اي كلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان
يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان
ان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى
يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر
على ان التقدير هو اي القرآن في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع
حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل الظرف
وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر الموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز
العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم اولئك
اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون
بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد
تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للامم غير
مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التوراة
فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر
ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين
من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
لقضي بينهم باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب
اي من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل
بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك
بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب
بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر في المقام من التحقيق و
التفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها
الا الله تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ
من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة
للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع
اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل
ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم
كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر

قد ذكرك اياه بعنوان البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك ما منا
من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم ح وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا
محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت
من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان
معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل
اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن
معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب
المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤوس قنوط فيه مبالغة من جهة
البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي
مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمة الله تعالى
لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن
هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم
فيما سيأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده
ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه لها وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة
اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق
وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس عليه السلام ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد
بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض
متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه
كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شان الكل في بعض
الاوقات قل ارأيتم اي اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله تعالى في الآفاق هو ما اخبرهم النبي صلى الله
عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق
الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة
وما حل بهم وقال ابن عباس في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن
والسدي في الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق
اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال
والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث

الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع
ان اراءة تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القرآن
او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شان القرآن وعنادهم
المحوج الى اراءة الآيات لعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد
بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء
وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه و
يشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي
عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما
نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك
باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة مع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد
فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء
فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء
جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى مكية وآيها خمسون وثلاث

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب
سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدا وعسق خبره وعلى الثاني الكل
خبر واحد وقوله سبحانه كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد
لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد
والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويههما بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف
في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول ونعت لمصدر موكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى انها
وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه
السورة من المعاني اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه
من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحي اليك
عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية
للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى
وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى
على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدره ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع
بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدا كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده

خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه
السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل
من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فعّل وهذا مطاوع فعل وقرئ
تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها
على الاول لان اعظم الايات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن
بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى
وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملئكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده
ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة
واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين
امنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى
والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم
بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملئكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم
ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم
رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار
وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا
مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك
وقيل اشارة الى معنى الاية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرانا
عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي بين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها
من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه
الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف
ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القران لا ريب
فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون
بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم
متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة
قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء
في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان
مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة
والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى
كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى

كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء
الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
في رحمته وهم المرادون بقوله يدخل من يشاء ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل
الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب
حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد
الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية على احد الوجهين بان يراد
بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر
بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر
ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون
اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله تعالى للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون
في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الاخرة الى السعير من غير ولي يلي
امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان
يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار
الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس
من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء
من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه
اولياء ان ارادوا اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي من شانه ذلك وهو
على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء
حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم
فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربي مالكي عليه
توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد
سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول
صيغة الماضي وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه
عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح
ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السموات والارض خبر اخر
لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله
الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر تحريره غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق
لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو

فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس
كمثله شيء اى ليس مثله شيء فى شان من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى
قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة
فى شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر
له مقاليد السموات والارض اى خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما تقتضيه
مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شيء عليم مبالغ فى الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه
والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين
عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولى العزائم
من مشاهير الانبياء عليهم الصلوة والسلام وامرهم به امرا موكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاماله
قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شان موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق
عيسى عليه السلام والا فما من نبى الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف
الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان
المامور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلوة والسلام اما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك اوحينا الاية
او ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بالذى
لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الايات المذكورة
ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء
بايحائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه الصلاة والسلام للمسارعة الى بيان
كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلوة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى
شرعه لهم على لسانه عليه الصلوة والسلام ان اقيموا الدين اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته
والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان
يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه
جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك
لانه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى عليه الصلوة والسلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى ولا تتفرقوا
فيه للانبياء المذكورين عليهم الصلوة والسلام وتوجيه النهى الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته
صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول
دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وقوله تعالى كبر على المشركين شروع فى بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب وقوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة

الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعى اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى
ويهدى اليه من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع فى بيان
احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود
والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى
دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقران من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلوة والسلام وهو
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات
الا حال مجئ العلم او الا وقت مجئ العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم فى ذلك شبهة ولولا كلمة
سبقت من ربك وهى العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضى بينهم لاوقع القضاء بينهم
باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا
القران من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفى شك منه من القران مريب موقع فى القلق او فى الريبة
ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتاب بين هذا واما ما قيل من ان ضمير
تفرقوا لامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل
من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات
الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما
اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار وامهال على ان مساق
النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين
قديم اجمع عليه اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف
فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك
المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اى الناس كافة
الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة
والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى
بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحى اليك
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين
امنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين
وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرائع والاحكام
وفصل القضايا عند المحاكمة والمخاصمة وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا امركم بما لا اعمل ولا اخالفكم الى ما انهاكم
عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى امرت بذلك لاعدل او زائدة

اى امرت ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اى خالقنا جميعا ومتولى امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم
لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى
المكابرة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف
المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون فى الله اى فى دينه
من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم
اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته عليه السلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون
للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة
بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم
الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق
ملتبسا به فى احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذى يوازن به
الحقوق ويسوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اى اى شئ يجعلك
عالما لعل الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شئ قريب او قريب مجيئها وقيل القريب
بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى ان الساعة على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل
قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال
انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه
والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن
لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها
بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده
اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من
يشاء ان يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة
وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث
الآخرة الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتائجها
بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من
كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها
ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب اذ كانت
همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة
للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب

ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل
اى القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين
او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة
ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا
او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات
مستقرون فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم
على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك اى
الفضل الكبير هو الذى يبشر الله عباده اى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا
الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ
يبشر من البشر قل لا اسئلكم عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض ليسأل على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى
الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن
اسئلكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة والقربى مصدر
كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على
وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع
صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله
اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة
اى يكتسب اى حسنة كانت فيتناول مودة ذى القربى تناولا اوليا وعن السدى انها المودة وقيل نزلت فى الصديق رضى
الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اى فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى
ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون
افترى محمد عليه السلام على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخى كانه قيل
ايتمالكون ان ينسبوا مثله عليه الصلوة والسلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله تعالى الذى هو
اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عم
لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى
لا يشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل
لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه
ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى
ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء

من مثله عليه الصلوة والسلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم
على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب
على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق
بكلماته استيناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه
كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه
الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا
وروى جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك
واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين
وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها
وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيته المبنية
على الحكم والمصالح وقرئ ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله تعالى لهم فحذف
اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب
لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم
ابن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء
كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اي
بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد
منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب
كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه
ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل
والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان
ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة

من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته
اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ
عنه قوله ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر اسفله واعلاه
كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء
متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت
كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي
بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء
من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب
غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته
الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء
خاصة ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي تجرين تارة وتركدن اخرى على حسب
مشيته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى لكل صبار شكور
لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل
فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح
فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه
على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ
ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم الخ كما في قوله
ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا
على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب
من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة
الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى
زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيرهم اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا
لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي
رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون
كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين
آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة
منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة

نزل في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له. وامرهم شورى بينهم اي ذو
شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا
ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل
وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة
محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب
ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت
اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع الندا وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار
من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال
مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها
تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه
عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه
اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل
بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام و
يبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير
الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى
ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم
السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون
عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق
من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا
يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم
الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد
او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار
لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا

تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلوة والسلام اي
فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت
وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى
وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة
رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس
مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة
للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة
الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل عن الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع
الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته
ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريد يخلق ما يشاء
مما تعلمه ومما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك
مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان
تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد
في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم
آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى
لا ما يتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب
قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين
ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام
حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى
عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي وما صح لفرد من افراد
البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى
والى ابراهيم في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام
من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه مثل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض
خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة
الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري
باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام
في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال والتقدير وما صح ان يكلمه الا
موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي
عليه الصلوة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك
فقال عليه الصلوة والسلام لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى
ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي متعال عن صفات المخلوقين

لا ينافي جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة ﴿حكيم﴾ يجري في افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا ﴿وكذلك﴾ اي ومثل ذلك الايحاء البديع ﴿اوحينا اليك روحا من امرنا﴾ هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليه السلام ارساله اليه بالوحي ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ﴿ولكن جعلناه﴾ اي الروح الذي اوحيناه اليك ﴿نورا نهدي به من نشاء﴾ هدايته ﴿من عبادنا﴾ وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى ﴿وانك لتهدي﴾ تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله تعالى وقرئ لتدعو ﴿صراط الله﴾ بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى ﴿الذي له ما في السموات وما في الارض﴾ لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب ﴿الا الى الله تصير الامور﴾ اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلعم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف وآياتها ثمانون وتسع

﴿حم﴾ الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس فان جعل اسما للسورة على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم ﴿والكتاب﴾ بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية ﴿المبين﴾ اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة ﴿انا جعلناه قرآنا عربيا﴾ جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى ﴿لعلكم تعقلون﴾ فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية ﴿وانه في ام الكتاب﴾ اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر ﴿لدينا﴾ اي عندنا ﴿لعلي﴾ رفيع القدر بين الكتب شريفه ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كانه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء اخر اولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شانه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ وبعد ما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل ﴿افنضرب عنكم الذكر﴾ اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم بملازمة انهم كانوا مسرفين والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر ﴿صفحا﴾ اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا ﴿ان كنتم قوما مسرفين﴾ اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى ﴿وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون﴾ تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى ﴿فاهلكنا اشد منهم بطشا﴾ اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ﴿ومضى مثل الاولين﴾ اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى ﴿الذي جعل لكم الارض مهدا﴾ استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ تسلكونها في اسفاركم ﴿لعلكم تهتدون﴾ اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح ﴿فانشرنا به﴾ اي احيينا بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره ﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض ﴿تخرجون﴾ اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس ﴿والذي خلق الازواج كلها﴾ اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك ﴿وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون﴾ اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها ﴿لتستووا على ظهوره﴾ اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ متعجبين من ذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ﴿وما كنا له مقرنين﴾ اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى

اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها ۝ وانا الى ربنا لمنقلبون
اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب
الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما ياتي ويذر امرا يابا فيها ومن ضرورته
ان يكون ركوبه لامر مشروع ۝ وجعلوا له من عباده جزءا ۝ متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الى آخره
اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد
استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ۝ ان الانسان لكفور مبين ۝ ظاهر
الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ۝ ام اتخذ مما يخلق بنات ۝
ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك
الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى ۝ واصفاكم بالبنين ۝
اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات
الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا
انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من
الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين و
اعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة ۝ واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ۝ اي استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم
ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها اي
اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا ۝ اي صار
اسود في الغاية من سوء ما بشر به ۝ وهو كظيم ۝ مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان
في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له ۝ او من ينشأ في الحلية ۝ تكرير للانكار وتثنية
للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي وجعلوا له من شانه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى
لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ
لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف
لتغاير العنوان اي او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته ۝ وهو ۝ مع ما ذكر من القصور ۝ في الخصام ۝ اي الجدال
الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة ۝ غير مبين ۝ غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه
واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة و
الكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه ۝ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ۝ بيان لتضمن كفرهم
المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا و
اخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع الجمع ۝ اشهدوا خلقهم ۝
اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل
لهم وتهكم بهم وقرئ ااشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما ۝ ستكتب شهادتهم ۝ هذه في ديوان
اعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان

ان الله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يسالون من المساءلة للمبالغة ۝ وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم ۝ بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم
ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئة الله تعالى لا الاعتذار
من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى
كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية
عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا
ما كان من غير اعتبار الرضى او السخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ۝ ما لهم بذلك ۝ اي بما
ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به
ما لا يحصى من الآيات الكريمة ۝ من علم ۝ يستند الى سند ما ۝ ان هم الا يخرصون ۝ يتمحلون تمحلا باطلا وقد
جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفي ان يكون لهم بها
علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ۝ ام آتيناهم كتابا
من قبله ۝ من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه ۝ فهم به ۝ بذلك الكتاب ۝ مستمسكون ۝
وعليه معولون ۝ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ۝ اي لم ياتوا بحجة عقلية
او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم
اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى
على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون ۝ وكذلك ۝ اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة
وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ۝ ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون ۝ استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس
لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذي
صرفهم عن النظر الى التقليد ۝ قال ۝ حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي قال
كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم ۝ اولو جئتكم ۝ اي اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم ۝ باهدى ۝ بدين
اهدى ۝ مما وجدتم عليه آباءكم ۝ من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم
على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى ۝ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ۝ فانه حكاية عن الامم قطعا اي
قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين
عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد
المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى ۝ فانتقمنا منهم ۝ اي بالاستئصال ۝ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ۝
من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك ۝ واذ قال ابراهيم ۝ اي واذكر لهم وقت قوله عليه السلام
لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله ۝ انني براء مما تعبدون ۝ وتمسك بالبرهان ليسلكوا
مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة

ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية
او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل
على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني
براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء
الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
وجعلها اي جعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي
في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد
الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية
في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه
الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل
ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن
ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ
متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه الآية مبالغة في تعييرهم
فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة
الكفر او انه اقتضى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد
ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به
كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب
بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول
صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بنزاهته بل استدلالا على عدمه بمعنى انه لو كان
قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال
والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق
تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد
بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا
المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق
بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف
وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم
ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع

ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم
من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط
العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة
وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا
ان يكون الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان
حقارة شأنه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه
بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن
في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة
وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج
اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح
والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون
ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء
يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرئ لما بالتخفيف على ان ان هي
المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي الذي هو متاع
الخ كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند
ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش
اي يتعامى عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش
بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشي يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان
من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها
الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ
يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعش فحقه ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين
قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم اي قرناءهم وجمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان
افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي
العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم
مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال
من مفعول يصدون باضمار المبتدأ او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم
عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة
على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية
لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة

انتهى

كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى ان العاشين على ما ذكر من مقارنة
الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا
له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب بتاعد كل منهما عن الآخر فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الخ حكاية لما سيقال لهم
من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم
اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين
عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم
ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى
لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها
وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد
عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم
ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولهم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه
من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي
وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار
ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار
هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه
لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان
نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة
فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم او اردنا
ان نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا
ولقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء
عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط
مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون
يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم
وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان
المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه
عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع
الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا

ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما
جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجأوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما
نريهم من آية من الآيات الا هي اكبر من اختها اي الا هي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر
اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها
او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان
والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل
تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه
الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة
دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون
اي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون
فاجأوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه
في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة انهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري
او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار
على ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به
استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير من المهانة
وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له في اعين الناس باعتبار
ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة
والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه
حالي من هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فاقام مقامه انا خير موضع تبصرون لانهم
اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب
منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب
اي فهلا القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب
واسورة جمع سوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه
فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اشدوا غضبنا
انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في
استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين
واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام

فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة قد سلفت ﴿ومثلا للآخرين﴾ اى عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم
فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال
عليه الصلوة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون
المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملئكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه
وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى ﴿اذا قومك منه﴾ اى من ذلك المثل ﴿يصدون﴾ اى يرتفع
لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اى من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يثبتون على ما كانوا عليه
من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى
المفاجاة ﴿وقالوا أآلهتنا خير ام هو﴾ حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل
المموه بما يغتر به السفهاء اى ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا
فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل
قوله تعالى ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلوة والسلام
عنه من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى عليه السلام بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت
ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بالاصنام حين سأل ابن الزبعرى عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من
من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة يوهم الرخصة فى عبادته فى الجملة
فعممه للكل لكن بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى
ثم بين عليه الصلوة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك ان الملئكة والمسيح بمعزل من ان
يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر
تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال
المنكرة لجهلهم وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ﴿ما ضربوه لك الا جدلا﴾
اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك
﴿بل هم قوم خصمون﴾ اى لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد
الملئكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة
ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده
وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون
والضمير فى ام هو لمحمد عليه الصلوة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به ويجوز ان
يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملئكة بنات الله ومن عبادتهم اياهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول
ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث
نسبنا اليه الملئكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى ﴿ان هو الا عبد انعمنا عليه﴾ اى بالنبوة ﴿وجعلناه مثلا لبنى

اسرائيل﴾ اى امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام
عما ابن الزبعرى رضى الله عنهما عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملئكة
وعلى الثانى والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره
انا ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه
فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملئكة بكونهم اهدى منهم او بعقد ردا
بان حالهم اشف او اضعف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيان ان عيسى فى الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته
ام كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ﴿ولو نشاء﴾ الخ تحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة
الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملئكة ايضا من درجة المعبودية
اى قدرتنا بحيث ﴿لو نشاء لجعلنا﴾ اى لخلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾ وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ﴿ملئكة﴾
كما خلقناهم بطريق الابداع ﴿فى الارض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء ﴿يخلفون﴾ اى يخلفونكم مثل
اولادكم فيما تأتون وما تذرون وما يباشرون الا فى محل المشافهة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء
فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا ﴿وانه﴾ وان عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ اى انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او لحدوثه بغير اب او باحيائه
الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للعلم
وقرئ الذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال
لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلوة الصبح فيتأخر الامام
فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن
فى وقوعها ﴿واتبعون﴾ اى واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى ﴿هذا﴾
اى الذى ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير فى انه له ﴿صراط مستقيم﴾ موصل الى الحق ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾
عن اتباعى ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ﴿ولما جاء عيسى
بالبينات﴾ اى بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات ﴿قال﴾ لبنى اسرائيل ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ اى الانجيل او الشرائع
﴿ولابين لكم﴾ عطف على مقدر ينبئ عنه المجئ بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم ﴿بعض الذى
تختلفون فيه﴾ وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم
السلام كما قال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم ﴿فاتقوا الله﴾ فى مخالفتى ﴿واطيعون﴾ فيما ابلغه عنه
تعالى ﴿ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع
﴿هذا﴾ اى التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استئناف من جهته تعالى
مقرر لمقالة عيسى عليه السلام ﴿فاختلف الاحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ اى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى
﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين ﴿من عذاب يوم اليم﴾ هو يوم القيمة ﴿هل ينظرون﴾ اى ما ينتظر الناس ﴿الا الساعة﴾

ان تاتيهم اى الا اتيان الساعة بغتة اى فجاة لكن لا عنه كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين
بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون فى الدنيا على الاطلاق او فى الامور
الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور
كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم
اثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين امنوا باياتنا
صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو
حال من واو امنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادى مناد يا عبادى فيرفع الخلائق رؤسهم
على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن
الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به
بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة
ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس
من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهى وتلذ الاعين اى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون
اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة
مبتدا وخبر التى اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه
جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة
كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف او باورثتموها كما فى الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة
بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اى بعضها تاكلون فى كل نوبة واما الباقى فعلى الاشجار
على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع
رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه
ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالايات فى عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون هو الخبر وفى متعلقة به لا يفتر عنهم
اى لا يخفف العذاب عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اى فى العذاب وقرئ فيها
اى فى النار مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب
الخالد ونادوا يا مالك خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالفتح والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية
اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضى علينا
وهذا لا ينافى ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى فى العذاب ابدا لا خلاص
لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة
لقد جئناكم بالحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر
لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اى حق كان كارهون لا يقبلونه
وينفرون منه واما الحق المعهود الذى هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا

كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع
واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه اى ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم
ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا
كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى انديتهم ويتشاورون
فى اموره عليه الصلوة والسلام ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم فى مكان
خال ونجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون
عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال
التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اى نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه
قل اى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان تبكيتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام
ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم
بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه تعالى
وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على
كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقينه وثبات قدمه
فى باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة
عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا
اول الانفين اى المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن
ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى يصفونه به
من ان يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت
ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شئ منها جزءا منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم
حيث لم يرعووا عن الحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى يخوضوا فى اباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم فان ما هم فيه من الافعال
والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون من يوم
القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله الظرفان متعلقان
بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة
كانه قيل وهو الذى مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض
الله والراجع الى الموصول مبتدا قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون اله خبرا مقدما
والمبتدا مؤخرا للزوم عراء الجملة ح عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدا محذوف على ان
الجملة بيان للصلة وان كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الالهة السماوية والارضية
وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذى له ملك
السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او فى بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اى العلم بالساعة
التى فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك

الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق
الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان
الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله تعالى او منفصل على انه
خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية
بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله
بالجر لما عطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب والاقوال والقيل والقال كلها
مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه
وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقنط عن
عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى
لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب والله تعالى اعلم

سورة الدخان مكية وآيها خمسون وسبع

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي
هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح
واملاه جبريل على السفرة عليهم السلام ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة
الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة
واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه
لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان
بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها
يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر
ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة
القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق
الى ميكائيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام
وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا
نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته
الذاتية ويجوز كونه حالا من كل او من امر لتخصصه بالوصف او من ضمير حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا
ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا
انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل استئناف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال
متأخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعثة متقدمة عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن

لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم
ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام
لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي
يفرق كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان كلا من قسمة الارزاق
وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع
اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات
والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استئناف على اضمار مبتدأ ان كنتم
موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله تعالى علمتم ان الامر كما قلنا
او كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ
وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدأ
او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات
وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم
يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب
لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان
مبين اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام
القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث
الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب اليم اي قائلين
ذلك فمشى اليه عليه الصلوة والسلام ابو سفيان ونفر معه وناشده الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم
وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء
قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام
وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم
الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما
اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند
كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكير وموجبات
الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة

ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه من العظائم
الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض
ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة
والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغى واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ
والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك
الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة
ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو
والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين
وعجوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما وريثما يكشفه عنهم يرتدون
ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون
لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش اي
نحمل الملئكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ
نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم
في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى
او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله
بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان
مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا
الي الخ وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله
على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة
بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى اني آتيكم اي من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اي
آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان
مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم اي التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان
ترجموني او تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام
الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا لي ولا علي
ولا تتعرضوا لي بشر ولا اذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني
فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء
اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر
على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين فاسر بعبادي ليلا اما باضمار القول اي بعد الفاء اي فقال رب اسر بعبادي واما بدونها كانه قيل ان
كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون

اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته
بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم
بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا او على الفعل
المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم وفيه تهكم بهم وبحالهم المنافية
لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء
وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل لما
فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم
على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف
اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه
وتشيطنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره
في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا
اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي
عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين
جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون
ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير
عن حلول ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة
الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة الاولى التي تعقبها حيوة
الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر كما تزعمون وما نحن
بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه السلام والمؤمنين ان
كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى
فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي
اهم خير في القوة والمنعة التي يدفع بها اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان
يكتب في عنوان كتابه باسم الله الذي ملك برا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا
فانه قد كان اسلم وعنه عليه الصلوة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما

انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون • والذين من قبلهم • عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولى باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى • اهلكناهم • استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى • انهم كانوا مجرمين • تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما • اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن • لاعبين • من غير ان يكون في خلقها غرض صحيح وغاية حميدة • ما خلقناهما • وما بينهما • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء • ان يوم الفصل • اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه • ميقاتهم • وقت موعدهم • اجمعين • وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل • يوم لا يغني • بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل • مولى • من قرابة او غيرها • عن مولى • اي مولى كان • شيئا • اي شيئا من الاغناء • ولا هم ينصرون • الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام • الا من رحم الله • بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء • انه هو العزيز • الذي لا ينصر من اراد تعذيبه • الرحيم • لمن اراد ان يرحمه • ان شجرة الزقوم • وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات • طعام الاثيم • اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه • كالمهل • وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت • يغلي في البطون • وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة • كغلي الحميم • غليانا كغليه • خذوه • على ارادة القول والمقول له الزبانية • فاعتلوه • اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه • الى سواء الجحيم • الى وسطه • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم • كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع • ذق انك انت العزيز الكريم • اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك • ان هذا • اي العذاب • ما كنتم به تمترون • تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم • ان المتقين • اي عن الكفر والمعاصي • في مقام • في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة • امين • يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره • في جنات وعيون • بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب • يلبسون • من سندس واستبرق • اما خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب • متقابلين • في المجالس ليستانس بعضهم ببعض • كذلك • اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم • وزوجناهم بحور عين • على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها • يدعون فيها بكل فاكهة اي

اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان • امنين • من كل ما يسوؤهم • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى • بل يستمرون على الحيوة والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ • ووقاهم عذاب الجحيم • وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية • فضلا من ربك • اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل • ذلك هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى • فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك • فارتقب • فانتظر ما يحل بهم • انهم مرتقبون • ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له • والله اعلم

سورة الجاثية مكية وآيها سبع وثلاثون

حم • الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى • تنزيل الكتاب • على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى • من الله العزيز الحكيم • كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى • ان في السموات والارض لايات للمؤمنين • وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان على فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى • وفي خلقكم • اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق • وما يبث من دابة • عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة • آيات • بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات • لقوم يوقنون • اي من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه • واختلاف الليل والنهار • بالجر على اضمار الجار المذكور في الآيتين قيل وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا • وما انزل الله من السماء • عطف على اختلاف • من رزق • اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة • فاحيى به الارض • بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنباتات • بعد موتها • وعرائها عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار • وتصريف الرياح • من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع

الظاهر الرفع اي مبتدأ او خبر

التي من جملتها سوق السفن في البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتداء خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والجار والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في ايات وتنكير ايات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة والجلاء تلك ايات الله مبتداء وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القران حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم يشغل بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها اي يصر كان لم يسمعها اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من يصر اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيئا اي اذا بلغه من اياتنا شيء وعلم انه من اياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك الفهم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الايات كلها هزوا اي هزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الاية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القران هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بايات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع

الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات والارض او توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا حذف المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتباره نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم ولنجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الحكومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء

احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي اراء الجهلة واعتقاداتهم
الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا
من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض
عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة
البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شأنهم الايقان
بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين
اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني
والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب
ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال كالذين امنوا وعملوا الصالحات
وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم
اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوي
ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا
محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله
ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان
بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم
في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء
حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي
يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف
وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون
بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه
انكار لحسبان الفضل والتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا
حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما
ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم
واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل
او معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة
محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة
لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من
اتخذ الهه هواه تعجيب لحال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده اي انظرت فرأيت

فرأيته فان ذلك مما يقتضي منه التعجب وقرئ الهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن
منه رفضه اليه فكأنه اتخذ الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى
التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات والنذر وجعل على بصره غشاوة
مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله
اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل
وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي الحياة الا حياتنا الدنيا
التي نحن فيها نموت ونحيا اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها
وبعدها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز ان يريدوا به
التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيا وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي
وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار
الحياة على ما في الدنيا واسناد الحياة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم
الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد
في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به
او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا
بابائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته
حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم
كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء
اجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيامة للجزاء لا ريب
فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات
دل على وقوعها حتما والاتيان بابائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا
للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض
بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس
بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم
يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة
وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها اي صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال
او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال
ح وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدا

وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال
من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا
كنا فيما قبل نستكتب الملئكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام
المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه
فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن
تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده
بذلك حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في
وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم
لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن الا نظن
ظنا وقيل ان نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان
مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ
سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء
السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب
ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة
المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب
بانكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا اي مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا
فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات
الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار
ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات
ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل
منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور
آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب
الحكيم في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية ... خمس وثلثون آية ...

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية
او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق

او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة
وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه
امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر
مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم
القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي
ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد
له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام
اروني تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى
في السموات اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل
له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من
من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان
بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا
الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية من علم بقيت
عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم
يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل
تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم
مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي
المرة من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك
التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة مصنوعهم
العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم غافلون الضمير الاول
للمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون
لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها
للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام القيمة
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله تعالى من الملائكة والجن والانس
وغيرهم وبني ارجاع الضمائر والاسناد والعداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم
وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا
على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة
لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه

اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار
التوبيخي المتضمن للتعجيب اي بل ايقولون افتراه اي القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي
من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى
كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح
في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد
لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم
وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا
من الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم
او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه
عليه السلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم
ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه
من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات
ولا يخبرون قومهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان
من افعاله تعالى وماذا يقدر لي ولكم من قضاياه وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر
من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية
دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل
ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد
ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك بمكة ام اومر بالخروج
الى ارض ذات نخل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى
لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره
ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر
اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء
للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال
المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم
عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى
الي من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير
في الخبر وسط بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار
حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به متحقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك

كونه من عند الله ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل
امور محققة عندهم وانما ترددهم في ان ذلك شهادة وايمان بما هو من عند الله تعالى واستكبار عنه اولا والمعنى اخبروني ان كان
ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار
الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن
من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارة اخرى او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى
والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع في الايمان بالقرآن لما علم انه
من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه الصلوة
والسلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما
الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال
يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود
فقال لهم النبي عليه السلام اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن
اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله
واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي
على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد هذه الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام
وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت
في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان
كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان
من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه
المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق
بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا
ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر
من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي
لاجلهم لو كان اي ما جاء به عليه الصلوة والسلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا اليه فان
معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة
الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة
بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية
وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد

وانخج لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان
السورة مكية لا يخج من الاتجاه اى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه
ما قبله ويترتب عليه ما بعده اى واذ لم يهتدوا به قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفى خيريته
هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اى من قبل
القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى وقيل والجملة حالية او مستأنفة واياما كان فهو رد لقولهم هذا افك
قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اى اماما
يقتدى به فى دين الله تعالى ورحمة لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذى يقولون فى حقه ما يقولون كتاب
عظيم الشان مصدق اى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ
كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول
مصدق وقيل مفعول لمصدق اى مصدق ذا لسان عربى لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير
الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيده انه قرئ لتنذر بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين
فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اى وهو بشرى وقيل على انه عطف
على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة
فى امور الدين التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام
نفى الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين
الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن فى اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر
اى يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة فى معنى جازيناهم بما كانوا يعملون
من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بوالديه احسانا وقرئ حسنا اى بان يفعل بهما
حسنا اى فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم الحاء والسين وبفتحهما اى بان يفعل بهما
فعلا حسنا او ووصيناه امرا حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اى ذات كره او حملا ذا كره وهو
المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله
اى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به
الرضاع التام المنتهى به كما اريد بالامد المدة من قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده
ثلاثون شهرا تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى
للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع
بهما حتى اذا بلغ اشده اى اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى قبل اربعين
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعنى اى الهمنى واصله اولعنى من اوزعته بكذا ان اشكر
نعمتك التى انعمت على وعلى والدى اى نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم
والتكثير واصلح لى فى ذريتى اى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقيبها نصلى قال

قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابى بكر رضى الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد
شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لى فى ذريتى فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا
جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد
الرحمن بن ابى بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انى تبت اليك عما لا ترضاه او عما يشغلنى عن ذكرك وانى من المسلمين
الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان
بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور
فى اصحاب الجنة اى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز
وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذى كانوا يوعدون على السنة الرسل والذى قال لوالديه عند دعوتهما
له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرئ اف بالفتح
والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه
بالمجموع كما سيجىء قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر
لربه وما روى من انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى اولئك الذين
حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك اتعداننى
ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلى ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان
الله تعالى ويسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور
اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق اى البعث اضافه اليه تعالى
تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه فى اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اى آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا
لهما ما هذا الذى تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير ان يكون لها
حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله فى سورة الم
السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان
والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما
عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اى اجزيتها
وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية
او استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير
الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار
اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اى قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم
طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخى اى اصبتم

واذهبتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم
تجزون عذاب الهون اي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق
لذلك وبما كنتم تفسقون اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ
تفسقون بكسر السين واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال
منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا
اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين
عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه اي
من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذار قومه وبين قوله ان لا تعبدوا
الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار
هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما
جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف
تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتأفكنا اي
تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله
بنا قال انما العلم اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله
ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب
الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم
من الابلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب
وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع
الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجها اوديتهم
والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا صفتين للنكرة بل هو اي قال هود
وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما
او خبر لمبتدأ محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم
بامر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصول محذوف او هو الهاء في ربها ويجوز
ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقتضيا منوطا بامر باريه ويكون الهاء لكل شيء
لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى
والفاء في قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى
الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث
لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل
القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة
قيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب

بارزا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم
واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه
وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم
من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة
ولقد مكناهم اي قررنا عادا واقدرناهم وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية
اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى
وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرر لفظة
ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون
منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل
ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله تعالى من شيء اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بآيات
الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته
اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه
فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء
ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر
ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله سبحانه واحد مفعولي اتخذوا
ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم
آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو
المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا
اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله
في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرتهم لغيبتهم او ضاعوا
عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اي ضياع
آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ
افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ
الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ
آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون
عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون

اي لبعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم
نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن
وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك
نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته
له على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اي اتم
وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه السلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه السلام
ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست
السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او
نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد
بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين
وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف
اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال له عليه السلام اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا فقال لا تخرج
منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن
نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن
لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه اراد به التورية يهدي الى الحق من العقائد
الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا
به اراد به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط
المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر
لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان
ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا
وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر
ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة
في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة
اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس
له من دونه اولياء بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء
باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد على الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى

في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي
ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة
والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم
يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله
بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال
النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك
اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود
ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة
الى ما يشاهدونه من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق
بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد
الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص
بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى
الامر الاهانة بهم والتوبيخ والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا
كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك
من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى
يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى وسلامه
عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون
ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون
من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية
في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم
الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك
وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام ثمان وثلاثون آية وهي مدنية

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او
منعوا الناس عن ذلك من صد صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا

يصدون الناس عن الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد ۝ اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها
بعد ان تكون كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال كصلة الارحام وقري
الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل
ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو
الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ ۝ والذين امنوا
وعملوا الصالحات ۝ قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل
وامنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه
من بين سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى وهو الحق من ربهم ۝ بطريق حصر
الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما
كان فقوله من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناء ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح ۝ واصلح بالهم ۝ اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد
والتوفيق ۝ ذلك ۝ اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى ۝ بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ۝ اي ذلك كائن بسبب
ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه
للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا
الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة
فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له
متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء
من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح
بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا
ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد اخس منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال اعمالهم
بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان
والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح
تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين ۝ كذلك ۝ اي مثل ذلك الضرب البديع ۝ يضرب الله ۝ اي يبين للناس
امثالهم ۝ اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم
وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى ۝ فاذا لقيتم الذين كفروا ۝ لترتيب
ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب
ان يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة
فضرب الرقاب ۝ اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة
الى ايسر ما يكون منه ۝ حتى اذا اثخنتموهم ۝ اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين والغليظ او اثقلتموهم بالقتل

والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض ۝ فشدوا الوثاق ۝ فاسروهم واحفظوهم والوثاق ما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك ۝ فاما منا بعد واما فداء ۝ اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون
فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله عنه وعندنا
منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا ۝ حتى تضع الحرب اوزارها ۝ اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم
الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه الله
لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان
لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى واما عند ابي حنيفة رحمه الله فانه حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء
والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى
انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا ۝ ذلك ۝ اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ۝ ولو يشاء الله لانتصر
منهم ۝ لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ۝ ولكن ۝ لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض ۝ فامركم بالقتال
وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض
عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر ۝ والذين قتلوا في سبيل الله ۝ اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا
وقتلوا اخفف ۝ فلن يضل اعمالهم ۝ اي فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن
قتادة انها نزلت في يوم احد ۝ سيهديهم ۝ في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب
او سيثبت هدايتهم ۝ ويصلح بالهم ۝ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ۝ في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او
بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله
يهديه في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها
لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه ۝ يا
ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ۝ اي دينه ورسوله ۝ ينصركم ۝ على اعدائكم ويفتح لكم ۝ ويثبت اقدامكم ۝ في مواطن
الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام ۝ والذين كفروا فتعسا لهم ۝ التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر
والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم وقوله تعالى
واضل اعمالهم ۝ عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ۝ ذلك ۝ اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال ۝ بانهم بسبب
انهم ۝ كرهوا ما انزل الله ۝ من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم
الامارة بالسوء ۝ فاحبط ۝ لاجل ذلك ۝ اعمالهم ۝ التي كانوا عملوها ۝ مع الايمان لا يثابوا عليها ۝ افلم يسيروا في الارض
اي اقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها ۝ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ۝ من الامم المكذبة فان اثار
ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى ۝ دمر الله عليهم ۝ استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف
كان عاقبتهم فقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه
اهلك عليه ما يختص به ۝ وللكافرين ۝ اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم ۝ امثالها ۝ امثال عواقبهم او عقوبتهم
لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة

وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم
والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر
موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم
السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين امنوا اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين وان الكافرين لا مولى
لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك
بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى
لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام
غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون
او استئناف وكأين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية
تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك
وقد حذف عنهما المضاف واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل
قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان
باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها
لقوة جنايتها وعلى طريقة قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى
فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء
لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي
فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والاخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما
من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين
بادلة الدين وصفها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين لا لما عن النظم الكريم على ان الموازنة
بينه عليه السلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان
نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك
وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة و
انهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين
الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف
مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر
عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك
السيئات عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل
مثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار اي انهار من ماء
غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا
كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي تلذذ

محض اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة
اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا التمثيل الجاري مجرى الانهار
في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما اوجب غزارتها ودوامها
ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة
عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره
أمن هو خالد في الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو
خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او امثل اهل الجنة كمثل
من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة
وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما
مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنى منهم شوى وجوههم وانمازت فروة
رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من
كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه
ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة
رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا
من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا
مؤتنفا وهو حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم
لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا
الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم
جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة وهي المفاجأة
بدل اشتمال من الساعة اي تباغتهم بغتة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان
الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح
الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور
الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها
من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد
بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم
بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر
الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا
جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع
التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى
ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا

علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه
من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه ۝ واستغفر لذنبك ۝ وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى
عبّر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه السلام الى التواضع وهضم
النفس واستقصار العمل ۝ وللمؤمنين والمؤمنات ۝ اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة
صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب
وفرط افتقارهم الى الاستغفار ۝ والله يعلم متقلبكم ۝ في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ۝ ومثواكم ۝ في العقبى
فانها مواطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل
يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ۝ ويقول الذين آمنوا ۝ حرصا منهم على الجهاد ۝ لولا نزلت سورة ۝ اي هلا
نزلت سورة نؤمر فيها بالجهاد ۝ فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ۝ بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه
ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا انزلت
سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال ۝ رأيت الذين في قلوبهم مرض ۝ اي ضعف في الدين وقيل
نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ۝ ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ۝ اي تشخص ابصارهم جبنا و
هلعا كدأب من اصابته غشية الموت ۝ فاولى لهم ۝ اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله أويل فقلبت العين الى ما بعد
اللام فوزنه افلع ۝ طاعة وقول معروف ۝ كلام مستأنف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم
ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك ۝ فاذا عزم الامر ۝ اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو
لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل
كرهوا وقيل هو قوله تعالى ۝ فلو صدقوا الله ۝ على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوا فيما
زعموا قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه ۝ لكان ۝ اي الصدق ۝ خيرا لهم ۝ وفيه دلالة على اشتراك
الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما
كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى ۝ فهل عسيتم ۝ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع
اي هل يتوقع منكم ۝ ان توليتم ۝ امور الناس وتأمرتم عليهم ۝ ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ۝ تناحرا على الملك
وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي
هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون وشأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع
منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا
الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا
ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورا باعتبار ما يستتبعه
من الفساد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ
لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من الفساد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور
خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب
ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون

وأما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ۝ اولئك ۝ اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم
اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره ۝ الذين لعنهم الله ۝ ابعدهم من رحمته فاصمهم
عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم ۝ واعمى ابصارهم ۝ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق
۝ افلا يتدبرون القرآن ۝ اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ۝ ام على قلوب
اقفالها ۝ فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر و
الهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها و
لا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة
مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها واقفالها على المصدر ۝ ان الذين ارتدوا على ادبارهم ۝ اي رجعوا
الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد
كفروا به عليه الصلوة والسلام ۝ من بعد ما تبين لهم الهدى ۝ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتاب
جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته عليه الصلوة والسلام في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى ۝ الشيطان
سول لهم ۝ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المسترخي
فمعنى سول له امرا حسنه وقع في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان ۝ واملى لهم ۝
ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم
وانا انظرهم فالواو للحال او الاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ۝ ذلك ۝ اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم
لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ۝ بانهم ۝
اي بسبب انهم ۝ قالوا ۝ يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام في التوراة كما قيل فان
كفرهم عليه السلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين والمشركين على رأي القائل
من حين بعثته عليه السلام ۝ للذين كرهوا ما نزل الله ۝ اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل لان قوله تعالى ۝ سنطيعكم في بعض الامر ۝ عبارة قطعا
عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم
احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم
اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية
الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى ۝ والله يعلم اسرارهم ۝
اي اخفاءهم ما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للايعاد
في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى ۝ فكيف اذا توفتهم الملائكة ۝ لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف
هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدأ
محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه ۝ يضربون وجوههم
وادبارهم ۝ حال من فاعل توفتهم او من مفعوله او هو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنه لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ۝ ذلك ۝ اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله ۝ من الكفر والمعاصي ۝ وكرهوا
رضوانه ۝ اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود ۝ فاحبط

لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها مع الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم
مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم
ام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد
اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فيبقى
امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة
متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالارادة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه
ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى كل
واحد منهم هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء للترتيب المعرفة على الارادة واما ما في قوله تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول فالجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطي لاحن
لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين
ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء
ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او قرئ ويبلو بالياء وقرئ ويسكون الواو على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نبلو
ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه الصلوة والسلام
في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله تعالى بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل
والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب
والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان
ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه
ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل من المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على احد الوجهين
والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا
قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه تعالى ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور
الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته منه من
الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة
للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق
واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم بحيث يخل اداؤها
بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان يسألكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء
والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده
القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون

هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي ها انتم الذين تدعون
ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على
الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى
الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم
فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين
ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس
لما روي انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا
لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على
الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة والحمد لله رب العالمين

سورة الفتح تسع وعشرون آية وهي مدنية

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به لم يكن فتحا وهو منغلق ماخوذ من فتح الدار واسناده
الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة للتبشير
كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام
في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم بسهام
وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رموا المشركين
حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن
البيت وصدوا هدينا فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم
ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة
هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل
فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه
واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاح للحكومة
والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل
والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق
والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام
موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر
عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا
بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك
من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية

بشأن النصر كانه قيل ويؤيده تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا
صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح والثبات والطمانينة اي انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن
اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام
من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم
التوحيد ثم الصلوة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى
ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينها السلام اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط
المؤمنين ليعرفوا نعمة الله تعالى في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير
مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما
لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه في الاصل صفته فلما قدم عليه صار حالا اي
كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل
وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لن ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما
لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم
واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها
لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب فان المراد ههنا جنود العذاب
كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا اي على الطاعة
ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلاة الفجر وصلاة
الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء و
ضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى
انما يبايعون الله يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله
فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد
عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما
هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم
والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند اراد
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي
ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله

تعالى اليه عليه السلام بانهم سيقولون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من
الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن باختيار بل عن اضطرار يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك بالاباطيل
فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من
هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي من
يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لما زعموا
ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والنفع للظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون
خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك
تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقيل جمع اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم جمع
كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل
باسناده الى الله تعالى او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء
او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم رسالته فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما
بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل
البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدأ من
جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او التنكير لانها مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر
له ويعذب من يشاء اي يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام
وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله
واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم
الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها
وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله
بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة
بقيتها واوايل المحرم من سنة سبع وغزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله
عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله
تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي
للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل
تحسدوننا اي ليس ذلك النهي الا لانكم تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى
بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم
بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وهو سوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم

بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن
ارتد وابعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل
على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة
فيختص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم
نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان
تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي
الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر
من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه
وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية
سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت
الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا
الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى
الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت
سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم
ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي لان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من
الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي فانزل عليهم الطمأنينة والامن
وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ و
آتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة لتشريفهم في مقام الامتنان
وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء بها المؤمنين ومن عليهم
بها الى يوم القيامة تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي
اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون
آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام
واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف واما بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين
اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ والواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم
هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها
صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها او استولى

واظهركم

واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في
ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة الغنائم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة
وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا
اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة
الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي
كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل
كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف
عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيكم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
بالنصب عطفا على المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدي وبالرفع على وصدوكم اي وصد
الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض
اي محبوسا ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية
من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن
محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة
لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤوهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم
اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم
والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي غير عالمين بهم
وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم
فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل لكن كفها عنهم
ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين
من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة
لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد
جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب
التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ
لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل
الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق
به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية الاولى
حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف
على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل
عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم يعذب فانزل الله الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف
على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا
بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا ما صالح عليه محمد رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة
عليهم فتوقروا وحلموا «والزمهم كلمة التقوى» اي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافها الى التقوى لانها سبب التقوى و
اساسها او كلمة اهلها «وكانوا احق بها» متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار
«واهلها» اي المستاهل لها «وكان الله بكل شيء عليما» فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه «لقد صدق الله رسوله الرؤيا» رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه وقد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله
تعالى «بالحق» اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ
في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق
الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى «لتدخلن المسجد الحرام» جوابه وهو على الاولين قسم محذوف اي
والله لتدخلن الخ وقوله تعالى «ان شاء الله» تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلون لموت
او غيبة او غير ذلك وهي حكاية لما قاله ملك لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه حال من فاعل لتدخلن
والشرط معترض وكذا قوله تعالى «محلقين رؤسكم ومقصرين» اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين
فتكون متداخلة «لا تخافون» حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف اي محلقين حال
من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او لا تخافون بعد ذلك «فعلم ما لم تعلموا»
عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب اراءة الرؤيا الصادقة
ما لم تعلموا من الحكم الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا «فجعل من دون ذلك» اي من دون تحقق مصداق
ذلك الذي اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الخ «فتحا قريبا» وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف
ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة الداعية الى تأخير
فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا «هو الذي ارسل
رسوله بالهدى» ملتبسا به او بسببه او لاجله «ودين الحق» وهو دين الاسلام «ليظهره على الدين كله» ليغلبه على جنس الدين
بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما
كان باطلا وبتسليط المسلمين على سائر اهل الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد
من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح
مكة «وكفى بالله شهيدا» على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات «محمد» خبر مبتدأ محذوف
وقوله تعالى «رسول الله» بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ
ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى «والذين معه» مبتدأ خبره «اشداء على الكفار رحماء بينهم» او اشداء

جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرأفة والرحمة كقوله
تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر قوله
تعالى «تراهم ركعا سجدا» اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلاة وهو على الاول خبر آخر او استئناف
وقوله تعالى «يبتغون فضلا من الله ورضوانا» اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او
استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ
«سيماهم» اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهي لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيمياء بالمد وهو مبتدأ خبره «في وجوههم»
اي في جباههم وقوله تعالى «من اثر السجود» حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك
السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين
العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعها منهما اشباه ثفنات
الابل قال ۝ ديار علي والحسين وجعفر ۝ وحمزة والسجاد ذي الثفنات ۝ وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور و
تراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ
من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة «ذلك» اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى «مثلهم» اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في
الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى «في التوراة» حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى «ومثلهم في الانجيل» عطف
على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتأكيد مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى «كزرع اخرج
شطأه» الخ تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل
على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاءه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد و
شطه بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا «فآزره» فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة
وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اي شد ازره وقواه «فاستغلظ» فصار غليظا بعدما كان دقيقا «فاستوى على سوقه»
فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة «يعجب الزراع» بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل
لاصحابه صلى الله عليه وسلم قد كثروا واستحكموا بعدما قلوا عند بدء الاسلام فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل
مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى «ليغيظ بهم الكفار» علة لما ينبئ
عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه وقوله تعالى «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا
عظيما» فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة شرفها الله تعالى

سورة الحجرات ثماني عشرة آية وهي مدنية

«يا ايها الذين آمنوا» تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط
اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به «لا تقدموا»
اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي
ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته

النهي عن التلبس بنفس الفعل لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون
التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين
من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين
ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله
تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم
في تأمير الاقرع بن حابس والقعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها
ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار
باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ
لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء مزيدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري
فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة
المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له
يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله لا اكلمك الا
السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يكلم عليه السلام كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان
ابو بكر رضي الله تعالى عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة
ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط
فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف
والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم
لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند
او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام
فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال له عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها في بعض المنافقين
الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محمله على ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص
وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير عما نهوا عنه وقوله تعالى ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها
مراعاة للادب وخشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او
للفعل باعتبار الاصل او ضرب في قلوبهم لضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار

عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذهب عنها الشهوات
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف
لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها
او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرات لوجوب اختلاف المبدأ
والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وقرئ بفتحها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة
بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين
ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه
السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا نادوه من
وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري
والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد
اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك وامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم
عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم
فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد
ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف
والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني
المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد
وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذارا ان تصيبوا قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا بعد ظهور
براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع
الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة
وهي انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم
زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم واما صيغة
المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة
فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من طاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم
بلا مفسدة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار

النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة
الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلقه بما يتعلق به
بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيجب
ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من
فالمعنى هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو الامتناع عن ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر
في تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين
المذكورين وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في
الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالمعنى هو الثاني فان مناط امتناع العنت ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة
ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين
المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاعتبار
على صيغة المضارع المفيدة للنفي على ان الاعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه
اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن
عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول
عنه فيه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا
لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحماد لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها
ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما لا يليق بها مما لا خير
فيه من انواعها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو
استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم
للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى
الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا و
زينتها تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض
وقيل نصبهما بفعل مضمر اي ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا و
الجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اي تعدت احديهما على الاخرى ولم
تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن
القتال حذرا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان
يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل
واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تاتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية
نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي
لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح
والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل

واحد

واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في تاكيد وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية
لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل
ما تاتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اي منكم من آخرين ايضا منكم عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي اي عسى ان يكون المسخور منهم
خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور
في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه للفريقين في مثل عاد وثمود وقوم فرعون فاما للتغليب
او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية البعض
لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا يسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي
المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا
الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ على استحقار
احد فلعله اجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا
ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ ذات خبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها
ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما
يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز
مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم
به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين
خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز فسق
والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في
كل ظن ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم
كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض
الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة
منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المؤمنين تفعل من الجس لما فيه من
معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي
هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع
عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء
في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم
يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا

وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين
لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للآكل ميتا واخراج
تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله
تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرّهتموه اي جبلتم
على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من
الصحابة بعثا سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء
فاخبرهما سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما لي ارى خضرة اللحم بافو حكا
فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا
او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي
السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنسوب الى اصل واحد
وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب و
كنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون
العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل
وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم
عنده تعالى هو الاتقى فان تفاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان بالفتح على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تفاخروا
بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل
الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس
رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغنى الدنيا وكرم الآخرة التقوى
ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما
قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو
التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا
اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان
والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من
ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد
آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها
من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط
من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب

مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب النفي من الايمان عنهم وثم للاشعار بان
اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة
والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون اي الذين صدقوا
في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل
اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات
وما في الارض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ
في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك
ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود
بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم
فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ بان
هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق
النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك
بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله
يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في
ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه صدق رسول الله

سورة ق خمس واربعون آية وهي مكية

ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند
الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي
لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب المحذوف كانه قيل والقرآن
المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من
المنذر والمنذر به عرضة للتنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل التقدير
والقرآن انك لتنذر وقيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف
حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه من وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم
من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية
الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار
بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على
ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم
بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عن معاينتهم لقدرته
تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا ائذا
متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده

عليه اي حين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بينها وبين الحياة وقرئ
اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او العادة
او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف ح ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص
الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حكمته علمه حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد
الموتى وما تاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى
الا عجب الذنب وقيل ما ينقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه
كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم
السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل و
تفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم
في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى
كاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها
اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها
من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان الالقاء لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج
من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او بفعل
مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه
وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من زوج بهيج وهو
عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات
كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص
انبات حبه بالذكر لانه المقصود والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها
على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل
باسقات اي طوالا او حوامل من بسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات
لاجل القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من
النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على
الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انبات الاول بالتبصرة
والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من
حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا اي ارضا جدبة
لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة
هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة
الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم

بالبعث

بالبعث والنشور من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج
تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس و
تقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق الرسل عليهم
السلام عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان
على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما بعده وما قبله واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره
عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم في
سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة اي كل
قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل
او كل واحد منهم كذب الرسل جميعا لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم
تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها فهو الاظهر فمعنى تكذيبهم الرسل تكذيبهم
لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي فوجب وحل
عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول
استئناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر
وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه
قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد عطف على مقدر
يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من
مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث
عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنه الوسواس لصوت الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت
مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب
له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق
في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان
منصوب باقرب لما فيه من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من
كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما
وانما ذكر ذلك لما في كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته
تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام
ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز
ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال كذلك اي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق
الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه خيرا او شرا

وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول إلا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك يكتبه فإن كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه
وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والإفراد مع وقوفهما معا على أحد رغبة لأن كلا منهما رقيب فإنه
البدل إلى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد أي معد مهيأ للكتابة ما أمر به من الخير والشر ولم من ينبه لم توهم أن معناه رقيبان
عتيدان وتخصيص القول لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبان فقيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل
إنما يكتبان ما فيه أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات وإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعدما ذكر استبعادهم
للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه
لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال وقد عبر عن وقوعها بصيغة الماضي إيذانا بتحققها وغاية
اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء إما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة
الموت حقيقة الأمر الذي نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت والجزاء فإن الإنسان خلق لهما أو للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت
بالدهن أي ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة
التي كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة
الحق سكرة الله تعالى على الإضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك أي الموت ما كنت منه تحيد أي تميل وتنفر
عنه والخطاب للإنسان فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك
أي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد أي يوم إنجاز الوعيد الواقع في الدنيا أي يوم وقوع
الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من نفخ فإن الفعل كما يدل على
الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة
وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق وشهيد وإن اختلفت كيفية السوق والشهادة
حسب اختلاف النفوس عملا أي معها ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين
كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه
قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي بإضمار
قول هو إما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال
لقد كنت في غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ لقد
كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المذكورة بتأويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث
يا نفس إنك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لأمور المعاد
وهي الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع
للإبصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه أي الشيطان المقيض له مشيرا إليه هذا ما لدي عتيد
أي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائي وإضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا إلى ما معه

عمله هذا مكتوب عندي لدي العرض وما إن جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل منها أو خبر بعد خبر
أو خبر لمبتدأ محذوف ألقيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو لملكين من خزنة النار أو لواحد على
تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضا
ممنعا أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة عنيد
معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن أداء حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن
المغيرة لما منع بني أخيه من الإسلام معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله إلها آخر مبتدأ
متضمن لمعنى الشرط خبره فألقياه في العذاب الشديد أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول
لمضمر يفسره فألقياه قال قرينه أي الشيطان المقيض له وإنما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة
لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما أطغيته فإنه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو
أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على
الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد
من الحق فأعنته عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن
دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا لدي
أي في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت إليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في
كتبي وعلى ألسنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل
للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لإبليس لأملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية
على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون متعلقا
بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا
لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي والعفو عن بعض المسلمين المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل
العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين
أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم إنما ذلك بما صدر عنهم
من الجنايات الموجبة له حسبما أشير إليه آنفا أي وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم
مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن
ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب
بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها
مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل
والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج
حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها فراغ خال أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ
يقول بالياء والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد أو مفعول كالمبيع ويوم إما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ
فيكون ذلك إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أي يكون من الأحوال والأهوال ما يقصر

عنه المقال • وازلفت الجنة للمتقين • شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد
مر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من
الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها • وقوله تعالى غير بعيد
تأكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير
لكونه على زنة المصدر الذي يستوي فيه الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان • هذا ما توعدون •
اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه
فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل
الى المصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين
او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون • لكل اواب • اي رجاع الى الله تعالى
بدل من المتقين باعادة الجار • حفيظ • حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر
منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه • من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب •
بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به لا يوصف الا بالذي او مبتدا
خبره • ادخلوها • والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله
او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد
والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم
عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى • بسلام • متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها
اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته • ذلك • اشارة الى الزمان
الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور • يوم الخلود • اذ لا انتهاء له ابدا • لهم ما يشاءون • من فنون المطالب
كائنا ما كان • فيها • متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته • ولدينا
مزيد • هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد • وكم اهلكنا قبلهم • اي قبل
قومك • من قرن هم اشد منهم بطشا • اي قوة كعاد واضرابها • فنقبوا في البلاد • اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا
في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والتنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء
للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا وقرئ بالتخفيف
• هل من محيص • اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي نقبوا في
البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف
وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل
راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب
وهو ان ينتقب خف البعير او اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف ابلهم • ان في ذلك • اي فيما ذكر من قصتهم او

فيما ذكر في السورة • لذكرى • لتذكرة وعظة • لمن كان له قلب • اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي
فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من غير تذكير • او القى السمع • اي الى ما يتلى عليه
من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع
فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى • وهو شهيد • اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه
فكانه غائب من تجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا • ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما • من اصناف المخلوقات • في ستة ايام وما مسنا • بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر • من لغوب • من اعياء
ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا • فاصبر على ما يقولون • اي ما يقول المشركون في شأن البعث
من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله
اليهود من مقالات الكفر والتشبيه • وسبح بحمد ربك • اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها
الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها • قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها • هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة • ومن الليل فسبحه • اي فسبحه بعض الليل • وادبار السجود • واعقاب
الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة فالمراد بما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد
المكتوبات • واستمع • اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به • يوم يناد المناد • اي اسرافيل
او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر • من مكان قريب • بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة
بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البداء
• يوم يسمعون الصيحة • بدل من يوم ينادي الخ وهي النفخة الثانية • بالحق • متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه
قوله تعالى • ذلك يوم الخروج • اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور • انا نحن نحيي ونميت •
في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد • والينا المصير • للجزاء في الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا • يوم تشقق الارض
عنهم • بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق • سراعا •
مسرعين • ذلك حشر • بعث وجمع وسوق • علينا يسير • اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى • نحن اعلم بما يقولون •
من نفي البعث وتكذيب الايات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه • وما انت عليهم بجبار • بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل
بهم ما تريد وانما انت مذكر • فذكر بالقران من يخاف وعيد • واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وافعالهم وتستدعيه
اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت
وسكراته • سورة الذاريات ستون آية وهي مكية وحروفها الف ومائتان وتسعة وثمانون وكلماتها ثلثمائة وستون
• والذاريات ذروا • اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال • فالحاملات وقرا • اي السحب
الحاملات للمطر او الرياح الحاملة وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر • فالجاريات يسرا • اي السفن الجارية في البحر
او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر
محذوف اي جريا ذا يسر • فالمقسمات امرا • اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله

تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فإنها كما تذرو
ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريفها في الأقطار فإن حملت الأمور
المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا فلترتيب
ما صدر عن الريح من الأفاعيل فإنها تذرو الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى
إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالإقسام بها رمز إلى شهادتها
بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث
الموعود وما موصولة أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله
والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات
الزينة وقال مجاهد هي المتسقة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
المعقولة التي يسلكها النظار أو النجوم فإن لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى وهي إما جمع
حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالإبل إنكم لفي قول
مختلف أي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر وأخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى
سحر وأخرى أساطير وفي هذا الجواب تأكيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفار
لا يكون مستويا إنما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق
السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من أفك أي يصرف عن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم
من صرف إذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف
على معنى يصدر إفك من أفك عن ذلك القول وقرئ من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون عن الإيمان قتل الخراصون
دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره وأصل الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون
المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله
الذين هم في غمرة من الجهل والضلالة ساهون غافلون عما أمروا به يسألون أيان يوم الدين أي متى وقوع
يوم الجزاء ولكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ إيان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون
جواب للسؤال أي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبر المبتدأ المحذوف أي هو يومهم الخ والفتح لإضافته
إلى غير متمكن ويؤيده أنه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم أي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون
جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر أي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم
بتأويل العذاب والذي صفته إن المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم
أي قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول إنهم كانوا قبل ذلك في الدنيا
محسنين أي لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الإحسان بالإجمال ما أشار
إليه عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
أي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة لمصدر وما
مزيدة في الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية أي كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما
يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو

الفرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعلها نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كلا لما أن ما النافية لا
يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالأسحار هم يستغفرون أي أنهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في
الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم
المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه وفي أموالهم حق أي نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا
على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الأرض آيات للموقنين
أي دلائل واضحات دالة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث إنها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين
في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلقح بألوان
النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر
لمنافع ساكنيها ومنافعهم وفي صحتهم واعتلالهم وفي أنفسكم أي وفي أنفسكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي الأنفس
له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة
واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة أفلا تبصرون أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفي السماء رزقكم أي رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب
الأقوات وما توعدون من الثواب لأن الجنة في السماء السابعة ولأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء
وقيل إنه مبتدأ خبره قوله تعالى فورب السماء والأرض إنه لحق على أن الضمير لما وأما على الأول فهو لما ذكر من
الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة مثل ما أنكم تنطقون أي كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي
أن لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أي إنه لحق حقا مثل نطقكم
وقيل إنه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت عبارة عن شيء وإن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحله
الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل أتاك حديث ضيف إبراهيم تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما
علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الأصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد و
الجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل عليه السلام وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل
وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام أو لأنهم
كانوا في حسبانه كذلك المكرمين أي المكرمين عند الله تعالى أو عند إبراهيم عليه السلام حيث خدمهم بنفسه وبزوجته
إذ دخلوا عليه ظرف للحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل أو المكرمين إن فسر بإكرام إبراهيم فقالوا سلاما
أي نسلم عليك سلاما قال أي إبراهيم سلام أي عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء للقصد إلى الثبات
والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى
واحد قوم منكرون أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للإسلام أو لأنهم ليسوا ممن عهدهم من
الناس أو لأن أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام إنما قاله في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك
لا أنه خاطبهم به جهارا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل وإلا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام
لمقدمات الضيافة فراغ إلى أهله أي ذهب إليهم خفية فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى ويبادره حذرا
من أن يكفه أو ينتظر والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا لدلالة الحال عليها
وإيذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق أي فذبح عجلا فحنذه فجاء به

فقربه اليهم بان وضعه عليه السلام لديهم حسبما هو المعتاد قال الا تأكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم
في نفسه خيفة لتوهمهم انهم جاؤوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبرئيل عليه السلام
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات فبشرناه اي بواسطتهم بغلام
هو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بعلها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال
اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لانها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها
جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الولد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال
ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقول من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا
لا محالة روي ان جبرئيل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه
المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام ايضا كما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكرهم هنا اكتفاء بما
ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هنا وفي سورة هود قال ابراهيم عليه السلام لما علم انهم
ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اي شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر
السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسامة الماشية اي ارسلها او معلمة من السومة
وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية
من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط على طريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه السلام من الكلام و
الفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كأنه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا
فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا
فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر
وتركنا فيها اي في القرية آية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن
للذين يخافون العذاب الاليم اي من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي
القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية وفي موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى و
تركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه هو قيل منصوب باية
وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسلنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة
فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره
فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه نسب ما ظهر على
يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية حقارة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي آت بما يلام
عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها
اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي الدبور او النكباء او الجنوب ما تذر
من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل

لهم تمتعوا حتى حين وقوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد
غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة
قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام
فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ
الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم
جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكت قوم نوح فان ما قبله يدل عليه
او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل
اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي
والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع على الانفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض والرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم
الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين
كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي
تتذكروا وتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه و
قوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء لترتيب
الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستوجبة للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا
كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه او
للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الخ
وقوله اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا
منه تعالى او مظهرا لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بان يأمرهم بالفرار
اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من
المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب
بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة
من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الفرار تعالى فر منه اي هرب وافره غيره كأنه قيل وفروا من
ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا آلهة اخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن بطريق
التكرير كما قيل بل النهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم
له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا
في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها اتواصوا به
انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنعاء التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه
بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم
على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور
تلك الكلمة الشنعاء عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة وبموجب صفته من قبل انهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى

طباعهم فتول عنهم فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء فما أنت بملوم على التولي بعدما بذلت المجهود
وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود وذكر أي فعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر
فإن الذكرى تنفع المؤمنين أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين و
ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن كون خلقهم مقصورا على عبادة الله تعالى مما
يدعوه عليه السلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس
في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة
منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع
فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث
على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لإفضائه إلى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية
يفضي إليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه
تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول
اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدورها عن البعض تخلف المراد عن
الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع
كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى إلا ليؤمروا
بالعبادة كما في قوله وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين
وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة
كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق
إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة
الفلاسفة ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن
أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم
أي ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي
فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي إن الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غني
عنه وقرئ إني أنا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر محذوف وقرئ
بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد فإن للذين ظلموا أي ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم أهل مكة ذنوبا أي نصيبا وافرا
من العذاب مثل ذنوب أصحابهم مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب
وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون أي لا يطلبوا مني أن أعجل في المجيء به يقال استعجله أي حثه على العجلة وأمره بها و
يقال استعجل أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وإشعارا
بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذابا أليما كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك

ومن قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل أي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما في
صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث إنه من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

وهي مكية

سورة الطور تسع وأربعون آية

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع موسى فيه كلام الله عز وعلا وكتاب
مسطور مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه
السلام وهو الأنسب بالطور أو ما يكتب في اللوح أو ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب
فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت
المعمور أي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة
غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع أي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور أي المملوء
وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة
نارا يسجر بها نار جهنم إن عذاب ربك لواقع أي لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع إما خبر ثان لأن
أو صفة لواقع ومن دافع إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور
بالإقسام بها لما أنها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل
أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم بها وقوله تعالى يوم تمور السماء
مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء و
الذهاب وقيل التحرك في تموج وقيل تدور دوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها بعضها في بعض و
تسير الجبال سيرا أي تزول عن وجه الأرض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما
عن الحدود المعهودة أي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين أي إذا وقع ذلك
وكان الأمر كما ذكر فويل يوم إذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض أي اندفاع عجيب في الأكاذيب والأباطيل
يلعبون يلهون يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي يدفعون إليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم
إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعوا إلى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين
ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون أي يقال لهم ذلك
ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى أفسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا
كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر أفهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ أم
أنتم لا تبصرون أي أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم
حيث كنتم تقولون إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا أي ادخلوها وقاسوا
شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم أي الأمران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه
وقوله تعالى إنما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر و
عدمه سواء في عدمه إن المتقين في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم

عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال على اضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال او آتاهم من فاعل
آتاهم او مفعوله او منهما واظهار الرب في موضع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا
اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا اي طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون
بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة
مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس
عين والباء مع التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او السببية اذ المعنى صيرناهم
ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستأنف
لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره الحقنا بهم
وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم
ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل
اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين
لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية
المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما التناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق
من عملهم من شيء من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما
رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب
يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت ووتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا
وقد قيل الموصول معطوف على حور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف
على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم
ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم على آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان الذرية كأنه
قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول
والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ
بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته
ان لا ينقص ثواب الآباء بشيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم
من مبادي النعيم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها
هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اي خمرا وتسميتها باسم محلها
لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشراب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تأثيم ولا
ما يوهم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم و
احاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان
لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف
من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على

سائر

سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا
ومسؤولا لا انه يسأل كل بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة
انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار
النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اي نعبده ونسأله
الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى
لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولونه
مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون
كما يقولونه قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص
بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل ايقولون
ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة
كريمة باهلاكهم ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة
ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع
اوصاف في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في المكابرة
والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول
والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمونه
بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف
اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث
النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله
بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة
لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان
به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر
وقيل ام خلقوا من اجل شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام
خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير
موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره
ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور يدبرونها كيف يشاؤون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه
صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما
بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات

وكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت
والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسألهم اجرا رجوع
الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اي بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم اي من التزام غرامة تطرحه
مثقلون تحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى
يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا
المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم
داخلون فيه دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان
يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر ام هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا اي قطعة من السماء ساقطا
لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما
قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف
ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من
صعقته الصاعقة او من اصعقه وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم
بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ وقوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا
اي شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان بيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع
وليس ذلك الا ما دبروه في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد اي من الحيلة مناسبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى
فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن
اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع
الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاقوه من
القتل اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تعالى تزيك العذرى من دونها وهو دونها
وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر
لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا
اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ
وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم اي من اي مكان
قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لان العبادة فيه
اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من آخر الليل
اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم
بالفتح اي في اعقابها اذا غربت وخفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله
تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته صدق رسول الله

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن
قبولا اذا غرب وهويا بوزن دخولا اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم
فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك لانه على نزاهته عليه السلام
عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه
ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم
اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى
والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه
في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن
الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه الصلاة واتم السلام وما غوى
والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم
خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له
عليه السلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير
ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب والشمال
من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه وصعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل عليه السلام
من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره
يوم القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره
منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد
استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق به من القرآن
الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي
علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا
على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء
ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف
ذو مرة اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى
لكيفية التعليم فاستوى اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان
يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها
قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب
وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين فضمه
الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي عليه السلام فانه رآه
فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى
اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا اي اراد الدنو من النبي عليهما السلام فتدلى اي استرسل

من الافق الاعلى مع التعلق به فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى الدلو
والدوالي الثمر المعلق فكان اي مقدار مسافة ما بينهما قاب قوسين اي مقدارهما فان القاب والقيب والقاد
والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اي على تقديركم
كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى اي جبريل
الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة
التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى اليه بواسطة جبريل ما اوحى وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عليه الصلوة والسلام ما راى اي ما رآه ببصره
وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه
معاينة وابعد ما ذكر من حواله النافية للمرية تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة
كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه فتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده ولقد رآه نزلة اخرى
اي وبالله لقد راى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى
هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار
التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء كانها في منتهى الجنة
وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها
ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة اما من اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او
اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم واضافة الملك الى المالك على حذف
الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اي الجنة التي
ياوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع
به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اي ياتيه
والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة
وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين
يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد
من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت السدرة
يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر
ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك
من الامور العجيبة المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جا

منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد راى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء
ما راى من عجايب الملك والملكوت مما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف
اي شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام
كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون
بها وقرئ بتشديد اللات على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعم الحاج وقيل كان يلت
السويق بالطائف ويطعم الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا
يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
واضعة يدها على راسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها
اي تراق وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها
وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولوية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع
ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا
وتبكيتا افرايتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها
غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من كمال عظمة الله عز
وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما
رايتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرايتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها
شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها
رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع
لكم في الآخرة وقيل افرايتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق
كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم
على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة
حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر وانما
لم يبين ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبروني ان اللات
والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ
مع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها ويقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب
الله عز وجل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه تلك اي القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية
اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسرت فاؤه
لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر
نعت به وقرئ ضيزى بالفتح على انه مصدر وصف به كدعوى وعلى انه صفة كسكرى وعطشى ان هي اي الضمير للاصنام
اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها الا اسماء محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية

شيئاً ما اصلاً وقوله تعالى سميتموها صفة للاسماء وضميرها للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى
فاذا نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسماً للمسمى لا جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق
ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقون اللات على
تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء
المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو
زعم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما
هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان
تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم
اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق توهماً باطلاً وما تهوى الانفس
اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايّاً ما
كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن
هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من معنى بل
للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعاً اصلاً
والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها تعلق اطماعهم الفارغة
في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود فلله الآخرة والاولى تعليل لانتفاء ان يكون للانسان
ما يتمناه حتماً فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعاً به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وقوله تعالى
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب
لاقناطهم من شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة
المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى
شيئاً من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له
ويرضى ويراه اهلاً للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله
تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن
سمات النقصان على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم
بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة
واستتباع العقوبة في الآخرة لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأساً وقوله تعالى وما لهم به من علم حال
من فاعل يسمون وانه اي والحال لا علم لهم بما يقولون اصلاً وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون
في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من
الحق شيئاً من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في
شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع

الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض
عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي
فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا راضياً بها قاصراً
نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته
وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عناداً واصراراً على الباطل ذلك اي ما ادّاهم الى ما هم فيه من التولي و
قصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد و
جمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن
الفاسد وغيره والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان
بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من لج في الضلال ولم يرجع الى الهدى اصلاً وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة
او هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابداً وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك
في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال
الفريقين به تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد
ضمناً كما سيأتي صريحاً ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقاً وملكاً لا لغيره اصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً
وقوله تعالى ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر علمه
باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما وقوله تعالى ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بياناً لحاله او بسبب ما عملوا و
يجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل
عليه قوله تعالى ولله ما في السموات والارض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام
للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى
وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون
كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره
او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه
وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش اي ما فحش من الكبائر خصوصاً الا اللمم اي الا ما قل و
صغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب
لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل اعادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر والجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس
لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء
من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب
الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشأكم في
ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض انشاء اجمالياً حسبما مر تحقيقه مراراً واذ انتم اجنة

وقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم
الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وبالها والجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب
النهي عن التزكية النفس على ما سبق مع ان عدم المواخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته
تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها
من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف
مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا
وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب والرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى و
بتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي
تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر
اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله تعالى فضمن له ان يحمل عنه العذاب
ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي كان ربما
يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول
هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى اي أعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها
تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات
او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى
اتاه جبرئيل عليهما السلام حين القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه
كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي
هي التوراة اشهر عندهم واكثر ان لا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس
اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة
الجر على انه بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو ان لا تزر الخ والمعنى
انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى
بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه
واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم
عنهم وغير ذلك مما لا يحيط ولا يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط
منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن يستنفع منها بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان
بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه
ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه الجزاء الاوفى
يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الجزاء مصدرا ثم فسره بقوله تعالى الجزاء

الاوفى اي يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه
تعالى لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسران على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك
والبكاء وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال
وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق
في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اي الاحياء بعد الموت وفاء
بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل
من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى
اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن ذلك لهم ابو كبشة رجل
من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم
في دينهم وانه اهلك عادا الاولى هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى
الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام
وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين
فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا
هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان لا يسمعوا منه
وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم
لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض من بعد ان رفعها على جناح جبرئيل عليه السلام
الى السماء فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي الاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد
فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة
صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني
فيراد بها المعنى الاول فقط كما في يداعونهم اي يدعونهم وقد يجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه
كما في نحن فيه فان المراد تعدده بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة الاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا
نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى
هذا اما اشارة الى القران والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين
للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القران الذي تشاهدونه نذير من قبيل
الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة
لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم
مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله
كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها نفس كاشفة تبين وقتها
الا الله تعالى فانه المؤخر لها او كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف
على ان كاشفة مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث اي القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه

ابعد شيء من ذلك ﴿ولا تبكون﴾ حزنا على ما فرطتم في شأنه خوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة ﴿وانتم سامدون﴾
اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء
على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار
سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان
مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي والانكار
متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾
لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال
الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر خمس وخمسون آية وهي مكية

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس
رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي
القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى ﴿وان يروا آية يعرضوا و
يقولوا سحر مستمر﴾ فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق
القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اي وان
يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به
محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يتخلف بحال كسائر انواع السحر او قوي محكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب
يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي لرده و
قرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة ﴿وكذبوا﴾ بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى
على يده من المعجزات ﴿واتبعوا اهواءهم﴾ التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا
اهواءهم وقالوا سحر اعيننا والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقوله تعالى ﴿وكل امر مستقر﴾ استئناف
سيق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته
ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر اي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم
فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى
التصريح وقيل المعنى كل امر من امرهم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة
او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اي ذو استقرار وذو موضع استقرار
وذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ﴿ولقد
جاءهم﴾ اي في القرآن وقوله تعالى ﴿من الانباء﴾ اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا
اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ﴿ما فيه مزدجر﴾ اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان
في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ
مزجر بقلبها زايا وادغامها ﴿حكمة بالغة﴾ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما

فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها ﴿فما تغن النذر﴾ نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب
عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره
وما على الوجه الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار ﴿فتول عنهم﴾
لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة ﴿يوم يدع الداع﴾ منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام
ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا ﴿الى شيء نكر﴾
اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر ﴿خشعا
ابصارهم﴾ حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون ﴿من الاجداث﴾ اذلة ابصارهم من
ذلة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار ﴿مهطعين
الى الداع﴾ مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه ﴿يقول الكافرون﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف
اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يقولون فقيل يقول الكافرون ﴿هذا يوم عسر﴾ اي صعب شديد وفي
اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾
شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثيرها فيهم تقريرا لفحوى قوله
تعالى فما تغن النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى ﴿فكذبوا عبدنا﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهم
كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي
ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع
لمكذبيه ﴿وقالوا مجنون﴾ اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون ﴿وازدجر﴾ عطف على قالوا اي وزجر
عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته الجن ﴿فدعا ربه انى﴾
اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿مغلوب﴾ اي من جهة قومي ومالي قدرة على الانتقام منهم ﴿فانتصر﴾ فانتقم لي منهم
بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون ﴿ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر﴾ منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد
لكثرة الابواب ﴿وفجرنا الارض عيونا﴾ اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير لقضاء
حق المقام ﴿فالتقى الماء﴾ اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة
والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿على امر قد قدر﴾
اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر
ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿وحملناه﴾ اي نوحا ﴿على ذات الواح﴾ اخشاب
عريضة ﴿ودسر﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح
لها تؤدي مؤداها ﴿تجري باعيننا﴾ بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام
لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار
وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ﴿ولقد تركناها﴾ اي

السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاه الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا
حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء
ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر
جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الآية جملة قسمية وردت فى اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما ذكر من قوله
تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية
فى الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة فى حيز الاعتبار اى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه
بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اى للتذكير والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفى
للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تفسيره على تسهيل حفظه بجزالة
نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم
له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر لتوجيه
قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا للتهويل والتعظيم والتعجيب من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده
كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابى وانذارى لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
استئناف ببيان ما اجمل اولا اى ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت فى يوم نحس شؤم مستمر اى
شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى
كانهم اعجاز نخل منقعر اى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم
فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها فى قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى
المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر تهويل لهما وتعجيب لهم من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل
من ان الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيبه تعالى على العذاب الدنيوى ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذى فى سبق كذبت ثمود بالنذر اى بالانذارات والمواعظ التى
سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا
ابشرا منا اى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اى منفردا لا تبع له او واحدا من احادهم
لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة الاولى للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع
الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول
اوجه للاستفهام انا اذا اى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفى ضلال عن الصواب وسعر اى
جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى نيران
فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول االقى الذكر اى الكتاب والوحى عليه
من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا
بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه و
لتقريب مضمونه بالجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر
الذى حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية

ما اصابهم به صالح عليه السلام وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرئ الاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل
مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الى آخره فانه استئناف مسوق لبيان
مبادى الموعود حتما اى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اى امتحانا فارتقبهم اى فانتظرهم وتبصر
ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب
العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه فى نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترأ على الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر فى الناقة فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هى صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اى فصاروا كهشيم المحتظر اى كالشجر
اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء
وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
انا ارسلنا عليهم حاصبا اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو آخر الليل
وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اى انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اى مثل
ذلك الجزاء العجيب نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اى اخذتنا الشديدة
بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا
اعينهم فمسحناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابى ونذر اى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة
وظاهر الحال ان المراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة
على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار
ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهى اليه فذوقوا عذابى ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا
للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت
قصتهم بالتوكيد القسمى لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اى و
بالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئ
النذر كانه قيل فماذا فعلوا فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب
مقتدر لا يعجزه شئ اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة ودينا من اولئكم الكفار
المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا
يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة فى الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر
الى التبكيت بوجه آخر اى بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصى وغوائلهما فى الكتب السماوية
فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر
من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية
قبائحهم لغيرهم اى بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأى امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر

من الاعداء لا نغلب او منتصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجمع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد
وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد
لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقرئ سنهزم
الجمع اي الله عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد عذابهم وهذا من طلائعه
والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدي
الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والاخرين في
ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الاخرة وقوله تعالى يوم
يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على
وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر
علم على جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والمقول المقدر على الوجه الاول حال من
ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور
امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع
على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين لقوله تعالى كن او الا فعلة
واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا
كلمح البصر او هو اقرب ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر
يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل
صغير وكبير من الاعمال مستطر في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين
الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترغيب والترهيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال
فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم
الجنس مراعاة للفواصل وقرئ بضم الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق
عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر صدق

سورة الرحمن [illegible] ثمان وسبعون آية وهي [illegible]

لما عدد في سورة القمر السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله تعالى عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان
القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض
على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بموجب
شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار
للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاه
ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه ومراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار

رحمته الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان
تعيينا للعلم بكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان
هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ
هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها
على منهاج التعديد والشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك
امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي
ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد
الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط
المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه
تعالى فقيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له والاخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسط
العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن
حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي
خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على
كبرياء شانه وعظم ملكوته وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل
وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام
بالعدل قامت السموات والارض فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا
معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة و
الضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم
من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تطغوا فيه على ان ان ناصبة و
لا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع
من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة
باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو
اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا
للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره
وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة
وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض
موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن ان يكون
الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
هي اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمرة وجمار

وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل
هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى
به وهو الحب الذي عصفه هو علف الانعام وريحانه وهو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان
اي خلق الحب ذا العصف والريحان او واخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف
او للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح قاله القبطي فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول
عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من
فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآية تعالى كفرهم بها اما
بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف
بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة
فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم بالتكذيب
لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي
فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من افراد الآلاء تكذبان ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق
بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعم
المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها
وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من دخان صاف من نار
بيان لمارج فانه في الاصل المضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف
خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل
البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة
وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من
فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين
اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران
ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على
الاخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما
شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار
الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان
الا من ملتقى الملح والعذب ولانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان
من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج و

مبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية
وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع المصنوعات وقرئ بكسر الشين الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريانهن في البحر كالاعلام
كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى
اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى كل من عليها
اي على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او للثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي
ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال
والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال و
الاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي
الجلال والاكرام على انه صفة ربك ووصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه
تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحياة
الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه
في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سواء كان بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث
حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية
الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في
تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام كل يوم اي كل وقت من الاوقات
هو في شان من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي
باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج
كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي آلاء ربكما تكذبان
مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها
بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من
قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية والانتقام
منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن
سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما التي من جملتها التنبيه
على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما وافعالكما يا معشر الجن والانس
هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا
بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
اي ان قدرتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي
لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط
بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت بهم فباي آلاء ربكما
تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل

هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج
من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة
لشواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر
النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل
لحاف ولحف وقرئ ونحس اى نقتل بالعذاب فلا تنتصران اى تمتنعان فباى آلاء ربكما تكذبان فان بيان
عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف واى لطف ونعمة اى نعمة فاذا انشقت السماء اى انصدعت يوم القيامة
فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب
التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان خبر ثان لكانت او
او نعت لوردة او حال من اسم كانت اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام
وقيل الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فباى آلاء ربكما
تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم
واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده
لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسئل عن ذنبه انسى ولا جنى فباى آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها
فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام
وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استيناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة
العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل
يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوه واحذروهم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من
ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك اى
يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة باخذ النواصى وتارة بالاقدام
فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون على ارادة القول اى يقال لهم ذلك بطريق
التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصى والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم
عند ذلك فقيل يقال لهم او حال من اصحاب النواصى والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض
يطوفون بينها اى بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه
الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد
ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة
من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة
لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة
الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم الدينية والدنيوية والانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك
حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها وان ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه

الآية من الاحوال الهائلة التى ستقع فى الآخرة فليست من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدى
الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما اشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب
يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب
باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى
فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى
لترك المعاصى او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباى آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اى ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اى ذواتا اغصان
متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل فباى آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شئ
يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى
الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل مسك وعن الحسن وابن عباس تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم
والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما
عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
فيهما من كل فاكهة زوجان اى صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط
الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف
فى معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين كانت بطائنها كذلك فما ظنك
بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اى ما يجتنى من اشجارهما من الثمار
قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله تعالى ان
شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن
اى فى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد
عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور وقيل فى الآلاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن
الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن
المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم
الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف او حال منها لتخصصها بالاضافة فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن
الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتى قبلها اى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجه
والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقيل ان الحوراء
تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء فباى آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اى ما جزاء الاحسان
فى العمل الا الاحسان فى العمل فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اى ومن
دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى

مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة
حقيق بالانكار والتوبيخ اى خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فبأى آلاء ربكما
تكذبان فيهما عينان نضاختان اى فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأى آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما
فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى من حلف لا ياكل فاكهة فاكل
رمانا او رطبا لم يحنث فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها
والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففات من خيرات لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ
على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات
مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف
على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان كالذى مر من نظيره فى جميع الوجوه فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص
على رفرف خضر اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب وقيل هو
ضرب من البسط والبسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط
وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقرى حسان العبقرى منسوب الى عبقر تزعم
العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على احد
الوجهين وقرئ على رفارف خضر وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد فبأى آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على
الانام اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة
وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته
عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام
عليكما ذى الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت
للاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة ست وتسعون آية وهى مكية

اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق
وقوعها لا محالة كانها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة و
حدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال
ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب
على الله تعالى او تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة
على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اى ليس لاجل وقعتها او فى حقها
كذب اصلا بل كلما ورد فى حقها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ

محذوف اى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها
كذلك وبيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة
الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب
وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله
اذا رجت الارض رجا اى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة
رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل
من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته
او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اى ارتجت
وذهبت فكانت اى فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة
والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اصنافا ثلثة فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود
او فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع
للازواج الثلثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما اصحاب الميمنة
خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اى اى شئ هم فى حالهم وصفتهم
فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب
فوضع الظاهر موضع المضمر لكونه ادخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد
تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال واصحاب المشأمة
فى نهاية سوء الحال واختلفوا فى الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية
اخذا من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم و
قيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب
الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بالطاعات والاشقياء مشائيم على انفسهم بالمعصية وقوله تعالى
والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم
فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق
من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان
وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين سبقوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وايا
ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابى النجم
وشعرى شعرى وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى
وقيل والسابقون الى طاعة الله عز وجل السابقون الى رحمته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة و
قوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم
فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون
اى الذين قربت الى العرش درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر فى

اعراب هذه الجمل واشاره والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم والتنزيل الجليل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدا
محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى
الاقسام الثلثة بيان نفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان يبين بعد ذلك باسنادها اليها و
التقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين
مبنية عن تراخي احوالهما في الخير والشر انبأ اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما
الاستفهامية مبتدا وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان
ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدا و
كذا الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج
وقوله تعالى السابقون مبتدا والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدا ثان او بدل من الاول وما بعده
خبره والثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين
في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد
مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة
من لدن آدم الى نبينا عليهم السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة و
لا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون من سائر الامم فان اكثرية الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية
تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين
في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين
ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين
او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من
الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر متكئين متقابلين لا
ينظر بعضهم في اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى
اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها
وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي
ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى
لها ولا خراطيم واباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما
افرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم
عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم
بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من نزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون
ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على
ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة
ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي
ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم

ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تأثيما اي
ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم ولا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما
سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان
يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم عليه السلام
الا آخر بدأ او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم
من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدا وقوله تعالى ما اصحاب اليمين جملة استفهامية
مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدا او معترضة
لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف
لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشأن اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق
كأنه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح
منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة
طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما
شأن الطلح وقرئ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال اي القرآن لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس رضي الله
عنهما نحوه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء
مسكوب يسكب لهم اينما شاؤوا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود
كأنه حال السابقين اقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين اكمل ما يتصور لاهل البوادي
ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات
كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناوليها بوجه من الوجوه ولا يحظر عليها كبساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على
وهناك كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة و
قيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش
التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا وابدعناهن من غير ولادة ابداء او اعادة وفي
الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي
المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين
سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا
ترب لهذا اي مساوله في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف
اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين والحق انه خبر مبتدا محذوف
ختمت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية
ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر
الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بهم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد
تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله
تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من
دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد
والكرم الذي عبر عنه عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد
ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر
من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين
في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك
ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته
في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبله وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور
ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه
اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى
يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان
المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية في
الفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة
وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى او اباؤنا الاولون
لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث ابائهم
الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او اباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والاخرين من الامم
الذين من جملتهم انتم واباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث ابائهم اشد من انكارهم
لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت
به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت
القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون بعد البعث
والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل
من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون
اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتأنيث
ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فتذكير الضمير للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى
فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا الخ اي لا يكون شربكم شربا معتادا
بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء و
قيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف

وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم
الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب
الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه
اسم المشروب هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل
مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون
الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله
تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب
التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق
في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الاوجه كما
ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها
اانتم تخلقونه اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل
منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد
نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد
بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين اي ما
قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا
تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله تعالى اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى
وننشئكم في البعث على غير صورتكم في الدنيا فمن شاهد منا ذلك كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب
من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض
ولقد علمتم النشأة الاولى هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام
من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي
وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الاخرة وهو
يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه اانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه
نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما متكسرا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون
من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما
اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ
تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا
او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول
هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا
رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولا مجدودين افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا او

تخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اى من السحاب
واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا
لا يمكن شربه وحذف اللام منه مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب
في الاهمية وصعوبة الفقد او لان الشرطيتين حيث تعلقتا مسوقتان لبيان ان حصر نعمته تعالى الزرع مستوجبة والماء عامل كل
بالشمع بالنعم اخرى بعد نعمة الانبات والانزال الشكر وقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل افرأيتم
النار التي تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار
ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه
من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان
التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف
مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار
جهنم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة
في امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشيء الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء
وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح
بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما
ويسد خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخيره لتنبيه المنفعة على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى
فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما
تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم
في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اى فاحدث التسبيح
بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اى فاقسم ولا مزيدة
للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلأقسم بحذف المبتدأ او باشباع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة
من قرأ فلأقسم او فلانا اقسم والكلام بحال المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج
الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم به بمواقع النجوم اى بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها
بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين
والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل
على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم ومواقعها اوقات نزولها قوله وانه لقسم لو
تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض
بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اى كثير النفع لاشتماله على اصول
العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين
الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعلمتم
بموجبه في كتاب مكنون اى مصون عن غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح
لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات

الجسمانية او وصفا للاوزار او للقرآن فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اى لا
ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يسلمه اى لا ينبغي ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار
او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا
افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن العظيم انتم مدهنون
اى متهاونون به كمن يدهن في الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى
شكر رزقكم انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون
بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا
بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق بقوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع
الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم
كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل
نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو
فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار
الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفياتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون
لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا و
قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم
ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها
اى النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مذكورة للتأكيد وهي مع ما في حيزها
دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس
الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة
عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الخ شروع في بيان
حال المتوفى بعد الممات اثر حاله عند الوفاة اى فاما ان كان المتوفى من السابقين من الازواج الثلاثة
عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اى فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة
المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اى ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين
عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين
الآخرين فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما ينبئ
عنه اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم
للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان
احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل
اى فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال في النار وقيل

اى ثم فيها ومقاساة لالوان العذاب وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر
فى السورة الكريمة لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى
فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة
مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة
بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد تسع وعشرون آية وهى مدنية

سبح لله ما فى السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح
فى الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما فى السموات والارض
يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر فى آية الكرسى اريد به معنى عام مجازى شامل
لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من
افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على وجود الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه
عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه
واللام اما مزيدة للتاكيد كما فى نصحت له وشكرت له او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه
ومجيئه فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من
شانه التسبيح الاختيارى ان يسبحه تعالى فى جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا
يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شىء الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات
والارض اى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات
مما نعلم ومما لا نعلم وقوله تعالى يحيى ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس
كما ينبغى وهو على كل شىء من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ فى القدرة
هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها والآخر الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا
الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية والظاهر
وجوده لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقته فلا تحوم حوله العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين
الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات والظهور
والخفاء وهو بكل شىء عليم لا يعزب عن علمه شىء من الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه فى سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطته تعالى
بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم وتاخيره
عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك
السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى اليه وحده لا الى غيره
استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع

رجوعا يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اى مبالغ فى العلم بذات
الصدور اى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى
يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير ان
تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم
انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء
من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم
فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات
ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف
بالكبر وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا
به بانكار ان يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى
الاستقرار اى اى شىء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب
لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد الذى فطرنى فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار
الواقع كما فى اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما فى أاضرب اباك كذلك كلمة الاستفهامية قد تكون لانكار سبب
الواقع ونفيه فقط كما نحن فيه وفى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه
فيسريان الى المسبب ايضا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان
عدم العبادة امر مفروض قطعا قد انكر ونفى سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم حال من الضمير فى لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم
ما يوجبه اى اى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال
من مفعول يدعوكم اى وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر
وقرئ وقد اخذ ميثاقكم على البناء للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه
هو الذى ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات ليخرجكم اى الله تعالى او العبد
بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث يهديكم الى سعادة
الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله
توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم فى ذلك ايضا عذر من الاعذار و
حذف المفعول لظهور ان الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اى واى شىء لكم فى ان
لا تنفقوا فيما هو قربة لكم الى الله تعالى ما هو له فى الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى
ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير
سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد فى القبح وادخل فى الانكار فان ميراث جميع ما فى السموات
والارض من الاموال اذا كان لله عز وجل من غير ان يبقى منه لاحد شىء اقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من ايجاب
انها لله عز وجل فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كانه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والى الله

لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم
اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم موارد الانفاق مع كونه في
نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل
الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر
الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع
على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس
والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة
الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين
فقط وقرئ وكل بالرفع اي وكل وعده الله والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت
الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به
على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر
به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن
الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم
اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا
كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر
تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم
وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب
اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره
كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفي تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يستضيئون
به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استئناف
اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك
الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا
يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا
الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة
وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ

القبس

القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا
نورا من ثمة فيقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين
خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوا تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم
من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط له باب زائدة له باب باطنه اي باطن
السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من
جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون
بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم
في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام
حتى جاء امر الله وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور
بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار
لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي
مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب و
الترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه
فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة
من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال
باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم
يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القرآن
وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه
حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه
من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات
للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان
بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت
قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بالتشديد اي الوقت الاطول وغلبهم
الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد
قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية

اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة
بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بيّنا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات
لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين إن المصدقين والمصدقات
أي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أي الذين صدقوا الله
ورسوله وأقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فإنه في حكم الذين اصدقوا
أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى
أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن
المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل إن المصدقين على العموم تغليبا
وأخص المصدقات من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على
أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن للمضاعفة كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن إلى التصدق الداعية
إلى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي أنه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر
أهل النار وقيل صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن
عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على
البناء للمفعول مسندا إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف
أي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعّف بتشديد العين و
فتحها ولهم أجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان
بهم في خاتمة سورة البقرة أولئك إشارة إلى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار إليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون والشهداء
وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للأول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول
أي أولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا
إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى أو هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره
تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقوله تعالى
لهم أجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع
على أنه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول
للموصول والأخيران للصديقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة
المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم
الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للفريقين
الأخيرين بل بين تمام ما للأول من الأصل والأضعاف وبين ما للأخيرين من الأصل بدون الأضعاف
وأما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الأجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي تقتضيه
جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة أصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها أبدا اعلموا

أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة
شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء
فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث أعجب الكفار
أي الحراث نباته أي النبات الحاصل به ثم يهيج أي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد
ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وإنما لم يقل فيصفر إيذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما
المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير
في لعب لأنه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أي مثل الحياة
الدنيا كمثل وبعدما بين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن
الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الأليم
وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال
الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور
أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن ألهتك
عن طلب الآخرة وأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا أي
سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار إلى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم أي إلى موجباتها
من الأعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي كعرضهما جميعا وإذا كان عرضها كذلك
فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية
أعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان كاف وحده
في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا وإحسانا
من يشاء إيتاءه إياه من غير إيجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك
الفضل الذي لا غاية وراءه ما أصاب من مصيبة في الأرض كجدب وعاهة في الزروع والثمار
ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلا في كتاب أي إلا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح المحفوظ
من قبل أن نبرأها أي نخلق الأنفس والمصائب والأرض إن ذلك أي إثباتها في كتاب
على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت
ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما
أتاكم من الإتيان وفي القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها
وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما أوتيتم والمراد به نفي الأسى المانع عن
التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال
فخور فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل
بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فإن معناه
ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله الغني الحميد لقد أرسلنا رسلنا أي الملائكة

الى الانبياء الى الامم وهو الاظهر ❊ بالبينات ❊ اى الحجج والمعجزات ❊ وانزلنا معهم الكتاب ❊ اى جنس الكتاب الشامل
للكل ❊ والميزان ليقوم الناس بالقسط ❊ اى بالعدل روى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام
وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان ❊ وانزلنا الحديد ❊ قيل نزل
آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة و
الابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام
وذلك ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء ❊ وقوله تعالى ❊ فيه بأس شديد ❊ لان آلات الحروب
انما تتخذ منه ❊ ومنافع للناس ❊ اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد ❊ وقوله
تعالى ❊ وليعلم الله من ينصره ورسله ❊ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه
قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله اى غائبا منهم او غائبين عنه
باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية
اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط ❊ وقوله تعالى
❊ بالغيب ❊ حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ❊ ان الله قوى عزيز ❊ اعتراض
تذييلى جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته
واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته
وعزته عنهم فى كل ما يريده ❊ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم ❊ فيه نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا
الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما ❊ وجعلنا فى ذريتهما النبوة
والكتاب ❊ بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم ❊ فمنهم ❊ اى من
الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين ❊ مهتد ❊ الى الحق ❊ وكثير منهم فاسقون ❊
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم
❊ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ❊ اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا ❊ وقفينا بعيسى ابن مريم ❊ اى ارسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية
فان الرسل المقفى بهم من الذرية ❊ وآتيناه الانجيل ❊ وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمى لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب
❊ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ❊ وقرئ رآفة على فعالة ❊ ورحمة ❊ اى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم
ونحوه فى شأن اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ❊ ورهبانية ❊ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر
اى وابتدعوا رهبانية ❊ ابتدعوها ❊ واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم
رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى
المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف
فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات
فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين
بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة ❊ وقوله تعالى ❊ ما كتبناها عليهم ❊ جملة مستأنفة وقيل صفة لرهبانية

والنفى على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل ❊ وقوله تعالى ❊ الا ابتغاء رضوان الله ❊ استثناء منقطع اى ما فرضناها
نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ❊ وقوله تعالى ❊ فما رعوها حق رعايتها ❊ من حيث
ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى قيده لا الى نفسه
والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها
رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يراعوها حق رعايتها ويحافظوا عليها
فما رعاها كلهم بل بعضهم ❊ فآتينا الذين آمنوا منهم ❊ ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر ❊ اجرهم ❊ اى ما
يخص بهم من الاجر ❊ وكثير منهم فاسقون ❊ عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبا نية
قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام ❊ يا ايها الذين آمنوا ❊ اى بالرسل المتقدمة ❊ اتقوا الله ❊
فيما نهاكم عنه ❊ وآمنوا برسوله ❊ اى محمد صلى الله عليه وسلم وفى اطلاقه ايذان بانه علم فرد فى الرسالة لا يذهب
الى غيره ❊ يؤتكم كفلين ❊ نصيبين ❊ من رحمته ❊ لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على
معنى ان شرائعهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ❊ ويجعل لكم نورا تمشون به ❊ يوم
القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ❊ ويغفر لكم ❊ ما اسلفتم من الكفر والمعاصى
❊ والله غفور رحيم ❊ اى مبالغ فى المغفرة والرحمة ❊ وقوله تعالى ❊ لئلا يعلم اهل الكتاب ❊ متعلق بمضمون
الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم
الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام
النون فى الياء ❊ ان ❊ فى قوله تعالى ❊ ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ❊ مخففة من الثقيلة واسمها الذى
هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر
من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم ياتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله
❊ وقوله تعالى ❊ وان الفضل بيد الله ❊ عطف على ان لا يقدرون ❊ وقوله تعالى ❊ يؤتيه من يشاء ❊ خبر ثان لان وقيل
هو الخبر والجار حال لازمة ❊ وقوله تعالى ❊ والله ذو الفضل العظيم ❊ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله
وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والطاعة والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على
ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله
وروى ان مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرئ لئلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ ليلا بسكون الياء وفتح اللام كاسم
المراة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا وايا ما قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون
للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذى هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم
بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل بيد الله عطفا على ان لا يعلم

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية

قد سمع الله بإظهار الدال وقرئ بإدغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها أي تراجعك الكلام
في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتساءلك وتشتكي إلى الله عطف
على تجادلك أي تتضرع إليه تعالى وقيل حال من فاعلها أي تجادلك وهي متضرعة إليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة
بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك
إلا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا
رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما أراك إلا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت أشكو إلى الله
فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت
إلى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد إشعار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى
حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي أنه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في أمرك شيء وأنها
كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم إني أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة
دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما أي يعلم تراجعكما الكلام
وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها
من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله بطريق فإن إلحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع إلى الله تعالى
ومدافعته عليه السلام إياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الإجابة وقيل هي حال
وهو بعيد وقوله عز وجل إن الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات
ومن قضيته أن يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع و
إظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى
الذين يظهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف
والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الأحزاب وألحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فإنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة
دون سائر الأمم وقرئ يظاهرون من أظاهر ويتظاهرون من تظاهر وقوله تعالى ما هن أمهاتهم خبر
للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم
إن أمهاتهم أي ما هن إلا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات
وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة
وإنهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإنه أمر محقق
بل كونه منكرا أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى إنكم لتقولون
قولا عظيما وزورا أي محرفا من الحق وإن الله لعفو غفور أي لمبالغ في العفو والمغفرة فيغفر ما سلف
منه على الإطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم
الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أي والذين يقولون

ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أي إلى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى
أن تعودوا لمثله أبدا فإن اللام وإلى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى يهدي للتي هي أقوم وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط
الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحي إلى نوح فتحرير رقبة أي فتداركه أو فعليه أو فالواجب
إعتاق رقبة أي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله تعالى يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول
منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول أي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود
للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا
ونظرا إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود وإن أعتق بعض
الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ذلكم إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره
توعظون به أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره
بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع
الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الأعمال التي من جملتها التكفير
وما يوجبه من جناية الظهار خبير أي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم و
لا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد أي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا
ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ فمن لم يستطع أي الصيام لسبب من الأسباب فإطعام ستين مسكينا لكل مسكين
نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام ذلك
إشارة إلى ما ذكر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله
إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك إشارة إلى الأحكام المذكورة وما
فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين أي الذين لا يعملون
بها عذاب أليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين إن الذين
يحادون الله ورسوله أي يعادونهما ويشاقونهما فإن كلا من المتعاديين كما أنه يكون في عدوة وشق
غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون
المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا أي أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل
أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله
تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل
عليهم السلام وقد أنزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا أي كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات
واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء
به وللكافرين أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا عذاب مهين يذهب
بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم و
تهويلا له جميعا أي كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا أي بالتقريع

ببيان صدوره عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد وتخجيلا لهم و
تشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما
عن كيفية التنبئة او عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه
الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف
المشهور وقيل لم ينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم
لهم على التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول
شهادته كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم
علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية
منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون
من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلثة نفر اي
مسارتهم على ان نجوى مصدر مضاف الى ثلثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى او جعلهم نجوى في انفسهم مبالغة
الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص
الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم
الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم
يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا
من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا
وبعدا ثم ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم
لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت
في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته
العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه
وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين
المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ ويتنجون بالاثم والعدوان بكسر العين
ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك وانعم صباحا والله سبحانه
يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك
لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم
في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا
وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية
الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم

بكل ما تأتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره
فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم
وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله
اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين
آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم على بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح
وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول
صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه وقيل
هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول
تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة
او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله
الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم
خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثري العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به
مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله
ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون
خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض
شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قبلها مستعار
ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال و
التمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله
تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب
الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول
بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى
فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق
أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم
لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك
وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لم تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم
من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم
وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اي فاذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه
بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر

لما وقع في ذلك من [illegible] والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون
اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب
الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستانفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي ويقولون والله انا لمسلمون
وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما
يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم
انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي
انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على م تشتمني انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى
من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون
بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم
واموالهم والاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بها بالفعل واما على القراءة الاولى فمجاز
عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن
استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان
يكون قبل المواخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله
في خلال امنهم تثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين
وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا
واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها
هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب
فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك
الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها
عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى
غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة
تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حاذ الابل اذا استولى
عليها وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم و
اخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المضاف اليه في موقع الاضمار

باجلاء الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استئناف
مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة
من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في
الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله تعالى من الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار
عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف
وارد للتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به
فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله
قوي على نصرة انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله
مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين
بين الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة
على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا
اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم اباء
الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام
في لو قد مر على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم
وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره كتب في قلوبهم الايمان
اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا
شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب
او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم
الخ بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الاخرة جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابد الابدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم
من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا و
قوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم
المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر
في مثلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر اربع وعشرون اية وهي مدنية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد
وفي تكرير الموصول ايضا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام
نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليهم

فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية ولا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان
ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه
السلام فامر محمد عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم
بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد
الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن
معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله
في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات
على بعير ما شاؤا من المتاع فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي
بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله
على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض اثار عزته
تعالى واحكام حكمته اثر وصفه بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان
اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في
قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة
بن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ
ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من
سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء
عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها
المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها احد
يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله
اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين
اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي فاتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف
الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة
ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض الاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي
المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد
هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون
بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا
يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا
مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد

الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ولولا ان كتب الله
عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني
قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من
عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم بسبب
انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله
كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها مشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى فان الله
شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء وقد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او
تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والاجل
بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد
فاذن لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة
من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على ليان وهي النخلة الكريمة او تركتموها
الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها
كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن
وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين
اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا
ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعف حسرة واستدل به على
جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان
كان من الالوان ليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد
وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب
العاجل والاجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار
بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي
من بني النضير منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو
سرعة السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب
الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة
بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها
مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجري بينهم مسايفة كانهم
قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا غير معتاد من غير ان يتحملوا مشاق
الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء

تارة على الوجوه المعهودة واخرى من غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف
الفيء بعد بيان افادته عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة
التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذى
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف
سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول
صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول
وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء الذين يستحقونه
يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغناء والجد والغلبة
وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح في النصرة اى كيلا يكون
جيلا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون
بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء
شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون
ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان
تامة اى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه
فانه حلال لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله
في مخالفته عليه السلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره وقوله تعالى للفقراء المهاجرين بدل
من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى
القربى خصص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا
من الله ورضوانا اى طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على
استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده
وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهى حال مقدرة اى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله
او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة اولئك
الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك عما
فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة
من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار
انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن
التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل
المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه
اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه من قبلهم اى من قبل هجرة المهاجرين على

الاول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الآخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على
المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم
الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها عن خلاصهم قلبا واعتقادا اذ لا يتصور
تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم
الايمان ولا يجدون في صدورهم اى في نفوسهم حاجة اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى
ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اى مما اوتي المهاجرون
من الفيء وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من الاسباب في المعاش حتى
ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة
اى حاجة وخلة واصلها اختصاص البيت وهى فرجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا
دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم
ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت
الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله
تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه عليه لكن على ان ذلك
انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدقات دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا
مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم
واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اى ومن يوق بتوفيق
الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار
معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه
والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤوا من بعدهم
هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الخ والجملة
مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان
ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اى يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى في الدين الذى هو اعز و
اشرف من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا
وقرئ غمرا اى حقدا للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤوف رحيم اى مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق
بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال
الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استئناف لبيان المتعجب منه
وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوانهم اما توافقهم في الكفر واما اخوتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اى

من دياركم فى اموطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة و
نذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اى فى شانكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال
الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم وخذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم على
ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل بنصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم
لننصرنكم اى لنعاونكم على عدوكم على ان دعاءهم الى خذلان اليهود مما لا يكاد يصدر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيه ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرهم
واظهار كفرهم ولا ريب فى ان ما يفعل عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج
معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لانهم من الصداقة الدنيوية
لا للموافقة فى الدين والله يشهد انهم لكاذبون فى المواعيد المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل
على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير
ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم
لظهور كفرهم اى لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية على
انها مصدر من المبنى للمفعول فى صدورهم من الله اى رهبتهم منكم فى السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله
تعالى فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من
رهبة الله تعالى بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته
لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين فى موطن
من المواطن الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم
لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر بفتح الجيم والدال وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد
استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد
وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون شيئا
حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرمون عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال
وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم وتفرق فنونهم واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن
قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين
من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل من انهم اخرجوا قبل بنى النضير قريبا اى فى زمان قريب
وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة
عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم
بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهى ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان
للمبتدا المقدر مبين لحالهم المتضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم

اخرا وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من اسند اليه بخصوصه
ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم
ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اغراه
على الكفر اغراء الآمر للمأمور على المأمور به فلما كفر قال انى برئ منك وقرئ انا برئ منك ان اريد بالانسان
الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى انى اخاف الله رب العالمين وان
اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم
وتبرؤه قوله يومئذ انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على انه
خبر كان واسمها انهما فى النار وقرئ بالعكس والاول اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على
انه خبر ان وفى النار لغو وذلك جزاء الظالمين اى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء
خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى
اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره
لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر
فيما قدمن لذلك الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول فى اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون
من المعاصى ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا
مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا
ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار واصحاب
الجنة الذين اتقوا فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان
القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان
الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع
واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة
المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار
لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن
الفريقين بعنوان صاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون بكل مطلوب الناجون
عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل من الجبال
لرأيته مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى
متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تاثير ما فيه من المواعظ
كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه
وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذى لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة

اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة
لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذى
لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما و
قرئ بالفتح وهى لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب
الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن بقلب
همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذى جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اى اصلحها المتكبر الذى
تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى
او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن ان يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما اصلا هو الله الخالق
المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض
بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على
المعانى الحسنة يسبح له ما فى السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز
الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة ثلث عشرة آية وهى مدنية

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وذلك انه لما تجهز
رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم
فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان
بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم
جحدت فسل على سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك
على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرا ملصقا فى قريش
ليس من يحمى اهلى فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اى توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما
فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم و
بينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له
انما يشترط فى الاسم دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل
من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول
واياكم اى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم
الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى
متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف

وارد على نهج العتاب والتوبيخ اى تسرون اليهم المودة وانا اعلم اى والحال انى اعلم منكم بما
اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولى على ما تسرون فاى طائل لكم فى الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء
مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى ما يسرون وما
يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان
يثقفوكم اى ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون
اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيامة بجلب
نفع او دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم
بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم
ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من يفر منكم غدا وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل
مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم
اسوة حسنة اى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى فى ابراهيم والذين معه اى من
اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن فى حسنة او صلة لها لا لاسوة
لتحدها من تجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا براء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء
وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله
من الاصنام كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا اى هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم
عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء
من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا
لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى ان يؤتسى به اصلا اذ المراد
به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان
الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر
المرجو ايمانه مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وان علم
تعليل استغفاره عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغى ان يؤتسى به لانه كان قبل النهى لاستغفاره
عليه السلام وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لان مورد النهى هو
الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا
وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز ان يكون استغفاره عليه السلام
له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله الا عن موعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء
الى العدة بالاستغفار بقوله واعتزل الى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه السلام على الاستغفار و
تخصيص العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك لورودها على طريق

التوكيد القسمي وانما جعل الاستغفار دايرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة
وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن
لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه
من خصال الخير اظهار العجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا و
اليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور
لقصر التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم
لاسيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذي
لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة
في التضرع والجؤار وهذا ايضا من جملة الايات تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامر لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا
اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين
الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة
في الحث على اقتداء الانبياء به عليهم السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الاخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان
كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان
يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين وعد
الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة ابائهم وابنائهم وسائر اقربائهم
ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم
بينهم التحاب والتصافي والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط
منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا
اليهم اي تقضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة
بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها
ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها و
تحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه
ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة
وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان
تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون
لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي
الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب

على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي
يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله
ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في
قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبليغ
طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو
الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي
الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي من جانبهن اليهم
والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا
ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه
فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر
المخزومي وقيل صيفي ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي زوجتي فانك قد شرطت ان ترد علينا
من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان
تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط
ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم
الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكون بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة
زوجية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من
نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب
فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ لا تمسكوا بالتشديد
ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم اي الذي ذكر حكم الله وقوله
تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما
على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنين ما امروا
به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى
الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت شيء من ازواجكم الى الكفار
اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من
مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء المسلمين
والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من مهور المهاجرات اللاتي تزوجتموهن ولا تؤتوه ازواجهن الكفار وقيل معناه ان فاتكم
فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف و

يكسر بها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة
بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون • فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى • يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة
النساء • على ان لا يشركن بالله شيئا • اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك • ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن • اريد وأد البنات وقرئ ولا يقتّلن بالتشديد • ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن • كانت
المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها
لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها وتخرجه من بين رجليها • ولا يعصينك في معروف • اي فيما تأمرهن به من
ونهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز
طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن
مع اختصاص بعضها بهن • فبايعهن • اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في الطاعة
من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن
لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها • واستغفر لهن الله • زيادة على ما
في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من
قبلهن • ان الله غفور رحيم • اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه
واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على
الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة
وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن وروي انه عليه السلام
وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط
وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الخ فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن
انطلقن فقد بايعتكن • يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم • هم عامة الكفرة وقيل اليهود
لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم • قد يئسوا من
الآخرة • لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات
• كما يئس الكفار من اصحاب القبور • اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال و
شاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى
كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار
بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنات شفعاء
يوم القيامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الصف اربع عشرة آية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في نظيره • يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا
وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
الاحتمال الخ وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم
على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب
الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد
لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل نزلت فيمن يمتدح كاذبا حيث كان الرجل
يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله
صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم
وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها
كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير
والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك
الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون
لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود • كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • بيان لغاية قبح ما فعلوه
وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم
قيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا يشوبه شيء وكبر عند من يحقر دونه كل عظيم • وقوله تعالى • ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا • بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في
ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوّله المتمدح وانتحله المنتحل وادعاه المنافق وان مناط
التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتَلون بالفتح للبناء ويقتّلون وصفا
مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم
او مصفوفين وقوله تعالى • كأنهم بنيان مرصوص • حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم
من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى • واذ قال
موسى لقومه • كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت
قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله
لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا امره ولم يمتثلوا به وعصوه اشد عصيان
حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذية
• يا قوم لم تؤذونني • بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به • وقوله تعالى • وقد تعلمون اني رسول الله اليكم •
جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره

اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم
وانجاؤكم من ملكته انى رسول الله اليكم لارشدكم الى خيرى الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا
فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى ﴿فلما زاغوا﴾ اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام و
استمروا عليه ﴿ازاغ الله قلوبهم﴾ اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى
والضلال وقوله تعالى ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة و
مؤذن بعلته اى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية
موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق
وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق
ناظر الى ما فى قوله تعالى ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ وقوله تعالى ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ وهذا
هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم
كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم
منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله تعالى وحقه فمما لا تعلق
له بالمقام وقوله تعالى ﴿واذ قال عيسى ابن مريم﴾ اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر
معطوف على عاملها ﴿يا بنى اسرائيل﴾ ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله تعالى ﴿انى رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله
تعالى ﴿ومبشرا برسول يأتى من بعدى﴾ معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث
ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول و
الصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى
من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول ﴿اسمه احمد﴾ اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى
التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدى بفتح الياء ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾
اى المعجزات الظاهرة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ مشيرين الى ما جاء به والى عليه السلام وتسميتهم سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ اى لا احد
اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على
الله عز وجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اى هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام
لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال ادعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه ﴿والله لا يهدى
القوم الظالمين﴾ اى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ اى يريدون
ان يطفئوا نور الله دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما
فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا اباك اوهم يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله ﴿بافواههم﴾ بطعنهم فيه
مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿والله متم نوره﴾ اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق
واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة ﴿ولو كره الكافرون﴾ اى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مرارا ﴿هو
الذى ارسل رسوله بالهدى﴾ بالقرآن او بالمعجزة ﴿ودين الحق﴾ والملة الحنيفية ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليغلبه

على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله تعالى عز وجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو
مغلوب بنافذ مقهور بدين الاسلام ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك وقرئ هو الذى ارسل نبيه ﴿يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾ استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف
نعمل او ماذا نصنع فقيل ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم﴾ الخ وهو خبر فى
معنى الامر جئ به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ امنوا بالله
ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد
بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر مرة غير مرة ﴿خير لكم﴾ على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ﴿ان كنتم تعلمون﴾
اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا
علمتم ذلك اعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون
﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره
ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة
لا توجب المغفرة ﴿ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك﴾
اى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة ﴿الفوز العظيم﴾ الذى
لا فوز وراءه ﴿واخرى﴾ ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة ﴿تحبونها﴾ وترغبون فيها وفيه
تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره
﴿نصر من الله﴾ وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف ﴿وفتح قريب﴾ اى عاجل عطف
على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اى تنصرون نصرا ويفتح
لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اى يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف
على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون لانه فى معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا ايها
المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا ﴿يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله﴾
وقرئ كونوا انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله ﴿كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله﴾ اى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى
﴿قال الحواريون نحن انصار الله﴾ والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا انصار الله كما كان الحواريون
انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا ﴿فآمنت طائفة من بنى اسرائيل﴾ اى بعيسى وأطاعوه
فيما امرهم به من نصرة الدين ﴿وكفرت طائفة﴾ اخرى به ﴿فايدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ اى
قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿فاصبحوا ظاهرين﴾ غالبين عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا ويوم
القيامة رفيقه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الجمعة احدى عشرة آية وهى مدنية

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن
قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من
جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة
اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسطت بينهما معطوفة على يتلوا اي يحملهم على ما يصيرون
به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود
على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة
نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة
كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه
باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام
والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم
الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة
واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين منهم اي من الاميين وهم الذين
جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه
من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من سائر الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا
وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة مثل الذين حملوا التورية
اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الاية التي من جملتها الايات
الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب
بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم
النكرة ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله على ان التمييز محذوف
والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا الخ على
ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف وبئس مثل القوم المكذبين مثل
هؤلاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية
من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين
للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا
اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون
ان الدار الاخرة لهم عند الله ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم
من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جواب محذوف لدلالة ما قبله عليه قراءة الكل ولا يتمنونه

ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني
بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة
افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على
الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما ياتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء
ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون
الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع
الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك
انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى
المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم
فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار
الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا
تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في
قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل
اول من سماها الجمعة كعب بن لوي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة
لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجمع فيه فنذكر
الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية
الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه
لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا
والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم
بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة
والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من
مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا
قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله
اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة
المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون تفوزون بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن
خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه
فما بقي عنده عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفسي

محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق
وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير إليها لأنها المقصودة أو لأن الانفضاض للتجارة مع الحاجة إليها
والانتفاع بها إذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة
انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فحذف الثاني لدلالة الأول عليه وقرئ إليهما وتركوك قائما أي على المنبر قل ما
عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فإن ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم
والله خير الرازقين فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي احدى عشرة آية

إذا جاءك المنافقون أي حضروا مجلسك قالوا نشهد إنك لرسول الله مؤكدين كلامهم بإن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه
صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم إنك لرسوله
اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون تحقيقا و
تعليقا لما نيط به التكذيب لا بمنطوق كلامهم أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة
عن اعتقاد وطمأنينة قلب والإظهار في موضع الإضمار لذمهم والإشعار بعلة الحكم اتخذوا أيمانهم الفاجرة
التي من جملتها ما حكي عنهم جنة أي وقاية عما يتوجه إليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة
عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل
فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن
سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله أي فصدوا من أراد الدخول في الإسلام
بأنه عليه السلام ليس برسول ومن أراد الإنفاق في سبيل الله بالنهي كما سيحكى عنهم ولا ريب في أن هذا الصد
منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ إيمانهم أي ما أظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل
فإنه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والإعراض
عن سبيله تعالى إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين
ذلك إشارة إلى ما تقدم من القول الناعي عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب
والاستجنان بالأيمان الصورية وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا من الإشعار ببعد منزلته
في الشر بأنهم أي بسبب أنهم آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الإسلام ثم كفروا أي
ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون
حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيته أصلا وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة
وجوههم وإن يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبي جسيما فصيحا
يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه
يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء
للمفعول وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له

شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة إلى
الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو
جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها أي فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب
كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم أي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم
وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم هم العدو أي هم الكاملون
في العداوة الراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي و
الجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فإن الفاء في قوله تعالى فاحذرهم
لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعادي قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم
أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى أنى يؤفكون تعجيب من حالهم أي كيف يصرفون عن الحق
إلى ما هم عليه من الكفر والضلال وإذا قيل لهم عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤوسهم أي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون أي يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار وهم
مستكبرون عن ذلك سواء عليهم أستغفرت لهم كما إذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت
بحذف حرف الاستفهام لا لقلب همزة الوصل ألفا أم لم تستغفر لهم كما إذا أصروا على قبائحهم واستكبروا
عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم أبدا لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر إن الله لا يهدي
القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق
والمراد إما هم بأعيانهم والإظهار في موقع الإضمار لبيان غلوهم في الفسق أو الجنس وهم داخلون في زمرتهم
دخولا أوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون أي للأنصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى
ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى
ولله خزائن السموات والأرض رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء
من حوله عليه السلام ببيان أن خزائن الأرزاق بيده تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل روي أن جهجاه بن سعيد أجير عمر رضي الله عنه
نازع سنانا الجهني حليف ابن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان
جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى إلى ابن أبي فقال للأنصار لا تنفقوا الخ والله
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين وإسناد القول
المذكور إلى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أي ولله
الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط
جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه
عبد الله وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد
أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين

ملوح

خير يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها
والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود
والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن
يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل
للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل
قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا
على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون
بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها
او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا
فشر فسارعوا الى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مكية ثماني عشرة آية وهي

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول
النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره فاعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل
شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع
مبادئ الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف
ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين
للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم
شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب لمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر
كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه بالالجاء الى المقام والله بما تعملون
بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان
خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم
حيث برأكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة
والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته
في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال
تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية
والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع
اندراجه فيما قبل لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله

عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات
المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة
للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبله وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفرة
نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على
كفروا اي وبال الثقل والشدة المترتبة على عرضهم الامور واصرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر ثقيل
وجناية عظيمة اي الم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوا في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة
بانه بسبب انه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على
كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون
الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل
في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما
اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم
وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد
يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار
مكة اي زعموا ان الشأن لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى
اي تبعثون وقوله تعالى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون بما عملتم جملة مستقلة
داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط
به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة
التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية
ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا
وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز
كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
وتأكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم
ومعاقبكم يوم يجمعكم او منصوب باذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون و
الآخرون لما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم غبن فيه بعض الناس بعضا بنزول
السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده
من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص

التغابن وبذلك للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيها لا يقع في الامور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
اي عملا صالحا يكفر اي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة ويدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا و
كذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كأن هاتين الايتين الكريمتين بيان
لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي بتقديره وارادته كأنها بذاتها
متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع
وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه
لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه و
قرئ يهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها القلوب واحوالها عليم
فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كررت كيدوره الايذان بالفرق بين
الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على
رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اي فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك
بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار
الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من
مبتدأ وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غيره وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف
وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة
في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع
التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى
او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي
او للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني الحذر عن البعض لان منهم من
ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان
تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير
وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل
ان ناسا وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون
وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا
ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم
واموالكم فغضبوا عليهم فقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم
في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد
والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه

واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقناكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا
لانفسكم اي ائتوا خيرا وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان
لكون الامور المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان
مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون
بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق
ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة
مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق ثنتا عشرة آية وهي مكية

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته
ايضا لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب
بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك لاعتبار لو كان
في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه
كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من
شهر كذا فان المرأة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد
ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة
واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن
والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن
من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق حتى تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتأكيد
النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج
في حكم الاخراج باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين
بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج
فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان
خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن
يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة باخلال شيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر
التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي ضرها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب
يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية
وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة
عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي

ويحتمل التعليل بالوتيرة لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري
خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهم
فالمعنى لم يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك
بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا
اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن
فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء
الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا
للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة
واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد
والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود
تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله
تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد
له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع
في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه لا يخطره بباله
ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن
بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج
فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق
الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك اسر المشركون ابنا له فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اي
منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ
برفع امره على انه مبتدأ او بالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية
اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا
وتوقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه اذ اعلم ان كل شيء من
الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل عليه تعالى واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم
كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف
ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن

مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود
رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح
ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره
يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله
اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من
كان يؤمن بالله في سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات
يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات
فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم
اي مما تطيقونه بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن اي في السكنى لتضيقوا عليهن
وتلجؤوهن الى الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن
من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع
واتمروا بينكم بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب
مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز
مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب في بذل مجهوده وقد اكد
ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اي كثير من اهل قرية
عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء
والتنقير والمناقشة من كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة
وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها
وكان عاقبة امرها خسرا اي خسارا لا خسار وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه
قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم و
اثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية و
اعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأين الذين آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او
نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره
او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات
وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه شرف المنزل عليه

واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل
او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات
نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ
مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين
بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل او ليخرج من علم او قدر
انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في
تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله
تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار
لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد
ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن
اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية
طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة
كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق
بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا
حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق
قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم
وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم
يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان
الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم انها سبع ارضين
متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن
وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب
تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل
ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل
المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحي ذلك وبين
لتعلموا ان ما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انما

عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق رسول الله وصدق حبيب الله عليه السلام

سورة التحريم اثنتا عشرة آية وهي مدنية

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت
به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل
نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عليه
السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح
المغافير وكان صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين
او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه
مؤد بعدم صلاحيته كذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك
ولم يؤاخذك وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها و
هو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هاهنا والله مولاكم
سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يأمركم
ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه المشيئة والحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا
اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث
وافشته اليها وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على
افشاء حفصة عرف اي النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بعضه بعض الحديث الذي افشته
قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما
ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو
حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث قالت
من انبأك هذا اي افشاءها هذا الحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا
الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء
للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب
عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت و
تظاهرا عليه باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي تتعاونا عليه
بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن
يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه
واعوانه قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام
فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييد

الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه
السلام اشد تأثيرا في قلوبهما وتوجيها لامرهما حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد جنس الصالحين كما هو المشهور
والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم
وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من
هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى
وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل الانسب ان يجعل ذلك
اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ليكون بيانا لبعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري
من افضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام
ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفضلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله اي يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما
يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق
واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمي الصائم سائحا
لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون
به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن نفس الكل على تغليب المخاطبين
اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وافراد
المؤمنين بما يتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة
اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق
شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله
تعالى او فيما امرهم به على نزع الخافض لا يمتنعون عن قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون
اي ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
مقول لقول قد حذف دلالة وثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما
امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم
بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفها
التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على
طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على
انهم لا يعودون الى قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علي رضي الله
عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيق

مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار
وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم
عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها
واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح
كالشكر والشكور اي فان نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على سنن
الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء
وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه
عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه
عصمهم من مثل حالهم وقيل مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط
وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون [crossed out] الخ وعلى الثاني خبر آخر
للموصول اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا
وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وهم
اولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ
عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون
فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه
المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا
لحال هؤلاء الكفرة حالا ومثلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح
وامرأة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لهما ويتضح بذلك حال
هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح
اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما
وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي اي خانتاهما
بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا عنهما الخ بيان لما ادى اليه
خيانتهما اي فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء
وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين
في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت
ظرف لمحذوف اشير اليه بما ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك رأت بيتها في الجنة من درة

روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين من القبط
التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اي وضرب الله مثلا للذين
آمنوا اي حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا
التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي مريم من روحنا من روح خلقناه بلا واسطة اصلا و
صدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة اي بما اوحي الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله و
كتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين
على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم او من
نسلهم لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي عليه السلام كمل من الرجال كثير و
لم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا صدق رسول الله

سورة الملك مكية وآيها ثلثون

تبارك الذي بيده الملك النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ونسبتها الى
الله عز وجل على المعنى الاول وهو اللائق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله
وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه وانما تنسب اليه تعالى
باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة يجوز ان
يكون للافادة غاية تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها
ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها على نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال
غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها
واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا
الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة
عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها
مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة شروع
في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات
جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اهل السنة
صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة
كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد
رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه تقديره
وازالة الحياة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله لظهور مداريتهما لما ينطق
به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس
العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق

اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا
فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى
الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب
والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف ولا عمل بدون معرفة الله تعالى
الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة
في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان في
ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم
مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي
عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر و
نظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع
ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط
للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق
اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من
الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقائضهما ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن
تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع
على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما حقق في تفسير قوله تعالى الذين
يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني
في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها وصف بالمفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة
الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته الظاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي
اختلاف وعدم تناسب من الفوت كان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت
ومعناهما واحد فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت
في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد
بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا
اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير

اى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات
فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء
بمضمونها اى وبالله لقد زينا السموات اى الاقرب الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من
السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها فى سائر السموات وما ذاك
الا لان كل واحد منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الافكار وطراز فائق يهيم فى دركه الانظار
وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى وهى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من
نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده
المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم فى الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق
فى الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه
عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اى جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اى لجهنم
وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى
سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر
والزفير فى الحلق وهى تفور اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها
منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق تكاد تميز اى تتميز وتتفرق من
الغيظ اى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى انه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظا
وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور
او خبر آخر وقوله تعالى كلما القى فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها او هو
حال من ضميرها اى كلما القى فيها جماعة من الكفرة سالهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا
عذابا فوق عذاب وحسرة فوق حسرة الم ياتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم
هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم
بالكلية بلى قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما جامعا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب
بها مبالغة فى الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ما
وقع منهم من التفريط تنديما واعتذارا على ذلك اى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اى
واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما انزل الله تعالى
عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا فى حق ما تلاه من الآيات
افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير ما نزل الله على احد من شىء من الاشياء فضلا عن تنزيل
الآيات عليكم ان انتم اى ما انتم فى ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها الا فى ضلال
كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة
فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما
واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقى يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية
ولا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر

لعله

على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك فقد حال الجريض
دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى
الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر مضاف فى الموضعين اى اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية و
من اجرى الجمعية باحد الوجوه الثلثة على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه
الشئون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على
ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه او ان يكون
من كلام الرسل للكفرة فقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم
لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا فى اصحاب السعير اى فى عدادهم
ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف
التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم
الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر موكد لفعل
معتل من المزيد بحذف الزوائد كما فى قوله تعالى اى فاسحقهم الله او لفعل مترتب على ذلك القول اى فسحقهم
الله فسحقوا اى بعدوا سحقا كما فى قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام فى قوله تعالى لاصحاب السعير
للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب ان
الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفى
منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا
به بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر
به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه
عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به
فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى
بيان شمول علمه المحيط لجميع المخلوقات والمعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون
به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل
شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا
وهو او مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفى صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه
مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها
اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار
ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته وجود جميع
الاشياء التى هذا من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى

أي ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى
ألا يعلم من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لإخلائه عن المفعول بإجرائه مجرى
يعطي ويمنع على معنى ألا يكون عالما من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الإفادة لأن
نظم الكلام ألا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا لينة يسهل عليكم
السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما
أخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى
النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها
لترتيب الأمر على الجعل المذكور أي فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير
أعصاه وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدميه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق
منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى وإليه النشور أي المرجع بعد البعث لا إلى
غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه أأمنتم من في السماء أي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه
على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أي أأمنتم
من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يخسف بكم الأرض بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون
في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو
بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار أي من أن يخسف فإذا هي تمور تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف
ما كانت عليه من الذل والاطمئنان أم أمنتم من في السماء إضراب عن التهديد وانتقال إلى التهديد
بوجه آخر أي بل أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم
لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها
حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير أي إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم
العلم وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة
كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات إلى الغيبة لإبراز الإعراض عنهم فكيف كان نكير أي إنكاري
عليهم بإنزال العذاب أي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط و
فيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى أولم يروا
أغفلوا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها
صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك
وهو السر في إيثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على القابضات ما يمسكهن في الجو
عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع إلا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بأن برأهن على
أشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير في يقبضن إنه بكل شيء
بصير يعلم كيفية إبداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية
ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما يأتي من قوله تعالى

إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا لكن الاستفهام هناك متوجه
إلى نفس المانع وتحققه وههنا إلى تعيين الناصر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل
المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار
قدرة الله عز وجل إلى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهمزة معها لأن
ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده وإيثار هذا التحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول
إما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله فالمعنى
بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من نصره تعالى أو ينصركم
من عذاب كائنا من عند الله تعالى وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا إلى مع القول بأن من استفهامية
مما لا تقريب له أصلا وقوله تعالى إن الكافرون إلا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية
الضلال أي ما هم من زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس
الله تعالى إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات
إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موقع الإضمار لذمهم
بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه أي الله عز وجل
رزقه بإمساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا أن قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر
يستدعيه المقام كأنه قيل إثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا
في عتو أي عناد واستكبار وطغيان ونفور أي شراد عن الحق وقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى إلخ
مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر
من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم
في مسلك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهمزة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة
وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا إلخ والمكب
الساقط على وجهه يقال كبه فأكب على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كأقشع الغمام
أي صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه
واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذي يؤمه أمن يمشي سويا أي قائما سالما من الخبط والعثار
على صراط مستقيم مستوي الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الأولى
عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية معطوفة على الأولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو
وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي
سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة قل هو الذي أنشأكم إنشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا
آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والأبصار لتنظروا بها إلى الآيات
التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والأفئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من
الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة قليلا ما تشكرون أي باستعمالها

فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا صفة لمصدر محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا
او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وكثركم
فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ويقولون
من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم
صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد
وتلاوة الايات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة
والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى
قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه
فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب
الشرطية عليه كانه قيل وقد اتاهم الموعود فلما راوه كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده
الاية لكن المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف
وقوله تعالى زلفة حال من مفعول راوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى
الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي راوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر
وتعليل المساءة به وقيل توبيخ لهم وتشديد العذاب هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه
في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان
لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد
قل ارايتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله
عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير اجالنا فنحن في جوار
رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيكم منه احد متينا ووضع
الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم
الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا
لا على غيره اصلا لعلمنا ان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة
من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتية قل ارايتم اي اخبروني ان
اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به
فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة نون والقلم مكية وآيها اثنان وخمسون

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار
حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة
سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا

على نمط التعديد للتحدي او باحد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه
المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما
به فهي للعطف عليه واياما كان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فان استحقاقه للاعظام بالاقسام
به ظاهر وان اريد به الجنس فما في ايدي الناس لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة
لتحرير كتب الله تعالى لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو وما يسطرون
الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم
على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الالة واجرائه
مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم ما انت
بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها
معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام
والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله
عليه وسلم عما كانوا ينسبونه اليه عليه السلام من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه
عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الراي
وان لك بمقابلة مقاساتك لالوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا
عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة
الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك
تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلوة والسلام
فقالت كان خلقه القران الست تقرا قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل
فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل
والاسر والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا
وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على
ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن
المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد
اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما
يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا
فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين
عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب

واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله
من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على
معاصيهم ومعاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك ونهي عن مداهنتهم ومداراتهم تم
باظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو
تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم
وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن
داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بنائهم بالادهان على ادهانه عليه السلام
امر محقق لا يناسب له ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار
الملاينة واظهار خلاف ما في ضمائرهم واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط
واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هو في غاية الكراهة وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه السلام وفي
بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه
عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان المناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعده مصدر يقع مفعولا
لودوا وكانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك
لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف
على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر عنها مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب
طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم
والنميمة السعاية مناع للخير اي بخيل بالمال او مناع الناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد
متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من
مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها ومعنى قوله تعالى
بعد ذلك انه على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا
في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله
من ثقيف وعداده من زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه
لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار
مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على ان
مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ أان كان على معنى
الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا
يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على اكرم مواضعه
لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه
يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون

صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام
ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي
يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل
ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط
من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى
واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اي على
الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدأ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت
به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول
وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه
وقيل الصريم الرمال فتنادوا اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا
اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة على حرثكم بساتينكم و
ضياعكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم
فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في
معنى الكتم ومنه الخفدود للخفافيش ان لا يدخلنها اي الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما
في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة
في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم تكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على
المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم
طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاورة جنتهم وذهاب خيرها قادرين
بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين
على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها
وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن
محرومون قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله
تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه من هذه العزيمة
الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تعظيم له تعالى
ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار
بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين

جل وعلا إن الله تعالى عسى ربنا أن يبدلنا وقرئ بالتشديد أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة
خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع
عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع
أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل
عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
وقال ابن مسعود إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها
عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود
القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن
رضي الله عنه قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من
المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري
كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر واللام في العذاب للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل
مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم وأشد لو كانوا يعلمون أنه أكبر لاحترزوا
عما يؤديهم إليه إن للمتقين من الكفر والمعاصي عند ربهم أي في الآخرة في جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا
وقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة
عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم
محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا كما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم
أن يساوونا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين
كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم
واستبعادا له وإيذانا بأنه لا يصدر عن عاقل أم لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون أي تقرؤون
إن لكم فيه لما تخيرون وتشتهون وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون
حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره
أخذ خيره أم لكم أيمان علينا أي عهود مؤكدة بالأيمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالغةً بالنصب
على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه
وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم سلهم
تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتا إياهم
أيهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم أي قائم يتصدى لتصحيحه أم لهم شركاء يشاركونهم في هذا
القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه
في هذه الآيات الكريمة على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل
المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن ساق أي يشتد الأمر ويصعب

الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت
به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق
الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل
أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل وللمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ نكشف
بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا
أو مضمر مقدم أي اذكر يوم الخ أو مؤخر أي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الأهوال وعظائم الأهوال ما لا
يبلغه الوصف ويدعون إلى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم إياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك
فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن
مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث
وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة خاشعة أبصارهم حال من مرفوع يدعون على أن
أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم
ذلة شديدة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير
أو لأن المراد به الصلاة وما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه
أقوى تمكن فلا يجيبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
أي كله إلي فإن في ما يكفيك أمره أي حسبك في الإيقاع به والانتقام منه أن تكل إلي أمره وتخلي بيني وبينه فإني
عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان
حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم
استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار
معناه كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظه أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان
وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم بل يزعمون
أنه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم وأملي لهم وأمهلهم ليزدادوا إثما وهم
يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم إن كيدي متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه
في صورة الكيد أم تسألهم على الإبلاغ والإرشاد أجرا دنيويا فهم لأجل ذلك من مغرم أي غرامة مالية
مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك أم عندهم الغيب أي اللوح أو المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت أي يونس
عليه السلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور
النهي لا على النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله
وقت ندائه أي لا يوجد منك ما يوجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه
وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه
أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالأرض الخالية من
الأشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا

لانها هي المقتضية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه
امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد
حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على
ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه وزلقه
وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون
قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك
بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن
دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية
منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره عليه
السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة
باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون حيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام
وذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة
لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرائتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه
ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على
اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم صدق رسول الله

سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحاقة من
الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته وجعل
الفعل مجازا اليها وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور
اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان
والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها
وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة
بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده
كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى فان ما قد يطلب بها الصفة والحال ووضع الظاهر موضع الضمير
تأكيد لهولها في حالها وصفتها وما ادراك ما الحاقة اي واي شيء اعلمك ما الحاقة تأكيد لهولها وفظاعتها
ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد

تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما هو فلا يتسنى الاعلام وما في حيز
الرفع على الابتداء وما ادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه
الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله
تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة معطوفة
على ما قبلها من الجملة الواقعة لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها وفظاعتها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض
والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع
فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق للاعلام ببعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه
ما ادراه عليه السلام بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك
نفس المسئول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم
شدتها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بها فهلكوا
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة
العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى
سخرها عليهم الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة
سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا
تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون
مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر بفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من
عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء و
اسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى
القوم ان كنت حاضرا فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل
اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر
كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده
انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط اي اهلها بالخاطئة بالخطأ اي بالفعلة او الافعال ذات
الخطأ التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما
كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اي الله عز وجل اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم
في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم
في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب آبائكم في
الجارية في سفينة نوح عليه السلام كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال

من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم
محض عصمته تعالى لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة
عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ
الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية
اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها
وان من هذا شانه مع قلته تتسبب للنجاة الجم الغفير وادامة النسل وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد
الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة
الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض
ضربة واحدة حتى تندقا وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ فح
وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي اي السماء يومئذ واهية ضعيفة
مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اي الخلق المعروف بالملك على ارجائها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق
السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء
او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم
الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم
وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور
وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف
لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد
من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا
فشؤنه سبحانه اجل من ان يحيط به فلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اي تسألون وتحاسبون عبر عن
ذلك بالعرض تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار
واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله والخطاب وان كان بعد النفخة
الثانية لكون ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اي تعرضون غير خاف
عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ على
الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ لا يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للاحكام
فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن ها يا رجل ها يا امرأة وهاؤما

يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف لكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى في اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه
وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في مصحف الامام اني ظننت
اني ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد وما يهجس في
النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة
بالصيغة يقال دارع في النسبة بالحرفة وجعل الفعل لها مجاز وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن
الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء والدرجات والابنية و
الاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد
كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا وهنيتم هنيئا بما اسلفتم
بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام
وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من اوتي كتابه بشماله ورأى
ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها
يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القاه فضمير ليتها
للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لما انه وجدها
امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحياة الدنيا اي يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه ما لي من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية
للاستفهام الانكاري اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس
او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات
خذوه حكاية لما يقول الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه
الا الجحيم وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها
اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع
حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم
لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها
الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه
فضلا على ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح
العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع
عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل
النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا

من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون
بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله
تعالى فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتأكيد واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر كاستغنائه عن
التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم
بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى
فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر
كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة
اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون
ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن
الشعر وهو امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانه تتوقف على تذكر احواله صلى الله
عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك يقتضي ان يتوقف
على تأمل وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا
بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة
من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه
وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم
ايها الناس من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اي القرآن
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيكم على تكذيبكم وانه لحسرة على
الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم
اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضاء بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المعارج مكية

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث قال انكارا واستهزاء
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا
كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله
تعالى عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى
رماه الله تعالى بحجر فخرج من دبره فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال
وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع وادي عذاب
واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا
وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فعذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة

لواقع او متعلق بسأل اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه
لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب واستئناف من الله متعلق
بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج اي ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة
بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبريل عليه
السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه
الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي
الى حيث امرني ربي به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع
تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان
ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك
وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما
لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافرين
اما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول
هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها
في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي و
ذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجره واستبطائه بالنصر او بسأل سائل او سال سيل فمعناه جاء
العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير
تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا
في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل
للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في
يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود
على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود
بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر وابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله
تعالى فاسئل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان المسئول عنه على الحالة وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى
يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل
من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان
الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا
طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله
عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميم ولا يسئل منه حاله يبصرونهم اي يبصر
الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من

مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والأول أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم
والجملة استئناف يود المجرم أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ أي العذاب
الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة أن الناصبة
فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة
استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلا
من أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ و
انتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب وفصيلته أي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه أي تضمه في
النسب أو عند الشدائد ومن في الأرض جميعا من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف
على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت
يديه وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع إنجاء الافتداء
وضمير إنها إما للنار المدلول عليها بذكر العذاب وهو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم
للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الأطراف
أو جمع شواة وهي جلدة الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لإن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة
ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعو أي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم إلي إلي يا كافر يا منافق وقيل تدعو
المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من أدبر أي عن
الحق وتولى أعرض عن الطاعة وجمع فأوعى أي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه
وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا إن الإنسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند
مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى إذا مسه الشر أي الفقر أو المرض
ونحوهما جزوعا أي مبالغا في الجزع مكثرا منه وإذا مسه الخير أي الصحة والسعة منوعا مبالغا
في المنع والإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى
ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا إلا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على
على القبائح الماضية لإنباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك
في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في أموالهم حق
معلوم أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة و
والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأله والمحروم الذي لا يسأله فيظن أنه غني فيحرم والذين
يصدقون بيوم الدين أي بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة
الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى إن عذاب ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بأنه
لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت

أيمانهم فإنهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى أي طلب لنفسه وراء ذلك وراء
ما ذكر من الأزواج والمملوكات فأولئك المبتغون هم العادون أي المتعدون لحدود الله تعالى
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقهما والذين هم بشهاداتهم قائمون
أي مقيمون لها بالعدل إحياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها
وقرئ لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس والذين هم على صلاتهم يحافظون أي يراعون شرائطها
ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبار
الدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف
الذوات كما في قول من قال إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم إيذانا بأن كل واحد من
الصفات المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره
في جنات أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر ثان وهو الخبر
وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات
فمال الذين كفروا قبلك أي حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك
عن اليمين وعن الشمال عزين أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير
من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا و
يستهزؤن بكلامه عليه السلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها
قبلهم فنزلت أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بالإيمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ
إنا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة
فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم
مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة
فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة
لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالإيمان والطاعة ولم تتخلق بالأخلاق الملكية لم تستعد
دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف سيق تمهيدا لما بعده من بيان
قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما
نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فإن قدرته تعالى
على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله
تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون
فأقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه
جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا ذلك

ف

لكن مشيئته المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشانهم يخوضوا في باطلهم الذي
من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة
الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ
يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد اي علم يوفضون
يسرعون خاشعة ابصارهم وصف ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها
ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا
يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله تعالى ثواب
الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام مكية آيها ثمان وعشرون

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها
الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ
الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول
الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك
وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل به فيتجرد عند ذلك كل منهما عن
المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه
بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في
الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر
عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم
عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام
بالوجه المذكور كانه قيل فماذا فعل عليه السلام فقيل قال يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله
تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي
بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي
قدره الله تبارك وتعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان
فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان
لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم
عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر
فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور
في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول يأباه المقام
كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند
مجيء الاجل هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون

اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو
اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز
في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب اني دعوت قومي الى الايمان والطاعة
ليلا ونهارا اي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة
الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا
اصابعهم في آذانهم اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اي بالغوا في التغطي بها كانهم
طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اي
اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من اتباعي
وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم
تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من
الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه
احد نوعي الدعاء واريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر
في موضع الحال اي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتائبين
كانه قيل كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه
دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم
واحب اليهم من المنافع العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا يرزقهم الله تعالى الخصب ويرفع عنهم ما كانوا
فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم
سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل
فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما
معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له
اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم
اطوارا اي والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر
ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير في توقير
من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل
الرجاء بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال
تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول
هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فان الاليق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى
وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى
اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف

وفي قوله تعالى ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي
ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا
له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك
ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في
ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل او لان
كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في
واحدة منها كانه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون
الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء الانبات للانشاء لكونه دل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا اما
مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا او
يجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل
في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالاحياء عند موتكم
ويخرجكم منها عند البعث اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها
تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التاخير لما مر من الاهتمام
ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخر ما حقه التقديم لا سيما عند
كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا
فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة
بما قبلها لما فيها من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها
قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له رب انهم عصوني
اي تمردوا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده
الا خسارا اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين بطرتهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة
خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم
الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده
بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناه
كما ان الافراد في الضمائر الاولى باعتبار لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ
منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم له على اذية نوح عليه السلام
وقالوا لا تذرن آلهتكم اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان

ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل بين اولاد
آدم عليه السلام فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما
مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة
امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد اضلوا اي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام
كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم
عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد
الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به
والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم والضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين
في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة
بين الجار والمجرور للتاكيد والتفخيم ومن لم يرها زائدة جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما
خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد بها عذاب القبر فهو عقيب الاغراق
وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وعذاب جهنم و
التعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها
او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجدوا
احدا منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم
وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى
مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق
والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها حكاية
لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر
عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم
اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا
انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي
الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع
احتمال ان يكونوا من اخلافهم من يؤمن منكرا وانما قال ذلك لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعدما جربهم
واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخى بنت انوش كانا
مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه
الا بعدما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمهم بالدعاء
اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم
ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا

اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بعذاب بغير وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن ثمان وعشرون آية وهي مكية

قل اوحي الي وقرئ احي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازر في وعد ووزر انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروءا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطفا على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن فاستعظموه ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعليق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفيههم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي انا كنا نظن ان لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن

وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الخ فيكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انها لذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاخراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع والسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد او مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعث وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا وفيه نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف كالمقتصد وهو في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشأن لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لا بخس لاحد حقا ولا رهق ظلم احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يتجنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم

فأولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القا
الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة
والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما
على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء
الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن
على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن السجود
لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا
عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته
او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه
مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي الي ان المساجد مختصة
بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد
بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها
لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وقيل
اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اي واوحي الي
ان الشان لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه
وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه
لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في سورة الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين
من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا
وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله
وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض
ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كسجدا وساجد ولبدا بضمتين جمع لبود
كصبر وصبور وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه
قل انما ادعوا اي اعبد ربي ولا اشرك به في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب
التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول
هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا
ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يدفع عني بأسه ان اراد بي سوءا ولن اجد
من دونه ملتحدا ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شؤون
غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض
مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملتجأ الا بلاغا عنه ما ارسلني به وقيل الا حرف مركبة من
ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته

عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها و
من يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه
ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا
راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم
لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون
حين من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له و
استهزاء به وقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فلا ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع وقيل هو بدل من ربي
او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا
يظهر على غيبه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب فالجملة استئناف مقرر لما قبله
من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه
اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول
اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا
تاما اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف
الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتهم المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال
الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما
ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان
وقته تحمل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة
بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب
لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح
وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان
لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين
لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك
غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل
وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن
الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلك
من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشأن قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما
مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة
هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة
في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما للمرتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين
السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من

غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد او الرسل
عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جئ به لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ
عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم تعالى من بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال
انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز منقول
من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر
بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء
قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل
وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة
ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر
يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة سورة المزمل عشرون آية

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل
من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة
حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان
يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا اول ما
اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال
يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه
حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم ابا تراب ارادة لمباسطته واشعارا بانه
غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله اي احتمله
فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعلية القيام او للامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب
الاجتهاد في العبادة قم الليل اي قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار
للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل
من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل من الكل والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن
الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة
الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن
له في الصورة الاولى قليلا اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه
اي زد القيام على النصف واقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد
اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا
المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان بعض الانقص لقيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره
الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس

الى ما هو عار منه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحقيق هو الاول وقيل
نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين
ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كأنه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه
قليلا وقيل وقليلا الذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء
ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا
وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم
فانه عليه السلام مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الاوامر لتعليل التسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام
وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد
تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي
الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه
الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي النفس
التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة
مصدر من نشأ كالعافية او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث
واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطئا اي هي خاصة اشد ثبات
قدم وكلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس
او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد
من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ
للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ
سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك
ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم
وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام
عن العوائق الصادة عن مراقبته تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية
الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر
على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب
الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم
هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين
اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان في ما يكفيكهم اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا ان
لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما

ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم • وعذابا اليما • ونوعا آخر من العذاب مولما لا يقادر
قدره ولا يدرك كنهه وكل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى • يوم ترجف الارض والجبال • اي تضطرب وتتزلزل ظرف
للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف • وكانت الجبال •
مع صلابتها وارتفاعها • كثيبا • رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمع كانه فعيل بمعنى مفعول • مهيلا • منثورا من هيل هيلا
اذا نثر • انا ارسلنا اليكم • يا اهل مكة • رسولا شاهدا عليكم • يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان
• كما ارسلنا الى فرعون رسولا • هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه • فعصى فرعون
الرسول • الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه
كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى • فاخذناه اخذا
وبيلا • خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم
كلأ وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة • فكيف تتقون • اي كيف تقون انفسكم • ان كفرتم • اي
بقيتم على الكفر • يوما • اي عذاب يوم • يجعل الولدان • من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي • شيبا • شيوخا
جمع اشيب حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب
وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك • السماء منفطر • اي منشق وقرئ متفطر اي متشقق
والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها
ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات
انفطار والباء في قوله تعالى • به • مثلها في فطرت العود بالقدوم • كان وعده مفعولا • الضمير لله عز وجل
والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله • ان هذه • اشارة الى الآيات المنطوية على
القوارع المذكورة • تذكرة • موعظة • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه
المنهاج الموصل الى مرضاته • ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل • اي اقل منهما استعير له الادنى لان
المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز • ونصفه وثلثه • بالنصب عطفا على ادنى وقرئ بالجر
عطفا على ثلثي الليل • وطائفة من الذين معك • اي ويقوم معك طائفة من اصحابك • والله يقدر الليل والنهار
وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا او بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا
كما يعرب عنه قوله تعالى • علم ان لن تحصوه • اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا
ضبط الساعات ابدا • فتاب عليكم • بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه • فاقرءوا ما تيسر
من القرآن • فصلوا ما تيسر لكم من الصلوة في الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان
التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن
بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين
آية • علم ان سيكون منكم مرضى • استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف • وآخرون يضربون
في الارض • يسافرون فيها للتجارة • يبتغون من فضل الله • وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم
• وآخرون يقاتلون في سبيل الله • واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص • فاقرءوا ما تيسر
منه • من غير تحمل المشاق • واقيموا الصلاة • اي المفروضة • وآتوا الزكاة • الواجبة وقيل هي زكاة الفطر

اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا • واقرضوا الله قرضا حسنا • يريد به
الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكاة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء • وما تقدموا لانفسكم
من خير • اي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر • تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا • من الذي تؤخرونه الى الوصية
عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من حكم المعرفة
ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر • واستغفروا الله • في كافة احوالكم فان
الانسان قلما يخلو من تفريط • ان الله غفور رحيم • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع
الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر ست وخمسون آية مكية

يا ايها المدثر • اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول
سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت
يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين
السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال
يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل
يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي
ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل تاذى من قريش لما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر
ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف
الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي
حرف ابي المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل • قم • اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم • فانذر • اي فافعل
الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا • وربك فكبر • واختص ربك بالتكبير وهو وصفه
تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة و
فرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شيء حدث
فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب
معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه • وثيابك فطهر • مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة
واولى وواجب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان
طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان
اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق • والرجز فاهجر • اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي
اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر • ولا تمنن تستكثر • ولا تعط مستكثرا اي رائيا
لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب
له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله

صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب وللتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون
اعتبارا بحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله تعالى منا
ولا اذى فمن يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا
الزاجري احضر الوغا وقد قرئ بابقائها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغا
ولربك اي لوجهه تعالى او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا
نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هايل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه
والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لبعد منزلته في الهول والفظاعة
ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف
للخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلق بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال
عن المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد
به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها
الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في
الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجتمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح
الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال من
الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه
احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه او صرفه عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة
ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا
ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر اخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف
بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم كان له الف
دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا الف
الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم
مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة
عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم
ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة
قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي
سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن الطمع الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا

تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمه مع سبوغها مما يوجب
حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه
صعودا ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب
الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت
فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم يكلف الصعود على
جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او استحقاقه له
او بيان لعناده لاياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر
تعجب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينحيه قريش او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او
حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو
عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام
الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو و
لا يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد لتصبان قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد
عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا
من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل و
اهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله
متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها
من التراخي الزماني ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما ذا
يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم و
تلبث وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادراك ما سقر اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبر وما الثانية خبر لانها المفيدة
لما قصد افادته من التهويل والتعظيم وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها فان مدار ما هو وان ما قد يطلب بها الوصف
وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد
الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك
لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر
مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى
ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا
او صفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ تسعة عشر بسكون العين حذرا من توالي الحركات

فيما هو في حكم واحد وقرئ تسعة اعشر مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين
بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم
بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم بأسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين
يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة
عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان
شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر
بالاثر عنها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في
القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان
اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر
والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفرة ولكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك
يتولاه وواحد لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة
منها مصروفة للصلوة الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلوة والسلام
وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا اي يزداد ايمانهم كيفية بما
رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل و
لا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري
المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه
على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن
لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن
الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك
او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوه مثلا مضروبا
وافرادهم بهذا التعليل مع كونهم من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء
اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة
القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب
الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة
تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا ولا هداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها
الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا

فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها الا ذكرى
للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها وانكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر بمعنى
ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح
اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع
في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على ان البلايا والدواهي
الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت
عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدأ محذوف لمن شاء منكم
ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشأ ذلك
فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم
لا صفة ولو قيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم
بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم
الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين
يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم في
جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس
المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور
السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى
القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر
للفعل مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول
لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم
قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمون مجيبين للسائلين
لم نك من المصلين للصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار
الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين
اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافه الى الجزاء مع ان
فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي و
تأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين و
لبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم
حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء

في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين الفاء لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة فرت من قسورة اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك الجرأة بل لا يخافون الاخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع لهم عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ يذكرون مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاع عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به

سورة القيمة اربعون آية

لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي منفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظم باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق واياما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدار الاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة

جزء

وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من ماله فتصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او وصى به او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية ووصفها بالبصارة مجاز كما وصف الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قوله ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الى اخره والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع المعذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام

بان ينصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به
اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في
صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته
عليك بلسان جبرئيل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن
مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له صلى الله
عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار
معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة النور والنور
وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتداء
وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتداء او نعت لناضرة
والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتداء لان المقام مقام تفصيل الاعلى ان ناضرة صفة لوجوه والخبر
ناظرة كما قيل لما حقق في محله ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث
لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقها ان تخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها مستغرقة في مطالعة
جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها
الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل
بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها
ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا
عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي
اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال
من حضر واصحابه من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه أملائكة
الرحمة وملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها
والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق
الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق
اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن
العظيم الذي نزل عليه اي فلا صدق ماله والانكار هو ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في
قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب
ما ذكر من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر
افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك
فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل
من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه

ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك
في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان
مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله
تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل
وكمل نشأته فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين
أليس ذلك العظيم الشأن البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي
ان رسول الله عليه الصلوة والسلام كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الدهر احدى وثلثون آية مدنية

هل استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور
بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى
لحين على حذف العائد اي الموصول اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله
تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس
وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة
قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام
اربعين سنة ثم من حما مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه
بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحين المذكور
ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الثاني اشارة الى خلقه عليه السلام والاول
بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد
بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء
الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد ويخلق منهما الولد فما كان من عصب
وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا
وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام
الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقناه اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له
من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن امه نطفة
ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب
من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات
ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق
الموصل الى البغية في حالتيه جميعا او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حالتيه جميعا او
مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل

اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا
فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان
الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي
هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا وتقديم وعيدهم مع تأخرهم
للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية
لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل
تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للمناسبة ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين
اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية و الابرار
جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو من يبر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل
من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كاس هي الزجاجة
اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانية تبعيضية او بيانية
كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور
ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور
وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين
القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله
تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ و
قيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى
يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم
بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استئناف مسوق
لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون
حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون
يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر
وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام و
الحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب
النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى
لوجه الله تعالى مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول
هو في موضع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة
وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل
بيت ثم تسال الرسول المبعوث ماذا قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا

تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اي عذاب
يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة فلذلك نفعل بكم ما نفعل
رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله
تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اي
اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق
الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤوا
وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما
مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولديك فنذر
علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم
شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها
صاعا وخبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام
عليكم اهل بيت محمد انا مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فاثروه وباتوا
لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه
ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فاقبلوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل
جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقراه السورة متكئين فيها على الارائك
حال من هم في جزاهم والعامل فيه جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله
تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم
هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج
الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة
اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئ دانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال
ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى
انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها
تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية
اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا
قواريرا من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة
صفة لاكواب وقرئ بتنوين قواريرا الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير
قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على

مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على
حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قُدِّروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ۞ و
يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ۞ اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيب
به العرب لذعا وتستلذ به ۞ عينا ۞ بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله بدله
طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص ۞ فيها تسمى
سلسبيلا ۞ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة
الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ۞ ويطوف عليهم
ولدان مخلدون ۞ اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء ۞ اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ۞ لحسنهم وصفاء
الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض ۞ واذا رايت
ثم ۞ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة ۞ رايت نعيما وملكا
كبيرا ۞ اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى
ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم ۞ عاليهم
ثياب سندس خضر ۞ قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان
كانه قيل يطوف عليهم ولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم
او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليهم الخ
وقيل عاليهم بالرفع على انه مبتدا خبره وثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس ۞ واستبرق ۞ بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني
وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل
علما لهذا النوع من الثياب ۞ وحلوا اساور من فضة ۞ عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور
من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله
تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من
ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين ۞ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ۞
هو نوع اخر يفوق النوعين السابقين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه
بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد
لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم
بها ثواب الابرار ۞ ان هذا ۞ على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامة
كان لكم جزاء ۞ بمقابلة اعمالكم الحسنة ۞ وكان سعيكم مشكورا ۞ مجازى عليه غير مضيع ۞ انا نحن
نزلنا عليك القران تنزيلا ۞ اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع
ان ۞ فاصبر لحكم ربك ۞ بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ۞ ولا تطع منهم اثما او كفورا ۞ اي
كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه واو للدلالة على انهما سيان

في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين
مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الاثم عتبة فانه
كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو
۞ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ۞ وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان
الاصيل يتناولهما ۞ ومن الليل فاسجد له ۞ وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في
صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص ۞ وسبحه ليلا طويلا ۞ وتهجد له قطعا من الليل طويلا ۞ ان هؤلاء ۞ الكفرة
يحبون العاجلة ۞ وينهمكون في لذاتها الفانية ۞ ويذرون وراءهم ۞ اي امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء
ظهورهم ۞ يوما ثقيلا ۞ لا يعبؤون به وصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق
الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه ۞ نحن خلقناهم ۞ لا غيرنا ۞ وشددنا اسرهم ۞ اي احكمنا ربط مفاصلهم
بالاعصاب ۞ واذا شئنا بدلنا امثالهم ۞ بعد اهلاكهم ۞ تبديلا ۞ بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه
كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا لدلالة على تحقق القدرة وقوة
الداعية ۞ ان هذه تذكرة ۞ اشارة الى السورة او الايات ۞ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ۞ اي فمن شاء ان يتخذ
اليه سبحانه سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ۞ تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم
من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت
مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن
بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ۞ ان الله كان عليما حكيما ۞ بيان لكون مشيئته مبنية على اساس العلم
والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه
حكمته وقوله تعالى ۞ يدخل من يشاء في رحمته ۞ بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته
من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من
الايمان والطاعة ۞ والظالمين ۞ وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر ۞ اعد لهم عذابا اليما ۞ اي متناهيا
في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون
اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان
جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية آيها خمسون

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ۞ اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة
ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل
بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء ۞ عذرا ۞ للمحقين ۞ او نذرا ۞ للمبطلين و
لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء
بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم

الباهظ هو المعجز

صلابهم

والاجلال بالاقسام بهن ولو حمل على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب
لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقنه
كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر
الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم
واستغفارهم عند مشاهدتهم آثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها
الى الانواء واسند الالقاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام
بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى
في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف نقيض
النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء
عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر مصدر عذر
من عذر اذا محا الاساءة ومن نذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئ بالتثقيل
انما توعدون لواقع جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست
محيت او ذهبت بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت
جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت
الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت
الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله وبلغوا الميقات
الذي ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب اذا في قوله
تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد
تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدأ وادراك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع
موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره
سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده
خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك
اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك
ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ
نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظائرهم
لسلوكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك
فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك
مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا على ذلك جارية ويل يومئذ للمكذبين اي يوم اذا
اهلكنا المكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للعذاب
الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم

الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا
اي فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة على التقدير وجود المقدور بالفعل فنعم
القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك وعلى الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات
اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء
كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم
بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجمع
وواجب واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان
خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم العظيمة وبامثالها انطلقوا اي يقال لهم يومئذ
للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان
جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم
اليه طوعا او كرها ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم
والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او
لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي
عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة
عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم
من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ
من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة
وشجر وقيل كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كأنه جمالت قيل هو جمع جمال والتاء
لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون
اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة و
التتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقرئ بها وهي الحبل
العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا
ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا لا ينطقون فيه بشيء لان السؤال والجواب والحساب قد انقضت
قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم
او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار
متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن فينصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق
والمبطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان

للفصل • فإن كان لكم كيد فكيدون • فإن جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم
على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم • ويل يومئذ للمكذبين • حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب
إن المتقين • من الكفر والتكذيب • في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون • أي مستقرون في فنون الترفه وأنواع
التنعم • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون • مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر أي مقولا لهم كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة • إنا كذلك الجزاء العظيم • نجزي المحسنين • أي في
عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه • ويل يومئذ للمكذبين • حيث نال أعداؤهم هذا الجزيل الثواب وهم
بقوا في العذاب المخلد الوبيل • كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون • مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل
ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قريب
على النعيم الخالد وعلل ذلك بإجرامهم دلالة على أن كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به
المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرئ ذلك بقوله تعالى • ويل يومئذ للمكذبين • لزيادة التقريع والتوبيخ
وإذا قيل لهم اركعوا • أي أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار
والنخوة • لا يركعون • لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلاة
أو بالركوع لا يفعلون إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها
مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وقيل يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين • وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة • فبأي حديث بعده • أي
بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين
ساطعة • يؤمنون • إذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها احدى أو اربعون

عم • أصله عما فحذف منه الألف إما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الأصل
وما فيها من الإبهام لتفخيم شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أي عن أي شيء عظيم
الشأن • يتساءلون • أي أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكارا واستهزاء لكن لا
على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن
وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة
والحال تقول ما زيد فيقال عالم وطبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء
كقولهم يتداعونهم أي يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل في الأفعال المتعدية موضوعة لإفادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع بإسناد الفعل إليه
ترجيحا لجانب فاعليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر وقد يجرد عن المعنى الثاني
فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال
المذكور أو واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عم يسأل هؤلاء
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار

تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى • عن النبإ العظيم • بيان لشأن
المسؤول عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إيراده على
طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم
الخلق حقيق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب
عن النبإ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من
مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية
وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والأظهر أنه مبني على إجراء
الوصل مجرى الوقف وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبإ العظيم وقيل قبل عن الثانية
استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون عن النبإ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله
تعالى • الذي هم فيه مختلفون • بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره إثر تأكيد وإشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق
بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أي هم راسخون
في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وشاك يقول
ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد
الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم من ينكره لإنكاره الصانع
المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات بناء على تعميم
التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا
كفرا وعنادا يرده قوله تعالى • كلا سيعلمون • الخ فإنه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له إذ عليهم يدور
الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص سيعلمون بهم مع عموم الضمير في
السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر
الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد
حسبما ذكر في التساؤل فإن الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل
إلى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الأخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع
والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقيقة في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة
بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم
بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما
يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت إلى قوله تعالى ليبين
لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات
والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون
عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى • ثم كلا سيعلمون • تكرير للردع والوعيد للمبالغة
في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الوعيد الأول عند النزع والثاني في القيامة
وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات

تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فانه فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ألم نجعل الأرض
مهادا والجبال أوتادا الخ استئناف مسوق لتحقيق النبإ المتسائل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه
وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط
والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية الممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا
لها ارساها بها كما يرسى البيت بالأوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة أما جعلنا
الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الخ أزواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من
الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتيسر التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين
لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول
هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس
ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف وغيره فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل وجعل
الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا
اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا
له او نحو ذلك مما لا يناسبه المقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا
اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها
منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما
حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا
الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما
في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا
ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما
شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا
وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق
بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد للكلام حتى اذا اقتضى الحال
وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه
الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج
الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج
من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا حانت ان تحيض او
الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء كانت
السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه

ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ الانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج
الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات
كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج
لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق
على النخل والشجر المتكاثفة المظللة بالتفاف اغصانها قال زهير بن ابي سلمى كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي
جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله
تعالى ألفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف
ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد
واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقة الوجود من وجوه ثلاثة الاول باعتبار
قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة
اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع
جليلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية الثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة
بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة
يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث
الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا
شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل
لكيفية وقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز
وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه
من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انه بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة
الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد
لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخير الفعل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه
وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه نفخة واحدة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك
قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى
معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى
فتأتون افواجا فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان
كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك
من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات

مختلفة الاحوال متباينة الاوصاف حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله تعالى عنه انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف تحشر الناس يوم القيمة فقال عليه السلام يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم
ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم
مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما
المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين
يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اعمالهم اقوالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين
يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا
من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب
فاهل الكبر والفخر والخيلاء ۞ وفتحت السماء ۞ عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت
بالتشديد وهو الانسب لقوله تعالى ۞ فكانت ابوابا ۞ اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد
حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وهو المراد بقوله
تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل وباسه اي امره
من الغمام وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فتنفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء ۞ وسيرت الجبال ۞
اي في الجو على هيأتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام
العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه
قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال
الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل
الله الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها
ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى ۞ فكانت سرابا ۞ اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست
الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها
وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل وبروز الخلق لله تعالى
لا يكون الا بعد النفخة الثانية ۞ ان جهنم كانت مرصادا ۞ شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم
اثر بيان هوله ووجه بيان تقديم حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم
الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ۞ للطاغين ۞ متعلق بمضمر هو نعت

لمرصادا

لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى ۞ مآبا ۞ بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا
قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين
مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونهم معذبين بها وقيل انها
مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل
وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان
بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين ۞ لابثين فيها ۞ حال مقدرة من المستكن في للطاغين
وقرئ لبثين ۞ وقوله تعالى ۞ احقابا ۞ ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر اي غير نهاية
فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيها ما يدل على تناهي تلك الاحقاب
ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى ۞ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ۞
جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن
من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل
من صديدهم ۞ جزاء ۞ اي جوزوا بذلك جزاء ۞ وفاقا ۞ ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها
وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه ۞ انهم كانوا لا يرجون حسابا ۞ تعليل لاستحقاقهم
الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم ۞ وكذبوا باياتنا ۞ الناطقة بذلك ۞ كذابا ۞ اي
تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي
وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا
وهو جمع كاذب وانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه ۞ وكل شيء ۞ من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه
بمضمر يفسره ۞ احصيناه ۞ اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء ۞ كتابا ۞ مصدر مؤكد لاحصيناه
لان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة
اعتراض وقوله تعالى ۞ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ۞ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وفي الالتفات
المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة
على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
۞ ان للمتقين مفازا ۞ شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون
الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع
نجاة وقوله تعالى ۞ حدائق واعنابا ۞ اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا ۞ وكواعب ۞
اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد ۞ اترابا ۞ اي لدات ۞ وكاسا دهاقا ۞ اي مترعة يقال ادهق الحوض اي
ملأه ۞ لا يسمعون فيها ۞ اي في الجنة وقيل في الكأس ۞ لغوا ولا كذابا ۞ اي لا يخاطبون بلغو ولا يكذب بعضهم
بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه او لا يكاذبه ۞ جزاء من ربك ۞ مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين
مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز كائنا جزاء من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن

التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام عطاء اى تفضلا
واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف
او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسّابا بالتشديد على انه بمعنى
المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة
للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون
منه خطابا استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء
والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبرا لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت
للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال
لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ
بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون
استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لان المرفوع او المنصوب مدحا تابع
لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ
بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر مبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر
ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ
الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه
على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون
فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل الروح خلق اعظم
من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه
عن ابن عباس رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد وارجل يأكلون الطعام
ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم
نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبرئيل وصفا حال اي مصطفين
قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله
تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويأباه الخارق لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم
الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي
عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ
على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشيء من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى
له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه
من جنس الكلام واعز منه مراما على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى
اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل كانه موسى عليه

الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا ليتكلمون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل
الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن فقال ذلك الشخص صوابا
اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا
يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده
اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من
الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء
في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق
بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا
محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة
مآبا اي سبيلا وتعلق الى ربه لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه
سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر
القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة
اليه تعالى وان رأوه بعيدا او سيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن
قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي
يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه
على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا كما هو وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معناه يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده
ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره
حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم
يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات مكية وآيها ست واربعون

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام
من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ومجاهد رضي الله تعالى عنه او ارواح الكفرة كما قال علي رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه
وسعيد بن جبير ومسروق رضي الله تعالى عنهما وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو
من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة
الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها بان يهيئوا لادراك ما اعد لها من الآلام

والمعطوفات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور
حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف
الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اى اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد وقال ابن
مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها
في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت
النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره
للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اى يسرعون فيه فيسبقون
الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم
به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم
بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون
اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب و
تنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها بعضا
فتدبر امورا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركتها من
المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس
الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البحر فيسبقون الى حرب
العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج
من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير
اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب
المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض
والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها
الرادفة اى الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى
لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه
النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان
كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام
ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب كانه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب
يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة
لوقوعها مبتدأ وقوله تعالى ابصارها اى ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدأ وخبر والاخبار بعد العلم بها اوقعت
خبر القلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل

العلم

العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الرجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها
سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة
تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع
البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب
موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان تنكير قلوب
يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يومئذ يقع النفختان واجفة اى شديدة
الاضطراب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب
لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون
بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب
والابصار اى يقولون اذا قيل لهم انكم مبعوثون منكرين له متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة
اى في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اى طريقته التي جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه
وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم
على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار
الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اى ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث
مع كونها ابعد شيء من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر و
ناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر آخر هو متفرع على كفرهم السابق
ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق
المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء
مشيرين الى ما انكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اى ذات
خسران او خاسرة اصحابها اى ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة
تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم
اياها رد عليهم ذلك اى لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية
عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة وقوله تعالى فاذا هم بالساهرة
بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اى فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها
وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام
خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله
عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل
الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة

بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل أتاك حديث موسى كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك إن
اعتبر هذا أول ما أتاه عليه السلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك
حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصاص أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى
إذ ناداه ربه بالوادي المقدس ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا
وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان ومن لم ينونه أوله بالبقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أي ناداه
نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى اذهب إلى فرعون على إرادة القول وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه اذهب
وقيل هو على حذف المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول إنه طغى تعليل
للأمر أو لوجوب الامتثال به فقل بعدما أتيته هل لك رغبة وتوجه إلى أن تزكى بحذف إحدى التاءين
من تتزكى أي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد وأهديك إلى ربك وأرشدك إلى معرفته
فتعرفه فتخشى إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته قال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية
للهداية لأنها ملاك الأمر من خشي الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بأن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا
ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء في قوله تعالى فأراه الآية الكبرى فصيحة تفصح
عن جملة قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الأخر فإنه عليه السلام ما أراه إياها عقيب هذا الأمر بل بعد
ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون
من المحاورات إلى أن قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى التبصير والتعريف
فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهارا للتجلد ونسبتها إليه عليه السلام بالنظر
إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى
قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها أو
هما جميعا وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب أنت وأخوك بآياتي
باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما ظهر تفصيله في سورة طه ولا مساغ
لحملها على مجموع معجزاته فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة
على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الأعراف ولا ريب في أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترتب عليه
فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعدما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة
أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته
عز وجل وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر
فقط ثم أدبر أي تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس يسعى يجتهد في معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أي
أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالإقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فإنه روي أنه عليه السلام
لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى
على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا

من قومه وقيل إنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن ذلك كان
قبل الاجتراء على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله فحشر أي فجمع السحرة لقوله
فأرسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده
ويجوز أن يراد جميع الناس فنادى في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادي فقال أنا ربكم الأعلى قيل قام فيهم
خطيبا فقال تلك العظيمة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم
وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد
الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا و
قيل مصدر لأخذ أي أخذه الله أخذ نكال وقيل مفعول له أي أخذه لأجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض
أي أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من
معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه
من تعاطي ما تؤدي إليه لا محالة وقيل المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله
غيري قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة إضافة المسبب إلى السبب إن في ذلك أي فيما ذكر
من قصة فرعون وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى أي لمن من شأنه أن يخشى وهو من من
شأنه المعرفة وقوله تعالى أأنتم أشد خلقا خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم
بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فإنما هي زجرة
واحدة أي أخلقكم بعد موتكم أشد أي أشق وأصعب في تقديركم أم السماء أي أم خلق السماء
على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق
مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر
الفاعل فيه وفيما عطف عليه والتنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها
بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة
عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب
والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه وأغطش ليلها
أي جعله مظلما يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا
أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج ضحاها أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى
لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي
التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان وإضافة
الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن يكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس
أي أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها والأرض بعد ذلك دحاها
أي بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها والأرض منصوب بمضمر يفسره دحاها أخرج منها ماءها

بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ومرعاها أي رعيها وهو في الأصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى
المفعول وتجريد الجملة عن العاطف لما أنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد
بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتماً وإما لأنها حال من فاعل بإضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند
الكوفيين والأخفش كما في قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره أرساها أي
أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من
التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في أنفسها
فضلاً عن إثباتها للأرض وقرئ الأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكراً مع
تقديم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكل والمشرب مع ما فيه من
دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء
وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد
الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منه الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما
الآية وقد مر في سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى
ثم استوى إلى السماء وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها
الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى
إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق
أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء
اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها
فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد
ويوم الاثنين دحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم
الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل
هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وبحمل
بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت أن انتصاب
الأرض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره
في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة الباهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار
بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل
أحواله أكمل وليس ما روي عن الحسن نصاً في تأخير دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف
على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة
السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة
فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلاً إذا حملت كلمة ثم فيها وفي
سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سبق تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعاً لكم ولأنعامكم
إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد وإخراج الماء والمرعى واصلة

إليكم ولأنعامكم فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناءً على استعارة الرعي لتناول المأكول على
الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك متاعاً أو مصدر من غير لفظه
فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى أي الداهية
العظمى التي تطم على سائر الطامات أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها
الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوالهم وهم إثر بيان
أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعاً لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع
يوم يتذكر الإنسان ما سعى قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسير للطامة الكبرى
فإن الإبدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً بإضافته
إلى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد
كان نسيه من فرط الغفلة أو طول الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم
عطف على جاءت أي أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد لمن يرى كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها
كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن يرى ولمن رأى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان
بعيد أو على أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فأما من طغى الخ
جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم
الراؤون قسمين فأما من طغى الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب محذوف كأن من عظائم
الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في
العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة
الآخرة بالإيمان والطاعة فإن الجحيم التي هي شأنها هي المأوى أي هي مأواه واللام سادة مسد الإضافة
للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لأنهما
معروفان وهي إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان
وأما من خاف مقام ربه أي مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى
ونهى النفس عن الهوى عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يقيد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها
وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها فإن الجنة هي المأوى له لا غيرها قيل نزلت الآيتان في أبي عزيز بن عمير ومصعب
أخاه أبا عزيز يوم أحد بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب إذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أي فإذا جاءت الطامة الكبرى
يتذكر الإنسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت ويكون
قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفاً عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حالاً من الإنسان بإضمار قد أو بدونه على
اختلاف الروايتين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيل لحال الإنسان الذي يتذكر ما سعى و
تقسيم له حسب أعماله إلى قسمين من المذكورين يسألونك عن الساعة أيان مرساها متى إرساؤها أي إقامتها يريدون
متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهي إليه وتستقر فيه وقوله
تعالى فيم أنت من ذكراها إنكار ورد لسؤال المشركين عنها أي في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به

حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى كأنك حفي عنها أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لأن ذلك فرع علمك منه
وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيا فقد نأى عن
الحق وقيل فيم إنكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال أي فيم هذا السؤال
ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكراها أي إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل
يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى إلى ربك منتهاها على هذا الوجه إليه
تعالى يرجع منتهى علمها أي علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا إلى أحد غيره وإنما وظيفتهم أن يعلموا اقترابها
ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثتك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فمعناه إليه تعالى انتهاء علمها
ليس لأحد منه شيء ما كائنا من كان فلأي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى إنما أنت منذر من يخشاها على الوجه الأول
تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن
فإن إنكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه السلام أن يذكرها بوجه من الوجوه
فأزيح ببيان أن المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى إنما أنت منذر
من يخشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأهوال كما تحيط به خبرا لا
تعيين وقتها الذي لم يفوض إليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله
تعالى أنت من ذكراها ببيان أن إرساله عليه السلام وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق
به قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل في
صالح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعين الإضافة وتخصيص الإنذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لأنه
المنتفع به وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها إما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الإنذار من
سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني أي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو
ضحاه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه إلى عشية وإما رد لما أدمجوه في سؤالهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء
مستعجلين بها وإن كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم
يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه
المقام باعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقا ورد الاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول
فإنه على تقدير الإضافة وعدمها مفعول لمنذر كما في قوله تعالى لم يلبثوا إلا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول
في يحشرهم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا إلا ساعة خلا أن التشبيه هناك في الأحوال الظاهرة
من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم
يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الإعراب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر
صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وآيها اثنتان وأربعون

عبس وتولى أن جاءه الأعمى روي أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري
وأم مكتوم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة

وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام
رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم
تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه
على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه الأعمى علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين
أي لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماه إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والإيذان
باستحقاقه بالرفق والرأفة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات في قوله تعالى وما يدريك
لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب وأي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى
استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع إشعاره بأن له شأنا منافيا للإعراض عنه خارجا عن
دائرة العلم والدراية مؤذن بأنه تعالى يدري ذلك أي لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية
وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجي بالنسبة إليه عليه السلام للتنبيه
على أن الإعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم
على ما فعلت وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلا وقوله تعالى
أو يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ
بالرفع عطفا على يذكر أي أو يتذكر فتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر
فالمعنى إنك طمعت في أن يتزكى أو يتذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك
مرجو الوقوع أما من استغنى أي عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فأنت
له تصدى أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه
السلام عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصّدى بإدغام التاء في الصاد
وقرئ تُصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك إلى التصدي له داع من الحرص والتهالك على إسلامه
وما عليك ألا يزكى وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم والجملة
حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للإنكار أي أي شيء عليك في أن لا يتزكى ومآله النفي أيضا وأما من جاءك
يسعى أي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى أي الله تعالى
وقيل يخشى أذية الكفار في إتيانك وقيل يخشى الكبوة إذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى
كما أنه حال من فاعل جاءك فأنت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تلّهى أي يلهيك
شأن الصناديد وفي تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه السلام
أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض
باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي أنه عليه السلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني
كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه إليه من الإيمان والطاعة وما
يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بأمره متهالكا على إسلامه معرضا بسبب ذلك عن إرشاد من
يسترشده وقوله تعالى إنها تذكرة أي موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان

رتبة القرآن العظيم الذي يستغني عنه من تصدى له وتحقيق بأن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب
فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى ❁ فمن شاء ذكره ❁ أي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة
إلى الاهتمام بأمره فالضميران للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة
والثاني للتذكرة والتذكير لأنها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سيأتي
من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب
من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخبط
خبطا يقضي منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى ❁ في صحف ❁ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة
وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي كائنة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لأن ❁ مكرمة ❁ عند
الله عز وجل ❁ مرفوعة ❁ أي في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر ❁ مطهرة ❁ منزهة عن مساس أيدي الشياطين
❁ بأيدي سفرة ❁ أي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل
من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم
السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب وإرشاد الأمة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد
السفارة إليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الأسفار أو على الصحابة صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة
بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة متعلق بمطهرة قال القفال لما لم يمسها إلا الملائكة
المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي إن المراد بها في قوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون هؤلاء
السفرة الكرام البررة ❁ كرام ❁ عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم ❁ بررة ❁
أتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه ❁ قتل الإنسان ❁
دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ❁ ما أكفره ❁ تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد
إما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وإما الجنس باعتبار
انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الإنباء عن سخط
عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية له وراءه وقوله تعالى ❁ من أي شيء خلقه ❁ شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل
ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك
وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى ❁ من نطفة خلقه ❁ تحقير له أي من أي شيء حقير مهين خلقه
من نطفة مذرة خلقه ❁ فقدره ❁ فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن
تم خلقه وقوله تعالى ❁ ثم السبيل يسره ❁ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أي ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه
أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه
❁ ثم أماته فأقبره ❁ أي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر
الحيوانات يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الإماتة من النعم لأنها وصلة في الجملة
إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم ❁ ثم إذا شاء أنشره ❁ أي إذا شاء إنشاره أنشره على القاعدة المستمرة
في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الإنشار بمشيئته تعالى إيذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها و
قرئ نشره ❁ كلا ❁ ردع للإنسان عما هو عليه وقوله ❁ لما يقض ما أمره ❁ بيان لسبب الردع أي لم يقض بعد من

لدن آدم إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير كذا قالوا
وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقق
كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من
أفراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه
أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغني أو هو الجنس لكن لا
على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان
لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم و
إما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع
أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل
أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أي حقا لم يعمل ما أمره به وقوله تعالى
❁ فلينظر الإنسان إلى طعامه ❁ شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر
إلى طعامه الذي يدور عليه أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى ❁ أنا صببنا الماء ❁ أي الغيث بدل اشتمال من
طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ إنا على أنه استئناف وقرئ أنى بالإمالة
أي كيف صببنا الماء ❁ صبا عجيبا ❁ ثم شققنا الأرض ❁ أي بالنبات ❁ شقا ❁ بديعا لائقا بما يشقها
من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل إسناده على نون العظمة من قبيل
إسناد الفعل إلى سببه بأنه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى ❁ فأنبتنا فيها حبا ❁ فإن الشق بالمعنى المذكور
لا ترتيب بينه وبين الأمطار أصلا بينه وبين إنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات ما نبت من الأرض
إلى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فإن انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة على
أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة
كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله
تعالى ❁ وعنبا ❁ عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب
عن شق الأرض ❁ وقضبا ❁ أي رطبة سميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس
القطع ❁ وزيتونا ونخلا ❁ الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب ❁ وحدائق غلبا ❁ أي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ❁ وفاكهة وأبا ❁ أي مرعى
من أبه إذا أمه أي قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤب
للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله
ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت
بيده فقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب
وما لا فدعوه ❁ متاعا لكم ولأنعامكم ❁ إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فإن بعض
النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله
المضمر بحذف الزوائد أي متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أي متعكم بذلك فتمتعتم به متاعا أي تمتعا

كما قرئ غيره او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة في معنى التمتع ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على
ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع بقصر فترة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية
العظيمة التي يصيخ لها الخلائق اي يستمعون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية
لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر
اي صكه وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه﴾ اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او
بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم
يتذكر الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولما تعليل ذلك
لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او للحذر من مطالبتهم بالتبعات كما يؤذن به قوله تعالى ﴿لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه﴾ فانه استيناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه
في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه يفر
قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ولوط
عليه السلام من امرأته ونوح عليه السلام من ابنه فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر
من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة
اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه
اذا قصده كما قيل وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء
والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع
ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ذلك من قيام الليل لما في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء
وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿ووجوه يومئذ
عليها غبرة﴾ اي غبار وكدورة ﴿ترهقها﴾ اي تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ اي سواد وظلمة ﴿اولئك﴾ اشارة
الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون
بسواد الوجوه وغبرتها ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ اي الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد
وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

ضاحكة صح

سورة التكوير مكية وآيها عشرون وتسع

﴿اذا الشمس كورت﴾ اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك رفعها وازالتها
من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء او لف
ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام
زوال اللازم لزوال الملزوم او الغيبت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه
على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها ادخالها في العرش
ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكورة وعند البعض

على الابتداء ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنهما انها قناديل معلقة بين السماء والارض
بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل
انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم ﴿واذا الجبال سيرت﴾ عن اماكنها بالرجفة اي حصلت لا في الجو فان ذلك بعد
النفخة الثانية ﴿واذا العشار﴾ جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان
تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم ﴿عطلت﴾ تركت مهملة لاشتغال
اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها
عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت
للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾
اي احميت او مليت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرئ
مليت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت
بالتخفيف ﴿واذا النفوس زوجت﴾ اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها
او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين ﴿واذا الموؤدة﴾ اي المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الاملاق ولحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة
من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها و
يهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت
بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته ﴿سئلت بأي ذنب قتلت﴾ توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار
كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين الخ وقرئ سألت اي خاصمت وسألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت
لان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها
حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية ﴿واذا الصحف نشرت﴾ اي صحف
الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس
حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف
فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم
القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر
في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وازيلت
كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف
غير عزيز كالكافور والقافور ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله

عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ أي قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت
الجنة للمتقين غير بعيد هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا أي فيما بين النفختين وهن من أول السورة
إلى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة
أي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها
وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم
في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض
تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال
والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها على ما قالوا
من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح
على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك
حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً
وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك
ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في
الميزان وأياً ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على
ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات
لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة
لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها
قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعاً يعرفه كل أحد ولو جيء بعبارة تدل
على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء
الذي أشير إلى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون
به الإفراد فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد أترك القرن
مصفراً أنامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصداً بذلك التمادي في
تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لأن أما الكلام
المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة فمما يقبل الإفراط والتمادي فيه فإنه في الأول كثيراً ما يودون وفي الثاني كثيراً ما أترك وفي الثالث
كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه
ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل وأما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما هو حق
القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وأما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه
فتأمل ولا يجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة
أن تكون هي التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم

الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أنه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب
عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ أي
بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة
والمشتري وصفت بقوله تعالى ﴿الجوار الكنس﴾ لأنها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها
رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر
وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحشي في كنسها
﴿والليل إذا عسعس﴾ أي أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الأضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن [illegible]
أوفق لقوله تعالى ﴿والصبح إذا تنفس﴾ لأنه أول النهار وقيل إدباره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح إذا
أقبل يقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقيل تنفس الصبح ﴿إنه﴾ أي القرآن الكريم الناطق بما ذكر
من الدواهي الهائلة ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ﴿ذي قوة﴾ شديدة
كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في أداء طاعة الله تعالى وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان
التكليف ﴿عند ذي العرش مكين﴾ ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية إكرام وتشريف لا عندية مكان ﴿مطاع﴾
فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿ثم أمين﴾ على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما
بعده وقرئ ثم تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف ﴿وما صاحبكم﴾ هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿بمجنون﴾ كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بتفاصيل إحاطتهم بأحواله عليه السلام
خبراً وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه إليه بالكلية وقد استدل على فضل جبريل عليهما السلام للتباين البين
بين وصفيهما وهو ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام إنما يعلمه بشر أفترى على الله كذباً أم به
جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ﴿ولقد رآه﴾ أي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام ﴿بالأفق
المبين﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وما هو﴾ أي رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿على الغيب﴾ على ما يخبره من الوحي
إليه وغيره من الغيوب ﴿بضنين﴾ أي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين أي
بمتهم من الظنة وهي التهمة ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم إنه كاهن
وسحر ﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور
أنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب
﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من العالمين بإعادة
الجار وقوله تعالى ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب
وإيراده من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير ﴿وما تشاؤون﴾ أي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من
الأوقات ﴿إلا أن يشاء الله﴾ تعالى تلك المشيئة أي المستتبعة للاستقامة فإن مشيئتكم لا تستتبعها بدون
مشيئة الله تعالى ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكوير أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة

﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة

معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج
حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقبله [illegible] إقبال صح

تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ
وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند
الحسن رحمه الله تعالى وقيل ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف
مبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج
موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما
قدمت واخرت جواب اذا كما مر على انها تعلم عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد
مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في
حيزها من الدواهي والكلام فيها كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلفت من عمل خير او شر واخرت من سنة
حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية
واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال لنفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وما اخر من
فرض وقيل اول عمله وآخره وقيل علمها بهما عبارة عن التفصيل حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقب الطامة وما سيكون
من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا للاغترار حسبما يغويه الشيطان
ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة
بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على
عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة
ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية
سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة
وقرئ فعدلك بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك
اي ركبك في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة
شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف
الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي
مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام
كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون
بالجزاء والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هو من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا
ولا عقابا وقيل كانه قيل انتم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال
ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين
وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي
تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون
من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجزوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم

لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير
النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها صفة للجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ
من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون
به وما هم عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية
قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيد من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل
معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي
صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك
ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل
لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيف
ما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم
الدين لا بالعكس كما هو راي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان
مناط افادة الهول والفخامة هاهنا هو ما لا يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر
غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كان موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد
فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله
تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان
خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن
عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه اي صرحيا وكل ما فيه من قوله وما
يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه
قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر
كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس
الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ولعل بناءه عليه لانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما ان
ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق ان الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والله تعالى اعلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة
وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مكية وآيها ست وثلثون

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل وقيل اياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في
موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا
الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر

وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل
الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ صفة
كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل اي اذا اكتالوا على الناس
مكيلاتهم بحكم الشراء ونحوه ياخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بكلمة من لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة
الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر
بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا
باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل
من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم على الناس ففيه اقتضاء لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على
الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشايع فيما بينهم ويقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا
من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدار الذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم
عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كونه مكيلا لهم حال الاكتيال او
لما لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور ضيما وهذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون
على متعلقا بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما
انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور
ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب والافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام
ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم
الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال
خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا اي جنيت لك وحمل البارز على
تاكيد المستكن مما لا يليق بجلالة النظم الجليل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال
في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض
للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية
الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف
والتعجيب من اجترائهم واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو
وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم
ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف
الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدره عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة

لما لهم

فكقوله استوفيت منك

بحوله

والحبة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا لا يتجاسر على امثال هذه القبائح
فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل
بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان
كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد
الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من
البيان البليغ لعظم الذنوب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع
بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع الذي هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال
الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه
سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو
مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة
اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تهويل لامره
اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه
انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون
بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب
به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه
عن الاعادة مع مشاهدته للمبدأ اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها
من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله
واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي
الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ
اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا تتلى على الاستفهام الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول
الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى القولة
بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب
عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق
كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا
ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه
وقرئ بادغام اللام في الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا
يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان

من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه
كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف مسوق
لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع
وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول
من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في
السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب
مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او
يشهدون بما فيه يوم القيامة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على
طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير
الا عند كونه في الحجال ينظرون اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل
من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم
نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم
من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص
لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته
وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك
اشارة الى الرحيق وهو الانسب بما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته
وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب
في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه
كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه
نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه
صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان
من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع
شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق وروي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا نصب
على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم
يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء اما زائدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض
قبائح قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اي يستهزئون
بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصد اشعارا
بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله
شك ولمراعاة الفواصل واذا مروا اي فقراء المؤمنين بهم اي بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر
وان جاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم

الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك
بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين
وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون
اي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين
حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤوا عليه من القول من
وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى
كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين آمنوا اي المعهودون
من الفقراء من الكفار اي المعهودين وهو الاظهر او من الكل اي من الجانبين يضحكون حين
يرونهم اذلاء مغلوبين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب
بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون
لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اي
يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها
فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون ويأباه قوله تعالى هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة
والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه عليه السلام من قرأ
سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

اذا السماء انشقت اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي
الله تعالى عنه تنشق من المجرة واذنت لربها اي استمعت اي انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى
حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا
طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى اهل السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على
مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم يكن
كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة
به لكن لا على ان المراد خصوصيتها ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية
التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا
معطوفة عليه واذا الارض مدت اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها
بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى
امده اي زاده والقت ما فيها اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض

انتهاءها وتخلت ٭ وخلت غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها ٭ وأذنت لربها
في الإلقاء والتخلي ٭ وحقت ٭ أي وهي حقيقة بذلك أي شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانية وتكرير كلمة إذا مع
اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض ووقوعها في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر ٭ يا أيها
الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا ٭ أي جاهد ومجد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في
ذلك غاية الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ٭ فملاقيه ٭ أي فملاق له عقيب
ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الخ
قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٭ وقوله تعالى
يا أيها الإنسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل إيذانا بقصور العبارة عن بيانه أو للتهويل على أنه
ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا أيها الإنسان الخ تقديره لاقى الإنسان
كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الإنسان الخ بإضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا
مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنها ٭ وينقلب إلى أهله مسرورا ٭
أي عشيرته المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤوا كتابيه وقيل إلى أهله في الجنة من الحور والغلمان ٭ وأما من
أوتي كتابه وراء ظهره ٭ أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى
كتابه بشماله وقيل تخلع اليسرى من وراء ظهره ٭ فسوف يدعو ثبورا ٭ أي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه
يا ثبوراه تعال فإنه أوانك وأنى له ذلك ٭ ويصلى سعيرا ٭ أي يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ
ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم ٭ إنه كان في أهله ٭ وعشيرته في الدنيا ٭ مسرورا ٭ مترفا بطرا مستبشرا كدأب
الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة
الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى ٭ إنه ظن أن لن يحور ٭ تعليل لسروره في الدنيا
أي ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن أو أحدهما
على الخلاف المعروف ٭ بلى ٭ إيجاب لما بعد لن ٭ وقوله تعالى ٭ إن ربه كان به بصيرا ٭ تحقيق وتعليل له أي بلى يحورن
البتة إن ربه الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وجزائه
وحسابه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود ٭ فلا أقسم بالشفق ٭ وهي الحمرة
التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن
عن رقة القلب ٭ والليل وما وسق ٭ وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة
عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدواب وغيرها ٭ والقمر إذا اتسق ٭ أي اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة
٭ لتركبن طبقا عن طبق ٭ أي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق
جمع طبقة وهي المرتبة وهي الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة
بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالإفراد على خطاب
الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله للأفراد كالقراءة الأولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وقرئ
ليركبن بالياء أي ليركبن الإنسان وعن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال
من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى ٭ فما لهم

لا يؤمنون ٭ لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيمة وأهوالها الموجبة للإيمان والسجود
أي إذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته
وقوله تعالى ٭ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ٭ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها أي فأي مانع
لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة
رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وعن
أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله تعالى هي غير واجبة
٭ بل الذين كفروا يكذبون ٭ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه
ولذلك لا يخضعون عند تلاوته ٭ والله أعلم بما يوعون ٭ بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر
والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما
فعليا ٭ فبشرهم بعذاب أليم ٭ لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما ٭ إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ٭ استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم
بعد ذلك وقوله تعالى ٭ لهم أجر غير ممنون ٭ أي غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده
الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنتا عشرون

والسماء ذات البروج ٭ هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل
التركيب للظهور ٭ واليوم الموعود ٭ أي يوم القيامة ٭ وشاهد ومشهود ٭ أي ومن يشهد في ذلك اليوم من
الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو
للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وأمته
لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم
عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن رحمه الله تعالى ما من
يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل
الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام ٭ قتل أصحاب الأخدود ٭ قيل هو جواب القسم
على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل على قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث
ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم
بهذه الأشياء إنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم
على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة
أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال في حقهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والأخدود

الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض
الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرائى في طريقه ذات يوم من
الايام دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره
الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد
بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا
به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه
فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل خرج الغلام من قبره في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع
على اخته وهو سكران فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح
الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر
بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول
الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ﴿النار﴾ بدل اشتمال من الاخدود ﴿ذات الوقود﴾ وصف
لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى
﴿اذ هم عليها قعود﴾ ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود وكما في قوله وبات على النار الندى والمحلق ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ اي يشهد
بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور
لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي
ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها
سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق ﴿وما نقموا
منهم﴾ اي ما انكروا منهم وما عابوا ﴿الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر
بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ... [illegible] نسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا
غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ للاشعار
بمناط ايمانهم وقوله تعالى ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع
الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾

اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما
الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ﴿ثم لم يتوبوا﴾ اي عن
كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الذين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جملة
وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
ولا تغيير بنسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾
وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من المفتونين وغيرهم ﴿لهم﴾
بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح ﴿جنات تجري من تحتها الانهار﴾ ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها
كما يعرب عنه اسم الجنة ﴿ذلك﴾ اشارة الى الجنات الموصوفة والتذكير لما ان المراد بما ذكر ولا شك
بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث
اتصافها باوصافه المذكورة لا لذاته فقط بل هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها
عنوانها المذكور حتما وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان ﴿الفوز الكبير﴾ الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون
الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر والخلق على المفعول مبالغة وعلى
الثاني مصدر على حاله ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار
قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش
الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم
بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ﴿انه
هو يبدئ ويعيد﴾ اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة
بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿الودود﴾
المحب لمن اطاع ﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش
على انه صفة لربك ﴿المجيد﴾ العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على
انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته ﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله
تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿هل اتاك حديث الجنود﴾ استئناف مقرر لشدة
بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم
بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود ﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود لان المراد بفرعون
هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال
والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم
مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم
اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب

العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ
بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة
بل يكذبون بما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم
محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد
لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب
الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف
ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء اي ما فوق
السماء السابعة التي فيها اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد
كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم
اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل
قال طرق الخيال ولا ارى كالليلة مطلحا سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل اما على انه
اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق
تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها
من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره اي اي شيء اعلمك
ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ
عما قبله كانه قيل ما هو فقيل النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد
به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي
وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان
معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام
به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يليق
ادراك الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ
جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تفخيم المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية
ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء
رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما
الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشأن كل نفس
لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ
يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح

لان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته قبل اقدر على قياس العقل
فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق
استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه
دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب
والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع
وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها
بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط في
الجماع الضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى
اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب انه
الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اي اعادته
بعد موته لقادر لبين المقدرة يوم تبلى السرائر اي تتعرف وتتصفح ما اسر في القلوب من العقائد
والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان
من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اي المطر سمي به لما ان العرب
كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وارادوا بذلك التفاؤل فسموه رجعا
سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات
او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام
بهما على حقيقة القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو
السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع
من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان
ومعاده لقول فصل اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل
ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة
انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اي
اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام
منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم
بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا
اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس
رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها ثمل يمشي على
رود اي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو
رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة التفعيل لا محالة التكثير وتقييده
برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه
عليه السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة

سبح اسم ربك الأعلى ۝ أي نزه اسمه عز وجل عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر
بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الإعظام والإجلال والأعلى صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربي
الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها
في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت ۝ الذي خلق فسوى ۝ صفة أخرى للرب
على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أي خلق كل شيء فسوى
خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى ۝ والذي قدر ۝ صفة أخرى للرب كالموصول الأول
أو عطف عليه وكذا ما بعده أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها
وآجالها ۝ فهدى ۝ أي فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول
والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار
فيه العقول يحكى أن الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد إليها
بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على طولها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة بإذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لا يكون له دبر
وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فاه فيدخل
الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه فهذا أيا
سبحانه وتعالى للإنسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الإنسانية فما لا يحيط به فلك
العبارة والتحرير ولا يعلمه إلا العليم الخبير ۝ والذي أخرج المرعى ۝ أي أنبت ما ترعاه الدواب غضا طريا
۝ فجعله ۝ بعد ذلك ۝ غثاء أحوى ۝ أي دريناً أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة الخضرة
والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى ۝ سنقرئك فلا تنسى ۝ بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه
وسلم إثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو
هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد إقراء ما أوحي
إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء أي سنقرئك ما نوحي إليك
الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والإتقان
مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات
البينات من حيث الإعجاز ومن حيث الإخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والألف لمراعاة الفاصلة كما
في قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى ۝ إلا ما شاء الله ۝ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه
شيئا من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة
والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان
في الجملة على القلة والندرة كما روي أنه صلى الله عليه وسلم أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي
أنها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان رأسا فإن القلة قد تستعمل في النفي
فالمراد بالنسيان نفي النسيان بالكلية إذ هو المنفي رأسا إلا ما قد ينسى ثم يذكر ۝ إنه يعلم الجهر وما يخفى ۝

تعليل لما قبله أي يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحي إليك فينسي ما يشاء إنساءه ويبقي محفوظا
ما يشاء إبقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم ۝ ونيسرك لليسرى ۝ عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات
إلى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع أن الشائع تعليقه
بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي أمري للإيذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف
فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر
لما خلق له أي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية
فيندرج فيه تيسير تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل
نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى ۝ فذكر إن نفعت الذكرى ۝ أي فذكر الناس حسبما
يسرناك له بما يوحى إليك واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك
الأمر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه
غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على إيمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم إلا كفرا وعنادا فأمر عليه
السلام بأن يخص التذكير بموارد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب
نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد وقوله تعالى فأعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين وإخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير
التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين إن سمعوا منك قصدا إلى أنه
لا يكون والأول أنسب لقوله تعالى ۝ سيذكر من يخشى ۝ أي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله
تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيته
فيؤمن به وقيل إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم وقيل هي بمعنى ما
أي فذكر ما نفعت الذكرى فإنها لا تخلو من نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى
وإن لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي وتمحلها أن الذكرى
۝ الأشقى ۝ من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعتبة بن ربيعة ۝ الذي يصلى النار ۝ سبعين جزءا من نار جهنم ۝ ثم لا يموت فيها ۝ حتى يستريح ۝ ولا يحيى ۝
حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلي ۝ قد أفلح ۝
أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ۝ من تزكى ۝ أي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره والاتعاظ بالذكرى
أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة
وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الإخبار بحسن حال
المتذكر فيها وينتظره ۝ وذكر اسم ربه ۝ بقلبه ولسانه ۝ فصلى ۝ أقام الصلوات الخمس للذكرى كقوله تعالى
أقم الصلاة لذكري أي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم
ربه أي كبره يوم العيد فصلى أي صلاته ۝ بل تؤثرون الحياة الدنيا ۝ إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام
كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون
لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة

الكبرى ۝ أي الطبقة السفلى من طبقات النار
وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
وقيل جزء الكبرى نار جهنم ... ناركم هذه جزء من سبعين جزءا
لقوله صلى الله عليه وسلم

بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية ولذلك فالمراد بايثارها
هو اعم مما ذكر وما لا بد عنه ان سن عاقل من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على
الاول لتغليظ التوبيخ وعلى الثاني لذلك في حق الكفرة ولتشريب العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون
بالياء وقوله تعالى والآخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها
على الآخرة والحال ان الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة
الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره
ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى
اي ثابت فيها معناه صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها
وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب نزل على آدم
عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم
السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان على النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وآيها [illegible]

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قطرب اي قد جاءك
يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه و
الاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر
وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم
غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال الجميع
ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام
التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت والتنوين
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها
لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي
تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط
في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ ناصبة منها وقيل عملت ونصبت
في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه
وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية
في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا معتبرا وبعضها غير مقصود الافادة
وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها وتسقى من
عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان

شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل
هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى
طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين للآخرين لا يسمن ولا
يغني من جوع اي ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون
الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما
على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو
المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة
الى المطعوم بحيث يلتذ بها عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد
منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال
شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل
واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه
في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة والمعنى بارادة
انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى
شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتأخير نفي الاغناء
عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة
استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لتأكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة
شروع في رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في تهويل الغاشية وتفخيم
حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام
في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم يعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات
بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته
في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لا تسمع اي انت او الوجوه
فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء
للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها
سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم
ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية
وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار
والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون
بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اي أينكرون ما ذكر من البعث واحكامه
ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم ويستعملونها كل حين
الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها

وعجيب صنعها اللائقة بما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيقا الذي بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطّحت مشددا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر تدبر واعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء وقيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم وكفر فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايّابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعّال من اوب كقصار من قصر ثم قيل ايواب كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وتقديم الخبر في الجملتين للمبالغة في التخصيص والتشديد في الوعيد وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الاياب غاية السخط الموجب لتشديد العذاب لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر

سورة الفجر مكية وآيها ثلاثون ...

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما

الاقوال

الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق هل في ذلك قسم لذي حجر تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير لما ذكر من تأويل بما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشم وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال الربيع بن خثيم عاد الاولى وقال ابن كثير كلها ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود والطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم

وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر
عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ● التي لم يخلق مثلها في البلاد ● صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم
في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها
على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى ● وثمود
عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام
بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام
كعاد ● الذين جابوا الصخر بالواد ● اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون
من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من
الحجارة ● وفرعون ذي الاوتاد ● وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه
بالاوتاد ● الذين طغوا في البلاد ● اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة
منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى ● فاكثروا فيها الفساد ● اي بالكفر وسائر المعاصي ● فصب عليهم ● اي
انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد ● ربك سوط
عذاب ● اي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر
السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف
والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في
السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار
تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء
بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل
منهما مبالغة فلا حاجة حينئذ الى تشبيهه بالمصبوب بل الى اعتبار تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كلا
من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه ● وقوله تعالى ● ان ربك لبالمرصاد ● تعليل لما قبله وايذان بان كفار
قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه ● وقوله تعالى ● فاما الانسان
الخ متصل بما قبله كأنه قيل ان الله تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان
فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها ● اذا ما ابتلاه ربه ● اي عامله معاملة من
يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى ● فاكرمه ونعمه ● تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء ● فيقول
ربي اكرمن ● اي فضلني بما اعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل عليه ليبلوه
ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية
التأخير كأنه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر

بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي ● واما اذا ما ابتلاه ● اي واما هو اذا ما
ابتلاه ربه ● فقدر عليه رزقه ● حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ● فيقول ربي اهانن ● ولا
يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين
والتوسعة تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء ● واكرمن و
اهانن بسكون النون في الوقف ● كلا ● ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء
والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير بعيد وقوله تعالى ● بل لا تكرمون اليتيم ● انتقال من بيان سوء
احواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته
بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم حال
اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام
اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ● ولا تحاضون ● بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم
بعضا ● على طعام المسكين ● اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء
وتأكلون التراث ● اي الميراث واصله وراث ● اكلا لما ● اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك
وتحبون المال حبا جما ● كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء ● كلا ● ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى
اذا دكت الارض دكا دكا ● الى آخره استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا
حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل
الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت
كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية ● وجاء ربك ● اي ظهرت آيات قدرته
وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه
على حذف المضاف للتهويل ● والملك صفا صفا ● اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس ● وجيء يومئذ بجهنم ●
كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام مع سبعين الف ملك
يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا
يومئذ ● بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى ● يتذكر الانسان ● اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة
آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة فيتبرز كل من الحسنات والسيئات بما
يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى ● وانى له الذكرى ● اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس
يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق
به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة
الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس
من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى ● يقول يا ليتني قدمت لحياتي ●

وهو استئناف بدل من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة. فيومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من الافعال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد. الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة. حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام حسابه للناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت. ارجعي الى ربك اي الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل. فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المخصصين بي. وادخلي جنتي معهم اي انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي ويؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

لا اقسم بهذا البلد. اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين المقسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد. تشريفا له صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله عليه السلام به مناطا لاعظامه بالاقسام او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا به صيدا او يعضدوا به شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تسلية له عليه السلام

بالوعد بالفتح على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له واحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لعيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر. ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم ويقوله تعالى وما ولد اسماعيل والنبي صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين حيث انهما المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسماعيل ومسقط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الوالدية والمولودية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده. لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته اذا اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد. ان مخففة من ان واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد. يقول اهلكت مالا لبدا. يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر. ايحسب ان لم يره احد. حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه. الم نجعل له عينين. يبصر بهما. ولسانا. يترجم به عن ضمائره. وشفتين. يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب. وهديناه النجدين. اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع. فلا اقتحم العقبة. اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة. اي اي شيء اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة. اي هو اعتاق رقبة. او اطعام في يوم ذي مسغبة. اي مجاعة. يتيما ذا مقربة. او مسكينا ذا متربة. اي فقر روحيث كان المراد باقتحام العقبة هو الامور حسن دخول لا على ماض فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة

والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا على تراخي رتبة الايمان ورفعة
محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان
ببعد درجتهم في الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة
اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن
هم اصحاب المشأمة اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من اصدت الباب اذا
اغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم
بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة [illegible] مكية وآيها عشرون

والشمس وضحاها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى
فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكان قريبا من نصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها
وقيل اذا تلا طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اى جلى
الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض
وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض
وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة
مسدهما معا في قولك اقسم بالله حقهن ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا والسماء وما بناها اى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه
قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في
قوله تعالى والارض وما طحاها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اى
انشاها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير
وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح
وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من
زكاها اى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب
القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز
الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور و
اصل دسى دسس كتقضى وتقضض وهو الكلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق
الاستطراد وانما الجواب محذوف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه
قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود
لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب

من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها
كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى
كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث
اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو
ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد
والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى
به فقال لهم اى لثمود رسول الله اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب
طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى
ناقة الله اى ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه في وعيده بقوله
تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين وللايذان ذكر سقياها
فعقروها اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى
تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها
الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر
به كل مذنب فسواها اى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض
او سواها بالاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك
فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله
وان كان من شأنه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه
بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى اى والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم و
حواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى
جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله
واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد
او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه
للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها
والجمها واما من بخل اى بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى اى زهد فيما عنده تعالى كانه
مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى اى ما ذكر من المعاني

المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره
لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى
والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى
والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر
يأباه قوله تعالى وما يغنى عنه ماله اى ولا يغنى اى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به اذا تردى اى
هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى
استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة
ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا عليه حيث حال من سلك
الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة
الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اى التصرف الكلى فيهما كيف ما نشاء فنفعل فيهما
ما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى
الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركهم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا بحذف احدى التاءين من
تتلظى اى تتلهب وقرئ على الاصل لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق
لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذى كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى البالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها
او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك
لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق الذى يؤتى ماله يعطيه ويصرفه فى وجوه
البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب
على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما
لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى اى ليس
لاحد عنده نعمة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع
اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء
وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى
جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف و
قد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد
احد فمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال احد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله تعالى عنه ان
بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام وانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن
خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له
عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف يرضى وهو وعد
كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا

للمفعول

للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله
تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا وتخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم
فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما
فى قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اى جنس الليل اذا سجى اى سكن اهله
او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد
بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك
ربك جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اى ما تركك وما قلى اى وما ابغضك
وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية
مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه
الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه
فنزلت ردا عليهم وتبشيره عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب
المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من
نفى التوديع والقلى ان الله تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه فى الآخرة
اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية خالصة عن الشوائب على الاطلاق
وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا
يدانيه لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام
فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين
وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك
من الكرامات السنية التى لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد
بالآخرة عاقبة امره عليه السلام اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد
رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا
من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر وعلو الدين بالفتوح الواقعة فى عصره
عليه السلام وفى ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام
فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس
عن شمة منها حيث قال له عليه السلام فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك واللام للابتداء
دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم
لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن
لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة
منها صورتين احديهما ان لا يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله

كما عطفك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد مال المحلي
الفارسي الى انها في قولك لزيد القائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني
التاكيد فكانه قيل وليعطينك كذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ ۞ وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ۞
تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد
بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير
المنفي على ابلغ وجه واكده كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى
المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت
امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه
وقرئ فأوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ۞ ووجدك ضالا ۞
عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما
وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل
ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا
مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي
تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت
شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت
به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ
بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها
الى ارض الهند ورده الى القافلة ۞ فهدى ۞ فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي
اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك ۞ ووجدك عائلا ۞
اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما ۞ فاغنى ۞ فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او
بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك ۞ فاما اليتيم
فلا تقهر ۞ فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه ۞ واما السائل
فلا تنهر ۞ فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال
يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول
ابتعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين ۞ واما بنعمة ربك
فحدث ۞ بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه
وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا
وعائلا فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في
هذه الثلاث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل
وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله تعالى كلها وحيث كان معظمها النبوة

فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه
الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله
الله فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمانية

ألم نشرح لك صدرك ۞ لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات
والملكات والارادة وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية
وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة
والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك
التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل
لما ذكر او انموذج جسماني مما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح
بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه
بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح
من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام وتشويقا الى ما يعقبه
ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ۞ ووضعنا عنك وزرك ۞ عطف على ما اشير اليه
من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا وبالا عنك متعلق بوضعنا وتقديمه
على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر
ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا
عنك عبأك الثقيل ۞ الذي انقض ظهرك ۞ اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك
كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه
ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته عليه السلام بتفاصيل الاحكام والشرائع او
من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد
عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك
۞ ورفعنا لك ذكرك ۞ بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة
والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه
وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله
وقوله تعالى ۞ فان مع العسر يسرا ۞ تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين
كانه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة
مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ۞ ان مع العسر يسرا ۞ تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة
بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء

الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين
الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت
اى من التبليغ او من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة
ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وقيل فاذا فرغت من دنياك
فانصب في صلاتك والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك
لا غيره وقرئ فرغّب اى فرغّب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وآيها ثمان

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام
بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء
كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن
ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل
منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها
فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر
وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير
النافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل
ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو
سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا
وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال
الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق
والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس
وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس
التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك
التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون
وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطا وجابر بن زيد
ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان
للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار
على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اى الآمن من أمن الرجل امانة
فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا

يعني ذي امن ووجه الاقسام بها تلك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح
والبيان لقد خلقنا الانسان اى جنس الانسان في احسن تقويم اى كائنا في احسن ما يكون من
التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة
والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من
الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية
على صورة الرحمن ومعنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقالوا ان النفس الانسانية
مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف شاءت فاذا ارادت
فعلا من الافعال الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها
واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القاروحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين
من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك تلك
الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن
عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه
ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة
ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني
الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اى جعلناه من
اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من
الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد
الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين نصب على الحال
من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اى رددناه مكانا اسفل سافلين
والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء
متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى
فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة
المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده
الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد
بالدين للرسول عليه السلام اى فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة
به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اى فما يجعلك
كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا
وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء
فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله
باحكم الحاكمين اى اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة
والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه

من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في
دار الدنيا واذا مات اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق

قيل هي اول سورة نزلت والاكثرون على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة ن • اقرأ • اي ما يوحى اليك
فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء
كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام
كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى • باسم ربك • متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل
اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار
بتبليغه عليه السلام الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله
تعالى • الذي خلق • لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان
على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي
انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى • خلق الانسان • على الاول تخصيص لخلق
الانسان بالذكر من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثاني
افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو
المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول
الابهام ثم التفسير وانما التفخيم فطرته وقوله تعالى • من علق • اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى
باظهار ما بين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان
في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة
الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسان
ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز
وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك والاستشهاد عليه السلام به على تمكينه
تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى • اقرأ • اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى • وربك الاكرم • الخ فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر
بقوله عليه السلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي
امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم • الذي علم بالقلم • اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ
بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى • علم الانسان ما لم يعلم • بدل اشتمال من علم بالقلم
اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول
اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه
تعالى يعلمه من العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى • كلا • ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان

لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى • ان الانسان ليطغى • اي ليتجاوز الحد ويستكبر على ربه
بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله
تعالى • ان رآه استغنى • مفعول له اي ليطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى
لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية
ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى
فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا
فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله
تعالى • ان الى ربك الرجعى • تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد
والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي الى مالك امرك رجوع
الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى • ارأيت
الذي ينهى عبدا اذا صلى • تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث
يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش
لئن رأيت محمدا يصلي لاطان عنقه فرآه عليه السلام في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك
فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه
وسلم واستعظام النهي وتاكيد التعجب منه والرؤية هنا بصرية واما في قوله تعالى • ارأيت ان كان
على الهدى او امر بالتقوى • وما في قوله تعالى • ارأيت ان كذب وتولى • فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية
لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل
من يصلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس
باعتبار نفس الافعال المذكورة ومن حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد
اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كقوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لارأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به
اليه ومفعوله الثاني سدت مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا
جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله
تعالى كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن • الم يعلم بان الله يرى • اي يطلع على احواله
فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة بالجواب مصدرة
باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع
في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز
الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية

هذا وقد قيل ارأيت الاولى بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية ابن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة ﴿كلا﴾ ردع للناهي اللعين وخسؤ له واللام في قوله تعالى ﴿لئن لم ينته﴾ موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لنسفعا بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهي النكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ ﴿فليدع ناديه﴾ اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت ﴿سندع الزبانية﴾ ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحدة زبنية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا ﴿كلا﴾ ردع بعد ردع وزجر اثر زجر ﴿لا تطعه﴾ اي دم على ما انت عليه من معاصاته ﴿واسجد﴾ وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به ﴿واقترب﴾ وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مكية وآيها خمس

﴿انا انزلناه في ليلة القدر﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبي عن كمال العناية به وبتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى ﴿وما ادراك ما ليلة القدر﴾ لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ﴿ليلة القدر خير من الف شهر﴾ فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين مع في اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في القرآن فالانسب ان يجعل الضمير للسورة التي هي جزء من القرآن واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها فاكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في تلك الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى السماء او الى الارض الدنيا ﴿باذن ربهم﴾ متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره ﴿من كل امر﴾ اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة اي قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه ﴿سلام هي﴾ ما هي الا سلامة اي ما يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية وآيها ثمان

﴿لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب﴾ اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم ﴿والمشركين﴾ اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول ﴿منفكين﴾ اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك

اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك
الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي
لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجتمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التي كانوا
قد جعلوا اتيانها ميقاتا للاجتماع والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف
الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا
ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية
ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو
صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا ياتيه من بين يديه
ولا من خلفه او من ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة
تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة
او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب
وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة
وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح
الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبي عن كمال
تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين وما كان هؤلاء والمشركون
باعتبار اتفاقهم على الراي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار
بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب
وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاتفاق على راي آخر بل بطريق الاختلاف
وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من
الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود
في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا
بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة
الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا لله تعالى او جاعلين انفسهم خالصة
له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى
امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة
الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته

وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ دين القيمة على تاويل الدين بالملة هذا وقد قيل
قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون
من دينهم الى مبعثه وبعد ورود ان ينفكوا منه ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل
سببا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه
لا انفك مما انا فيه حتى يغنيني الله فيغنيه الله فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر
وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد
بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا
على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم
من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتامل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الاخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا
يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى
كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او
انهم فيها الان اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي
عين النار الا انها ظهرت في هذه النشاة بصور عرضية وستخلعها في النشاة الاخرة وتظهر بصورها
الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين فيها حال من
المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم
في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه
من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي اولئك البعداء
المذكورون هم شر البرية اي الخليقة اي عملا وهو الموافق لما سياتي في حق المؤمنين فيكون
في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ البريئة
على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة
جريا على السنة القرانية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية
من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البريئة وهو جمع خير نحو جيد و
جياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان
اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين
بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البشرية وذكر الجزاء المؤذن بكونه
في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابد
من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة

على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وبلغوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مساء ومقيلا

سورة الزلزال مكية وآيها ثمانية

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره او زلزالها اللائق في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاى وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اى ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض ولان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر لانه لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون منتصبا بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتنطق بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ على الابناء بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اى اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ولما كان معنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاول مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه

من غير

من غير ان يعتبر معه الجزاء والعدم بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله صدق رسول الله

سورة العاديات مكية وآيها احدى عشرة

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا منصوب بمصدر اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اى فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب والقتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اى في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت نقعا اى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذى لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اى فتوسطن بذلك الوقت او فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك اى وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اى المال كما في قوله ان ترك خيرا لشديد اى قوى مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او قيل الشديد البخيل اى انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون

اموالهم ويجوز ان من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الى تهديد ووعيد و
الهمزة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعثر
من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث على بنائهما للفاعل
وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من
الاسرار الخفية التي من جملتها ما تخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي
كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره
بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الآية بعد قوله تعالى
ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا لصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم
وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور
لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق
علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل
واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها احدى عشرة

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى
ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع
بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار
والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى
ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ
ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة هاهنا هو كلمة ما القارعة اي اي شيء هي في الفخامة والفظاعة وقد
وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان
خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شانها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك
وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس هاهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على انها المفعول الثاني
لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية
معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ
الاول اي واي شيء اعلمك شان القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل
وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه
قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي
هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستاتيكم القارعة يوم

يكون

يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها
وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين
من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها
ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى
ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان
اتباع الداعي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد
مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى
حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع
موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله سبحانه كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنهما
انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش و
الضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف
يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية
تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي
فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان
لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فماواه هاوية هي من اسماء النار سميت
بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوون فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل
منها وعبر عن الماوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى
فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار
حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير
الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القاري حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها
ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل
الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مكية وآيها ثمان

الهاكم التكاثر اي التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا
وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثر
بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر

والتكاثر بالاموات فعبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى التكاثر الهاكم بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ ءالهاكم على الاستفهام التقريري ۞ كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة ۞ سوف تعلمون ۞ سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ۞ ثم كلا سوف تعلمون ۞ تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او القبر والثاني عند النشور ۞ كلا لو تعلمون علم اليقين ۞ اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل ۞ وقوله تعالى ۞ لترون الجحيم ۞ جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ۞ ثم لترونها ۞ تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة ۞ عين اليقين ۞ اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ۞ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ۞ اى عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وآيها ثلث

والعصر ۞ اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ۞ ان الانسان لفي خسر ۞ اى خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم ۞ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ۞ فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى ۞ وتواصوا بالحق ۞ الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل ۞ وتواصوا بالصبر ۞ اى عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله عز وجل والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضاء به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

ويل ۞ مبتدا وخبره ۞ لكل همزة لمزة ۞ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم ۞ الذي جمع مالا ۞ بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى ۞ وعدده ۞ وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اى جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذي ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام ۞ يحسب ان ماله اخلده ۞ اى يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخلد ولا يخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع ۞ كلا ۞ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ۞ لينبذن ۞ جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة ۞ في الحطمة ۞ اى في النار التي شانها ان تحطم وتكسر كل ما يقع فيها او يلقى كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال ۞ وقوله تعالى ۞ وما ادراك ما الحطمة ۞ لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ۞ نار الله ۞ خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشانها المسؤول عنها اى هي نار الله ۞ الموقدة ۞ بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه ۞ التي تطلع على الافئدة ۞ اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال السيئة ۞ انها عليهم مؤصدة ۞ اى مطبقة من اوصدت الباب واوصدته اى اطبقته ۞ في عمد ممددة ۞ حال من الضمير المجرور في عليهم اى كائنين في عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اى هم في عمد او صفة لمؤصدة قال ابو البقاء اى كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عُمُد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه السلام واصحابه

سورة الهمزة مكية وآيها تسعة

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ۞ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته

عليه السلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علما رصينا
متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية
فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة و
هيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم
فان ذلك من الارهاصات لما روى ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف
اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها
فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية
وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع
فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات
هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا
في كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع قلبه عن صدره وانفلت
وزيره ابو يكسوم وطائره تحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين
يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شانها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما
جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال
فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك
فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم
في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيحميه
ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا
هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه
ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي
كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين
مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل
بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها
كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم
طيرا ابابيل اى حزائق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل
مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه
باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
ان سجيلا علم للديوان الذي يكتب فيه اى انهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل

حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير عليه باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفيل اعطاه الله تعالى ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة الفيل مكية وآيها خمس

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله تعالى غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل
بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا باهلاك اصحاب الفيل لايلافهم وقيل اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من
قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من
قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم
الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي
الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة
بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان
ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اى لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الافا وايلافا وقرئ لالف
قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من
الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن
الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم
النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم و
هي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين
اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما اريد به القحط
الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف
اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة قريش مكية آيها اربعة

ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق
له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية
بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى فذلك الذي
يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتداء والموصول خبره والمعنى هل عرفت
الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم اى يدفعه دفعا
عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض للوصف للاشعار بعليته موضع الضمير

للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل
كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله
يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل
بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله
وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء
في قوله تعالى فويل للمصلين لما ربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم
والمسكين من دلايل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم
ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤون اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها
ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر
فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة
الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما ترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم
ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامع لخيري الدارين
والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدين والدنيا فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في
صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه
من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث
الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم
على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي
لخيري الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى
اياه عليه الصلوة والسلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها احدا ولن يعطها احدا من العالمين
مستوجب للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلاة لربك الذي افاض عليك هذه النعم الجليلة
التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلافا للساهين عنها المرائين فيها واداء لحقوق شكرها فان
الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق
على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل
صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع
يديه في التكبير الى نحره وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك لا يتيان الله

هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك
وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل
واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى
من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان
رهطا من عتاة قريش قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا
سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم آلهتنا نصدقك ونعبد الهك
فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد
ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل
الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا
انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم
اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف
ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا
على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم
يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه
الصلوة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما اعبد على ما لان المراد هو
الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ما مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان
وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم
عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما في قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد
والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعونه
فيه فلا تعلقوا به اماتيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور
على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم
او استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان هو معنى قولهم تعبد آلهتنا سنة
ونعبد الهك على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند
قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم
كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم
تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

وتعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مكية وآيها ستة

اذا جاء نصر الله اى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اى فتح مكة وقيل جنس نصر الله ومطلق
الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر
الفتوح وعلق به امره عليه السلام بالتسبيح والتحميد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان
نحوه عليه الصلوة والسلام فانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلوة والسلام عن قريب وروي انها نزلت
قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعضها في حيز
الاستقبال اعني رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان
ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها
خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من
رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن
ورايت الناس اى ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اى ملة الاسلام التي لا دين
يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله
تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اى جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وقبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه الصلوة
والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لكم به يدان وقد
كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا
من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله
حامدا له اى فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على
جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه الصلوة والسلام امر بان يداوم
على ذلك استعظاما للنعمة لان ابدات التعجب مما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا
حامدا لزيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك وفصل له حامدا على نعمه روي انه لما
فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا للعمل واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما
فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان
يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه الصلوة والسلام
اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على
اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه الصلوة والسلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك
نفسك قال عليه الصلوة والسلام انها لكما تقول فلم ير عليه الصلوة والسلام بعد ذلك ضاحكا

مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا
ولعل ذلك للدلالة على كمال اتمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي
انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا والاخرة
وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال فديناك بانفسنا واباءنا و
اولادنا وعنه عليه الصلوة والسلام انه دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا بنتاه انه نعيت
الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة
التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اى مبالغا
في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس

تبت اى هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على
الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ الحجر
ليرميه به عليه السلام وتب اى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني
جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب
وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك
نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك او قيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض
بكونه جهنميا ولاشتهاره بها او لكراهة اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب
وقرئ ابو لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اى لم يغن عنه حين حل به
التباب على ان ما نافية او اى شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها
اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث
من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
او عمله الذي ظن انه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي واتخلص منه وقد خاب مرجاه وما
حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان
صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة
بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون
فبقي ثلثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما
اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد ونارا

لتأكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة ﴿نارا ذات لهب﴾ اي نارا
عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن
ان يكون مكلفا بانه يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار
غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى
الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل
ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن في سيصلى
لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك
والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلوة والسلام يطؤه
كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم
اي يوقد بينهم النائرة ﴿حمالة الحطب﴾ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة
غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة
مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ
بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير
للتحقير ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر
لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل
كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن
وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تأتي
كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت
على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاخنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص [illegible]
وآيها اربعة

﴿قل هو الله احد﴾ الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله
القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى العائد
لانها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها
وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له
خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن و
همزة احد مبدلة من الواو واصله وحد والهمزة تلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم فانه اصله

وقال المكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديهما
تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان ولا يقال رجل احد
ولذلك اختص به تعالى وهو لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا
قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره واحد بدل
منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ والله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ
قل هو الواحد وقوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه
اذا قصده اي هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في
جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف
بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى
بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة
التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية
لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر
احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت
الاحكام السابقة فقيل ﴿لم يلد﴾ تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح
ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون من
جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر
الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ﴿ولم يولد﴾ اي لم يصدر عن شيء
لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير
ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف
بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر
تحقيقه ﴿ولم يكن له كفوا احد﴾ اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله
صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافأة عن
ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس بذلك ولعل تأخير اسم
كان لمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف و
الفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة
مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث
النبوي انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص
ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست
السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد
الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه الصلوة والسلام انه سمع رجلا

يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مدنية وآيها خمس

قل أعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول
فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول فيه وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو
ما يفلق الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب
والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور
عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه
وإنجائه عنه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب
الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن
العائذ ما يخافه كما قيل فلا إذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها
من شر ما خلق أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار
وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم
الإنسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لإضافة الرب إلى الفلق فقد
نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لملابسته له بحدوثه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده
ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى إذا وقب أي دخل ظلامه في كل شيء لأن حدوثه فيه أكثر
والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقوبه
دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت أخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب
وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر
الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في ذلك
الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لأنها إذا
سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الإنسان ووقوبه هجومه
ومن شر النفاثات في العقد أي ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في
خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات والنفثات بغير ألف
وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما
روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهما أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه عليه الصلاة والسلام فأعطاها اليهود فسحروه
عليه الصلاة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد
فدفنها في بئر أروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام
بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم
الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي

توضع في قعر البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر
فجاؤوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة
مغرزة بالإبر ووجد عليه الصلاة والسلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين
فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام
أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما غضب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب
لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث
الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد إذا حسد أي إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه
بترتيب مقدمات الشر ومبادي الإضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد
قبله إنما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب
التي أنزلها الله تعالى

سورة الناس مكية مدنية وآيها ست

قل أعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام برب الناس أي مالك أمورهم
ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به
لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر الملوك لما تحت أيديهم من مماليكهم
بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى إله الناس فإنه
لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتولي
لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل بطريق المعبودية المؤسسة
على الألوهية المقتضية للقدرة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة وإيجادا وإعداما وتخصيص
الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للإرشاد
إلى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعاذة فإن توسل العائذ بربه وانتسابه
إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد
المرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه
شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته
رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى إن عبادي ليس
لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة
بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار
البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة
من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة
وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة الخناس
الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس

اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من
الجنة والناس بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس
والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن وجهة الناس وقد جوز ان يكون
بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا التعويل عليه واوهن
منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع بيان
بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع
عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق
شكره فان العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الفواد الى
سنن الرشاد يا بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل جاير
ملهوف والمجير لكل هايل مخوف اتوسل بحرمتك المامون من غوايل ريب المنون والتجئ الى حرمك
الحريز واوى الى ركنك العزيز واسالك من خزاين برك المخزون في مكامن سرك المكنون
خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور
لاسيما الاطمئنان بهذه الدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فا عذني
بحمايتك واعتني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية
ما يخلصني من العوايق الظلمانية ويجردني من العلايق الجسمانية وجذب عناني الابية
من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور
على سراير الانس ويتهيا للحضور في حظاير القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى
وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل اعز امي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم القاك
يوم يقوم لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله واصحابه وسلم تسليما
كثيرا ابدا دائما الى يوم الدين